ملفات السينما
الكوميديا و الغناء
فى الفيلم المصرى
الجزء الثانى
نجوم المشهد الغنائى
فى تاريخ السينما المصرية
تأليف: محمود قاسم
تقديم أ.د. مدكور ثابت

الفصل الاول
سمات الفيلم الغنائى

الفيلم الغنائى الفيلم الذى به أغنيات ايا كان الشكل الذى قدمت فيه الأغنية سواء كانت فردية أو فى اطار دويتو (غناء ثنائى) أو استعراضات متباينة الضخامة.

ولابد أن يكون هذا الفيلم ناطقا فى المقام الأول، ثم لابد أن تصاحب الأغنيات موسيقى ، وكما ورد فى معجم الفن السينمائى من اعداد وترجمة أحمد كامل مرسى ، و د . مجدى وهبة ، فان تعريف الفيلم الغنائى غير موجود ، لكن هناك تعريفا اخر بالفيلم الموسيقى ، سنورده هنا من ناحية ، وسنعود مرة أخرى للحديث عن سمات الفيلم الغنائى.

فالفيلم الموسيقى والرقصات والاغانى يجمع بين سمات الآبراتوميك أو الفودفيل فى المسرح ، وهو فيلم يماثل الملهاه الموسيقية فى بعض عناصرها ولكنه يقل عنها فى الاهتمام بالناحية الموضوعية أو الفكرية فى معظم الاحيان. انه يميل الى حشو المواقف الهزلية بالشخصيات المضحكة ، واقتحام المفا رقات والمفاجأت المفتعلقة ، وحشد الاستعراضات الراقصة والغنائية التى تضم مجموعات متنوعة من الفتيات الجميلات ، أنه يعتمد على تصميم المناظر المسرحية الخيالية . وابتكالر الملابس والازياء الجديدة ، وبراعة استخدام الحيل والامكانيات السينمائية مع الموسيقى الراقصة والالحان الشائعة . وقد ذاع هذا النوع فى الافلام الامريكية منذ بداية الثلاثينيات ، نذكر من بين أبطاله فريد استير ، وجين كيلى ، وجودى جارلاند ، ويمكننا أن نعتبر معظم أفلام فريد الأطرش ونعيمة عاكف من هذا النوع . أما أفلام عبد الوهاب وأم كلثوم وليلى مراد، فهى من نوع الملهاة الموسيقية.

وعن الملهاة الموسيقية فى نفس المعجم ، فانها لون متطور من الفيلم الموسيقى ، يجمع بين سمات الأوبريت والأوبرا فى المسرح ، وهو عبارة عن بناء درامى يعالج الموضوعات الجادة بأسلوب مرح خفيف، تلتقى فيه الرقة مع العمق. ولا يخلو هذا البناء الدرامى من الشخصيلت المرحة ، والمواقف المسلية الى جانب العقدة الروائية المحكمة ، والازمات المثيرة ، والمفاجات المرحة والنهايات السعيدة فى معظم الأحيان . وهو يماثل الى حد بعيد الفيلم الموسيقى فى بعض عناصره . ولكنه يتميز عنه بجدية الموضوع ، والمعالجة الهادفة، وقوة الابداع الفنى فى الاخلراج والتصوير ، ومن هذه الأفلام عالميا "قصة الحى الغربى" و" أوليفر" و"سيدتى الجميلة" و"صوت الموسيقى"، وأقرب الأفلام المصرية من هذا النوع "عايدة" و"مصنع الزوجات" و"غزل البنات" و "الفيلم اللبنانى"بياع الخواتم".

وهذا تعريف عام يمكن أن نستخرج فيه الكثير من المثالب ، لكننا لا نود الوقوف عنده ، فلاشك أن الفيلم الغنائى يتضمن كافة التعريفات التى تدخل فيها الاستعراضات والموسيقى الغنائية ، والكوميديا الموسيقية.

باعتبار أن الأغنية موجودة فى الفيلم ، قام المؤلف بتأليفها كى تكون كلماتها ذوات ايقاع ولحنها ملحن ، غالبا ما يكون شخصيا مختلفا تماما عن واضع الموسيقى التصويرية ، ويغنيها مطرب أو مجموعة من المطربين ، بعضهم محترف غناء ، معروف خارج شاشة السينما كمغن ، والبعض الآخر قد يكون مجرد مغن سينمائى ، أى أنه لايمارس الغناء سوى فى الأستوديوهات أمام الكاميرا ، حتى وان خرجت أغنيةتة الى الناس فى صورة شرائط كاسيت أو أسطوانات ، وذلك حسب نجاح الفيلم ، وهذا بالطبع واضح لدينا فى السنوات الأخيرة من خلال غناء لنجاح الموجى ، وأحمد ذكى ، و محمود عبد العزيز ، ومحمد هنيدى ، وأخرين.

ولاشك أن مولد الفيلم الغنائى مرتبط أساسا بالفيلم الناطق كما أشرنا ، فعندما نطقت الأفلام ، غنت ، ولم تعرف السينما أى ظاهرة للغناء ابان صمتها ، فكيف نشجى الناس بالاشارة ، مثلمل يحدث فى هذه الأفلام.؟

اذن .. فالفيلم الغنائى يجب أن يضم أغنيات ، سواء ارتبطت هذه الأغنيات بالفيلم أم لا ، ففى الكثير من الأفلام التى تسمى بالغنائية يمكن أن نحذف الأغنيات ونشاهد فيلما مكتملا ، وطالما أن بالفيلم هذا القدر من الأغنيات ، فهو فيلم غنائى ، أما اذا تم ازاحتها عن الفيلم فقد هويته ، وعلى سبيل المثال فان فيلم "شباب امرأة" يمكن اعتباره غنائيا ، لأن هناك مطربة غنت أغنيتين ، بالأضافة الى نشيد جماعى ، لكن عندما عرض فى بعض المهرجانات العالمية ، خاصة مهرجان "كان" تم حذفها وشاهده الناس عملا غير غنائى بالمرة ، اذن فهو فيلم غنائى لمن شاهده هنا فى الوطن العربى ، وهو فيلم لا يحمل سمة الغنائية ، بالنسبة لمن رأوه فى مهرجان "كان" على سبيل المثال.

وتتباين درجات الأغنية فى داخل نفس الفيلم ، أو بين الأفلام وبعضها ، فقد يقف الحبيب يناجى فتاته التى يحبها ، أو هجرته ، قد يحدث هذا فى حجرة مغلقة ،مثلما غنى عبد الحليم حافظ "أول مرة " فى "الوسادة الخالية"، أو "جواب" فى "البنات والصيف" وقد يقف أمام أفق متسع يناجى هذه الحبيبة التى ابتعدت وفارقته، وسببت له الألام والمتاعب مثلما فعل نفس المطرب فى أفلام "أبى فوق الشجرة"أغنية(أحضان الحبايب) ، و"البنات والصيف" (راح) ، و"حكاية حب" فى (فى يوم فى شهر فى سنة).

وهذا النوع من الغناء فردى، أى أن المطرب يغنيه وحده بدون مصاحبة من طرف أخر ، وفى الكثير من الأفلام تأتى الموسيقى من الخلف ، باعتبار أن الأغنية هنا حالة فردية خاصة فقط بالشخص الذى يردد الكلمات على موسيقى معدة سلفا من الخارج . وهناك أشكال عديدة للأغنية الفردية ، فقد يرددها الشخص أمام شخص أخر مثلما فعل فريد الأطرش عندما غنى "ياما جوه الدولاب مظاليم" فى فيلم "عايزة أتجوز"، عندما هدده عبد السلام النابلسى بالمسدس حين أكتشف وجوده فى دولاب حبيبته ، وقد يتطور الأمر ويغنى المطرب أغنيته أمام حشد من الناس، مثلما فعل عبد الحليم حافظ مرتين فى فيلم "شارع الحب" عندما غنى"الليالى" ، و"نعم ياحبيبى نعم".

وهناك نوع أخر من الغناء السينمائى هو الثنائى ، أو الدويتو ، كأن يتبادل طرفان الحوار الغنائى ، وهو منتشر فى السينما ، ومن أشهر ما غناه اسماعيل يس وسعاد مكاوى فى "البطل" تحت عنوان "أناح أروح".

كما أن الدويتو قد يحتاج الى مطربين يتبادل كل منهما غناء كوبليه ، لكن النوع الشائع هو تبادل الحوار بالأسلوب الغنائى ، مثلما فعل عبد الوهاب كثيرا مع بطلاته فى "حكيم عيون" و "أتاخرت ليه".

والاسكتش يتم دائما فى اطار جماعى ، قد يكون ثلاثة أشخاص أو أكثر ، وغالبا ما يتم بشكل استعراضى راقص ، مثلما حدث فى فيلم "خد الجميل" بين عبد العزيز محمود وشكوكو ، وسامية جمال ، فالثلاثة فى اسكتش "حكيم عيون" قد تبادلوا الغناء ، حتى سامية التى رقصت فانها فعلت ذلك وهى تغنى.

وقد يتطور الأمر الى استعراض جماعى ضخم ، يغنى فيه أكثر من شخص ، ويرقصون من خلال نصميم رقصات ومشاهد متعددة متلاحقة ، وتنوع الألحان ، وقد حفلت السينما المصرية لبعض الوقت بهذا النوع من الاستعراضات الضخمة ، من أبرزها استعراض "البلياتشو" فى فيلم "دهب" بين اسماعيل يس ، وأنور وجدى ، وفيروز ، ومن حولهم مجموعات كبيرة من الراقصين والراقصات ، ويتم ذلك فى صالة استعراضية ضخمة بنيت فيها الديكورات وتنوعت من فقرة لأخرى ، كما أن ذلك تكرر فى أفلام عديدة منها ما قدم فى الحفل الضخم الذى حدث فى فيلم "قلبى دليلى" ، ومنها أيضا ما رأيناه فى أفلام قامت ببطولتها نعيمة عاكف مثل "لهاليبو" ،و "مليون جنيه" ، و "ياحلاوة الحب" ، وهو الفيلم الذى شاركت فيهمحمد فوزى الغناء.

اذن فالسمة الأولى والبارزة للفيلم الغنائى أن يكون هناك غناء ، بصرف النظرعن درجاته ، وبالتالى ، فان كافة المصطلحات التى يمكن أن تتواجد حول هذا الاطار ، تصبح صالحة للأندماج فيه ، منها الكوميديا الموسيقية ، والفيلم الاستعراضى ، والفيلم الموسيقى ، وغيرها.
أما السمة الثانية ، فهى موضوع الفيلم نفسه ، فأغلب هذه الأفلام مصنوعة للبهجة أكثر مما هى مصنوعة لاثارة الشحن لدى الناس ، ولذا فان الكثير من الأفلام الغنائية ممزوجة بالكوميديا أى أنه يجب أن تكون هناك مواقف مضحكة ، وكثيرا ما تكون الأغنيات نفسها مضحكة ، وفى السينما المصرية فان أغلب هذه الأفلام قد تواجد فيها أبطال الكوميديا المعروفين ، وفى مقدمتهم اسماعيل يس ، وسعاد مكاوى وحسن فايق ، والقصرى، وزينات صدقى ، وعبد المنعم ابراهيم ، وعبد السلام النابلسى ، وقد تطور شكل الغناء فى هذه الأفلام بأن رأينا نجوم الكوميديا هؤلاء ، من غير المطربين يغنون من وقت لآخر فى الأفلام ، لذا ازدهرت الكوميديا الموسيقية ، والكوميديا الغنائية ، وعرفت السينما فى مصر مطربين يتسمون بحيوية واضحة فى الاضحاك ، وكانوا مضحكين من الطراز الأول ، ومنهم محمد فوزى وشادية وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ.
وكم غلفت الأفلام الغنائية بأجواء كوميدية مثل "شارع الحب" و "انت حبيبى" و "خطف مراتى" و "بنات حواء" و "رصاصة فى القلب" وغيرها.

لكن هذا لايمنع تغلف فى أحيان أخرى بأجواء مليودرامية ، ثم مأساوية ، واذا توقفنا عند فيلم "الخطايا" لحسن الامام كعمل غنائى ناجح ، فانه لابد من خلال أجواء مبهجة ومثيرة للضحك والاشراق بين الطالب "حسين" وزميلته فى الجامعة ، وانعكس ذلك فى الانتخابات والرحلات الجامعية ، قبل أن تدخل أحداث الفيلم الى أجوائها الحزينة.

وبشكل عام ، فان الكوميديا موجودة فى الأفلام الغنائية بشكل مكثف ، وقد ساعد ذلك على زيادة شعبيتها ونجاحها. وقد ساعد ذلك وجود مجموعة متميزة من كتاب السيناريو والحوار ، ألف الكثير منهم أغنيات الأفلام ، وكان صعود وهبوط قيمة هذه الأفلام مرتبطين بوجود هذه الأسماء على الساحة ، وفى مقدمتهم أبو السعود الابيارى وبديع خيرى وعلى الزرقانى ، ومن كتاب الأغنيات الخفيفة كان هناك فتحى قورة فى المقام الأول.

والسينما الغنائية مدانة الأسماء ككتاب ، فهم الذين ضخوا الدم الفكاهى فيها ، ولو راجعت كلمات الأغنيات والأسكتشات التى كتبها أبو السعود الابيارى على سبيل المثال ، فسوف تجد نفسك فى حالة دهشة من الصياغة العبقرية ، ليس فقط فيما يتعلق بالأغنية الفردية ، ولكن أيضا فى الحوار الغنائى وغيره.

وعلى جانب أخر فان الأغنيات الحزينة أو أغنيات الألم واللوعة والفراق ، كانت موجودة بدرجات أقل فى الكثير من الأفلام ، ولكنها لم تملأ أحداث كل الأفلام ، فعادة ما يبدأ الفيلم بأغانى بهجة ، وتبعا للأحداث فان الفرحة تتلاشى ، ويجىء وقت الغدر أو الفراق والنكايات ، ولابد للمغنى أن يتألم بلأغنياته ، والغريب أن الكثير من هذه الأغنيات كانت تعتبر بمثابة وقت ضائع فى الأفلام ، ومنها على سبيل المثال أغنية " ايه ذنبايه" فى فيلم "أيام وليالى" ، وأغنية "بينى وبينك ايه" فى فيلم " موعد غرام" ، وقد أحب الناس بعض

مطربيهم بدرجات أكثر عندما غنوا للأحزان وخاصة فريد الأطرش . وفى الوقت الذى تخفى فيه هذه الأغنيات فى الأفلام الكوميدية مثل " أحبك أنت" و "عايزة أتجوز" و " الزوجة السابعة" ، فانه فى أفلام أخرى قد نجد أكثر من أغنيتين ، وهذه من الحالات النادرة ، مثلما حدث فى أفلام من طراز " قصة حبى" ، و " رسالة غرام" ، و " من أجل حبى" و "عهد الهوى" ، وكلها تعتمد فى قصصها على مأسى ، مثل موت البطلة أو فراقها ، أو اصابتها بمرض ، وقد غنى عبد الوهاب فى فيلم "دموع الحب" للحبيبة الميتة أغنية "أيها الراقدون تحت التراب" كما غنى لفيف من الأغنيات البكائية فى فيلمه "الوردة البيضاء" الذى لم ينل حبيبته فى نهايته وتركها تتزوج من رجل أخر ، واكتفى بالغناء "ضحيت غرامى".

والملاحظ أن الأفلام التى قام ببطولتها محمد فوزى قد خلت تقريبا من هذا النوع من الغناء الحزين ، فهى أفلام غنائية خفيفة ، ولو راجعنا أفلامه وعلى رأسها "فاطمة وماريكا وراشيل" ، و "بنات حواء" و " من أين لك هذا" ، فسوف نجد أنها كلها تتضمن أغنيات مليئة بالبهجة ، وفى أفلام عبد الحليم حافظ ، كان هناك توازن حيث تبدأ الأحداث بأغنيات خفيفة ، ومع تصاعد المليودراما تجد الأغنية الحزينة مكانها فى الفيلم ، وعلى سبيل المثال ففى " يوم من عمرى" فان أغنيات من طراز "خايف مرة أحب" ، و "ضحك ولعب وجد وحب" تبدو خفيفة ، أما "بأمر الحب" فهى أغنية اعتراف ، ويبتهى الفيلم بأغنية يستعيد فيها صلاح كل ذكرياته مع نانى مرددا : "بعد ايه أبكى عليه وأشتاق اليه".

وهناك أفلام قليلة لعبد الحليم حافظ اختلت فيها المعادلة ، مثل "معبودة الجماهير" ، فمع تصاعد قصة الحب والأمل ، يغنى "أحبك" وهو يركب دراجة ، ثم يغنى مع حبيبته سهير "حاجة غريبة" عقب الأعتراف بالحب ، يتجولان فى الحدائق ويتطلعان الى نجوم الليل اللامعة فى السماء ، وما أن يبدأ الحب فى الانهيار ، حتى تتحول كل أغنيات الفيلم الباقية الى دموع حزينة ، منها "جبار" ، و "لست قلبى" و "بلاش عتاب".

وهذا النوع من الأغنيات مطلوب باعتبار أنه يسد لدى المستمع والتفرج فراغا يعانيه من فشل أحيانا فى قصص الحب ، ومن هنا يأتى الاندماج بين المطرب والجمهور ، حيث يحس المرء أن المطرب هو لسان حالة ، يتألم له ونيابة عنه ، وكأنه يحس به ، يتغنى عنه همومه ويبلغه ؛ أنا أيضا أتألم وأغانى مثلك ، بل ان حالى أشد من حالك .

الغناء فى السينما المصرية ظاهرة رجولية ذكرية أكثر منها ظاهرة أنثوية ، فرغم ذلك العدد الكبير من المطربات اللائى عملن فى السينما ، فان الظاهر هو سيادة نجومية المطرب ، ورغم وجود أم كلثوم فى نفس العصر الذى عمل فيه عبد الوهاب ، فان أفلام هذاالأخير كانت تحقق النجاح أكثر ، أما شادية فقد ظلت تؤدى الأدوار الثانية فى أفلام كثيرة الى أن اضطلعت وحدها بالبطولة ، وما أن حدث ذلك ، حتى عملت لسنوات قليلة فى الغناء السينمائى ثم قررت أن تصبح ممثلة دون أن تغنى . صحيح أن هناك حالات استثنائية مثل ليلى مراد ، وصباح ، ولكننا نقصد هذا الكم والعدد الهائل الذى عمل فى هذا النوع من الأفلام.

وقد كانت هناك عادة مألوفة بالنسبة للمطربات ، أن أسماءهن كانت تسبق أسماء زملائهن من الرجال حين لا يكونوا من المطربين ، مثلا اسم شادية أو صباح كان يسبق عادة شكرى سرحان أو رشدى أباظة ، أو أحمد مظهر ، باعتبار أن مساحة ظهور أى مطربة على الشاشة زمنيا ، لابد أن يكون أكثر من زميلها ، لابد أن يكون أكثر من زميلها ، فلو أن صباح غنت خمس أغنيات فى فيلم "وكر الملذات" لحسن الامام ١٩٥٧ ، فانها فى الفيلم على الأقل ٢٥ دقيقة تغنى فيها ، وبالفعل فان شكرى سرحان فى هذا الفيلم وفى أفلام أخرى عديدة كان بمثابة البطل الثانى أمام مساحة الدور الممنوح للمثلة ، وقد حدث هذا كثيرا فى أفلام عديدة لشكرى سرحان مثلا ، منها "اغراء" أمام صباح و "الهاوية" و "موعد مع الحياه" أمام شادية.

أما عندما تكون هناك مطربة أمام مطرب فان المطرب هو الذى يسبق ، باعتبار أن النجومية له فى المقام الأول ، ولو توقفنا عند صباح مثلا ، باعتبار بروزها وعملها الدؤوب فى السينما الغنائية ، فقد جاء اسمها دوما بعد فريد

الأطرش فى "بلبل أفندى" و "لحن حبى" و "ازاى أنساك" ، كما حدث ذلك مع محمد فوزى فى " الأنسة ماما" وغيرها، وتكرر نفس الأمر بالنسبة لشادية.

وقد لمعت نجومية المطربين عن المطربات فى السينما الغنائية من خلال أسماء من طراز محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش و محمد فوزى.

ساعدت السينما الأستعراضية على زيادة الأقبال على الأفلام الغنائية ، وقد كان هناك جيل كبير من المخرجين متحمس لهذا النوع من الأفلام ، برعوا فيه وظلوا أسرى له ، وهو أسمر جميل رائع لا يحاولون بالمرة الخروج عن ناموسه ، وارتبط ازدهار السينما الغنائية والأستعراضية بوجودهم ، يكتشفون المواهب الجديدة ولديهم أنوف بالغة الحساسية فى التعرف على أماكنها ، ثم تقديمهم الى الناس بالشكل الذى سيحقق نجومية وايرادات عالية ، وقد كان حلمى رفلة هو الأكثر أهمية فى هذا المضمار ، ليس فقط لأنه المنتج والمخرج ، بل أيضا لأنه نوع فى اكتشاف نجوم ونجمات الغناء ، فاذا كان حسين فوزى قد حصر عمله فى حدود أسماء قليلة من طراز صباح ونعيمة عاكف ، فان حلمى رفلة قدم العشرات من المطربات والمطربين فى خطواتهم الأولى ، من شادية الى اسماعيل يس وعبد الحليم حافظ ومحرم فؤاد وهدى سلطان ورياض السنباطى وأيضا صباح وغيرها.

أما عباس كامل فانه قدم لهذه السينما كل من عبد العزيز محمود وكارم محمود بالأضافة الى نجاح سلام وزوجته سعاد مكاوى التى عملت معه تقريبا فى أغلب أفلامه وكانت القاسم المشترك فيها ، ورغم أنها لم تحصل قط على دور البطولة المطلقة ، فانها كانت موجودة بدرجات مختلفة فى أعمال زوجها.

وهناك أسماء أخرى برعت فى تقديم الفيلم الغنائى والأستعراضى ، فقد ارتبط اسم محمد كريم بعبد الوهاب وارتبط اسم بدرخان بأغلب أفلام أم كلثوم وفريد الأطرش ، ثم قدم نجاة الصغيرة.

أما بركات فعمل بين فريد الأطرش وليلى مراد ، وعبد الحليم حافظ وشادية ، وانتقل نيازى مصطفى بين أكثر من مطرب ، وكانت أفلامه محطات مهمة يمكن الوقوف عندها ، مثل "مصنع الزوجات" عام ١٩٤٢ و "بنات حواء" عام ١٩٥٤.

وكما أشرنا فانه بابتعاد هذه الأسماء عن الساحة لأسباب متعددة ، قد جعل السينما الغنائية تنحصر ، ببساطة لأنهم كانوا قادرين على اكتشاف المواهب الجديدة وتقديمها الى الناس فى أحسن صورها. أما الجيل التالى فكان منشغلا أكثر بأفلام الحركة ، ومنه على سبيل المثال حسام الدين مصطفى ، وفى مرحلة مقاربة اتجهت السينما الى الأدب حيث الحوارى والمناطق الشعبية ، ولم يكن من الممكن أن تطعم أفلام من طراز "بداية و نهاية" ، و "دعاء الكروان" ، و الطريق" و "اللص والكلاب" و "يوميات نائب فى الأرياف" بأى نوع من الأغنيات".

السمة الأكثر أهمية فى هذا النوع من الأفلام ، هو نوع القصة ، فأسباب الغناء تتعدد فى حياة الانسان لكنها تتقارب ، فقد يكون الغناء حالة هروبية أو اندماجية أو تجسيد لشجن. ولذا فان قصص الأفلام التى بها أغنيات من المفضل أن تكون بسيطة ، سطحية خالية من تعقيدات الحياة ومن وحدة المأسى الحادة ، وأيضا من المليودراما ، وأبطال هذه القصص يجب أن يتسموا ببساطة واضحة وسمو فى المشاعر ، ولذا فان هناك مشكلة ما وعقدة ، لكنها سهلة الفك ، فما أسهل أن تشعر الحبيبة بالغيرة من فتاة تسكن فى بيت الحبيب، مثلما حدث فى فيلم "يحيا الحب" لمحمد كريم" ، حين تظن أن حبيبها يخونها فاذا بالفتاة أخته ، وبالتالى فما أصعب هذه المشكلة عليها وما أسهل حلها كى يصفو الجو فيما بعد.

واذا كان هذا قد حدث فى فيلم تم انتاجه فى بداية السينما الغنائية ، فان فيلما من طراز "معبودة الجماهير" أو "شارع الحب" أو يوم من عمرى" لا تعدو فيه أن تكون المشكلة أكثر اتساعا من ذلك ، المشكلة هنا هى وشاية تافهة من طرف يريد أن يفرق بين الحبيبين ، ومن الواجب أن يعرف المتفرج هذه الوشابة ويعرف أطرافها وينتظر أن يتم الكشف عنها. وفى "يوم من عمرى" لم تكن هناك وشاية، بل كان على الحبيبة أن تعود إلى بيت أبيها التى هربت منه ،و عليها عد أحداث قليلة أن تعود إلى حبيبها.

و قمة مآسى الحب هو الفراق ، أن يكون هناك رجل آخر يسلب الفتاة من حبيبها ، فيروح يغنى على أطلال الحب ،و مثل هذه الأغنيات تصنع شجنا رائعا فى افلام من طراز "قصة حبى" ، الذى غنى فيه فريد الأرطرش "قدام عينيه و بعيد عليا ، مقسوم لغيرى و هو لى" ،و ثم "سألنى الليل بتسهر ليه.. مدام قلبك خالى".

و عندما تعددت قصص الأفلام الغنائية فقدت بريقها ، كأن نرى المطرب يقوم بدور ضابط شرطة أو يمارس الحركة و العنف ،و لذا فإن أبطال هذه القصص الغنائية يجب أن يكونوا من الطلاب و الموظفين الصغار ،و غالبا ما يكونوا من الطبقة المتوسطة ، مثل الشخصيات التى جسدها عبد الحليم حافظ ،و أو أن يكونوا من ابناء الأسر الموسرة ، مثل الشخصيات التى جسدها عبد الوهاب ، أو هم فنانون مبتدءون فقراء، لكنهم على ثقافة خاصة عليهم صعود سلم المجد ، مثل الشخصيات التى جسدها فريد الأطرش و محمد فوزى.

كما امتلأت السينما بقصص بسيطة عن أبناء الحرف الشعبية ، كالمكوجى و النجار و سائقى سيارات الأجرة ،و قد لمع فى هذا النوع من الأفلام محمد الكحلاوى و عبد العزيز محمود ،و كارم محمود و محمد رشدى و غيرهم.

ولاشك أن هناك سمات عديدة تجمع بين الأفلام الغنائية ، حاولنا هنا أن نوجزها ،و سوف نجدها فى حشايا دراستنا للسينما الغنائية.

صورة
لقطة من فيلم السوق السوداء إنتاج عام ١٩٤٥

الفصل الثانى
محمد عبد الوهاب

نعم ، لقد نطقت الينما المصرية خصيصا لكى تغنى على حنجرة محمد عبد الوهاب ،و كل المطربين الذين ينتمون إلى عصره ،و الذين جاءوا بعده ، ثم الذين سيأتون من بعدنا.

و قد صنع عبد الوهاب و أقرانه من السينما كانتا مغنيا صداحا فى المقام الأول ،و ظلت السينما طوال ربع قرن على الأقل تغنى بشكل مكثف و ترقص و تقدم استعراضاتها طربا و إبتهاجا معبرة عن سعادتها بالنطق.

و قد كان من حسن حظ السينما الناطقة ، ثم الغنائية ، نها جاءت فى فترة حظى فيا عبد الوهاب بهذه النجومية الخارقة ، فتم استقبال فيلم "الوردة البيضاء" لمحمد كريم ١٩٣٣ بمثل هذا النجاح غير المسبوق و المنقطع النظير فى السينما ، إنه نجاح حدثتنى عنه أمى التى عاشت فى هذه السنوات بكل إبهار و إعزاز ،و هى سيدة أمية لم تتلق أى تعليم ، سوى قيامها بالتوقيع عندما صارت أما لخمسة أشخاص ، قالت إن ظاهرة ما ولدت فى الكجتمع المصرى آنذاك ، فكل شئ صار ورديا ، حتى أثاث البيوت صار منقوشا بالورد ،و ملابس النساء ،و الورود المهداة للعشاق ،و لم تكن أغنيات عبد الوهاب تكف عن البث ، خاصة تلك التى أنشدها فى الفيلم.

و نحن نتوقف عند هذه الظاهرة ، لأننا لو تصورنا بدون عبد الوهاب و أغنياته ، فسنجده حالة من الكآبة بلا معنى ، خالية الروح ،و لذا فإنه كما كتب بعض النقاد ، أننا أمام أغنيات لعبد الوهاب تم حشدها كى تناسبها قصة حب يائسة.

و قبل أن نتحدث عن الفيلم ، فإن أفلام عبد الوهاب السبعة ، تنتمى إلى السينما محمد كريم ، فى المقام الأول. و لذا فإنها أعمال ذوات أسلوب واحد متقارب ، فنحن أمام مطرب له شعبيته الأولى و محبوب فى البلاد. و لذا فإن القصة تأتى من أجل أن تلائمه ،و كسمة دائمة للنجم من هذا الطراز فإنه لابد للناس أن تراه حاضرا على الشاشة. يغنى لها وسط الجناين و الحقول، يأمل و يتأمل ،و يتألم. و ذلك كله فى إطار من الغناء.

و أفلام محمد عبد الوهاب السبعة مع كريم هى: "الوردة البيضاء" ١٩٣٣ ، "دموع الحب" ١٩٣٥ ، "يحيا الحب" ١٩٣٨ ، "يوم سعيد" ١٩٤٠ ، "ممنوع الحب" ١٩٤٢ ، "رصاصة فى القلب" ١٩٤٤، ثم "لست ملاكا" ١٩٤٦. و هناك فيلمان غنى عبد الوهاب فى ختام كل منهما ،و ظهر باسمه كمطرب مشهور ، يغنى مرة فى بيت صديقه يوسف وهبى و ذلك فى فيلمه "غزل البنات" أنور وجدى ١٩٤٩ ، ثم "منتهى الفرح" لمحمد سالم عام ١٩٦٣. و يمكن لنا أن نتحدث عن عبد الوهاب كملحن أثرى أغلب تاريخ السينما المصرية بالأغنيات التى شدا بها عشرات المطربين و المطربات ، لكن ما يهمنا فى المقام الأول ، هو الوقوف عند الغناء فى الأفلام التى مثلها ، باعتبار أننا نتوقف عند أغنيات لحنها لدى كل مطرب أو مطربة ، قام عبد الوهاب بتلحين أعماله.

و بالنظر إلى الغناء فى فيلم "الوردة البضاء" ، فهو غنوة متواصلة ، ما يكاد المطرب ينتهى من أغنية حتى يشدو بأخرى ، سواء بشكل متواصل ، أو قد تتخلل المسافة بين الأغنيتين جمل حوارية قصيرة ، تعبر عن حب يائس بين فتى فقير ،و فتاة من أسرة غنية ، عليه فى النهاية التضحية من أجل سعادتها ،و قد انسكب كل هذا اليأس فى كلمات الأغنيات.

و على سبيل المثال ، فإن جلال افندى العاشق ، يغنى "جفنه علم الغزل" لبشارة الخورى ، فى أحد المشاهد و ما أن ينتهى منها ، حتى يغنى أغنية أخرى هى "نادانى قلبى إليك" لأحمد رامى.. و قد احتشد الفيلم بعدد كبير من الأغنيات ، شدا بها عبد الوهاب وسط الطبيعة ، هى "يا وردة الحب الصافى.. تسلم إيدين اللى سقاكى" ، ثم ياللى شجاك الأنين" ،و "ضحيت غرامى" ،و يا لوعتى يا شقايا" و هى كلها من تأليف أحمد رامى ،و أغنية "النيل نجاشى" لأحمد شوقى ، ثم "سبع سواقى بتنعى".

و هذه الأغنيات الثمانية الطويلة تملأ الفيلم ،و لاشك أن الناس قد ذهبت لمشاهدة عبد الوهاب و سماعه فى صالة رخيصة الثمن ، قياسا إلى أسعار الحفلات ، فالناس تود رؤية مطربها المفضل قبل بداية زمن الراديو. لذا فقد كان كل هم المخرج هو أن يوصل أكبر عدد من أغنيات عبد الوهاب إلى الناس. و قد تلاقى فكر المخرج و المطرب فى هذا الشأن ، فانتقل إلى أكثر من فيلم ، حتى و إن لم تكن حدوتة الفيلم تناسب هذا الأمر.

و قد اتفق النقاد حول هذه النقطة ، فكتب على أبو شادى فى مقال له نشرته مجلة "فن" حول الفيلم قائلا: **"فلم تكن أحداث الفيلم سوى ذرائع للغناء – بسبب أو بلا سبب – فأغنيته الأولى فى الفيلم ،و فى السينما عموما ، كانت "يا رودة الحب الصافى" ،و كأن الفيلم قد اختلق مناسبة أهداء رجاء وردة بيضاء لجلال حين ساعدها فى العثور على إحدى حبات عقدها المنفرط فى الحديقة. فما كان من بطلنا إلا أن ذهب إلى منزله ،و جلس يتأمل الوردة البيضاء. و حلا له أن يحدثها ،و يغنى لها "ياوردة الحب الصافى" ، على الرغم أن الموقف لم يكن به حب ولا غيره حتى فى ذلم الوقت".**

و باعتبار أن السينما الغنائية كانت فى بدايتها ،و أن "الوردة" البيضاء" هو أول أفلام هذه السينما فإن كريم كانت له رؤية خاصة به ، فالمغنى يشدوبأغنيته وحده ،و هو هنا دون جوقة ، أو كورس يردون عليه ،و هو موجود فى غرفته ، فالأغنية حالة فردية ، أو موجود فى الطبيعة ،و تظل الأغنية أيضا حالة فريدة. و جلال هنا موظف ، لا يحلم مثل مطربين كثيرين سيأتون بعده ، أن يحقق المجد ،و الشهرة ،و الغريب أن عبد الوهاب فى مجموع أفلامه ، لم يلعب دور البطل الشاب الفقير الذى يحاول أن يجد لنفسه فرصة النجاح و الشهرة ، بل كانت الشخصيات التى يجسدها لموظف فقير ، أو على قد الحال ، يعمل أحيانا فى وظيفة مرموقة ، ينتمى لأسرة ثرية. فى أغلب الأحوال هو شخص جنتلمان ، خفيف الظل ، حاضر البديهة. و قد دفع جلال ثمن هذا الفارق الاجتماعى فى فيلم "الوردة البيضاء" ، فضحى بحبه من أجل حبيبته ،و من أغنيات الفليم "سبع سواقى" ،و "جفنه علم الغزل" ، "نادانى قلبى إليك" ، "يا لوعتى يا شقايا" ، "النيل نجاشى" ، "ياللى شجاك الأنين" ، ثم "ضحيت غرامى".

أما تجربة عبد الوهاب التالية ، فقد كتبها محمد كريم عن رواية "ماجدولين" التى ترجمها المنفلوطى تحت اسم "تحت ظلال الزيزفون" لألفونس كار. و كتب الحوار عبد الوارث عسر ،و فى هذا الفيلم بدت كافة ملامح شخصيات عبد الوهاب فى السينما ، فهو شاب فقير ، لكنه ليس بعيدا عن عالم الأثرياء ، كما أن اسمه محمد ،و هو يغنى لنفسه كلما شاء أو كلما دفعته الظروف إلى ذلك ،و هو يسكن فى غرفة بمنزل أحد الأثرياء ،و تنمو قصة حب بينه و بين ابنة هذا الثرى ، يتفقان على الزواج ، يعين مدرسا ، ثم تجيئه ثروة مفاجئة حين يموت عمه دسوقى ،و يبدأ الاستعداد لإتمام الزواج ، إلا أنه يصدم حين يعرف أن صديقه الذى يقصده و يتصور وفيا قد خطبها ،و لأن هذا الصديق من الأثرياء ، فإن محمد يترك الأمر و يقرر السفر كى يعمل مطربا فى مسارح الشام ،و عندما يعود إلى مصر يعرف أن زوج حبيبته قد بدد أمواله على موائد القمار ، مما دفعه للانتحار ، أما نوال نفسها فإنها تعيش فى ظروف نفسية سيئة للغاية ، خاصة بعد أن مات أبوها ،و عندما تطلب منه أن يسامحها يتردد ،و تقرر أن تنتحر باإقاء نفسها فى البحر.

و كما نرى فإن هذه هى المرة الثانية التى تحرم فيها الشخصية التى يجسدها عبد الوهاب سينمائيا من حبيبته ،و من الواضح أن هذه التجربة قد أعجبت محمد كريم بعد نجاح "الوردة البيضاء" ، فسعى إلى تكرارها، حيث أن موت الحبيبة ، أو العيش على الذكرى يجعل الناس أكثر تعاطفا مع بطلها الحزين النبيل ، فهو يردد فى نهاية الفيلم: "كنت خايف أموتها من الفرح.. موتتنى من الغم.. أنا باحلم".

و فى هذا الفيلم أيضا بدأت سمة جديدة فى أفلام عبد الوهاب ، فرغم نجوميته ،و وجوده فى أغلب حوارات الفيلم أمام المشاهد ، فإن عليه الاستعانةبمطربات ليعملن أمامه ،و قد وقفت نجاة على هنا أمامه ،و هى واحدة من أشهر المطربات فى تلك الآونة ، ثم مع ليلى مراد ،و رجاء عبده ،و دفع براقية إبراهيم إلى الغناء أمامه فى "رصاصة فى القلب" عام ١٩٤٤ ، كما وقفت أمامه أيضا تغنى المطربة نور الهدى.. و من أغنيات فيلم "دموع الحب": "تحية العلم" ، "ما أحلا الحبيب" ، "سهرت منه الليالى" ، "يا ما بنيت قصر الأمانى" ، "صعبت عليك" ، فى البر لم فتكم" ، ثم "أيها الراقدون تحت التراب".

و قد عاد نفس الموظف العاشق للظهور من جديد فى فيلم "يحيا الحب" عام ١٩٣٨. و هو فيلم بسسيط ، يقوم فى المقام الأول على قصة حب ، بلا مشاكل حقيقية ، فكل ما يثير المتاعب بين الحبيبين هو الغيرة التى تتولد فى قلب الفتاة عندما ترى فتاة أخرى فى شقة محمد ، ثم تكتشف بعد ذلك أنها أخته كى تصفو الأمور بعد ذلك.

و فى هذا الفيلم مثلا ، لم يستأثر عبد الوهاب بكل القصة ، فنحن نرى جانبا آخر بالغ الجاذبية ، منها ما يتمثل فى موقف الفتاة من خطيبها أستاذ علم الحشرات ، فكلا الطرفين فى واد مختلف عن الآخر ، هو يعشق الحشرات ،و هى تفضل الموسيقى.. "أنا صحيح و دنى ما يترتاحش للمزيكا ، لكن الحشرات اللى بدرسها كثيرا ما نحتال على ترويضها بأنغام الموسيقى" ،و هناك مشاهد طويلة بين الاثنين تعبر عن النفسية و

المزاجية الشاسعة التى تفضل بينهما ، مما يوحى أنها سوف تشكل إيقاعا متناغما مع الموظف محمد فتحى. و هذا الأفندى ، شاب أنيق ، يرتدى ملابسه العصرية ، الطربوش و نظارة طبية ،و هو يتعامل مع الآخرين بطريقة أنيقة.

و رغم أن محمد فتحى موظف ، فإنه يعيش حياته فلا مانع أن يدفع ثلث مرتبه إيجار للشقة التى يسكنها ،و عندما تضيق به السبل ، يؤجر شقة أخرى أقل قليلا من حيث الأجرة.. و فى هذه الشقة سوف يتعرف على حبيبته لأول مرة ، حيث سيتصور أنها هى التى تقذف بالطوب ،و فى الحقيقة فإن هناك جارة أخرى مهووسة هى التى تفعل ذلك.. فتدور مواجهة بيهما ، ثم يكتشف أن مديره فى البنك خالها ،و عندما تأتى الفتاة لزيارة الخال ، تحدث مواجهة ثانية مما يدفعها إلى أن تطلب من الخال نقله إلى بنى سويف.

و الفيلم يقوم على أساس أن الحب يأتى أحيانا بعد الخصومة ، مما يدفع بمحمد إلى أن يتتبع الفتاة كى تسافر للإسكندرية ،و يركب القطار كى يغنى لها "ياوابور قوللى رايح على فين" ،و فى الإسكندرية يتبعها فى التاكسى إلى قصر فخم يمتلكه أبوها.

و قد تبادل الاثنان الغناء ، إما بشكل فردى لكل منهما ، أو بقيامهما بالغناء معا ، فقد وقفت ليلى مراد على شاطئ الإسكندرية لتغنى:

يا مارق النسيم لما يداعب خيالى
خللانى وحدى أهيم و أسبح فى وادى أمالى
الجو رايق و صافى و البحر موجه موافى

أما محمد أفندى فقد غنى أغنية:

أحب عيشة الحرية زى الطيور فوق الأغصان
مادام حبايبى حواليا كل البلاد عندى أوطان

و الفيلم لا يريد أن يجعلمن بطله فقيرا "نقيا" حيث نعرف أن أباه رجل ميسور ، جاء ليعرض عليه المال باعتباره من أثرياء الريف ، لكن محمد أفندى يود الاعتماد على نفسه ،و قد كتب سامى السلامونى عن هذا الفيلم فى مجلة "فن" اللبنانية – ديسمبر ١٩٨٨ – أنه **"فى الفيلم المصرى لا يمكن أن تمضى قصص الحب ببساطة دون افتعال مآسى و مشاكل لكى يتعذب الجميع ،و ليطول زمن الفيلم ، لتصبح هناك فرصة للشكوى و مزيد من الأغانى الباكية".**

"فنحن نكتشف فجأة أن عبد الوهاب له شقيقة هى زوزو ماضى التى جاءت تزوره ، فتراها ليلى مراد و تظنها عشيقته.. فتبكى.. ثم حفل فخك فى أحد قصور جاردن سيتى تتعمد تجاهله ،و الإقبال على خطيبها السابق مجاهد بك أستاذ الحشرات لكى يغنى عبد الوهاب حزينا:

عندما يأتى المساء و نجوم الليل تنثر
أسألوا الليل عن نجمى متى نجمى يظهر؟

و لكن أغنية واحدة فى موقع كهذا لا تكفى بالطبع ،و لذلك فهو و تحت ضغط الحسناوات يغنى مرة أخرى:

يا دنيا يا غرامى يا دمعى يا ابتاسمتى
مهما كانت آلامى قلبى يحبك يا دنيا
الظلم ده كان ليه هو أنت ذنبك إيه

و من الأغنيات الثنائية التى غناها الاثنان نعا هناك "يا دى النعيم" حيث يعبر الحبيبان عن سعادتهما بزوال سوء التفاهم ،و يشتركان معا فى ترديد كلمات الأغنية:

عبد الوهاب: يا دى النعيم اللى أنت فيه يا قلبى من بعد العذاب
كان لك حبيب تشتاق إليه بعد الغياب
ليلى: كانت سحابة وراق الكون من بعد ما حجبك عنى
و كان خيالى كله ظنون فى اللى بدا لعينك منى

صورة
محمد عبد الوهاب
من أبطال المشهد الغنائى فى السينما المصرية
صورة
محمد عبد الوهاب و أمامه على مكتبه العود بصفة دائمة

و لعل الفيلم الوحيد الذى قام فيه عبد الوهاب بدور موسيقى شاب سيبزغ نجمه فى عالم الغناء هو "يوم سعيد" عام ١٩٤٠ ،و الذى كتبه المخرج محمد كريم ،و اشترك عبد الوارث عسر فى كتابة الحوار مع المخرج ،و هذا الموسيقى يعيش أيضا فى عالم بسيط ، هو شخص محتاج لأن يعرف لكنه لا يتورع عن الوقوف بجانب الفقراء و الضعفاء ،و يصتادفه سوء الحظ فيتوقف عن العمل ،و يلتقى مع فتاة فيقع فى غرامها و يتعاهدان على الحب ، يطلب منها أن تزوره فى منزله من أجل أن يسمعها أحد ألحانه ، لكن هذه الزيارة لا تعجب صاحب البيت ، رغم أن الأمر يتم بشكل عائلى. و هناك أسرة أخرى تتكون من أم أنيسة و ابنتها الصغرى اللتين تباركان العلاقة ، فعن طريق أصحاب البيت تعرف على هذه الفتاة ، لكن والدها يعترض على هذه العلاقة مستندا إلى فقر هذا المطرب و فشله ،و تحاول الفتاة مع أبيها الذى يوافق على مقابليته ،و لكن تصادف أن يكون يوم المقابلة هو يوم احتفال عند العانم التى يعمل عندها الأب ، فيحاول الاعتذار عن الحفل للقاء خطيب ابنته ،و تقترح عليه الهانم أن يصطحب ابنته و خطيبها إلى الحفل مما يطرح له فرصة للغناء ، تعجب به هذه السيدة الثرية و تحاول إثناء الوالد عن الخطبة لأن هذا الشاب لا يصلح لابنته، بل تحاول الوقيعة بين الحبيبين ،و فى نفس الوقت تحاول استمالته و إغراءه بالمجد و الشهرة إذا وافق أن يكون لها ، و لكنه يرفض ، فتعرض عليه الغناء فى حفلتها بالعزبة ،و يسافر إلى هناك ،و يكتشف أنها تدبر له مكيدة تكلبه فيها بالزواج ، فيهرب منها و يعود إلى محبوبته فى المدينة.

و كما نرى ، فإن قصص هذا النوع من الأفلام تتسم بالبساطة ، و دون تعقيدات و تكاد تكون متشابهة فى مضمونها العام و نهاياتها ،و ذلك من أجل إتاحة أكبر فرصة للأغنيات ،و لم تكن سميحة هنا بالمطربة ، فترك عبد الوهاب لنفسه العنان كى يغنى لها ، بل إن محمد كريم أدخل أوبريت مجنون ليلى بصوته مع أسمهان ،و تمثيل أحمد علام كى يضمن لهذا الأوبريت أن يصور سينمائيا.

و من أغنيات الفيلم "طول عمرى عايش لوحدى" ، إيه أنكتب لى يا روحى" و "ياورد مين يشترك" ،و "محلاها عيشة الفلاح" ، "يا ناسية وعدك" ،و "الصبا و الجمال" ،و "إجراى إجرى".

و فى عام ١٩٤٢ عاد عبد الوهاب من جديد ليمثل أمام مطربة فى فيلم "ممنوع الحب" المأخوذ عن "روميو و جولييت" مع المزيد من التمصير و التصرف ، فقد كان على الحبيبين اللذين ينتميان إلى عائلتين متناحرتين أن يتزوجا ،و أن يقوم كل طرف بمحاولة إبهام الطرف الآخر أن ينتقم ابنه أو ابنته بالزواج. فالفتاة فكرية تقنع أسرتها أنها ستعذب عزيز بعد الزواج به ، ثم لا يلبث الحب أن ينمو بينهما ،و بالتالى فإن النهاية المأساوية عند شكسبير تتحول هنا إلى مناسبة سعيدة من أجل لم شمل الأسرتين.

و قد امتلأ الفيلم بالأغنيات الفريدة لمحمد عبد الوهاب ، مثل "يا مسافر وحدك" و "بلاش تبوسنى فى عنيا" و "هليت يا ربيع" ،و "يا مراكبى" ،و "ردى عليا" ،و "آن الآوان". و غنى مع شريكته فى الفيلم "قول لى بقى اتأخر ليه" ، "يا للى فت المال و الجاه" ،و "ممنوع الحب" ،و غنت رجاء عبده وحدها "ح يحبنى" ، إذن فعدد أغنيات الفيلم "١٣ أغنية".

أما فيلم "رصاصة ف القلب" عام ١٩٤٤ ، فهو الفيلم الأكثر بهجة فى حياة عبد الوهاب السينمائية ،و قد تم رسم حكاية الفيلم المستوحى من قصة لتوفيق الحكيم شخصية البطل كإنسان ذكى ، مفلس ، نبيل ، يسعى إلى الاستدانة بأى شكل ،و تحوم حوله البنات و يعيش فى بهجة ،و يتعامل مع الحياة بلا مبالاة ، فهو يعيش لحظته ،و كل ما يهمه هو أن يكون سعيدا ،و لعل الجو الذى تم فيه تصوير أغنية "انسى الدنيا و ريح بالك" يعكس كل هذه الصفات جميعها ، ففجأة ، امتلأت شقة الموظف المفلس بالحسان اللاتى يرقصن و يدخن السجائر ،و الغريب أن المخرج لم يذهب إلى الطبيعة كعادة مخرجى الأفلام الاستعراضية.

و قد وقع هذا الشاب فى غرام فتاة شاهدها تتناول المرطبات فى جروبى ، ثم التقاها عند طبيب الأسنان ،و اكتشف أن قريبه طبيب الأسنان خطيب لها ،و ذلك بعد أن كان سهم الحب قد نفد تماما فى قلبه.. ثم راح يقف بجوار صديقه كلا يتزوج من حبيبته ،و حاول التضحية بأى ثمن لسعادته ، لكن الحبيبين يلتقيان فى النهاية.

و فى الفيلم تسع أغنيات ساعدت على إكسابه جوار رائعا من البهجة و كان عبد الوهاب خفيف الظل فعلا ، لذا فهو الفيلم الأقرب إلى الناس من ناحية قيمته الفنية ، أو من ناحية قبوله ،و قد اختاره النقاد ضمن أهم مائة فيلم فى مصر بمناسبة مرور مائة عام على نشأة فن السينما.

و قد غنى عبد الوهاب وحده عدة أغنيات منها "أحبه مهما أشوف منه ،و مهما الناس قالت عنه" ثم "يا جلاس الشوق" ،و "حنانك بى ياربى" و غنى و هو فى البانيو أغنية الطريفة "المية تروى العطشان" ،و انسى الدنيا و ريح بالك أوعى تفكر فى اللى جرى لك" ، ثم "مشغول بغيرى و حبيبته" ،و هذه هى الأغنية الوحيدة الحزينة فى الفيلم ، أما قصيدة "لست أدرى" فقد أنشدها عبد الوهاب كحالة فلسفية بها المرء..

و الجدير بالذكر أن أغنيات الفيلم قد صارت حالة فى السينما الغنائية ، فقد قام عبد الحليم بتقليد عبد الوهاب و غنى فى البانيو فى فيلم "فتى أحلامى" ، كما أعاد عبد الحليم غناء "لست أدرى" فى مشهد من فيلم "الخطايا" كرؤية للحياة التى نعيش فيها. أما "حكيم عيون" ،و "ح أقول لك إيه عن أحوالى" فقد صار دويتو نموذجيا فتح الباب لأن يتم تلحين الحوار العادى ليصير أغنية فى كل السينما العربية فيما بعد و المعروف أن عبد الوهاب قد صنع دويتو غنائى أمام ليلى مراد ،و رجاء عبده ، لكن راقية إبراهيم لم تكن مغنية ،و وجدت نفسها تغنى و تتكلم بصوتها الجميل فيصير كلامها أغنيات.

و نقول أن فيلم "رصاصة فى القلب" سيظل العمل الأكثر بهجة لعبد الوهاب و كريم ، لأن الممثل قد عاد مرة أخرى لأدواره القديمة المليئة بالحزن. و إن لم يخل ذلك من أسباب بهجته أحيانا ، فى فيلمه الرواءى الأخير "لست ملاكا" عام ١٩٤٧ ،و الذى لعب البطولة فيه مجددا أمامممطربة ، هى هذه المرة نور الهدى التى سبق لها أن عملت مع محمد فوزى ،و يوسف وهبى و آخرين ، لكنها هنا تؤدى دور فتاة ضريرة تعيش مع ابن خالتها رؤوف المحامى و أبيها. و يحضر الشاب حفلا بمناسبة عيد القمح ، تكون ملكته يسرية ابنه أبو الدهب بك ، يقع رؤوف فى غرامها ، يقدم نفسه لأبى الدهب على أنه مهندس حتى يكون إلى جانب يسرية. و يتم رهان بين رؤوف و صديقه على أنه سوف يتزوج من يسرية ، لكن تحدث مشاجرة تنتهى بأن تطلق عشيقة صديقه "أمين" النار على رؤوف ، يعيد صوت الرصاص بصر ابنه خاله سعاد ، التى تقوم برعاية رؤوف تمريضه ،و هنا يحس أنها تحبه أكثر مما تحبه يسرية ،و يصبح أكثر قربا منها.

و قد تضمن الفيلم ألو أغنيتين صورتا بالألوان الطبيعية ،و هما أغيتا "عمرى ما هانسى يوم الاتنين ، يوم ما اتقابلنا احنا الاتنين" ثم أغنية نهاية الفيلم "كنت فين تايه و غايب".

و بالفيلم إحدى عشرة أغنية ، منها "أنا اللى طول عمرى ما حبيت ، حبيت لكن إزاى ما أعرفش" ،و "شبكونى و نسيونى" ،و "أضحك و غنى" ،و "ح تشوفى إيه يا عيونى" ،و "أضحك لمين" ،و كلها من تأليف حسين السيد ، أما قصيدة "الخطايا" فهى من تأليف كامل الشناوى.

إذن فعبد الوهاب قد غنى ما يزيد عن الستين أغنية فى أفلامه الروائية التى قام ببطولتها ،و بدا من الواضح أن عبد الوهاب قد قرر التوقف عن التعامل مع السينما كممثل ،و رغم أنه كان يمكن أن يعطى أكث،و اكتفى فقط بأن يقف على المسرح أمامه فرقته الموسيقية كى يغنى فلا بيت يوسف وهبى فى نهاية فيلم "غزل البنات" ١٩٤٩ ،و قد كان ظهور عبد الوهاب هنا غريبا ، فلا نعرف لمن يغنى ضمن أحداث الفيلم،و هل هى بروفة ، أم لا..؟! لكن لا شك أن حيوية الأغنية و جمال أدائه ،و الإخراج الذى نفذه أنور وجدى للأغنية جعل الناس تحس أنها كسبت أغنية مصورة ، بل إحدى أغنيات عبد الوهاب.

أما التجربة الثانية ، فقد بدا فيها المطرب كأنه يغنى فقط للكاميرا ،و ذلك فى فيلم "منتهى الفرح" لمحمد سالم عام ١٩٦٣ ،و الفيلم مصنوع تحية للجنود العائدين من حرب اليمن ،و طيلة أحداث الفيلم يحاول الشيخ حسن دعوة المطرب عبد الوهاب من أجل أن يغنى فى حفل زفاف أحد الجنود العائدين ،ولا إجابة لهذه الدعوة ،و بعد أن يلف الشيخ حسن حول كل البيوت و مكاتب الفنانين يعود إلى الحارة ليكتشف أن عبد الوهاب قد جاء ،و ها هو يغنى "قالو لى هان الود عليه.. و نسيك و فات قلبك وحدانى" ،و قد غناها عبد الوهاب فى سرادق زفاف ،و بدا أن كلمات الأغنية المليئة بالأسى بعيدة تماما عن المناسبة التى يغنى فيها ، أى أن الأغنية هنا شبه محشورة ضمن الأحداث ، بصرف النظر عن أنها مناسبة أم لا؟.

من ناحية أخرى ، فإن عبد الوهاب لم يكف طيلة عمره ، خاصة بعد أن اعتزل التمثيل عام ١٩٤٧ ، عن تلحين عشرات الأغنيات للمطربين فى الأفلام من سعد عبد الوهاب إلى عبد الحليم حافظ و ليلى مراد و شادية و صباح و استطاع من خلال ألحانه و موسيقاه التصويرية ،و موسيقى الرقصات أن يثرى موسيقى الأفلام و أغنياتها طيلة عطائه.

صورة
عبد الوهاب و رجاء عبده فى ممنوع الحب
صورة
عبد الوهاب و ليلى مراد و كريم فى يحيا الحب

الفصل الثالث:
أم كلثوم:

نظرت السينما دوما ،لى المطربين الكبار و المطربات باعتبار أنهم من نجوم الغناء الذين يحب الناس مشاهدتهم على الشاشة ،و لذا فإن على كل منهم أن يقف أمام الكاميرا و يغنى فى حدود حدوتة كوميدية بسيطة أو رومانسية ، وأنه طالما أن المطرب يغنى ،فالناس ستكون سعيدة.

حدث هذا مع عبد الوهاب، ثم حدث مع أم كلثوم التى استعانت بها السينما بعد ثلاث سنوات من نجاح الفيلم الاول لعبد الوهاب "الوردة البيضاء" ، لكن الغريب أن نوع الأفلام التى ستقوم ببطولتها ستأخذ منحى مختلفا وشكلا مغايرا.

وإذا كان عبد الوهاب قد ارتبط بمحمد كريم فى كل أفلامه ، فإن أغلب أفلام أم كلثوم قد أخرجها أحمد بدرخان ، الذى أخرج عشرات الأفلام الغنائية لكل من فريد الأطرش ، و أسمهان ،و نور الهدى ،و محمد فوزى ،و محمد الكحلاوى ،و نجاة الصغيرة ،و صباح ،و عبد العزيز محمود.

وقد رشح بدرخان فى البداية من أجل إخراج فيلم "وداد" العمل الأول لأم كلثوم فى السينما. لكن خلافا بين المخرج الشاب آنذاك ،و بين أحمد سالم مدير الأستوديو الأول ، جعل بدرخان ينسحب من المشروع ،و حسب ما كتبه الناقد مجدى فهمى فى مجلة "الشبكة" حول هذا الأمر فإنه لم يقدر لفيلم "وداد" بعدها أن يحمل توقيع مخرج مصرى لقلة عغدد المخرجين فى ذلك الحين ، فكان أن وقع الاختيار على فريتز كرامب ، و هو أحد الخبراء الألمان الذين أسهموا فى إعداد الأستوديو ليدير الشريط و عينوا له مساعدا مصريا هو جمال مدكور.

و حسب نفس المصدر فإن طلعت حرب هو الذى اختار بدرخان لإخراج الفيلم ،و هو الذى قدم له القصة،و إن بدخان هو الذى عكف على كتابة السيناريو ،و القصة ، كما هو معروف ، من تأليف أحمد رامى ،و بذلك فإن بدرخان موجود مع أم كلثوم فى الفيلم الذى يحمل توقيع شخص آخر ،و كما نرى فإن الفيلم هو أول دائرة دخلت فى إطارها أم كلثوم ،و ذلك من حيث النوع ، فأم كلثوم التى عملت فى ستة أفلام ، قد وضعوها فى إطار السينما التاريخية من اللحظة الأولى ،و حتى الفيلم الذى اشتركت فيه فقط بالغناء و هو "رابعة العدوية".

وفيلم "وداد" الذى يحمل توقيع "كرامب" ، يحكى قصة جارية ، يقع فى حبها تاجر فى عصر المماليك. التاجر هو باهر ، أما الجارية فهى "وداد" التى تتمتع بصوت ملائكى. و بينما يتناجى الحبيبان ، يسطو قطاع الطرق على قافلة باهر التجارية ، و يستولون على بضاعته التى تمثل كل رأسماله ، ينتكب باهر ،و يشكو سوء الدهر ،و تبدأ مطالبته بالديون التى يستمهل أصحابها ويضطر لبيع كل ما يملك ،ولا يستطيع سداد لجميع ديونه ، تعرض عليه "وداد" أن يبيعها فى سوق الجوارى كى يسدد دينه ، لكنه يرفض فكرة بيع محبوبته ، لكن "وداد" تلح فى طلبها هذا حيث التضحية بنفسها و قلبها فداء للمحبوب السيد ،و أخيرا يوافق باهر على مضض و يبيعها كى يبدأ حياته ، تغنى وداد اللوعة و الأسى لفراق حبيبها و سيدها ،و تحزن عليه حزنا شديدا، لكن الأحوال تتغير و يستعيد باهر تجارته ،و ثرائه ، فيعود ليسترد الجارية وداد من الشخص الذى باعه إياها ،و لا يجد صعوبة فى ذلك ، حيث أن السيد الجديد لم يرمنها سوى الحزن و الأسى. و يعود الحبيبان مرة أخرى إلى عشمها القديم.

و قد ذكر مجدى فهمى فى "الشبكة" أن أم كلثوم صرحت له بأنها هى مؤلفة الفيلم ،و أنها روت القصة إلى رامى ،و ذلك رغم أن مستوى الفيلم لم يكن رفيعا ، بل لعل إخراجه جاء عاديا ، إلا أن الجماهير التى أحبت سيدة مطربات الشرق ، تدفقت بالآلاف على دور السنما التى عرضته ،و بدأت أنظار المنتجين تتجه إلى النجمة المتألقة الجديدة أم كلثوم.

و هذه الجارية غنت للحب ،و الفراق ،و الألم ،و الأغنيات التى شدت بها كانت فردية طويلة ،و قد دفع هذا السينما أن تستعين بها مرة أخرى ، ففى فيلم "نشيد الأمل" لأحمد بدرخان تغيرت الأمور تمام ، فنحن هنا أمام فيلم عصرى بطلته ستصبح مطربة مشهورة ، متزوجة من رجل خشن الطباع اسمه إسماعيل ضل فى طريق الغواية ،و طلق زوجته البائسة آمال ،و بين يديها طفلتها الصغيرة سلوى ،و تعانى الزوجة شقاء الحياة ، يسوق إليها القدر الدكتور عاصم الذى كان يعالج طفلتها فيشفق عليها و يواسيها ،و يكتشف الطبيب أن لآمال صوتا ساحرا فيدبر لها عملا شريفا مستغلا صوتها العذب ، فما لبثت أن سارت فى طريق الشهرة و المجد.
وهنا أخذت عوامل الإشفاق عليها من ناحية الدكتور عاصم تتحول إلى حب و فى هذه الأثناء فإن زوجها السابق إسماعيل يحاول الاستفادة مما وصلتإليه المرأة من ثراء و شهرة فيسعى إلى ابتزازها ، فإذا به ينتزع طفلتها من بين أحضانها بحكم شرعى.

و كما نرى فإن الفيليمن اللذين قامت ببطولتهما أم كلثوم ينتميان إلى أفلام المآسى و المتاعب من اللحظة الأولى ،و يأتى القدر كى يفرق بين حبيبين فى الفيلم ، ثم يفرق بين آمال و وحيدتها فى الفيلم الثانى. فذات يوم و أثناء قيام آمال بدور فى فيلم سينمائى ، مفروض أن ينتهى الدور بأن يطلق بطل الفيلم النار عليها إذا بإسماعيل يتسلل إليها و يطلب منها مالا يستعين بع على الهرب ، لأن الشرطة تطارده ،و لما اشتد الخلاف بينهما إذ به يطلق النار عليها فيعتقد المخرج أن البطل هو الذى أطلق عليها الرصاص ،و يتوجه إلى آمال و هى ساقطة على الأرض ليهنئها ، فإذا به يجدها مضرجة بالدماء.. و ينتهى الفيلم بنجاة آمال و القبض على طليقها الشرير.

ومن الواضح أن أنيات أم كلثوم فى أفلامها الأولى و أيضا فى أفلام تالية ، كانت عن قصائد ، حتى و إن كان الفيلم عصريا ، فمن بين خمس أغنيات فى فيلم "نشيد الأمل" غنت أم كلثوم ثلاث قصائد ،و الأغنيتان هما: "أفرح يا قلبى لك نصيب" ، "أنشودة المجد يا ما اشتهيتك "أما القصائد الثلاث فهى: "يا شباب النيل" ،و "الأمومة" نامى نامى ياملاكى" ،و الراديو" قضيت حياتى حيرة عليك"

وتقول أم كلثوم ، على لسان رامى فى يا شباب النيل:

ياشباب النيل... ياعماد الجيل
هذه مصر تناديكم
فلبوا دعوة الداعى إلى القصد النبيل

وقد كتب عبد المنعم سع فى كتابه عن أحمد بدرخان أن الجديد الذى قدمه فى هذا الفيلم هو طريقة تقديم الأغنية على الشاشة.. و كان الأسلوب المتبع حتى ذلك الحين فى الأفلام المصرية الغنائية أن يقف المطرب و يغنى.. و كان هذا يتكرر فى كل أغنية من أغانى الفيلم التى قد تصل إلى سبع أو عشر أغنيات.. و أراد بدرخان أن يتخلص من هذا الأسلوب الممل.
"فما هو الجديد فى أسلوب بدرخان لتقديم الأغنية السينمائية؟"

فى أول أغنية صورها فى الفيلم "نامى.. نامى يا ملاكى".. و هى أول ترنيمة طفل تظهر على الشاشة المصرية.. قد عبر بدرخان عن الموقف بطريقة جديدة و مبتكرة.. فالمفروض أن هذه الأغنية لتنويم الطفل.. لذلك قرر بدرخان أن تكون حركة الكاميرا بطيئة ،و أن تتسلل بهدوء شديد نحو الفراش حتى لا تزعج الطفلة.. وفعلا ، تم تصوير الأغنية كلها فى لقطة واحدة.. الكاميرا تعرض لنا أولا الفراش كله من بعيد و فوقه الأم و الطفلة.. ثم تقترب الكاميرا تدريجيا ببطء و نحوها بينما الأم تغنى "نامى.. نامى.. يا ملاكى" ،و تستمر الكاميرا تقترب حتى يملأ وجه الطفلة الشاشة..و نرى أن النوم قد بدأ يداعب جفنيها.. ثم تتراجع الكاميرا ببطء إلى الوراء. إلى أن تنتهى الأغنية.

و الملاحظ أن الممثلين الذين وقفوا أمام أم كلثوم فى أفلامها ، لم يحصلوا فى حيواتهم الفنية على بطولات سينمائية إلا فى حالات قليلة جدا ، منها مرات وقوفهم أمام أم كلثوم ، مثل أحمد علام فى فيلم "وداد" ، ثم عباس فارس فى "نشيد الأمل" ،و سليمان نجيب فى "دنانير" عام ١٩٤٠ ،و يه جسد عباس فارس دور الوزير جعفر البرمكى الذى خرج للصيد فسمع صوتا جميلا لفتاة ، فطلب منها أن يشرب هو و من معه فأعطتهم الماء و رحب بهم والد الفتاة ، يعرض جعفر على الأب أن يأخذ معه دنانير إلى بغداد كى تتعلم أصول الغناء لكن الأب يرفض و يعده جعفر أنها ستكون فى رعايته ،و أن قصره سيكون مفتوحا له فى أى وقت. و أخيرا تذهب دنانير إلى بغداد فى قصر الوزير الأول للرشيد.

و هناك يتولى إبراهيم الموصلى تعليمها أصول الموسيقى و الغناء ،و يقع جعفر فى حب دنانير لكن الوشاة يوقعون بين الرشيد و جعفر ، حيث ينتهى الأمر بقتل جعفر.. و أصبحت دنانير وحيدة ترثى جعفر ، مما يدفع

بالرشيد إلى أن يطلبها لكنها ترفض لأنها عاهدت نفسها ألا تغنى بعد جعفر. ثم تعود مع أبيها إلى الصحراء التى تربت فيها.

و فى هذا الفيلم غنت لأول مرة سينمائيا ، أغنية سريعة الإيقاع ، من طراز "بكرة السفر" كما غنت القصائد من طراز:

هذى دنانير تتسائى و أذكرها... و كيف تنسى محب ليس ينساها
أعوذ بالله من هجران جارية... أصبحت من حبها أهذى بذكراها

و فى هذا الفيلم أيضا غنت أم كلثوم للسنباطى "ياليلة العيد آنستينا ،و جددت الأمل فينا" ، ثم "أنشودة بغداد" ،و لحن لها محمد القصبجى ثلاثة ألحان هى "الزهور فى الروض تبسم" ،و "يافؤادى غنى" ،و "أنشودى التبغ" بالإضافة إلى "بكرة السفر" لزكريا أحمد.

و قد كتب كمال رمزى فى مجلة "فن" ان"أغلب الظن أن شخصية أم كلثوم أصلا هى التى أوحت لأحمد رامى بأن يختار الجوارى كبطلات لنصف أفلامها.. ذلك أن أم كلثوم أعظم مطربات الشرق ، كان لابد من أن تغنى على الشاشة.. و لأن أحمد رامى بثقافته العربية العميقة ، عرف الكثير من قصص الجوارى اللاتى أصبحن من الحرائر ،و وصلن إلى مكانة رفيعة بفضل جمال أصواتهن ، فإنه وجد من الملائم أن تؤدى أم كلثوم دور ثلاث جاريات أنتقلن من حال إلى حال.. و ابتسمت لهن ايام ، بسبب قدرتهن على العطاء ،و وفائهن ،و جديتهن فى تنمية مواهبن عزفا وغناء. فهذه الشخصيات بهذه السمات ، تعطى لأم كلثوم فرصة الغناء بلا افتعال".

أما أم كلثوم نفسها فترد على هذا الأمر فى سؤال طرحه عليها مجدى فهمى – مجلة الشبكة – قائلة: "لأنه كان من شيم الجوارى الإخلاص ،و لأن الحشمة طابع بطلات التاريخ.. و أنا أقدر الإخلاص و أميل إلى الحشمة".

أما الفيلم التالى فهو "عايدة" عام ١٩٤٢ ،و فيه تقف أم كلثوم لأول مرة أمام مطرب هو إبراهيم حمودة ، فغنت معه و غنت بمفردها ،و الفيلم يروى قصة الفتاة القروية عايدة.. والدها فقير يعمل فى أرض زراعية يملكها أحد الأثرياء و يحدث أن يقع ابن صاحب الأطيان فى حب هذه الفتاة عايدة التى تحلم أن تصبح مطربة ،و يقوم صاحب الأرض بطرد والد الفتاة من الأرض و تصبح عايدة مطربة مشهورة ،و يتغلب الحب على العقبات التى تقابله.

و الملاحظ أنه ليست هناك مسافة واسعة بين الفتاة القروية ،و الفتاة الصحراوية التى رأيناها فى أغلب الشخصيات التى جسدتها أم كثوم ، فهناك فارق اجتماعى متسع بين الفتاة و الرجل الذى تقع فى غرامه ،و الحب يائس فى أغلب الأحوال كما سنرى فى "سلامة" ، ينتهى دائما بموت الحبيب ، ولذا فإن الأغنيات تبدو حزينة رزينة مليئة بالشجن و الألم.

صورة
أم كلثوم من فيلم عايدة (١٩٤٢)

و عن فيلم "سلامة" يتحدث مجدى فهمى فى مقال له بعنوان "تركة أم كلثوم ستة أفلام ناجحة و شريط حزين لم يتم" يقول أنه فى تاريخ أم كلثوم السينمائى فيلم لا يحمل توقيع بدرخان هو "سلامة" الذى أنتجه واحد من رعيل صناعة السينما الأول هو توجو مزراحى ،و قد استدعى توجو مزراحى بدرخان قبل البء فى التصوير ، فتوجه على الفور إلى الأستوديو الذى كان يملكه فى الجيزة. كانت مفاجأة بدرخان الكبرى عندما اكتشف أن المنتج استدعاه ليقوم بدور البطولة ،و ليس الإخراج الذى تمسك به لنفسه ،و قد اعتذر

بدخان عن قبول العرض ، بالرغم من أنه علم أن أم كلثوم هى التى رشحته للدور. فكان أن اسند البطولة إلى يحيى شاهين.
و الفيلم مأخوذ عن رواية لعلى أحمد باكثير ، و ليس لرامى مساهمة فيه سوى كتابة الأغنيات ،و كتب حواره بيرم التونسى ،و فيه نرى أنفسنا أمام جارية جديدة ، و هى سلامة ، تعيش فى دار الشيخ أبو الوفا ،و معها ملازمتها شوق. و كانت تتمتع بصوت جميل ، فتمضى النهار فى رعى الغنم و الليل فى الغناء حتى سئمها الشيخ أبو الوفا ،و سئم غناءها ، فباعها هى و شوق فى سوق الجوارى بمبلغ دينارين ،و اشتراها ابن سهيل الماجن الذى يتاجر بصوت جاريته الجديدة.

تلتقى سلامة بالشيخ عبد الرحمن القس ،و هو شاب تقى ورع ، يقع فى حبها و تبادله سلامة الحب. و رغم ما يتعرض له الشاب من سخرية العرب ، إلا أنه لا يتخلى عن حبه ،و يتمسك بها ،و يحدث أن يفلس ابن سهيل ، مثلما أفلس التاجر باهر فى "وداد" فيعرض جواريه و كل ما يملك للبيع ،و يذهب القس من أجل شراء سلامة ،و يعتقها ليتزوج منها ، و لكنه يفاجأ بأن الخليفة أرسل فى طلب سلامة لقصرره ، فيتراجع القس ليعد نفسه لشرائها من الخليفة ، لكن الفتاة تهرب من القصر و يبدأ عبد الرحمن فى البحث عنها ، كذا ابن سهيل ، و يمرض القس فتأتى لتشهده و هو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

وقد امتلأ الفيلم بالأغنيات الخفيفة ،و المبهجة ،و منها على سبيل المثال "الفوازير" ،و "سلام الله على الأغنام ، على النايمين ،و على الصاحيين" ،و "غنى لى شوى شوى".

و من المهم أن نعرف الصورة التى رأى بها بدرخان أم كلثوم كممثلة سينمائية ،و ذلك فى نفس الحديث ، أو المقال الذى كتبه مجدى فهمى ، حيث يقو: "تسألنى عن أم كلثوم الممثلة؟ إذن لأقل لك صراحة: إنها أقوى ممثلة عملت معى ،و كلامى هذا ليس من قبيل المجاملة ؛ بل هو مدعم بالأدلة ، فأ كلثوم خير مثال يحتذى بالنسبة للوجوه الجديدة ، فأنا لا أذكر أنها تأخرت مرة واحدة عن موعدها ، بل لعلها كانت فى أغلب الأحيان تصل قبل الميعاد ،و كانت تحضر وقد حفظت دورها تماما سواء من ناحية الحركة أو الانفعال أو الحوار. و الطبيعة التى حبتها بذاكرة قوية كانت معينها الأول على إجادة الديالوج ، فالتى تعنى "سلوا قلبى" فى ساعتين "لا يصعب عليها أن تؤدى أربعة سطور فى خمسة دقائق.

فى فيلم أم كلثوم الأخير ، عاد بدرخان إلى الفنانة كى يعملا معا ،و يختار لها نفس الموضوع المتكرر المحبب فى السينما المصرية ، ألا وهو الفارق الاجتماعى بين الأحبة ،و إذا كانت أم كلثوم قد تفوقت اجتماعيا على الرجل فى الدور الذى جسدته فى "نشيد الأمل" فإنها فى بقية أفلامها الحبيبة الفقيرة ، التى تصعد اجتماعيا ، أو هى التى تقع فى حب شاب ثرى.

و فيلم "فاطمة" كتبه مصطفى أمين ،و هو الفيلم الأول الذى يقف أمامها نجم مشهور ،و هو أنور وجدى،و ها هو سليمان نجيب يشاركها العمل للمرة الرابعة نو فاطمة هنا ممرضة ليس لها طموح اجتماعى ، لا أن تصبح مطربة ، ولا أن تنتقل إلى طبقة اجتماعية أعلى. تذهب تبعا لطبيعة عملها للسهر على صحة أحد الباشاوات المرضى ،و يقع فتحى شقيق الباشا فى غرام الممرضة و يحاول إغرائها بشتى الوسائل ،و لكنها تصده ، فيضطر أن يتزوجها بعقد عرفى ،و يقضى معها شهر العسل فى الإسكندرية ، ثم يعود ليعيش معها فى منزلها المتواضع ،و هناك يضيق ذرعا بمجاملة أهل الحارة ، فيخرج هائما على وجهه حتى يمر صدفة أمام فيلا ميرفت و هى الفتاة التى سبق أن وعدها بالزواج نو هى من عائلة أرستقراطية ، فترحب به و يعادها على الزواج و تركه الممرضة ، ثم يعود إلى قصر أخيه نادما فيطلب منه الباشا أن يسترد عقد الزواج.

وفى اثناء هذه الأجواء المبهجة ، فإن فاطمة تغنى أغنيتها الشهيرة:

"ياصباح الخير ياللى معانا....

الكروان غنى و صحنا.."

كما غنت "ح اقابله بكره.. و بعد بكرة... و بعد بعده.." ثم تنقلب الآية فى الغناء حين تبدأ الخديعة و يسعى فتحى إلى الحصول على ورقة الزواج العرفى ،و ينجح فى ذلك دون أن يعرف أن أم فاطمة قد احتفظت بنسخة فوتوغرافية منها.

يهجر فتحى فاطمة بعد أن حملت منه ،و تضع طفلا ،و لكن الأب ينكر نسب الابن إليه ، فيجتمع أهل الحارة و يقررون رفع قضية على فتحى ،و فى أثناء النزاع يضبط فتحى الفتاة ميرفت مع عشيق لها ، فيتنبه إلى المشاعر الصادقة التى حملتها نحوه فاطمة و يسرع إليها يطلب منها السماح إلا أنه يصدم بسيارته ،و يفيق فتحى و يعود إلى رشده و يطلب من فاطمة أن تصفح عنه و يستأنف الاثنان الحياة الزوجية.

و من المهم هنا أن نرجع إلى ما كتبه كاتب السيناريو و الحوار شريف المنباوى عن الفيلم فى مجلة "الموعد" تحت عنوان "من نافذتى" حيث يقول: من المعروف أن الأفلام الاستعراضية و الغنائية تقوم عادة على أفكار مرحة نو لكن مزاج النكد عند جمهورنا ادى إلى قيام بعض الأفلام الغنائية على فواجع باكية ،و منها فيلم "فاطمة" وهو آخر أفلام السيدة أم كلثوم ،و أذكر أننى حضرت عرضه الأول فى أكبر دار للسينما بمدينة بورسعيد و كنت طفلا دون العاشرة ،و كان موضوع الفيلم فاجعا حزينا ، حيث يخدع البطل ابن الأكابر البطلة بنت الفقراء ، ثم يهرب تاركا فى أحشائها طفلا لا ذنب له ،و يتنكر الشاب لها ولا يفى بوعوده المعسولة ،و بدأت السيدة أم كلثوم تغنى "ظلمونى الناس ظلمونى" فبدأت السيدات و البنات فى الصالة فى البكاء و النشيج بصوت مسموع. و إلى هذا الحد كان الأمر محتملا ؛ و لكنه تطور عندما حملت أم كلثوم الطفل الوليد بين ذراعيها و غنت له باكية:

ياللى اتحرمت من الحنان... من أب رؤوف رحيم
حكم عليك الزمان... تقضى عمرك يتيم

فإذا بالصراخ يعلو فى الصالة بكاء و عويلا كأننا فى جنازة حقيقية ،و أصيبت بعض الفتيات بالإغماء كما أصيبت إحدى السيدات بتشنجات عصبية حادة و كان مقعدها إلى جوارى ، فأسرعت هاربا بينما أضطرت إدارة السينما إلى إيقاف العرض ؛ و إضاءة النور حتى يمكن إسعاف المصابات اللواتى صممن على عدم مغادرة الصالة و ضرورة إكمال مشاهدة باقى الفيلم ، أما بائع المرطبات فقال إنه منذ اليوم التالى سوف يبيع بدلا منها زجاجات محلول النشادر للإفاقة من الإغماء.

وقد آثرنا الوقوف عند ما كتبه المنباوى لأنه يعكس الحالة التى تركتها أم كلثوم كمطربة على الناس ،و من المعروف أن أم كلثوم لم تفعل فى أفلامها أكثر من الغناء ،و أن عدد الأغنيات الحزينة كانت من الكثرة فى أفلامها بحيث يمكن اعتبارها أفلاما مأساوية ، بالإضافة إلى التطويل الملحوظ فى الحوار ،و لاشك أن فيلما من طراز "فاطمة" هو الأكثر خفة و قبولا لدى الناس من أعمالها الأخرى.

و الغريب أن مجموع هذه افلام ينتمى إلى أسلوب بدرخان الذى مزج بين الرومانسية و الشاعرية و السينما الغنائية ، فهو حسبما جاء فى الكتاب التكريمى الخاص به ، "له إحساسه الواعى بالمجتمع الذى فيه ،و بالبيئة التى نبع منها ،و الطبقة التى يدافع عناها".

و فى أفلامه مع أم كلثوم تبرز سماته ، لكن لاشك أن هناك مسافة واسعة بين أفلامه التى أخرجها لأم كلثوم،و أفلام أخرى لمطربين آخرين و مطربات فى أوائل الأربعينات ، أى فى الفترة التى عمل فيها مع أم كلثوم بشكل مكثف ، فقد تحول فيلم "عايدة" إلى أوبريت سينمائى غنائى من الصعب على المتفرج العادى أن

يتابعه ،و هو فيلم لم يجذب أنظار الجيل الجديد حين عرض فى التليفزيون ،و كما أن الكتابات النقدية حوله قليلة للغاية ؛ إن لم تكن موجودة ، سواء التى كتبت حين عرض الفيلم أو بعدها.

ولا شك أن هناك مسافة واسعة بين هذا الفيلم و عمل غنائى آخر قدمه فى نفس الفترة مع أسمهان و فريد الأطرش هو "انتصار الشاب" ، كما أن هناك مسافة كبيرة بين أجواء الحزن الشديدة فى فيلم "فاطمة" ،و بين أجواء صنعها بدرخان لفريد الأطرش أيضا فى الفيلمين اللذين أخرجهما مباشرة عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ عقب الانتهاء من "فاطمة" ،و هما فيلمى "أحبك أنت" و "آخر كدبة".

و من المعروف أن أم كلثوم يمكنها أن تقوم بأدوار كوميدية ، فهى المرأة خفيفة الظل ، الحاضرة النكتة ، السريعة البديهة ،و قد بدت على سجيتها و هى تغنى أغنيات مبهجة فى "سلامة" و "فاطمة" لكن هكذا قامت السينما بوضعها فى قالب خاص.. من أجل أغنياتها.

صورة
أم كلثوم "عايدة" إخراج أحمد بدرخان

صورة
نشيد الأمل عام ١٩٣٦

الفصل الرابع
ليلى مراد

لم تصنع مطربة حالة من الرومانسية و الجو العاطفى الشفاف بنفس القدر الذى أحدثته ليلى مراد بأغنياتها و أدوارها كعاشقة فى سبعة و عشرين فيلما قدمتها فى الفترة ما بين ١٩٣٨ ، ١٩٥٥. و قد تكون هناك مطربات أخريات عملن و لفترة أطول فى السينما ،و عدد أكبر من الأفلام ، لكن أيا منهن لم تكن مؤثرة فى السينما الغنائية الرومانسية مثلما حدث مع ليلى مراد.

و لعل المرء يمكن أن يكتشف حالة ليلى مراد هذه خلال العشق الخاص لفنها الذى عبر عنه الكاتب الراحل صلاح طنطاوى فى كتابه "رحلة حب مع ليلى مراد" المطبوع عام ١٩٧٩ ، حيث مزج الخاص بالعام و عبر عن إعجابه الخارق بفن المطربة ،و ذلك فى المقام الأول من خلال أفلامها و أغنياتها فى هذه الأفلام.

أى أن السينما التى عملت بعا ليلى مراد هى التى صنعت لديه حالة من الهوس بالشخصية الرومانسية التى جسدتها ليلى مراد ،و لأن الفنانة قد سبقت فى ظهورها الجيل الذى ننتمى إليه ،و لم نبدأ فى الشب عن الطوق و غلإحساس بالعالم العاطفى الشفاف إلا بعد أن توقفت المطربة عن العمل فى السينما ، فإننا نجد أن أفضل وسيلة للكتابة عن ليلى مراد ، هو الوقوف عند ما كتبه طنطاوى عن المطربة ، فليس هناك من كتب عنها بنفس الجيشان ، فهو لم يكتب كتابا عن المطربة بقدر ما عبر عن زمنه من خلال حبه لفنها و إبداعها.

و الكتاب الذى نتوقف عنده هو رحلة حياة المؤلف من خلال ولعه الشديد بالمطربة التى لم يبد نحوها أى إعجاب فى البداية ،و خاصة حين شاهد صورها للمرة الأولى ، ث حين شاهد فيلم "يحيا الحب" ، أول أعمالها السينمائية "وجدتنى مسحورا بهذا الغموض.. وجدتنى مشدودا بخيوط من الفولاذ إلى ذلك الوجه الطويل النحيل الذى لا يبتسم..و إلى ذلك الصوت الحاد الرنان الذى لا يشبه أصوات البشر".

و عن فيلم "يحيا الحب" يقول: إن قصته التى كتبها الأديب الراحل عباس علام ، بسيطة من واقع القاهرة عام ١٩٣٨ ، أو من الواقع الرومانسى القاهرى فى ذلك الوقت ، "فى كل مشهد كانت تظهر معه ليلى مراد كان كيانى كله يتركز فى بصرى و أنا أتابع كل حركة و كل إشارة لها ،و كل جملة تقولها أو تغنيها حتى

فهمت فى النهاية أن ما تصورته غرابة فى وجهها إنما كان جمالا ساحرا لم أستطيع أن استوعبه فى البداية.. و أن مالم أقدر على الإحساس به فى صوتها هو أنه صوت مختلف عن أصوات مطربات ذلك الزمن ؛ وكل زمن تلاه ، صوت بللورى صاف فائق الحاسسية رائع القدرة على التعبير.

و من المعروف أن ليلى مراد قد غنت بصوتها فقط فى النسخة الناطقة من فيلم "الضحايا" الذى عرض عام ١٩٣٤ ، و كانت بهيجة حافظ قد أخرجت الفيلم صامتا ، ثم أعادت إضافة الصوت إليه ، لكن ظهور المطربة للمرة الأولى فى السينما كان أمام عبد الوهاب حدث فى "يحيا الحب" لمحمد كريم. و قد غنت أغنيتين هما "يامارق النسيم" و "يا قلبى مالك كده حيران" ،و غنت أمام عبد الوهاب دويتو "طال انتظارى لوحدى" ،و "يا دى النعيم اللى أنت فيه يا قلبى" ،و من الواضح أن المطربة قد صنعت ظاهرة خاصة فى الشارع الرومانسى عبر عنه طنطاوى قائلا: "شعرت بالأمان نحو المستقبل.. لن تكون الحياة جافة كئيبة كما كانت من قبل.. لن يكون أى شئ كما هو بعد أن أكتشفت ليلى مراد.. صوتها الساحر و جمالها الرائع يسبقان ثيابا باهرة الحسن على كل شئ حولى ، البيت و الأهل و الجيران و المدرسة ، و الحياة كلها".

و إذا كانت البداية و لمرة واحدة فقط مع محمد كري ، فإن المخرج الذى تلقف ليلى مراد ليقدمها فى أبرز أعمالها فى بداية الأربعينات هو توجو مزارحى ، الذى كان أول من أضاف اسمها إلى الأفلام ، فبعد "ليلة ممطرة" عام ١٩٣٩ ، قدمها فى "ليلى بنت الريف" ١٩٤١ ، "ليلى بينت مدارس" ، "ليلى" ، "ليلى فى الظلام" ١٩٤٤ ،و بذلك تكون هى المطربة الوحيدة التى حملت الأفلام اسم بطلتها و ممثلتها ، فمن الآن و صاعدا على المطربة أن تحمل اسمها الحقيقى على الشاشة ،و لاشك أن هذه الظاهرة التى ستنجح سوف تدفع بشريك المطربة فيما بعد ، أنور وجدى أن يقدمها فى أفلام من طراز "ليلى بنت الفقراء" ١٩٤٥ ،"ليلى بنت الأغنياء" ١٩٤٦.

و فى فيلم "ليلة ممطرة" المقتبس عن "فانى" هو فى موضوعه حزين قد يكون كئيبا ، لكن الأغنيات الخمس التى شدت بها ليلى مراد عبرت عن فرحة الفتاة "سنية" و هى تقول: "ياقلبى مالك كده فرحان" و "يا بدر نورك سبانى" ،و "فرح فؤادى" ثم عبر عن أحزانها و هى تغنى "ياقلبى أصبر ع الأيام" ،و "بعدت ليه يا حبيبى". و حسب ما يقول طنطاوى ، فإن أغنيات هذا الفيلم لم تنقل على أشرطة من الفيلم إلى الإذاعة ،و لذلك لم يذعها الراديو قط مع أنها من أجمل أغانى ليلى مراد.
إذن فنحن أمام أغنيات سينمائية فى المقام الأول ،لا نسمعها إلا حين مشاهدة الفيلم ،و لذا سوف نختار بعض كلمات أغنية "بعدت ليه":

بعدت ليه يا حبيبى... وزدت همى و عذابى ليه
تسيب قلبى يقاسى نار حبك
ياحبيبى أرحمنى واسعدنى... برضاك أنت
خايف للجوى يشعل فؤادى... ولا بعدك عنى
نساك يوم ودادك تعالى... وأرحم فؤادى و أعطف
بقبلك عليا و شوف عذابى... وسهادى وذلى
وشوف دمع عينيا

و من الواضح أننا أمام كلمات متراكبة ، تمزج بين الفصحى "الجوى" الصعبة ،و بين كلمات باللغة العامية مثل "ليه" و"شوف".

أما الأفلام الأربعة التى قامت بالعمل فيها كـ "ليلى" من إخراج توجو مزارحى ، فإن اثنين منها أمام يوسف وهبى ، و هى "ليلى بنت الريف" ،و "ليلى بنت مدارس" ،و اثنان أمام حسين صدقى ،و كان أنور وجدى قد قام بأدوار مساعدة فى فيلمين منها.

و فى هذه الأعمال جسدت المطربة شخصية الحالمة ليلى ، فتاة بريئة تعيش قصص الحب ، أداؤها صادق، صوتها منخفض باستمرار ، نظراتها جامدة ، و مشيتها عسكرية جامدة ، و عيناها لا ترتفعان عن الأرض، كانت حقا تثير الرثاء و العطف و الدهشة. و قد غنت فى الفيلم الأول "إيه الحب" ،و "ياسلوى فين أنتى تعالى" ،و "اوعى يكون فات الأوان" ،و "امتى يهون كل ده امتى" ،و تبدو هذه الشخصية التى جسدتها ليلى من خلال كلمات أغنية مثل:

إيه أشرحهفى حبك غير ده..
وحرام أكون فى أيديك وردة تدبل..
اقطفها ما ترميها..
امتى يهون كل ده امتى..

و من الواضح أن هذه الأغنيات لا تذاع رغم أهميتها ،و قد تكرر نفس الشئ فى فيلم "ليلى بنت مدارس"،حيث أن الأغنيات الخمس التى شدت بها لا يكاد يعرفها أحد من الجيل التالى لظهور ليلى مراد ، مثل "غنى ياطير سعدك جالك" ،و "مين النهاردة فى الدنيا أسعد منى؟" ،و "ياذل حال اليتيم كانت جنايته إيه؟" ،و لعل هذا العكس أى حال ق تركته ليلى مراد كمطربة ، فأغنياتها العاطفية الممزوجة بالشقاوة و خفة الظل التى سوف تغنيها فى الأفلام التالية مع الاستعراضات الضخمة ،و من هذه الأغنيات "مين يشترى الورد منى" ،و "بتبص لى كد ليه" ،و "يارب تم الهنا" من فيلم "ليلى" حيث بدأت تغنيها فى إطار احتفالى و وسط عيون منبهرة و آذان مندهشة ،و لعل نجاح هذه الأغانى قد شجع مزراحى لأن يعطى لمطربته وجها بالتفتح و الشقاوة ،و أكتست ليلى مراد فى هذه الأفلام بدور البنت المصرية التى لا تتباكى ،و لكنها مقبلة على الحياة تغنى باسنها ،و تحب و تجتاز العقبات التى تقابلها ،و من هذه الأغنيات فى فيلم "ليلى فى الظلام" ،و "آه ياخوفى لو بابا شافنى" ،و "اتمتعوا بالحياة و أرضها و سماها".

و لعل أنور وجدى هو الذى وضع ليلى مراد فى صورتها الأفضل للبنت الشقية فى أحسن حالاتها ، رغم أن الكثير من هذه الأفلام قام على قصص حب يائسة تحدها العقبات و المتاعب مثل "ليلى بنت الفقراء" ١٩٤٥ ،و "ليلى بنت الأغنياء" ١٩٤٦ ،و" قلبى دليلى " ١٩٤٧ ،و "عنبر" ١٩٤٨ ،و "غزل البنات" ١٩٤٩، ثم حبيب الروح" ١٩٥١ و "بنت الأكابر" ١٩٥٣.

و يمكن اعتبار فيلم "قلبى دليلى" النموذج الأنسب للسينما الغنائية الكوميدية ، يليه غزل البنات فيما يخص البنت الشقية ، فإذا كانت "عنبر" فى الفيلم الذى يحمل نفس الاسم قد بكت كثيرا لوفاة أبيها ،و لمطاردة العصابة التى تبحث عن الكنز ، فمن اللحظة الأولى لظهور ليلى فى فيلم "قلبى دليلى" فإننا أمام فتاة مبتهجة مقبلة على الحياة ولا تتوقف عن الغناء و بعث الضحك ، حتى فى أحلك اللحظات.

و يقول صلاح طنطاوى عن هذه المرحلة أنه حدث تطول فى الأسلوب الاستعراضى فى إخراج أنور وجدى. ذلك الأسلوب الذى صار فيما بعد طابعا أساسيا فى إخراج كل أفلامه و لغة فنية متميزة له دفعته فيما بعد إلى أن يكتشف الطفلة المعجزة "فيروز".

"أما ظهور الأسلوب الاستعراضى فى فيلم "ليلى بنت الأغنياء" فقد كان فى مشهد الزار فى منزل العمدة.. و فجأة يتحول الزار الريفى البسيط (كأننا فى حلم) إلى زار استعراضى يضم حشدا هائلا من الفتيات اللاتى يرقصن بملابس الرقص الشرقى. "المشهد فى حد ذاته.. مسل و ظريف و باهر ، كنه يبدو دخيلا على جو الفيلم المأساوى بل إن الإنسان يشعر أمامه و كأن فكرة تنفيذه على هذه الصورة أنا و أنت و أنور وجدى فى آخر لحظة ،و هو فى الاستوديو".

الأغنيات المليئة بالبهجة بدت فى فيلم "قلبى دليلى" مثل "أنتى سعيدة ،و أنتى سعيدة" ، ثم "أضحك كركر أوعى تفكر" ،و "أنا قلبى دليلى" ،و "أنا وردة مغمضة ،و "أكرهه و أحبه" ،و الفيلم بمثابة استعراض لايكاد ينقطع إلا من أجل حوار فى قسم الشرطة ، أو بين المجرمين ، لكن ليلى تعيش حياة مبتهجة. و فى انتظار

الحفل حشد أنور وجدى سبع أغنيات متتالية ، من بينها "قلبى دليلى" و أغلب هذه الأغنيات تم فى استعراض ضخم ، أو غنت فيه ليلى بين أفراد أسرتها.

صورة
ليلى مراد كانت أشهر من عمل فى الفيلم الغنائى

و نحن أمام حالة لا مثيل لها فى السينما العربية من حيث كون الفيلم غنائى استعراضى ، ففى القطار هناك غناء لفتاة تجمع التبرعات حين اكتشفت أن رجال الإسعاف غير قادرين على إخراج الأموال من جيوب المتبرعين ،و بالابتسامة و الظل الخفيف تمكنت ليلى أن تفعل ذلك ، ثم ما أن وصلت البيت حتى راحت تغنى مع أبيها و كذلك صديقاتها ،و فى الحفل الذى ذهب إليه الضابط وحيد فإنها لم تكف عن الغناء ثم إن المخرج يحول مطاردة الشرطة للعصابة إلى حفل شعبى امتلأ بالأغنيات الشعبية من عبد العزيز محمود تارة "يانجف بنور" ثم من ليلى التى تحاول المناداة على حبيبها بالغناء (ياللى أنت حيران عليه أنا هنا جنبك) حيث يرتفع صوت الغناء فوق كل الأصوات فيميز الضابط وحيد صوتها و يسير فى اتجاه الصوت.

تكرر ظهور نفس الفتاة و بالاسم نفسه فى "غزل البنات" ،و هو فيلم ملئ بالأغنيات ، بدءا من نزول العناوين إلى قرب النهاية ،و أغلبها أغنيات مليئة بالبهجة و الكوميديا ، ابتداءا من "أتمخطرى يا خيل" و حتى "عينى بترف" و ذلك بالطبع باستثناء أغنية عبد الوهاب.

و كل هذه الأغنيات لا تؤديها سوى فتاة مليئة بالشقاوة ، رسبت لتوها فى اللغة العربية ، لكن الأمر لا يهمها كثيرا و تتعامل مع الرسوب كأنه نوع من المزاح و السخرية ،و هذه الفتاة مليئة بالغبطة و السعادة ، كما أنها فى حالة حب ، تغنى ساخرة من مدرسها "أبجد هوز حطى كلمن.. شكل الأستاذ بقى منسجمن" ، ثم تغنى أمام قفص العصفور "الحب جميل للى عايش فيه". و عندما تخرج ليلى لقضاء سهرة مع حبيبها و يلاحقها الأستاذ حمام فإنها تغنى معه "عينى بترف وراسى بتلف". و فى صالة الملهى تراقص الحبيب أنور و تغنى له أمام الآخرين أغنية "ماليش أمل فى الدنيا

و كما نرى فإنها كلها أغنيات مبتهجة تنز شقاوة و حيوية و خفة ظل ، و من هنا تبدو نوعية الأغنيات التى شدت بها ليلى مراد فى بعض أفلام زوجها أنور وجدى ، فمن المعروف أن الأفلام المصرية تبدأ بأجواء مبتهجة ثم توحف الأحزان ،و لذا فإن أغلب الأفلام الغنائية تنتهى عادة بأغنية عن المآسى و الآلام التى تستبد بالحبيب و لكن الأمر اختلف تمام فى الإلام التى تحدثنا عنها و إن كانت هذه السمة قد برزت بوضوح فى أفلام الثنائى التالية خاصة "حبيب الروح" الذى تم إنتاجه و عرضه عام ١٩٥١.
فحسب موضوع الفيلم فإن الأغنيات الأولى فى الأحداث مبتهجة سعيدة ، تعبر عن امرأة تحيا بلا متاعب ، كل ما تعانيه أن زوجها المهندس الميكانيكى دقة قديمة و غيور ،و لا يقبل أن يراها تغنى خاصة أمام الناس ، فى الوقت الذى يكتشف موهبتها موسيقار كبير يسعى إلى أن يكسبها لصالح الفن ،و فى الحفل تغنى ليلى أغنية "شفت منام و احترت أنا فيه" ،و ذلك أمام مجموعة من رواد حفل أقامته إحدى سيدات المجتمع ،و الأغنية بمثابة استعراض جماعى يغنى فيه الكورس و هى بمثابة سؤال و إجابة بين المطربة و الكورس.

و النصف الأول من الفيلم ملئ بأغنيات تنز شقاوة و خفة مثل "أنت هنا و أنا هنا ،و الفن و الدنيا هنا" ، حيث راحت الزوجة تجهز مأدبة الوليمة التى سيحضرها الفنان مع زوجها ، ثم بدأت الأغنيات تتغير مثل الظلم حرام" ،و "حبيب الروح".

كما تكررت نفس الظاهرة أيضا فى التعاون الأخير بين ليلى و أنور، ففى فيلم "بنت الأكابر" غنت "يارايحين للنبى الغالى" حين ذهب جدها إلى الأراضى المقدسة ،و غنت لحبيبها "أنا و أنت عصفورين " ثم

غنت "أنا ح انسى روحى و مش ممكن أنسى ، ميعادنا بكرة الساعة خمسة" ، و هى أغنية أشبه بالحلم و تكاد تكون تكارا لأغنية "شفت منام" من حيث التصوير و الكلمات و طريقة التنفيذ.

و كما أشرنا ؛ فإن أنور وجدى هو الذى استفاد من سمات ليلى مراد كبنت شقية خفيفة الروح جميلة الصوت ليقدمها فى أحسن صورة تعرف عليها المتفرج ،و لاشك أن أكثر المخرجين الذين عملت معهم الفنانة فى تلك الفترة أو فيما بعد ، قد تعاملوا مع ليلى مراد "الصوت" ، ثم سكبوا على الشخصيات التى تجسدها المزيد من الهموم و الأحزان نو قد بدا ذلك بشكل واضح فى فيلم "الماضى المجهول" لأحمد سالم.

ولو نظرنا إلى الأغنيات التى شدت بها ، فسنرى "حيران":

حيران فى الدنيا الخيال... محروم من الذكريات
لاعندى فيها أمال... ولا باناجى اللى فات

و مثل هذه الكلمات حين تنشدها ليلى مراد فلابد أن تكسبها هما و حزنا ،و يقول صلاح طنطاوى أن أحمد سالم قدم هذه الأغنية فى أجواء تختلف عن ماهى فيها "بطريقة لم تقدم بها أغنية فى فيلم مصرى من قبل" ، رأينا أحمد سالم و هو يؤلف كلماتها فى البداية... ثم رأينا بشارة واكيم و هو يلحن الكلمات و بعدها رأينا ليلى مراد و هى تدندن اللحن ضاحكة فى حديقة المستشفى. و بعغد ذلك سمهناها تغنى الأغنية و هى تشتغل فى المطبخ فى منزلها.. و أخيرا سمعنا الأغنية كاملة فى حفل الزفاف.

و من هذا الأمر يتضح أن الفيلم قد أفقد حتى لحظات السعادة روحها حين كسا هذه المواقف من الزواج و الزفاف كلمات حزينة من هذا الطراز.

و يقول طنطاوى عن أغنية أخرى فى الفيلم "و غنت ليلى مراد أغنية (الدنيا ليل) التى قبلها ملحنها محمد عبد الوهاب فكانت هذه أول مرة تغنى فيها مطربة أغنية (لا لحنا) لمطرب أخر.

كما أن تصوير الأغنية فى الفيلم جاء بطريقة ذكية. كانت ليلى مراد تحتفل مع زميلاتها فى المستشفى بعيد ميلاد واحدة منهن و أعلن الراديو غناء محمد عبد الوهاب للأغنية ، ثم انقطع النور فجأة و طلبت الزميلات ليلى مراد أن تغنى الأغنية فغنتها".

هذه السمة من الحزن و الكآبة ، قد تكررت من فيلم لآخر مع مخرجين كثيرين عملت معهم ليلى مراد وضعوها فى هذا الإطار باستثناء حالات قليلة ، منها بركات فى "ورد الغرام" ، أما حسن رمزى فقد وضعها فى أشد حالات البؤس فى فيلم "خاتم سليمان" فهى هنا فتاة من عائلة وقورة ، يتعرف عليها شقيق إحدى صديقاتها و يطمع فى الزواج منها رجل يكبرها فى السن.. و الأغنيات الخفيفة التى شدت بها ليلى مراد فى فذا الفيلم (١٩٤٧) لم تبق كثيرا فى ذاكرة المستمع مثل "مش قادرة أصدق كل اللى أنا شايفاه و سامعاه".

و من أغنيات الفيلم "ياقلبى اصحى" ، "يا ظالم العشاق" ، "ويلك من الله يا قاسى ياللى ساجنى" ،و "بأحب هواك و أحب جفاك" ،و من كلمات الأغنية تتضح ابعاد المأساة فيه فيلم لا يصلح موضوعه أن يكون غنائيا بالمرة ،و بدأ ظهور ليلى مراد نشازا تماما قياسا إلى الأفلام التى ظهرت فيها فى نفس الفترة.

و قد عملت ليلى مراد فى هذه السنوات أيضا فى أفلام من إخراج نيازى مصطفى و حلمى رفلة ، زادت فى إبعادها عن دور الشقية ، رغم أن حلمى رفلة قد اشتهر بأفلامه الكوميدية الخفيفة ، لكن فيلمه الذى أخرجه للمطربة باسم "المجنونة" كان من الكآبة أن حول الشخصية النسائية الرئيسية فى الفيلم إلى فتاة مغلوبة على أمرها يحاول عمها و زوجته أن يدفعا بها إلى الجنون من أجل الاستيلاء على ميراثها.

و من هذه الأدوار التى ابتعدت فيها ليلى مراد عن البنت الشقية هناك "آدم و حواء" و هو فيلم ملئ بالمواعظ المباشرة ،و كما كتب طنطاوى فى تعليقه عن الفيلم إن "حسين صدقى ممثل ممتاز له جاذبية و قبول و حضور ،و لكنه كمخرج لم ينجح فى تقديم أفلام ذات مستوى رفيع و كان مشغوفا بأن تحتوى أفلامه أفكارا توجيهية معتبرا أن السينما ليست فنا فقط بل هى جهاز إصلاح فعال".

و من الواضح أن طنطاوى قد أبدى رأيا فى تمثيل حسين صدقى يختلف عن الواقع ، فلاشك أن تمثيله مثل إخراجه فيه المباشرة و يفتقد إلى التلقائية.

وقد وقعت ليلى مراد بين براثن مخرجين متعددين عملوا على إظارها فى أدوار ساعدت فى التعجيل بأن تصدر قرار الاعتزال ، مثل يوسف شاهين فى "سيدة القطار" الذى وضعها فى أكثر الصور كآبة ، فهى امرأة عجوز تعانى من زوجها الذى استغل وفاتها فى أن يحرمها من أموالها و ابنتها ،و تنعكس حالة الحزن فى أغنية جميلة بقت فى أذهان الناس حتى الآن هى "من بعيد يا حبيبى باسلم" التى جاء فى ختمها:

من بعد غيبة طويلة يا روحى... انقضت ولا كان ليش حيلة
من قريب ادينى باسلم... من قريب ادينى باتكلم
أنا مين و كنت فين... وجيت منين
أنا ياما بروحى باسلم... بايدى باسلم
من قريب يا حبيبى

أما المخرج الثانى الذى قدم ليلى مراد فى صورة مليئة بالبهجة فهو بركات ،و رغم أنه أخرج لها ثلاث أفلام فإن "ورد الغرام" ١٩٥٧ كان كوميديا من الطراز الأول ، يليه "من القلب للقلب" ١٩٥٢ ثم "شاطئ الغرام" ١٩٥٠ ،و من الواضح أن بركات قد أخرج لها هذه الأفلام الثلاثة فى فترات متقاربة ، كانت ليلى مراد صورة للبنت الشقية و قد كانت هكذا فى الأفلام الثلاثة ، فهى فى "من القلب للقلب" الشابة التى تمارس لعب القمار و توقع الشباب فى دائرة اللعب ،و فى فيلم "شاطئ الغرام" هى المدرسة اللطيفة التى تعشق الطبيعة و تغنى للموج و البحر الصافى فى مرسى مطروح ،و عندما تذهب إلى القاهرة فإنها تغنى فى حفل يحضره زوجها مما يعكس بهجتها و تنشد "يا أعز من عينى قلبى لقلبك مال" ،و الفليم فى نصفه الأول ملئ بالأغانى الرومانسية و الخفيفة التى تجيد ليلى مراد اداءها ، مثل "نعيما ياحبيبى" و "رايداك و النبى رايداك" ،و "باحب اتنين سوا". لكن ما أن تبدأ المشاكل بين الزوجين حتى تغنى "أروح لمين بس ياربى" و هى الأنغية الحزينة الوحيدة فى الفيلم.

أما فيلم "من القلب للقلب" فهو أقرب فى أغنانيه إلى ما قدمه أنور وجدى حيث غنت "سهرانة ليه يا هلترى" ،و "ياللا تعالى قوام ياللا" ،و "من القلب للقلب" و "قولولى قولولى" ،و "طمنى أنا مش عارفاك".

نفس السمة تكررت فى فيلم بالغ الأهمية فى كلاسيكيات السينما الغنائية و هو "ورد الغرام" ،و هنا يبدو الفارق الثنائى محمد فوزى الذى بدا قائما فى "المجنونة" وبدا بالغ البهجة و خفة الظل فى هذا الفيلم.

و يتنمى الفيلم إلى الكوميديا التى تقوم على المقالب و العواطف التى تتغير ،و النبل الذى يتولد بين اثنين من العشاق ،و إلهام هنا فتاة صافية رقيقة للغاية تؤمن مثل أبيها أن الخيل أكثر وفاء من البشر ، لذا فهى تصدق حكاية باقات الورود التى تأتيها من عاشق مجهول لا يلبث أن يظهر فى حياتها فيغير مشاعرها و تحبه،و الأغنيات الحزينة هنا تبدو أقل تأثيرا لدى المتفرج ، فهو يعرف مسبقا أنها مخدوعة فى مشاعرها ،و أن حبيبها الذى تصورته قد ظلمها يكن لها الحب ،و هو يأتى لها بفرقة موسيقية أسفل المنزل كى تنشد لها يتسلق هو النبات للصعود إليها و مصالحتها.

و قد بدت البهجة و خفة الظل من خلال الدويتو الذى اشترك فيه كل من ليلى و فوزى ، مثل "فيه حاجة شغلاك" ثم "شحات الغرام" الذى صار الدويتو الأشهر بكلماته وأدائه فى كل السينما المصرية ،و هو يستخدم لغة الشحاذين المألوفة كى يكسبها معانى الرومانسية ، كأن يردد العاشق كلمة "لله لله" أكثر من مرة و الثانية تصده بالدلال المنشد ، ثم "ادينى ادينى ميعاد... ادينى ميعاد لله" ، فترد عليه "فوت بكرة خمسة تمام من قدم شئ بيداه يلقاه ،و كله على الله".

وقد كان بركات ذكيا فى أنه جعل كل من بطليه يغنيان أحيانا وحدهما ، ثم جمعهما فى ثلاث أغنيات معا.

تبقى ليلى مراد إذن فى ذهن المتفرج مطربة غنت فى الأفلام فى المقام الأول ،و رغم نجاح أغنيات لها خارج السينما فإنها الوحيدة أو الأولى التى صنعت أجمل أجواء الرومانسية لبنات جيلها ، ثم لجيل تالى شاهدها فى دور العرض الثانية أو فى التليفزيون.

الفصل الخامس
فريد الأطرش

لعل فريد الأطرش هو المطرب الأطول عمرا من حيث العمل فى الأفلام من كافة نجوم الطرب فى السينما العربية فى القرن العشرين ،و ذلك منذ فيلمه الأول "انتصار الشباب" عام ١٩٤١ ، إلى فيلمه الأخير "نغم فى حياتى" الذى عرض بعد رحيله بعدة أشهر.

ولا شك أن الواحد و ثلاثين فيلما التى عمل بها الأطرش قد تنوعت فى موضوعاتها و أسلوبها ،و قد جعل ذلك المطرب يتخذ عدة أشكال ، فهو ليس فقط المطرب الذى عملا استعراضيا فى ختام الفيلم مثلما يحدث فى النصف الأول من حياته السينمائية ، كما أنه لم يضع نفسه فى أسر الأدوار الكوميدية أو أدوار الإنسان الحزين الذى ضاعت منه فرص الحب فبكى فى أغنياته ،و عانى فى عواطفه.

صحيح أن هناك مجموعات متشابهة من بين هذه الأفلام ، لكن هذه كلها بمثابة مراحل متتابعة ،و الذى يمكن الوقوف عنده بالنسبة للأطرش هو أنه عمل مع اثنين فقط من المخرجين العدد الغالب من الأفلام ، ثم خرج عن قاعدته فعمل فى بعض الأحيان مع مخرجين من طراز يوسف شاهين ، و كمال الشيخ ،و عاطف سالم فيلما أو أكثر.. هذان المخرجان هما أحمد بدرخان ،و هنرى بركات.

كما أن فريد الأطرش قد عمل ثنائيات صغيرة ، أو ثنائيات مشهورة مع ممثلات و مطربات ، فكان ظهورهن يتكرر من فيلم لآخر ، مثل مديحة يسرى التى ظهرت معه فى "أحلام الشباب" و "شهر العسل" ، ثم هاهى سامية جمال تعمل أمامه فى ستة أفلام ،و تعمل معه صباح فى ثلاثة أفلام ،و تعمل شادية فى فيلمين،و تعمل مريم فخر الدين فى أربعة أفلام ، أما فاتن حمامة فإنها بعد أن ظهرت معه عام ١٩٥٢ فى "لحن الخلود" فإنها تعود للعمل معه مرتين متتاليتين فى أواخر أفلامه فى كل من "حكاية العمر كله" و "الحب الكبير".

لاشك أن بدرخان هو المخرج الذى اختار أن يكون معادلا لمحمد كريم فى تعامله مع عبد الوهاب ، فإذا كان كريم قد احتكر الإخراج لكافة أفلام عبد الوهاب ، فإن بدرخان هو الذى أخرج الكثير من أفلام أم كلثوم ، ثم هو الذى تلقف كل من فريد و أخته أسمهان ليضعهما فى تجربتهما السينمائية الأولى عام ١٩٤١ ، من خلال فيلم "انتصار الشباب" ، ثم قدم المطرب فى ثمانية أفلام ، هى على التوالى "شهر العسل" ١٩٤٥،و "ما أقدرش" ١٩٤٦ ، "أحبك إنت" ١٩٤٩ ،و "آخر كدبة" ١٩٥٠ ،و "عايزة أتجوز" ١٩٥٢ ،و "لحن حبى" ١٩٥٣ ، ثم "عهد الهوى" ١٩٥٢ ،و "إزاى أنساك" ١٩٥٦. و هو عدد كبير كما نرى قياسا إلى أى تعاون بين مخرج و نفس الممثل أو المطرب ، أما بركات فقد أخرج للأطرش عشرة أفلام هى: "عفريتة

هانم" ١٩٤٩ ، "ماتقولش لحد" ١٩٥٢ ، "لحن الخلود" ١٩٥٢ ، "رسالة غرام" ١٩٥٤ ، "قصة حبى" ١٩٥٥ ، "ماليش غيرك" ١٩٥٨ ،و "شاطئ الحب" ١٩٦١ ،"يوم بلا غد" ١٩٦٢ ، "الحب الكبير" فى لبنان ١٩٦٧ ، ثم "نغم فى حياتى" فى لبنان أيضا ١٩٧٤ ،و هو كما نرى عدد أكبر من الذى تعاون فيه كل من بدرخان وز الأطرش.

و قد ظل الأطرش يعمل أمام الكاميرا منذ أن كان شابا قادما من الشام مع أخته فى "انتصار الشباب" إلى أن صار رجلا تجاوز الستين ، فى ربوع لبنان فى "نغم فى حياتى".

و منذ فيلمه الأول ، بدت ملامح الأفلام التى يجسدها خاصة مع بدرخان ،و هى عن رحلة فنان شاب من الحضيض ، مرورا بمتاعب شتى ، حتى يمكن لهذا الشاب أن يحقق النجاح المنشود ، و يتم اختتام الفيلم باستعراض غنائى ضخم يتم دوما على خشبة مسرح.

و الفيلم الذى كتبه عمر جميعى كقصة ،و وضع له بدرخان السيناريو ، هو بمثابة نقل مباشر لقصة فريد و أخته أسمهان على الشاشة ، فنحن هنا أمام موسيقار فقيير و شقيقته المطربة ، إنهما يكافحان فى سبيل الفن الغنائى و الرزق حتى يعثرا على عمل فى مسرح يديره رجل لا يلبث أن يطردهما لأن المطربة الشقيقة رفضت مجالسة زبائن الكباريه الملحق بالمسرح ،و بعد ما يلاقيه الشقيقان من عذاب و تشريد و مغامرات مع صاحبه البيت بسبب عدم تمكنهما من دفع الإيجار المتراكم عليهما تقع المطربة فى حب شاب ابن ذوات ،و تقف أمه عقبة فى سبيل هذا الزواج لأن الأم لا تريد أن يتزوج ابنها من مطربة ، أما المطرب الشاب فإنه يقع فى حب إحدى بنات الذوات ،و ينجح الموسيقار فى تقديم الأوبريت الذى كان يحلم بتقديمه للجمهور ،و يتزوج كل شخص ممن يحب.

و يكتب سامى السلامونى فى مقاله المنشور فى مجلة "فن" عن الفيلم: "يلجأ الفيلم إلى حيلة ساذجة للكشف عن موهبة فريد الأطرش و أسمهان فى الغناء التى تصبح محوره كله بعد ذلك. ففريد يغنى موالا جميلا فى حجرته:

"صون الخدود فى شبابك عن دموع العين...
يوم انتصار الشباب للصابرين موعود...
بكره دموع الفرح تمحى دموع البين..."

إنه موال يلخص موضوع الفيلم كله ، بل و يتضمن عنوانه نفسه و يؤكد على ضرورة انتصار الشباب فى النهاية على الرغم من أى معاناة "ولكن لا يتوره الفيلم و بجرأة كانت عادية جدا فى مثل هذه الأفلام عن حشد أهالى الحارة كلهم الذين تركوا أشغالهم و وقفوا تحت نافذة فريد الأطرش ليسمعوا بإعجاب و يطلقول الآهات،و بهذا يكون الفيلم قد أكد للجميع و من البداية أن بطله صوته جميل جدا.."

و رغم أن فيلم "شهر العسل" من تأليف بدرخان نفسه ، فإن المخرج لم ينته باستعراض ضخم أسوة بالكثير من الأفلام ،و لكن المطرب يحتفظ هنا بوظيفته كمطرب مشهور اسمه أيضا فريد ،و نحن هنا أمام فيلم غنائى كوميدى حول هناء الفتاة التى أضطرت إلى قبول خطبة نديم ،و هو شاب ثرى ثقيل الظل ، عليه إنقاذ أسرتها من الديون. فتأخذه معها فى حفل تنكرى يغنى فيه المطرب فريد ،و يتصادف أن توجد فتاة أخرى اسمها جمالات تتنكر فى ملابس تشبه ملابس هناء. و هنا يبدأ سوء التفاهم حيث يتعرف فريد بجمالات و يعدها بالحضور إلى منزله ليعلمها الموسيقى ، ثم يتلبس الأمر على خطيبى الفتاتين.. هناء و جمالات. كل يظن الأخرى خطيبته ، ثم يلتقى المطرب بهناء فيظنها جمالات و يؤكد عليها الحضور إلى منزله بعد أن يعطيها عنوانه ،و تذهب الفتاتان إلى منزل المطرب و يقع فريد فى ورطة ، خاصة و أن كل خطيب كان يتتبع خطيبته ،و يحاول فريد اخفاء كل فتاة عن خطيبها ، فمرة ينجح و أخرى يخطئ حتى اشتبه كل خطيب فى فتاته.

و من خلال هذه المواقف المتناقضة تنشأ قصة حب بين هناء و فريد و يتمكن من تسديد الديون لأسرتها.

و من الواضح أن مجموع أفلام المطرب التى عمل فيها فى تلك المرحلة كانت من اللون الكوميدى جميعها، حيث ملأ الطرش أجواء أفلامه بالبهجة سواء بخفة ظله الملحوظ أو بأغنياته و استعراضاته التى تنتهى بها الأفلام. و بدت أجواء هذه الأفلام وردية سواء من خلال الأعمال التى أخرجها بدرخان ، أو بركات أو حتى "جمال و دلال" الذى أخرجه استيفان روستى عام ١٩٤٥.

و كما أشرنا فإن الشخصية الأساسية التى جسدها المطرب مع بدرخان أو بركات كانت لمطرب دائما ،و يعنى هذا أن على المطرب أن يصعد بشكل رسمى حسب وقائع القصة إلى المسرح كما يغنى ،و ذلك حتى لا يكون هناك أى تلفيق فى الحدوتة ، فلو غنى هذا المطرب من أجل حبيبته فإنه فى المقام الأول يمارس مهنته حتى ولو شدا لحبيبته فى طريق عام ، أو على شاطئ البحر ، فإنه يفعل هذا بواقع أنه يمارس ما يحبه.

و المطرب غالبا ما يكون مبتدئا فى عالم فقير ،و هو يبحث لنفسه عن مكان فى سماء الفن ة النجاح ،و فى خلال رحلته نحو تحقيق هدفه لابد أن يقابل حبيبته ، هى فى أغلب الأحيان راقصة تغنى على نغماته ، يصعدان معا ، أو هى مطربة مشهورة تحاول أن تعطيه فرصة إثبات الوجود.

كما أن هذا المطرب قد يكون أحيانا مشهورا يعد لأوبريت و يعيش بعض المتاعب الخاصة و أغلبها متاعب عاطفية ،و لو بدأنا إلقاء الضوء على هذا النوع من الأفلام فسوف نراها فى "آخر كدبة" ، "ماتقولش لحد" ، "عايزة أتجوز" ، "لحن الخلود" ، "رسالة غرام" ، "قصة حبى" ، "ازاى أنساك" ، "شاطئ الحب" ، "من أجل حبى" ، "رسالة من امرأة مجهولة" ، "حكاية العمر كله" ، "الخروج من الجنة" ، "الحب الكبير" ، "زمان يا حب".

و لك أن تراجع عدد هذه الأفلام لترى الإطار الواحد الذى وضع فيه الأطرش نفسه فى السينما ، فهذا المطرب قد حقق شهرة و تواجدا. و فى الكثير منها نراه متزوجا و سعيدا مع امرأته ، ثم لا يلبث أن يتعرض للماعب مثلما حدث فى "آخر كدبة" و"ماتقولش لحد". وكما هو ملاحظ ؛ فإن نوع الأفلام قد تغير من فيلم لآخر ، فهذا المطرب الخفيف الظل فى الأفلام الأولى ، ثم تراه محملا بالآسى و العذاب فى الأفلام التالية ،و هو أسى ليس خاصا بالمعاناة بقدر ما هو مرتبط بقصة حب يعيشها الفنان.

و على كل.. فإن ما يهمنا فى هذا الأمر هو أن فريد الأطرش كان حريصا أن يكون مطربا على الشاشة من أجل أن تتاح له مساحة كبيرة من الغناء ،و أن يعطى للراقصة التى أمامه أكبر قدر من هز الوسط ، أو للمطربة التى تغنى معه دويتو ، لدرجة أن بعض النقاد كانوا يرون أن الأطرش كان يصنع فيلما من أجل أغنياته ،و قد كان الأطرش منتجا لأفلامه ابتداء من "حبيب العمر" ، ثم أنتج الكثير من هذه الأفلام التى قام ببطولتها مما دفعه إلى اختيار الموضوع و الأغنية و بالطبع العاملين معه.

صورة
لقطتان من فيلم لحن الخلود إنتاج عام ١٩٥٢

فيلم "أحبك أنت" على سبيل المثال به أغنيات مثل "الحياة حلوة" و "الشرق و الغرب" و "يافرحة المية" و "حبيبته لكن ما باقولشى".

و المطرب فى الأفلام الأولى التى جسدها الأطرش كان شخصا مبتهجا مقبلا على الحياة مهما كانت الظروف. و المتاعب التى يتعرض لها يمكن أن تحدث لأى إنسان عادى و ليس فقط لمطرب ، مثل وجود زوجة غيورة فى حياة هذا الفنان كما حدث فى فيلم "آخر كدبة" ،و المطرب هنا هو سمير ، الذى تزوج من الراقصة سميرة التى تحبه و تغار عليه إلا أن الماضى يطارده من خلال علاقته بالراقصة كيكى. فهى فى كل

مكان تذكره بحبهما القديم. و يأخذ سمير عقدا ماسيا من كيكى لإصلاحه إلا أن الزوجة تعثر على العقد فتتصور أنه هدية من سمير و تحاول كيكى استعادة العقد. و تتوالى الكذبات من سمير إلى امرأته ،و على جانب آخر فإن هناك متاعب يعانيها صديق خاص لسمير ، فقد حدث أن صدم المطرب إحدى السيدات التى قررت أن تقدمه للعدالة ،و يجد سمير نفسه فى مواجهة السيدة التى هى نفس الوقت عمة صديقه الحميم فى نفس الوقت الذى يطالب فيه مهراجا من كيكى أن تعيد له العقد.

ولاشك أن مثل هذه المواقف تولد الكوميديا المتلاحقة ، فلا يكاد يجد المطرب نفسه يتخلص من مأزق تصنعه زوجته بسبب غيرتها حتى يجد نفسه أيضا محاطا بكيكى التى تود استعادة العقد و هى تردد دوما "أنا مستعجلة قوى". فى نفس الوقت على سمير أن يتخلص من مندوب العدالة و موظف التأمين اللذين جاءا من أجل لقائه فى منزله ، كما تأتى العمة التى تتعرف على سمير.

إذن فنحن أمام عمل كوميدى استعراضى فى المقام الأول لا يكتفى فيه المطرب فقط بالغناء الفردى من أغنية إلى أخرى ، و منها "آخر كدبة" ، "الربيع" و أوبريت "بساط الريح". إذن فنحن أمام فيلم ملئ بالبهجة فى المقام الأول ولا يحتمل هذا النوع من الأفلام أغنيات حزينة مثل التى حرص الأطرش على أن ينشدها فى أفلامه التالية.

ولا بد من الوقوف عن الثنائى الذى مثله مع سامية جمال ، كأنما الفنان يؤكد أنه لا بقاء له على خشبة المسرح بشكل أمثل دون راقصة شرقية تتمايل أمامه على النغمات ، بينما هو يشجى ،و هذا الثنائى عمل معا فى أفلام تنتمى كلها إلى الكوميديا الموسيقية ، أى أننا أمام أعمال تقوم على المقالب و الطموح و محاولة تحقيق الذات.

و إذا كان المطرب فى فيلم "عفريتة هان" يحاول أن يحقق ذاته ، فإنه يرى أن الكبارية هو حلم حياته و أن ابنة صاحب الكبارية هى التى ستحقق له هذا الحلم و هو يحبها من طرف واحد ، أما هى فلا تكاد تشعر به و تسخر منه حين يطلب يدها أو حين يبوح لها بمشاعره ،و فيما بعد تستخدمه كأداة لتحقيق مآربها خاصة بعد أن صار ثريا.

و نحن هنا أمام فيلم خيالى ملئ بأجواء الفنتازيا ، قائم على "ألف ليلة و ليلة" ، فيه الحلم و التمرد و الرقص و الخيال الجامح ،و قد أتخذ الأطرش لنفسه هنا اسما كوميديا أيضا هو عصفور ،و صار اسم صديقه "بق بق" و يحلم الاثنان بأن يعملا بالفن و أن يحققا الكثير اجتماعيا ،و لاشك أن عصفور كان أكثر الناس سعادة حين ظهر له العجوز فى كهف صغير بعد أن دله على مصباح علاء الدين ، فظهرت الجنية الراقصة التى تمد عصفور بكل شئ حتى الحب ، لكن عصفور لا يحب سوى الراقصة علية التى تحب رجلا ثريا يدعى "ميمى".

و فى مقالب الإهانة التى يتلقاها عصفور من علية ، فإنه يقوم بإهانة عفريتة المصباح كهرمانة و كأنها النعمة التى حلت عليه من سماء الفنتازيا ، و بعد الكثير من الجحود و نكران الجميل فإن المصباح يضيع من عصفور فيعود إلى عالم الفقر ،و تنتزع منه مملكة الثراء التى عاش فيها بعض الوقت ليبدأ فى الإحساس بأنه أهان كهرمانة ، ثم يكتشف خطأه و يقرر أن يبدأ من جديد بعد أن عرف حقيقة مشاعر "ميمى" ،و لأن عصفور قد أصبح شخصا أفضل ، فإن العجوز يرسل له بامرأة بالجنية كهرمانة كى ترقص معه فى الأوبريت القادم.

و فى هذه الأفلام كثيرا ما يتم استهلاك الكثير من الأحداث من أجل الاستعداد للأوبريت ، فالمطلوب يبحث عن فنانة موهوبة كى تشاركه الاستعراض ،و هو لا يستطيع أن يغنى وحده. و قد تكرر مثل هذا الأمر فى

"ازاى أنساك" ،و "عايزة أتجوز" ، كما سنرى أن بعض أفلام المطرب قد صارت مجرد حفل غنائى يشدو فيه بأغنيته التى سيدخل من خلالها إلى دائرة الشهرة ، مثلما حدث فى "وعدت حبك" ثم " ماليش غيرك".

و قد ظهر فريد الأطرش بمظهر الشخص البائس البالغ الفقر الباحث عن الشهرة ، كأنما يود أن يؤكد أنه يستحق الشهرة التى سيحصل عليها ،و أن الصعود إلى أعلى سلم النجاح أمر بالغ الصعوبة ، لكنه مفتوح أمام الموهبين ،و قد بدت الشخصية التى جسدها الأطرش فى الكثير من الأفلام بالغة الفقر مما يثير السخرية ، لكنها تملك الموهبة ، فالمطلوب الفقير الذى تقابله المطربة اليائسة من الحب فى فيلم "عايزة أتجوز" يكاد يكون بلا منزل ، لعله يسكن تلك الحديقة التى جلس يغنى فيها على العود.

و هو لا يملك من الدنيا سوى ذلك العود و تلك الملابس التى توحى أنه استعارها أو شحذها من شخص لم تعد تناسبه ، كما أننا لا نعرف له أهل ولا أسرة و كأنما انتشلته المطربة من عالمه البائس كى تصحبه إلى بيتها ليصبح منزله الذى يقيم فيه لبعض الوقت. و هذا المطرب يمثل بالنسبة للمرأة منتهى حالة الضياع حيث أن اثنين من عشاقها يرفضان أن يتزوجا بها لأنها فنانة و هما من الأثرياء ،و يودها كل منهما عشيقة لا أكثر،و هى – كما تقول – صعيدية ،ولا شك أنها بلا زواج سوف يوقعها فى مشاكل مع أهلها القادمين من الجنوب من أجل تهنئتها بالزواج و بالتالى فعليها أن تتزوج بأى ثمن.

و يجد المطرب الشاب الفقير نفسه محاطا باثنين من النساء ترغبان بل و تلحان على فكرة الزواج منه مهما كان الثمن ، إحداهما المطربة و الثانية راقصة ترى فيه الرجل الذى أحبته و سافر ثم عاد إليها (فى نهاية الفيلم) ، و من خلال المنافسة بين المرأتين على قلب الشاب فإن مشاعر المطربة تنكشف و تعطيه الفرصة كى يغنى فى أوبريت ضخم ثم يشرف عليه بنفسه فى النهاية ،و عقب الحفل مباشرة يظهر الحبيب البحار الذى سيتزوج طبعا من الراقصة.

و هناك متاعب عديدة يواجهها المطرب الشاب حين يحاول البحث عن فرصة فالمطرب فى فيلم "لحن الخلود" يضطر إلى انتزاع بدلة واسعة من رجل أكثر منه طولا بعد أن تم تخديره كى يذهب المطرب إلى إحدى الحفلات الغنائية ليغنى ،و بدلا من أن يفعل ذلك يقابل من الناس بسخرية شديدة و يبدو ومظهره مضحكا.

و الفيلم بمثابة تحول إلى ألوان أخرى بدأ فريد الأطرش فى العمل بها فيما بعد ، فهو ليس كوميديا تماما. باعتبار أن الحدث لن يلبث أن يتحول إلى ماساة و خيانة و شك و ارتياب ، خاصة أن الأم ستشعر بالارتياح فى أن تنسب عملية الخيانة إلى ابنتها.

‘ذن فنحن فى هذا الفيلم أمام عمل مختلف ، سيحول المطرب إلى منحى مختلف ،و فى نفس الفترة بدأت أفلام المآسى تطل على الشاشة من بطولة فريد الأطرش ، مثل "رسالة غرام" و"عهد الهوى" و كلاهما مأخوذ عن الأدب الفرنسى ، فالفيلم الأول المأخوذ عن ماجدولين يناقش مسألة عقوق الصديق الذة يمكن أن نتصوره وفيا و منذ المشهد الأول و نحن نعرف بأن الحدوتة مليئة بالدموع و الأحزان ، فها هو أب سيزوج ابنته و رغم أغنيات الفرح "دقوا المزاهر" فإن دموع الحزن و ليست دموع السعادة تتصبب من عينى المطرب الذى سيختلى بنفسه لقراءة رسالة ارسلتها حبيبته ذات يوم قبل مصرعها ، نبدأ الأحداث فى العودة إلى الماضى و نرى كيف تعارف الحبيبان ، فهو مطرب مشهور و هى فتاة تعيش هناك ، سمعته يغنى قصيدة وسط المروج ، ثم تتنامى بينهما المشاعر العاطفية و تأتيه بين الوقت و الآخر لزيارته فى شقته مع أصدقائه.

و يبدو المطرب هنا شخصا نقيا طيبا يقدس الصداقة ،و يدفع ثمن هذا التقديس حين يختطف صديقة الذى يتصوره وفيا حبيبته منه و يتزوجها. و نحن أمام فيلم يكاد يخلو من أى أثر للضحك أو الكوميديا ، اسوة بالأعمال السابقة للممثل ، حتى لو كان هناك عبد السلام النابلسى ،و تكررت نفس أجواء الحزن و التضحية

مع فيلم "عهد الهوى" الذى تعاون فيه مع نفس الممثلة مريم فخر الدين حيث جسدت دور عاهرة لديها عشاقها تتعرف على طالب شاب يتصورها ملائكية السلوك ثم يعرف حقيقتها مما يدفع به إلى إبعادها عن عالم الرذيلة.

ولاشك أن فيلم "إنت حبيبى" هو العمل الأكثر إضحاكا فى مرحلة أفلام الوسط بالنسبة لفريد الأطرش ،و فى هذه الأفلام لم يشترط أن يؤدى دور المطرب ، بل هو مجرد جل يهوى الغناء يمكنه أن يغنى فى مناسبات خاصة ، كأن يغنى لحبيبته الراقصة حين يذهب إليها ، "مرة يهنينى" ، ثم هو يغنى دويتو ثنائى مع شادية "ياسلام على حبى و حبك" ، و بعض الأغنيات فى القطار أمام الناس ، و المرة الوحيدة التى غنى فيها فى حفل عام كان فى الختام فى أغنية "أحلف لك".

وقد جمعت الأغنيات السينمائية بين الأطرش و شريكاته ابتداء من نور الهدى و صباح و شادية ، ثم غنت مريم فخر الدين بصوت ليلى فهمى التى تكرر أداء غنائها فى أغنية "قسمة" فى فيلم "ماليش غيرك".

و قد بدت المآسى واضحة من خلال أفلام حكت قصة الأطرش نفسه كمطرب فقد حبيبته أو أصابه مرض القلب ،و ذلك من خلال فيلم "قصة حبى" و الذى امتلأ بأغنيات حزينة أعطت الإيحاء بان فريد الأطرش هو مطرب الأحزان ، مثل "سألنى الليل" ،و "قدام عنيه" ،و الغريب أن الأغنيات الحزينة فى أفلام الطرش التالية قد اكتسبت شهرة و نجاحا أكثر من أغنياته المبتهجة ،و منها على سبيل المثال "يا قلبى يا مجروح" فى "ودعت حبك" و "لو تسمعنى" فى "ماليش غيرك" و "حكاية غرامى" فى "من أجل حبى" و "عدت يا يوم مولدى" فى يوم بلا غد" و "لا وعينيك" فى "الخروج من الجنة" و "زمان يا حب" فى فيلم بنفس الاسم.

و الغريب أن الأغنيات الحزينة فى أفلام فريد الأطرش الأولى كان يتم تصويرها فى إطار مبهج ، أما أغنياته المبهجة التى غناها فى أفلامه التالية فكان يتم تصويرها فى إطار حزين مثل "تصبح على خير" و "قالت لى بكرة" و "يابو ضحكة جنان".

و كممثل ، فإن فريد الأطرش كان فى أحسن حالاته فى أدواره الكوميدية ،و لعله نجح فى الأغنيات الحزينة لكن ذلك جاء على حساب قدراته الفنية فى أفلام احتاجت إلى مطرب يجيد التمثيل ،و بدأ الأطرش أشبه بالدمية الحية فى بعض الأفلام مثل "الخروج من الجنة" و "الحب الكبير" و لعل وطأة المرض أثقلت عليه. لكن يمكن القول بشكل عام أن فريد الأطرش صنع ظاهرة خاصة فى السينما الغنائية و أفلام الكوميديا الاستعراضية.. و يكفى أنه عمل فى أكثر من ثلاثة و عشرين فيلما مع اثنين من أبرز من صنعوا هذا النوع من الأفلام: أحمد بدرخان و هنرى بركات.

صورة
فريد الأطرش و مريم فخر الدين فى "يوم بلا غد"

الفصل السادس
حسين فوزى

هناك أسماء بعينها صنعت مجد السينما الغنائية الاستعراضية و صبغت هذه السينما بصبغتها الخاصة و حولت الأفلام إلى حالة من الغناء الاستعراضى ، فراح أصحاب الاسماء يبحثون عن المواهب و يقدمونها إلى الناس فى أحسن صورة.

من هذه الأسماء الأخوين حسين فوزى و عباس كامل. و الأول أكثر موهبة و له عطاء أطول ،و قد ارتبط ظهور أفلام الغناء و الاستعراض بوجوده ،و ظل مخلصا طيلة حياته لهذا النوع من الأفلام لا يخرج سواها إلا قليلا ، فى الوقت الذى رأينا فيه بقية الأسماء الأخرى تبتعد و تقترب من إخراج الأفلام الغنائية و

الاستعراضية كلما تيسر الأمر ،و منهم على سبيل المثال محمد كريم ،و أحمد بدرخان ،و نيازى مصطفى ،و بركات. إلا أن كل من حسين فوزى و عباس كامل و أيضا حلمى رفلة كانوا أشبه بالمطرب نفسه ، فهو إذا ظهر فى فيلم ما دون أن يغنى بدا كأنه طائر بلا ريش أو أجنحة (إلا فى استثناءات قليلة مثل شادية) و لذا فإن عليه أن يغنى مهما كان الثمن.

و بالفعل فقد كان على حسين فوزى أن يجعل السينما تغنى ،و فى أكثر الأحوال وسط استعراض ضخم لا يحتاج فقط إلى موهبة مطرب أو فنان استعراضى ، بقدر ما هو فى حاجة إلى كاتب أغانى متميز و ملحن بارع فى هذا النوع من العمل ،و إلى مجاميع استعراضية و أيضا إلى قدرة على تحريك هذه المجاميع و تصميم الرقصات.

و حين فوزى كان حالة ، ليس فقط بالنسبة لفنه ، بل بالنسبة لأخيه عباس كامل الذى جاء من بعده ،و أيضا مثل شقيقه الأكبر أحمد جلال الذى سبقه ، فهو مؤف نصوص أغلب أفلامه ؛ يكتب لها السيناريو و الحوار ، و أحيانا الأغنية و قد يشرك آخرين معه لكنه دائما المؤلف و المخرج. و قد جاء فوزى فى زمن مجد بدايات الفيلم الغنائى حيث يمكن لفيلم لمحمد عبد الوهاب أو أم كلثوم أن يحقق إيرادات و نجاحات عالية ، لكنه لم يحاول الاستفادة من نجاحت المطربين المعروفين لتقديمهم فى السينما ، بل حاول صناعة نجومه الجدد الذين عملوا معه من فيلم لآخر حتى استقر به المقام الأخير على نعيمة عاكف.

و المخرج هو الذى قدم للسينما كل من محمد فوزى و سعد عبد الوهاب ،و فايزة أحمد ،و ضياء و نذا القادمين من سوريا و جعل عزيزة أمير تغنى فى أول أفلامه من ألحان حسن مختار صفر فى فيلمه الأول "بياع التفاح" ١٩٣٩.

إذن ، فقد وضع المخرج عينيه منذ الفيلم الأول على الغناء ،و لا شك أن الموضوع الذى اختاره لفيلمه الأول يصلح للسينما الغنائية ،و كم تحول فى السينما العربية و العالمية إلى عمل غنائى ، فهو مأخوذ عن "بيجماليون" حيث يراهن شا ثرى زميلا له أنه سينجح فى تحويل بائعة التفاح إلى فتاة أرستقراطية تمارس الحياة الاجتماعية الراقية و ينجح فى ذلك.

و نحن نعترف أن المراجع التى بين أيدينا قليلة فيما يختص بالأغنيات التى شدا بها أبطال الفيلم ، لكن حسين فوزى بدا كأنه قد وضع عينيه على أن يجعل أبطاله يغنون فى أفلامه ، سواء كانوا من محترفى الغناء أم لا.

و قد توقف فوزى عن العمل ثلاث سنوات كى يعود فى عام ١٩٤٢ بثلاثية أفلام غنائية هى "أحب الغلط" الذى كتب له القصة بديع خيرى ،و عاد للتعاون مع عزيزة أمير و محمود ذو الفقار اللذين كتبا له قصة فيلمهما الثانى "ليلة الفرح" و قدم فيلما باسم "بحبح فى بغداد" عن قصة و حوار بديع خيرى.. و الملاحظ أن هذه الأفلام الثلاثة خلت من مطربين ، لكن الفيلم الأول غنت فيه الراقصة تحية كاريوكا التى تقوم بدور راقصة ينشأ بينها و بين مخرج استعراضى خلاف و شجار لكن المخرج يحتاج إليها من أجل القيام ببطولة فيلمه الجديد.

أما الفيلم الثانى فهو عن ممثل مسرحى يتباهى بخيانته أمام صديقه المؤلف المسرحى ،و هو يدور أيضا فى نفس عوالم المسرح و الاستعراض و ينتهى بإقامة عمل مسرحى يلقى قبولا لدى لناس. و يتضمن فيلم "أحب الغلط" أربع أغنيات أثنتان غناء تحية كاريوكا و كلمات بيرم التونسى و أحان فريد غصن هما "الفن الفن" ،و "يا كم كم كم" ، أما الأغنيتان الأخريتان فهما من كلمات عبد العزيز سلام و ألحان عبد الحليم نويرة، الأولى "رثاء كليوباترة" غناء آمال حسين ،و الثانية "رقصة الشيشة" غناء عبد الرحمن فوزى.

أما الفيلم الثالث "بحبح فى بغداد" فهو عن الأسطى بحبح الحلاق الذى يعيش فى مدينة بغداد ، الذى يشير على أحد عملائه أن يزوج ابنه المريض فاشترى له الجارية بدور التى عرفت أن سبب المرض أن الابن قمر الدين يحب شمس النهار ابنة القاضى ،و قامت بدور الوسيط لدى الحبيبة بعد أن دخلت بيت القاضى عقب أن اقترحت على سيدها أن يقوم باهدائها إلى القاضى.

و نحن بالطبع أمام كوميديا غنائية ،و قد قامت بالغناء هنا بطلة الفيلم حورية محمد و هى لم يرد اسمها فى موسوعة الغناء المصرى الحديث التى أعدها محمد قابيل ، كما اشترك فى الغناء محمد الكحلاوى الذى لحن بعض هذه الأغنيات ،و أيضا سعاد زكى. و من هذه الأغنيات الخمس" "وداع سعاد" و "بدور تلاعب بحبح" و "غنوة النار" و "قف يا مراكبى" ،و كما نرى فإنها قصائد غنائية.

أى أن حسين فوزى لم يراهن منذ البداية على المطربين المشهورين ،و جعل أبطال أفلامه الأقل شهرة فى بدايات حيواتهم الفنية هم الذين يغنون ،و لم يحد عن هذه المسيرة طيلة حياته ، حيث لم يراهن على الجواد المضمون ، بل هو الذى صنع الجواد. فمن المعروف أن الكحلاوى قد صار فيما بعد أحد نجوم الطرب الكبار،و قام ببطولة أفلام غنائية عديدة بعد أن كان مجرد مشارك بالغناء فى مشاهد عابرة من الأفلام فى تلك الرحلة ، مثل أغنيته فوق الساقية فى فيلم "على مسرح الحياة".

و الجدير بالذكر أن حسين فوزى هو أول من راهن على إسماعيل يس فى فيلمه الأول ، ثم سنراه يدفعه إلى عالم الغناء عام ١٩٤٤ فى فيلم "نادوجا" ،و هو هنا يراهن على محمد البكار فيعطيه دور البطولة أمام تحية كاريوكا و يدفعهما الاثنين معا إلى الغناء فى فيلم تضمن ست أغنيات أدى منها البكار وحده أغنية القافلة "السفر" ، تأليف بيرم التونسى ،و غنى البكار مع تحية كاريوكا "الوليمة" كلمات التونسى ، "و الحريق" و هى من كلمات أبو السعود الإبيار. أما إسماعيل يس فقد ألقى مونولوج غنائى باسم "و أنتم هنا نايمين".

و ألحان الفيلم كلها من ألحان البكار ، إذن فقد راهن حسين فوزى على بطله الذى عمل لفترة طويلة فى السينما بين بطولات سينمائية و بين أدوار صغيرة كمغن شأنه شأن الكثير من الذين عملوا بالطرب فى السينما ،و قصة الفيلم غريبة كاسحة فنادوجا هو اسم فتاة ضاعت وسط الأدغال كان عليها أن تعود إلى المدينة بواسطة مراد أحد الرحالة من أجل الميراث ،و لكن الوارثين اختطفوها يوم وصولها و هو يوم الحكم لهم بالميراث ، فأخذ مراد فى البحث عنها و لم يبق على موعد الجلسة سوى دقائق. و القصة كما نلاحظ قريبة من فيلم "إسماعيل يس طرزان" ١٩٥٨ ، الذى تم إخراجه فى إطار غنائى.

و حسين فوزى هو أكثر من استفاد من تحية كاريوكا كراقصة استعراضية يمكن لصوتها أن يكون مقبولا، فعاد للتعاون معها مجددا فى "أحب البلدى" عام ١٩٤٥ ، الذى دارت قصته فى إطار تقليدى عن علاقة الحب بين شربات ابنة الأسطى إبراهيم ،و بين عادل ابن الباشا. ولاشك أن هناك متاعب تقابل هذا الحب تتخللها أغنيات و استعراضات حتى يتزوج الحبيبان فى النهاية ، كما قامت تحية كاريوكا ببطولة فيلم "الصبر طيب" الذى عرض فى نهاية نفس العام و للمرة الأولى يتعاون المخرج مع مطرب مضمون معروف كمطرب هو إبراهيم حمودة. و تحية كاريوكا هنا هى راقصة تعمل فى أحد مسارح روض الفرج و هى تحب شابا بينهما جريمةقتل حيث أتهم أبوها بقتل أبيه ، لكن لا تلبث الحقيقة أن تتضح ببراءة والد الراقصة.

و فى نفس السنة التالية ١٩٤٦ عاد المخرج للتعاون مع حورية محمد و محمد الكحلاوى فى فيلم "يوم العالى" ، لكنه بدأ يراهن على المطربة الصغيرة القادمة من لبنان ، صباح ، التى نجحت مع بركات قبل عام فلا فيلم "القلب له أحكام" و راح يتعاون معها بشكل مكثف بدا كأنه قد وجد اكتشافه الأول الذى يمكن أن يتعاون معه لأفلام عديدة بديلا عن تحية كاريوكا ، فقدمها فى خمسة افلام هى "أكسبريس الحب" ١٩٤٦ ،و "لبنانى فى الجامعه" ١٩٤٧ ،و "أنا ستوته" ،و "صباح الخير" ١٩٤٧ ، ثم "بلبل أفندى" ١٩٤٨. إلى أن أتيح له فى عام ١٩٤٩ أن يكتشف نعيمة عاكف.

و قد حاول حسين فوزى الاستفادة من ظاهرة نجاح اللبنانيين فى مصر ، فبدأ فى عمل أفلام تدور بين لبنان و مصر و جمع بين صباح و محمد سلماون فى "لبنانى فى الجامعة" ،و كان لابد للغناء اللبنانى أن ينتشر فى الصالات. و فى فيلم "أنا ستوتة" غنت صباح من ألحان زكريا أحمد و رياض السنباطى و فريد غصن ،و فى هذا الفيلم عملت صباح فى دور ستوتة الفقيرة التى تعمل فى الفن و التى يبحث عنها جدها كى ترث ثروته بينما تعمل فى مسرح متجول ،و يستدل الجد فى بحثه عن مكان الحفيد ،و يذهب إلى الفرقة التى تقدم له فتاة أخرى على أنها ستوتة من أجل ابتزاز ماله ،و يتبادل الجد و الحفيدة المزيفة كثيرا من المقالب الفكاهية ،و أخيرا يتعلق الجد بالحفيدة المزيفة بينما يلمع اسم ستوتة و يتم اكتشاف الحقيقة و يحتفظ الجد فى بيته بكل من ستوتة و حفيدته المزيفة التى أحبها.

و قد جمع حسين فوزى بين صباح و محمد فوزى و شكوكو فى فيلم "صباح الخير" ، الذى غنت فيه صباح من ألحان محمد فوزى ،و الغريب فى هذا الفيلم أن فوزى قد غنى بلهجة لبنانية أغنية "عا مصر يا مشتاق".

عا مصر يا مشتاق... غنى بغرامك هون
و أروى قلب خفاق... بيهوى عروس الكون
عامصر يامشتاق
شطيكى ضموا النيل... عا صدركى سلسال
عاش ما شبع تقبيل... و الدمع فاض به و سال

و قد كان حسين فوزى يؤمن أن السينما الغنائية الاستعراضية لا تحتاج لقصص مركبة ، بل يجب أن تكون تقليدية مكررة اعتاد الناس مشاهدتها ، لكن المهم أن تكون الأغنيات و الاستعراضات جديدة ،و كان يرى أن أبطال هذه السينما لابد يكونوا من أبناء عالم الفن و أن يعيشوا فى عالم الاستعراض و المسرح و السينما. ففى "بلبل أفندى" هناك ممثلة تدعى كواكب تترك البلاتوه أثناء تصوير فيلمها ، فهى امرأة تتسم بعنجهية و صلف ، مما يدفع بالمخرج أن يستعين بشبيهتها اللطيفة بطة ،و هى فتاة فقرة و تخفى الأمر على خطيبها بلبل أفندى. تقرر كواكب السفر مع عشيقها و تبوح لزوجها الذى يصاب بنوبة قلبية. تشفق عليه ابنته و تطلب من بطة أن تقوم بدور الزوجة فتوافق بطة و تدعى له الندم حتى تتحسن أحواله.

و الفيلم ملئ بالأغنيات الثنائية و الفردية بين الأطرش و صباح مثل "أنا بلبل" و غيرها. و من اللواضح أن تغيرا واضحا قد طرأ على نوع الأفلام التى يكتبها حسين فوزى و يخرجها بعد أن أكتشف نعيمة عاكف من السيرك و بدأ كأنه يقدم فى أفلامه التالية مسألة اكتشافها أو صعود فنانة استعراضية من عالم الفقر و الطموح إلى أن تحقق جلمها.

و فى فيلمه الأول مع نعيمة عاكف اكتشف المخرج نجما آخر فى عالم الغناء هو سعد عبد الوهاب فقدمهما معا فى "العيش و الملح" و توج الفيلم بنجاح منقطع النظير من خلال الموهبة الجديدة التى ترقص ،و غناء سعد عبد الوهاب الذى غنى لحارة العيش و الملح. نحن هنا إذن لسنا فى عالم الأثرياء ،و الذين يغنون ليسوا سكان القصور الفخمة مثلما نرى فى أفلام كريم و بدرخان ، بل أن الفقراء سكان الحارات هم الذين يغنون معا و يرقصون. و من بين هؤلاء فتاة تطمح فى أن تحقق مكانة فى عالم الغناء و الاستعراض فتذهب إلى صالات الاستعراض و تترك حبيبها الموظف ،و الذى يصدم لهذا السلوك.

لكن يتضح أن الفتاة تعرضت لظروف خاصة بأسرتها ،و هنا يتضامن أهل الحارة معا فى سبيل التغلب على مصاعب الحياة التى تتعرض لها التاة و لكنهم لا يستطيعون معها سبيلا. أما الشاب فيتعرض لبعض المتاعب فى عمله و تقف حبيبته إلى جواره و يتزوجان.

صورة
حسين فورى و نجمته المفضلة نعيمة عاكف

أما الفيلم الثانى لحسين فوزى و نعيمة عاكف فيرى سامى السلامونى أنه يظل أشهر أفلام "نعيمة عاكف" و أنجحها على الرغم من أنه فيلمها الثانى الذى أخره حسين فوزى بمجرد الاستقبال الجيد من الجمهور لأول أفلامها "العيش و الملح".

و قد امتلأ الفيلم هنا بالغناء ، ليس فقط من قبل نعيمة عاكف ، بل أيضا عبد العزيز محمود الذى اكتفى هنا بالغناء. و إلهام بطلة الفيلم هنا هى فتاة استعراض ترقص و تغنى و تقوم بحركات أكروبات فى فرقة غنائية صغيرة ، يقسو عليها صاحب الفرقة حنفى الذى التقطها و هى صغيرة و تولى تربيتها ،و تكتشف أنها حفيدة باشا عليها أن تتنكر كى ترضى جدها الذى لا يحب ذرية البنات و تذهب إلى جدها ليعترف بها و تقيم و معه. إلا أن حنفى لا يعجبه ابتعادها فيحاول ابتزازها و إلا فضح أمرها للباشا الكبير جدها الذى يعرف أنها ولد و ليست بنت. يتفهم حبيبها أمين سر تنكر إلهام و يسايرها فى تنكرها بينما يضغط عليها حنفى كى تعمل راقصة فى صالة و يراها جدها فيقع فى غرامها و تبدأ المنافسة عليها بين الباشا و بين أمين حتى يكتشف الحقيقة و يعرف أنها حفيدته و ليس حفيده و يتغير موقفه.

و عن أسلوب حسين فوزى فى إخراج الأغنية فى هذا الفيلم ، كتب سامى السلامونى فى مجلة "فن": "يغنى عبد العزيز محمود وحده و تكتفى نعيمة عاكف بالرقص فقط هذه المرة.. و هنا يلجأ حسين فوزى أيضا إلى حل سينمائى ليس قابلا للتنفيذ فى أى كبارية ، حيث تدخل الكاميرا زووم على كرة ما أمام المطرب تخرج منها بطريقة الديزولف نعيمة عاكف و هى ترقص. ثم يلجأ لحيلة سينمائية أخرى حين يكرر صوتها أكثر من مرة فى الكادر نفسه (بالطبع المزدوج).. ثم تنتهى الرقصة كلها بالمعركة التى لابد أن يحطم فيها مختار حسين الكبارية كله عل رؤوس من فيه.

و بهذين الفيلمين بدأت مرحلة نعيمة عاكف حسين فوزى فى السينما المصرية ، فكان على المخرج أن يتزوج من نجمته الشابة التى تصغره سنا و أن يحتركها عمليا فلا تعمل مع أى فنان آخر إلا بإذن منه و كأنها إعارة مثلما حدث حين عملت مع أنور وجدى فى "أربع بنات و ضابط".

و كأنه وجد ضالته فراح يعمل بلا توقف ،و فى عام ١٩٥٠ فقط عرضت له أربعة أفلام ، هى "بلدى و خفة" ، الذى أعاد فيه سعد عبد الوهاب للعمل أمام نعيمة عاكف و استعان مجددا بعباس فارس ، ثم "أختى ستيتة" الذى قامت ببطولته صباح و سعد عبد الوهاب ،و "بابا عريس" مع نعيمة عاكف و شكرى سرحان ثم "سيبونى أغنى" مع صباح و سعد عبد الوهاب أيضا.

إذن من أسماء الأبطال نكتشف أن المخرج قد احتفظ دوما بنجومه من فيلم لآخر ، ليس فقط سعد عبد الوهاب ، بل أيضا شكرى سرحان.... و حول فيلم "لهاليبو" كتب سامى السلامونى: "و لأن حسين فوزى كان أحد القلائل المتخصصين و الفاهمين لطبيعة الفيلم الاستعراضى ، فلقد كتب القصة و السيناريو بنفسه حول الخط البسيط و الكوميدى الذى يسمح بأكبر عدد من الرقصات و الأغانى لنعيمة عاكف ، ثم ترك كتابة الحوار و الأغانى لحسين توفيق الذى أعترف بأننى لا أعرفه شخصيا ربما لندرة اسمه فى الأفلام ، لكنه يفاجئنا بمستوى ساخر و لاذع فى الحوار الكوميدى لا يقل عن مستوى كلمات الأغانى و الأقرب إلى السخرية هى أيضا. و هو كمؤلف يدهشنا بهذا الحدس الساخر الذى يذكرنا بأفضل كتاب الكوميديا السينمائية مثل أبو السعود الإبيارى و بديع خيرى ،و فتحى قورة. يتقاسم ألحان الفيلم المرحة و المنوعة و الرشيقة كل من على فراج و عزت الجاهلى و أحمد صبرة ، إضافة إلى لحن واحد لعبد العزيز محمود يغنيه المطرب الشاب – آنذاك – محمد قنديل بصوته فقط على صورة شخص آخر.

"و الألحان بمجموعها جميلة جدا و سينمائية فعلا – بمعنى ملاءمتها للحركة و ليس التطريب – تتراوح بين أغنية كوميدية يغنيها حسن فايق بصوته. و استعراض "تاهيا" الذى يدور فى أجواء جزر هاواى بملابسها و إيقاعتها الحارة السريعة. فعلى هذا المستوى كان طموح السينما العربية فى مصر منذ أربعين سنة".

و قد ظل حسين فوزى يصنع أفلامه مع نجمته على هذا المنوال ،و بدا بالغ النشاط بعد أن ضالته ، فقدم فى عام ١٩٥١ فيلمه "فرجت" ،و "فتاة السيرك" ، ثم قدم بوليسيا عام ١٩٥٢ لا يخلو من الاستعراض هو "النمر" عام ١٩٥٢ ثم قدم "ياحلاوة الحب" كواحد من أجمل أفلامه على الأطلاق ؛ ثم "جنة و نار" أمام عبد العزيز محمود. و فى عام ١٩٥٣ قد "عفريت عم عبده" ،و "مليون جنيه" و "حلاق بغداد" عام ١٩٥٤. و عاد مرة أخرى إلى الفيلم الاستعراضى من خلال "عزيزة" التى جسدت فيه نعيمة عاكف شخصيتين هما لأختين متناقضتين.

و ابتداء من عام ١٩٥٥ ، بدأ حسين فوزى يعمل بدرجة أقل فيلما واحدا كل عام ،و خرج إلى منطقة دمياط حيث يعيش الصيادون فى فيلمه "بحر الغرام" الذى يدور أيضا فى أجواء الفن حول فنان يزور منطقة الصيادين ،و يكتشف موهبة فتاة و يدفع بها إلى الذهاب للعاصمة كى تصبح نجمة مشهورة ،و وسط متاعب تعانيها الفتاة مع حبيبها أمين الذى أصابه المرض ، فإن الفتاة تقرر العودة مرة أخرى إلى المكان الذى جاءت منه كى تتزوج من حبيبها.

و توتة هنا هى إحدى الفنانات اللائى عدن إلى حياتهن الاجتماعية الأولى ،و اكتشف أنها أسمى من الفن بعد فيلم "حبيب الروح" لأنور وجدى ،و قد غنت نعيمة عاكف هنا ثلاث أغنيات كتبها عبد الفتاح مصطفى و لحن منها كمال الطويل "الريح نادى".

الريح نادى و الموج هادى و الرزق حلال
بالطراحة مش بالراحة يابو عبد العال
رزقنا فى الغيب ولا هوش فى الجيب طازة بطازة
عندى السمكة جوه الشبكة ولا المازة

و من ألحان أحمد صدقى غنت "سهارى الليل" التى تقول فى الكوبليه الأخير منها:

مسكنا البحر فوق موجه بنينا دار
على بيتنا و عشنا فيه مالينا جار
بنات الليل تقول هالبيت ماله نهار

و فى عام ١٩٥٧ قدم "تمر حنة" الذى انتقل فيه إلى أجواء الغوازى. و تمر حنة هنا غازية ترقص ، أما الغناء فقد راهن فيه المخرج على مطربة جديدة هى فايزة أحمد القادمة من سوريا فغنت هنا واحدة من أشهر أغنياتها:

يا أمه القمر ع الباب نور قناديله
يا أمه أرد الباب ولا أناديله

كما غنت فى مكان آخر من الفيلم أغنية "ياتمر حنة.. الورد كله ... ملا الجناين.. اشمعنى إنتى اللى شارده منا". و قد كتب "ابن زيدون" فى مجلة الكواكب – ١٣ أغسطس ١٩٥٧ – أن الفيلم قدم فايزة أحمد فى "دور غجرية تغنى و تتآمر مع أخيها. و قد غنت فأطربت ،و لكنها كانت تسرف فى تحريك وجهها و عينيها أمام الكاميرا. و لو تعلمت كيف تضع على وجهها قناعا هادئا و تحد من تحريك رموشها بعصبية و هى تغنى لكان نجاحها مؤكدا فى هذا الفيلم".

و كم أشرنا فى بداية الحديث أن حسين فوزى ظل يخرج الأفلام الغنائية الاستعراضية حتى فى فيلمه الأخير مع نعيمة عاكف "أحبك يا حسن" و هو أحد أضعف أفلامه الاستعراضية و قد كتب ناقد جريدة الشعب فى أول مايو ١٩٥٨: أنه فيلم استعراضى يعتمد على الفكاهة و الأغنية و الرقصة الفردية و الرقصة الاستعراضية ؛ محاولة لتقليد ما اعتبر نجاحا لفيلم "تمر حنة" و هذا عيب من عيوب السينما عندنا. أدت نعمية عاكف كراقصة أداء ممتازا".

و بعد انفصاله عن نعيمة عاكف راح يراهن على نجوم طرب آخرين مثل شريفة فاضل التى ظهرت فى أفلام متناثرة قبل ذلك ، ثم وضعها سيد بدير للبطولة فى فيلم "ليلة رهيبة" عام ١٩٥٧ ،و فى فيلم "مفتش المباحث" ١٩٥٨ ، غنت شريفة فاضل ثلاث أغنيات ، اثنتان منها من ألحان بليغ حمدى ،و الثالثة من ألحان سيد مكاوى ،و الأغنيات هى "الله ع الدنيا" ، "اللى ع الجبين" ،و "يابنى يا ضنايا" من ألحان بليغ حمدى و كلمات محمود فهمى إبراهيم التى تقول فيها:

يحرسك ربى يا بنى يا ضنايا.. ياحتة من قلبى عايشة ويايا
لما بتقولى ماما من قلبك.. بأنسى الدنيا و أفتكر حبك
ياحبيب قلبى يا بنى يا ضنايا

و فى عام ١٩٦٠ قدم حسيين فوزى زوجته اتلجديدة ليلى طاهر كبطلة لفيلم "ياحبيبى" الذى غنت فيه ندا مع جمال (الثنائى السورى) بعض الأغنيات الدويتو ،و فى عام ١٩٦٢ قدم فوزى فيلمه الأخير "حلوة و كدابة" الذى غنت فيه مها صبرى ؛ و فيه جسدت دور منى ذات الصوت الجميل التى تزعم لأمها أنها تعمل ممرضة بينما تعمل فى مسرح غنائى و تغنى فى الفيلم عددا من الأغانى. و قد عرض الفيلم بعد وفاة مخرجه و حوله كتب فريد المزاوى فى النشرة التى يصدرها باللغة الفرنسية عن السينما المصرية "فى هذا الفيلم عاد المخرج إلى حبه الأول و لم تمارس مها صبرى سوى الغناء و راحت نجوى فؤاد تملأ العالم بالرقص".

صورة
نعيمة عاكف فى مشهد من أفلام حسين فوزى الغنائية

الفصل السابع
القادمون من لبنان
نور الهدى
نجاح سلام

استقبلت السينما الغنائية المصرية دوما الفنانين البارزين القادمين من الدول العربية الأخرى خاصة لبنان،و قد كانت لبنان دوما بمثابة مورد طيب للغناء و أيضا للأفلام الغنائية سواء من النساء أو الرجال.

و قد كان السؤال المطروح فى بعض الأحيان.. لمن سيغنى هذا المطرب القادم ، هل سيغنى للمصريين أم للعرب، أم لأهله فى لبنان؟ و اختلفت الإجابة و الردود ، فهناك الكثير من الطربين الذين اقتربوا من المصريين فغنوا لهم بلهجتهم باعتبارها قد صارت محببة إلى العرب من خلال عشقهم للسينما ،و غنى البعض الآخر بالاثنين معا حسب الموقف.

و الأسماء كثيرة فى الطرب و الغناء الذى انتقل إلى الناس عبر الأفلام ،و لكننا سنتوقف هنا عند نموذجين، هما نور الهدى و نجاح سلام ، حيث سرعان ما تلقفتهما السينما و قدمتهما لعدة سنوات فى تجارب سينمائية عديدة. و نحن لن نتوقف عند نجاح واحدة أو استمارا رحلتها و لكننا سنحاول كما هو مادة ما نقدمه عن السينما الغنائية ، قراءة ما قدمته كل منهما إلى خريطة الغناء فى السينما.

كانت نور الهدى بلا شك هى الأكثر شهرة من بين من جئن و عملن فى السينما ، صحيح أن الساحة الفنية فى تلك الفترة و ما قبلها قد امتلأت بالراقصات و المونولجست القادمين من جبال الأرز ، لكن السينمائيين وضعوا عيونهم منذ اللحظة الأولى على نور الهدى ، و خاصة يوسف وهبى الذى قدمها فى بطولة مطلقة فى فيلمه "جوهرة" ١٩٤٣ ،و ذلك بعد أن التقى بها فى حلب فأعجب بها و وجد فيها مواصفات النجمة السينمائية صوتا و شكلا ، فاصطحبها إلى القاهرة و سرعان ما دفع بها إلى البلاتوهات.

و قصة الفيلم تدور فى عالم الغناء و الموسيقى ،و بدا المؤلف يوسف وهبى يريد أن يضع فى إطار الموسيقار صانع المجد الأخرين ،و هو دور طالما قدمه فى السينما و بدا كأنه يحبه ،و الموسيقار هنا هو سمير الذى سمع عن حبيبته سميرة إشاعات فأخذ يشك ، إلى أن فاجأها يوما بين ذراعى عشيق فذهل و غادرها فاقد الشعور فذهب إلى المسرح ، فإذا بحبيبته تجلس مع عشيقها بأحد الألواج ، فترك المسرح و أصر على الانتحار ؛ و إذا به يسمع صوتا شجيا من فتاة رثة تمنعه من الانتحار فيكرمها و يأخذها إلى منزله. و بدأ فى تعليمها أدوار أوبريت يزمع إخراجها و لكن عطيات الممثلة الأولى بالفرقة و التى كانت عشيقته السابقة تعلم أنه لم يمت كما أشيع فيعاهدها الكتمان ،و لكن غيرتها من الفتاة الجديدة جعلتها تتهمها بالسرقة.

تهرب الفتاة ، لكن لا يلبث الموسيقار أن يطرد عطيات التى تشهر به ،و يعرض عليه أحد الأغنياء أن يستأنف العمل مشترطا أن تكون صديقته بطلة القصة فيوافق سمير ،و لكن الأخيرة تغازل سمير فيصفعها و تصر على رفض العمل ، يجن الثرى وتشاء الظروف أن يقابل فتاة متشردة فيطير فرحا و يذهب إلى المسرح. إنها نفس الفتاة التى لا تزال تحفظ الدور و تتذكره ،و بعد نجاحها على خشبة المسرح يذهب كى يهنئها فى حجرتها فإذا بها بين أحضان رجل آخر ، لا يلبث أن يعرف أنه أخوها.

و قد غنت نور الهدى هنا مجموعة من الأغنيات توجنها كمغنية ذات صيت واسع ، مما دفع بيوسف وهبى مجددا أن تعمل معه فى فيلمها الثانى "برلنتى" ، هذه الأغنيات هى "ياأوتومبيل" و "ياريت كل الناس فرحانة" و "لحن التتويج" من تأليف بيرم التونسى و ألحان رياض السنباطى ، ثم "يانا يا وعدى" من ألحان فريد غصن ،و لحن "راعية الغن" من ألحان محمد الكحلاوى.

إذن فقد استأثرت المطربة الجديدة وحدها بالغناء ،و قد كشفت منذ اللحظة الأولى عن خفة ظل و حضور و قوة صوت ،و تقول نور الهدى عن ذكرياتها مع هذا الفيلم فى مذكراتها التى نشرتها مجلة "الكواكب" ١٩٥٣: "فى المساء شاهدت العرض مع الممثلين. إنى أعتبر هذه الليلة أعظم ليالى حياتى ، فقد أصم تصفيق الجماهير أذنى... و وجدتنى فى شبه غيبوبة من الفرح و البهجة.. كان نجاحا لا أحلم به ولا يحلم به واحد ممن عملوا فى الفيلم ،و كانت هذه الليلة هى الفاصلة فى حياتى ، فد قفز اسم الكسندر بدران إلى القمة تحت حروف جديدة مجموعها "نور الهدى".

إذن فقد كان على يوسف وهبى أن يستثمر نفس النجاح و يكتب قصة فيلمهما الثانى باسم "برلنتى" ،و يدفع التونسى إلى كتابة الأغنيات التى تناسب الفيلم ، ثم يستعين بالسنباطى و محمد القصبجى و الكحلاوى من أجل كتابة الألحان.

و دارت الأحداث فى أجواء موسيقية أيضا ، فبرلنتى تضطر للعمل كمطربة فى صالة رقص من الإنفاق على أمها المريضة بعد أن مات أبوها. يتعرف عليها سامى المحامى فوجد فيها نبل و إخلاص و يتزوجها ،و

لكن لا يلبث سامى أن يتعرف على امرأة تحبه و تساعده كى يواصل طريقه ، فتمثل عليه دور أنها خائنة مما يدفع بالزوج لطردها ،و يتزوج بسميحة. ينشر الخطيب السابق لسميحة عباس مذكرات عن برلنتى و يهدد سميحة خطابات كانت تبادلتها و إياه.

و فى ساعة غضب تقتل سميحة عباس ،و فى نفس الوقت تأتى برلنتى إلى عباس حتى لا ينشر ما يريد فى الصحف عن سميحة فتجد أن خطيبته السابقة قد قتلته ، فتريد أن تبرئها و تعترف أنها القاتلة ، لكن سميحة تعترف بالحقيقة أمام المحكمة ثم تموت. و تختفى برلنتى مما يدفع بسامى إلى البحث عنها و إعادتها إلى بيتها و ولدها.

و قد غنت نور الهدى ست أغنيات هى "ياحمام نوحى" و "الأم" و "الجامعة" و "الصالون" و كلها من ألحان رياض السنباطى ، أما "الفلوكة" فهى من ألحان القصبجى ،و قام محمد الكحلاوى بتلحين أغنية "السجن" كما لحن لنفسه الأغنية الوحيدة التى غناها فى السجن و هى بعنوان "جمال الليل" و كتبها عبد العزيز سلام.

و فى أحاديث و مذكرات نور الهدى أن الخلافات تولدت بينها و بين يوسف وهبى بعد الفيلم الأول ، لكنها عملت معه فى الفيلم الثانى بناء على العقد الموقع بينهما ، لذا فإن يوسف وهبى قد وقف بجانب المطربة اللبنانية الجديدة صباح عندما مثلت أمامه فى فيلمها الأول "شمعة تحترق" عام ١٩٤٥ ،و بدأ كأنه يراهن عليها بشدة ، أما نور الهدى فكان عليها أن تستثمر نجاحها مع مخرجين آخرين و أن تعمل بشكل مكثف فى السنوات التالية فى السينما.

كان على نور الهدى أن تعمل مع نيازى مصطفى فى فيلمها الثالث "الآنسة بوسى" ،ز هو يتضمن القصة التى قدمها فطين عبد الوهاب لنجاة الصغيرة ١٩٦٨ ، باسم "٧ أيام فى الجنة" ، ففوزى باشا يدعى الإفلاس و يختار مسكنا شعبيا متواضعنا من أجل أن يتأكد أن من يتزوج ابنته يختارها لشخصها و ليس لمالها ،و يتجول الاثنان فى الشوارع عازفين على البيانو بينما تغنى ابنته. يجمع الحب بين ابنته و شاب من عائلة ثرية و يبارك الباشا هذا الحب ، إلا أن عائلة الشاب ترفض الارتباط بفتاة الشارع و الفقر و عازف البيانو ، يتمسك الشاب و يدرك الباشا أنه عثر على زوج لابنته غير طامع فى ثروته.

يعلن فوزى الحقيقة و يعود إلى قصره ،و بعد مفارقات الدهشة بين الشاب و عائلته و بين الباشا و ابنته الآنسة بوسى ابنة فوزى باشا بمن تحب.

و قد قام بالبطولة أمام نور الهدى محمود ذو الفقار ، لكن من الأفضل دوما للمطربة أن تعمل أمام مطربين أمثالها ،و إذا كانت قد قامت بالبطولة المطلقة أمام محمد فوزى فى "مجد و دموع" عام ١٩٤٦ ، فإنها وصلت إلى قمة مجدها أمام عبد الوهاب فى "لست ملاكا" لمحمد كريم ،و فى عام ١٩٤٧ ، عملت أمام أحمد سالم فى فيلم "المنتقم" لصلاح أبو سيف ، ثم وقفت فى نفس السنة أمام حسين صدقى فى فيلم من إخراجه باسم "غدر و عذاب" ،و أمام محمد فوزى فى فيلم "قبلنى يا أبى" لأحمد بدرخان و هو فيلم الذى كتبه أبوها نقولا بدران.

و قد غنت نور الهدى هنا من كلمات محمد الحناوى و لحن الأغانى كل من عبد العزيز محمود و السنباطى و عزت الجاهلى ،و ذلك فى إطار قصة الفتاة التى يقف أبوها حائلا بينها و بين الشاب الذى يحاول أن يغرر بها موهما إياها أنه يحبها. يستمر الشاب فى مطاردة الفتاة و هى تشيح عنه فيلاحقها بالمكالمات الهاتفية ،و عندما يحس أنه لا جدوى من محاولة استمالتها يشى بسيرة أمها و سلوكها وما كانت عليه من سمعة سيئة. يضطر أبوها أن يخبرها بكل شئ عن أمها و كيف كانت علاقته بها ، فتعرف منع ابنته أنه التقى بأمها فى الماضى بأحد الملاهى الليلية و جمع الحب بينهما فتزوجا. و كان زواجه منها ضد رغبة واحد من

أفراد أسرته المحافظة ،و كانت الأم من أسرة ثرية كان قد غرر بها أحد الشباب يكتشف أنه شقيقه هو الذى دفع بها. فظن الزوج أنها عشيقته فطرجها و طلقها. تنتقم الفتاة من الشاب شقيق الزوج فتقتله كى تستريح من عذابها ،و يتم القبض عليها و تدخل السجن.

و فى عام ١٩٤٨ ، عادت للعمل مع احمد سالم كممثل و مخرج فى فيلم "المستقبل المجهول" ،و الذى كتب عنه عبد العظيم توفيق حجاج فى مجلة الأستوديو "إن القصة هشة رقيقة فى التجاء المؤلف إلى معالجة نفس الداء ، ألا و هو الحب الذى يتيحه القدر ،و مع ذلك فليس الموضوع هنا مقتطفا من جونا الشرقى ، بل يرنو كثيرا إلى الطابع الإفرنجى فى سير الحوادث ، ففكرة فقدان الذاكرة سبق أن تعرضت لها الأفلام الأجنبية ، كما عالجها المخرج نفسه من قبل ، لذا لا يعتبر الموضوع جديدا".

و عن الأغانى فى الفيلم كتب نفس الناقد: "أن من ينعم النظر إلى غالبية أفلامنا يجد أن الأغنيات قد حشرت رغم أنف مجرى القصة بحيث لا تتفق معاينتها مع الموضوع ،و لكنها هنا رقيقة و عذبة عبرت عما يجيش فى نفس البطلة من عواطف و انفعالات تتفق و الحالة التى تعانيها حتى كأنها ضمن حوار الفليم إذا انتزعت تركت أثرا".

و كتب عبد العظيم توفيق عن أداء نور الهدى قائلا: "لست أدرى مذاذ أقول عن هذه الفنانة ، فقد أثبتت باندماجها فى الشخصية المسندة إليها و بتعبيرات وجهها أنها ممثلة قديرة كما هى مطربة موهوبة".

و بعد أن قدمت فيلمين عام ١٩٤٩ ، هما "مبروك عليكى " لعبد الفتا حسن و أمام محمد الكحلاوى ، ثم "هدى" لحلمى رفلة أمام كمال الشناوى ، عاد نفس المخرج و استعان بها فى فيلم "غرام راقصة" الذى غنت فيه العديد من الديالوجات مع فوزى مثل "عايز أقول لك" و "فهمت حاجة" ، كما غنت لمأمومن الشناوى لحن "الجواب" الذى تقول فيه:

حبيبى واحشنى من قلبى... وحاسة بروحى ناقصانى
ياريتنى التقيتك جنبى.. فى غمضة عين و تلقانى
حبيبى

و قد تم إخراج الأغنية بنفس الأسلوب الذى غنى به عبد الحليم حافظ أغنية تحمل "جواب" فى فيلم البنات و الصيف". و تتابعت أفلام نور الهدى من "أفراح" إلى "شباك حبيبى" و "الشرف غالى" عام ١٩٥٠ ،و فى عام ١٩٥٢ تألقت من جديد أمام فريد الطرش فى فيلمين غنائيين هما "عايزة أتجوز" لأحمد بدرخان ، ثم "ماتقولش لحد" لبركات. و قد كانت البطولة المطلقة فى الفيلم الأول لنور الهدى ، حيث أنه حسب حوارات الفيلم فقد تأخر ظهور فريد الأطرش إلى ما بعد حوالى ربع ساعة تقريبا ، رأينا فيها المطربة نور الهدى واقعة بين الثرى سمير و عمه اللذين يتخذانها محبوبة فقط دون زواج ،و هناك منافسة بين الاثنين حول قلب المغنية ، فيذهبان إليها فى الملهى كى يسمعانها و هى تغنى: "هل هلال العيد... ع الإسلام سعيد" و تصدم المطربة فى الطريقة التى يتعامل بها كل من الثرى و عمه. تقرر أن تنتقم منهما إلى أن تلتقى بالمطرب وحيد فى إحدى الحدائق ليلا.

و نور الهدى موجودة فى أغلب أحداث الفيلم ، فهى واقفة إلى جواره و هو جالس فى الحديقة يغنى: "أيامى الحلوة" ، "إنساها و ريح قلبك" ، "دى آخر غنوة غنيتها فى دنيا حبك".

ثم هى تأخذه إلى البيت لديها كى ينام هناك ، و يسبب لها المتاعب حين يأتى الأهل تارة أو حين يأتى كل من الثرى و عمه ، فيغنى "ياما جوه الدولاب مظاليم" من أجل إثبات براءته أمام الحبيب الثرى ، ثم هى تغنى له "إن جيت للحق أنا زعلانة.. واخدة على خاطرى و غضبانة..و أنا قلب وروح... دا أنا إنسانة زعلانة زعلانة".

و هناك تقارب واضح بين الفيلمين "عايزة أتجوز"و "ما تقولش لحد" سواء من حيث مساحة ظهور المطربة أو نجاحها ، فهناك مطربة مبتدئة تقيم فى بيت للطالبات تدمن الكذب و تخبر زميلاتها أن المطرب الشهير وحيد يحبها ، ثم تبدأ فى فرض نفسها عليه ،و تدخل عليه حياته كى تفسد علاقته بحبيبته الراقصة.

و فى كلا الفيلمين هناك دائما راقصة إلى جوار المطرب ، سواء سامية جمال أو ليلى الجزائرية ،و هناك أغنيات ثنائية بين المطرب و المطربة مثل "ما أقدرش أقول آه".

و كان آخر أفلام نور الهدى على الشاشة فى عام ١٩٥٣ ،و هما فيلمين باسم "حكم قراقوش" ثم "حكم الزمان" ،و هو نفس العام تقريبا الذى بدأ نجم نجاح سلام يلمع فى السينما و كانت قد جاءت إلى مصر و نجحت فى الغناء و بدأت السنما تتلقفها.

صورة

صورة
نور الهدى و عبد الوهاب فى لقطة من فيلم "لست ملاكا"

و بالنظر إلى مجموعة أفلام نجاح سلام ، سنجدها أنها استغرقت نفس العمر الذى سارت فيه نور الهدى – حوالى عشر سنوات تقريبا – كانت تجربتها الأولى "على كيفك" لحلمى رفلة ١٩٥٢ ،و لم تكن البطولة المطلقة لها حيث اكتفت بالغناء فى أغنيتين هما "على كيفك" و "مرة فى يوم من ذات الأيام" ،و كلاهما من تأليف مأمون الشناوى و ألحان أحمد صدقى. و فى عام ١٩٥٣ قدمها حسن الصيفى فى فيلم "ابن ذوات" كأول بطولة مطلقة لها ،و فى إطار حدوتة متكررة غنت أربع أغنيات ضمن التسع أغنيات التى تضمنها الفيلم، حيث كتب لها جليل البندارى أغنية "سكة السعادة " و لحنها عبد الوهاب كدخول قوى للمطربة إلى الشاشة،و قد تمتعت الفنانة بخفة ظل واضحة و إن لم تكن تمتلك الموهبة القوية ، فغنت أغنية كوميدية باسم "ساعدوا الإسعاف" و لحن لها عبد العزيز محمود أغنية "جميل جمال" ،و غنت مع إسماعيل يس من ألحان عبد العزيز محمود أيضا أغنية "انتى فين".

و فى عام ١٩٥٤ عملت فى فيلم "دستة مناديل" لعباس كامل الذى غنت فيه أغنية لبنانية اشتهرت بها كتبها يوسف صالح و لحنها فيلمون وهبة ، هى "برهوم" و هى من الحالات القليلة التى غنى فيها المطربون أغنيات لبنانية و فيها تقول:

برهوم حاكينى.. زعلانة سلينى
من فرقتك يابا.. مجروح داوينى
برهوم
برهوم يا غالى.. ياسلوتى و مالى
يا كل آمالى.. أحكيك حاكينى

و قد ارتبطت نجاح سلام بالسينما الغنائية و الكوميدية و استطاعت أن تنوع من المخرجين الذين عملت معهم ،و فى عام ١٩٥٣ ، قدمت فيلماكوميديا جديدا أمام إسماعيل يس و شكرى سرحان هو "الدنيا لما تضحك" إخراج محمد عبد الجواد ،و هو الفيلم الذى أعيد عرضه بعد عامين باسم "السعد وعد".

و قد استأثرت نجاح سلام بالأغنيات فى الفيلم حيث غنت أغنيات صارت شهيرة لها مثل "لا تفكر و لا تشغل بالك" من كلمات محمد على أحمد و ألحان أحمد صدقى ، ثم "على طول على طول.. قلبك مشغول على طول.. أنا قلبى معاك مطروح ما تروح على طول" ، من كلمات نفس الكاتب و ألحان أحمد صبره ،و

"يا شمعدان حارتنا يا منور حينا... الضلمة تملا بيتنا فى غيابك عننا" من كلمات جليل البندارى و ألحان كمال الطويل. و غنت مع إسماعيل يس أسكتش "الحلم" و غنت مع المجموعة الاسكتش الشرقى.

و إذا عدنا الى فيلم "دستة مناديل " ١٩٥٤ فلأنه من الأهمية التوقف عند ما شكلته نجاح سلام مع إسماعيل يس من ثنائى كوميدى بدأ فى أسكتش المحولجى الذى لحنه أحمد صبره ،و الذى يبدأ بكلمات لها:

إسماعيل: محولجى فى السكة الحديد وف شغلتى واعى و شديد
عمال يحول من بعيد لاسكندرية و بور سعيد
محولجى فى السكة اغلحديد
طول النهار خادم مطيع لحضرة الإكس السريع
ياخوفى من بقى الفظيع ليخفى فيه قطر الصعيد
محولجى فى السكة الحديد
نجاح: يا حبيب القلب يا برهوم تسمح تتحول ناحيتنا
إسماعيل: استنى لما القطر يقوم على بنها لنفقد وظيفتنا
نجاح: برهومتى ياللى ما فيش بعدك آن الأوان نفرح يا جميل
تحب يا حبيبى أساعدك
إسماعيل: ما تعرفيشعلم التحويل

و فى نفس الإطار غنت نجاح أغنية خفيفة أخرى لإسماعيل الحبروك مؤلفا و أحمد صدقى ملحنا هى "صفر يا وابور و اجرى شوية..وصلنى قوام لاسماعلية" ، كما غنت واحدة من الأغنيات التى لا تزال باقية حتى الأن ، كتبها فتحى قورة و لحنها كارم محمود هى "الصباح":

صبح الصباح محلاه.... و الشمس جاية معاه
و كل شئ فى الكون... سبح بحمد الله
يارب مالك شريك.... يارب
و النعمة دى نعمتك... كل القلوب تناديك يارب

و بعد زواج نجاح سلام من محمد سلمان بدأ الأثنان يقلصان نشاطهما فى مصر و رحلا إلى لبنان ، و بعد فيلم "الكمساريات الفاتنات" لحسن الصيفى ١٩٥٧ عادت إلى لبنان ،و هناك عملت فى أفلام قليلة لم يصل صداها إلى العالم العربى هى "اللحن الأول" ،و "لمن تشرق الشمس" ١٩٥٨ ، ثم "مرحبا أيها الحب" ١٩٦٢ الذى اشترك فى بطولته نجوم كثيرون من مصر منهم يوسف فخر الدين.

و يمكن اعتبار "الكمساريات الفاتنات" هو واحد من أواخر أفلامها الغنائية الشهيرة أو الكوميدية ،و فيه عملت أمام إسماعيل يس حول أربع فتيات يعملن كمساريات و يحاول الكمسارية إعادتهن إلى البيت فيتزوجون منهن ،و فيه غنت مع إسماعيل يس أغنية "تبقى أنت و الأيام" و "المكوجى" و مع الثلاث بنات أغنية "الشهادات" التى لحنها محمد الموجى و "يا لالا يا ركاب".

أما آخر الأفلام المصرية التى عملا فيها نجاح سلام فهو "سر الهاربة" لحسام الدين مصطفى أمام سعاد حسنى و كمال الشناوى و شكرى سرحان ،و هو فيلم أكد تمام أن نجوم السينما الغنائية لم يعد أمامهم قصص أو عوالم تناسب أو تشابه ما قدموه فى الماضى ، فنحن هنا أمام قصة بوليسية حول أحمد الذى يموت أبوه و تتزوج أمه من يونس مدير الشركة فيتزوج من فتاة أبوها محكوم عليه بالسجن لجريمة قتل. يهرب مروان من السجن كى ينتقم من يونس ، إذ يتضح أنه الذى أجبره على قتل والد أحمد كى يتزوج زوجته ،و يطالبه مروان

بالمال المتفق عليه ينشب خلاف بينهما ينتهى بإطلاق يونس الرصاص على حورية حتى لا تخبر أحمد بالحقيقة.

لكن حورية تنجو ،و يتم القبض على يونس و تعود جورية إلى منزلها بعد أن ثبت إخلاصها بعد أن حاول البعض تشكيكه بخيانتها له.

و لا ينتمى الفيلم بالمرة إلى السينما الغنائية ،و كانت البطولة الأولى لسعاد حسنى. أما نجاح سلام فقد غنت أغنيات ألفها محمد حلاوة و لحنها محمد الموجى.

و من الواضح أن التجربة قد تركت أثرها لدى المطربة فعادت إلى لبنان و كانت تمثل هناك من وقت لآخر فى أفلام مثل "الشيطان" ١٩٦٩ و "أنت عمرى" عام ١٩٧٢ ،و لكن المهم أنها لم تتوقف قط عن الغناء فى الحياة العامة حتى بعد أن ارتدت الحجاب.

الفصل الثامن
إسماعيل يس

لإسماعيل يس فى السينما مكانة خاصة و نكهة مميزة ،و هو الذى بدأ حياته ملقيا للمونولوجات فى الكازينوهات.

ولا شك أن ما كان يؤديه إسماعيل يس ،و ما يقوم به من استعراضات فى بعض الأفلام لم يكن كله من فن المونولوج ، فهناك فرق واضح بين ما كان الممثل المونولوجست يؤديه على الشاشة و بين ما كان يردده الآخرون من نفس الجيل ، خاصة ثريا حلمى ، و محمود شكوكو و حسين المليجى.

و من المهم قبل أن نبدأ الحديث عن السينما الغنائية فى أفلام إسماعيل يس و التوقف عند مصطلح المونولوج ؛ فهو حسب ترجمته اليونانية يعنى الإلقاء الفردى ،و فيه بحور الشعر و بالتالى تتغير إيقاعات الأداء. و حسبما جاء فى كتاب "إسماعيل يس" لمحمد عبد الفتاح ، فإن المونولوج بدأ يظهر من خلال المسرح الغنائى فى الألحان الفردية التى كان يؤديها مطربوا الفرقة ، ثم انتقل مستقلا إلى التخت عندما كان يقف المغنى مباشرة أمام الجمهور ، ثم انتقل إلى السينما بانتقال أبطال غناء المونولوج إليها.

و على هذا ، فإن المونولوج الغنائى الدرامى لا علاقة له بالمونولوج الفطاهى (الساخر) الانتقادى الذى يندرج عادة تحت قالب الطقطوقة ،و هو يغنى عادة على إيقاع سريع ،و تصاحبه أحيانا حركات ضاحكة من المؤدى و يعتمد المؤدى على السخرية و النقد المبالغ فيه إلى حد رسم صورة كاريكاتورية بالكلمات لما يراد أن يقال. و ما أضافه إسماعيل يس هنا أنه جعل المونولوج يرسم أكثر من صورة داخل المونولوج الواحد قد تصل إلى ثلاث مع تغيير المذهب و الكوبليه...

و حسب نفس المرجع ، فإن إسماعيل يس قد جدد شباب هذا الفن و غير من موضوعه و جعله يعيش فى أذهان و مخيلة الناس فترة طويلة من الزمن.

و باعتبار أن إسماعيل يس قد قام فى بداية حياته بالكثير من الأدوار الصغيرة فى أفلام عديدة ، فإنه من الصعب حصر الأغنيات التى شدا بها ، لكن المؤكد أنه لم يغن فى كل هذه الأفلام ، أى أنه لم يعتمد على شهرته كمغن مونولوجات فى أفلامه الأولى ، و سيظل إسماعيل يس يتنقل بين الأفلام لا يعتمد على المونولوجست قدر اعتماده على نفسه كممثل كوميدى.

و من بين الأفلام الأولى التى غنى فيها إسماعيل يس ، كان هناك "على بابا و الأربعين حرامى" لتوجو مزراحى ، ثم "أخيرا تزوجت" لجمال مدكور ،و هما من إنتاج ١٩٤٢. و فى كليهما غنى مونولوجا فرديا أو ثنائيا ففى الفيلم الأول غنى "ابو عرام يشبه على بابا" ،و هو من تأليف عزت الجاهلى و ألحان رياض السنباطى. و فى الفيلم الثانى غنى مع زميلته ثريا حلمى (التى غنى دوما أمامها بما يوحى أنه ديالوج) ،و ذلك فى عمل من تلحين عبد الحميد عبد الرحمن باسم "فين المأذون يلحقنا".

و من جانب آخر ، فإن أفلام أخرى عديدة تنتمى إلى السينما الغنائية لم يغن بها إسماعيل يس ، مثل فيلم "نداء القلب" الذى فيه البطل إبراهيم حمودة ست أغنيات ،و فيلم "الطريق المستقيم" لتوجو مزراحى ١٩٤٣ الذى غنت فيه فاطمة رشدى (أربع أغنيات) ، ثلاث منها بصوت شهر زاد ، كما أن محمد أمين هو الذى انفرد بالغناء فى فيلم "تحيا الستات" لتوجو مزراحى أيضا عام ١٩٤٣. و فى فيلم "من الجانى" لبدرخان ١٩٤٤ اشترك فى الغناء كل من الكبار و درية أحمد و شافية أحمد و عبده السروجى. و فى فيلم "نادوجا" لحسين فوزى نفس العام غنى بكار كافة أغنيات الفيلم.

و مكن الواضح أن هذه الأفلام كانت مصنوعة من أجل نجومها من المطربين البارزين فى تلك المرحلة ، لكن الأمر كان يختلف من وقت لآخر حين نجد أنفسنا أمام فيلم من طراز "نور الدين و البحارة الثلاثة" ، حيث غنى إسماعيل يس بمفرده أغنية عن "البسبوسة البسبوسة" ،و هى من تلحين السنباطى ، ثم اشترك مع كل من على الكسار ،و زميله على عبد العال فى غناء "ارقص غنى.. اضحك كركر" ،و "آه يا سلام".

إذن فليست هذه مونولوجات ، بقدر ماهى أغنيات ساخرة ، بها الطابع التهكمى و الأداء الكوميدى ،و قد ظلت ظاهرة قيام إسماعيل يس بالغناء فى الأفلام التى اشترك فيها مستمرة طالما كان هناك مطرب كشخصية رئيسية فى الفيلم ، فالأغنيات الست التى تضمنها فيلم "القلب له واحد" لبركات ١٩٤٥ ، خصصت لها صباح المطربة الجديدة ،و لم يغن إسماعيل يس أغنية واحدة من الأغنيات الثمانية التى سمعناها فى فيلم "ليلة الحظ" لعبد الفتاح حسن. و فى تلك الفترة كان إسماعيل يس يغنى "أحيانا بعض الأغنيات مثلما فعل فى فيلم "المظاهر" لكمال سليم ١٩٤٥ ، حين غنى "مرحب أولاد البلد" التى كتبها بيرم التونسى و لحنها عزت الجاهلى.

و من الواضح أن إسماعيل يس الذى هجر الغناء فى الملاهى الليلية إلى الأفلام فى تلك الفترة ، فإنه قد اهتم بنفسه كممثل فى المقام الأول ،و فى حالة إسناد أغنية له فإنه يؤديها بأسلوبه الخاص و بصوته المميز و أدائه الضاحك ، مثلما فعل حين غنى "النبى آدم.. إبليس يطفش أعماله" فى فيلم "النبى آدم "لنيازى مصطفى ١٩٤٥ ،و أغنية "مونولوج الفرحة" فى فيلم "القرش الأبيض" لإبراهيم عمارة فى نفس السنة.

و قد نظت السينما إلى إسماعيل يس كمجرد صانع ضحك ،و فى حالة الغناء يتم الاستعانة بالمطربين المشهورين ، مثل ليلى مراد فى "ليلى بنت الأغياء" و فى "قلبى دليلى" ، كان يكفى لإسماعيل يس و شكوكو أن يؤديا استعراضا غنائيا باسم "ميمون".

و فى أفلام أنور وجدى ، حاول المخرج الممثل دوما الاستعانة بإسماعيل يس كمونولوجست ،و قد ذكر اسمى شكوكو و إسماعيل يس فى أفيشات فيلم "قلبى دليلى" فقط كمونولوجست. و فى فيلم "دهب" أدى كل من فيروز و إسماعيل و وجدى استعراضا غنائيا راقصا هو "البلياتشو" الذى ألفه فتحى قورة و لحنة عزت الجاهلى ،و هو نموذج يحتذى به فى الكوميديا الاستعراضية ، حيث تم إخراجه فى صالة عرض ضخمة تم الاستعانة فيه بالعديد من الراقصين و الراقصات ،و تم تقطيع المشهد بشكل جذاب ،و يهمنا هنا أن ننقل إلى القارئ كلمات هذا الاستعراض كى يمكنه استرجاع شكل الاستعراض و الأداء المميز للثلاثى الذى قام به ، سواء من حيث الغناء أو التمثيل:

إسماعيل: أنا البلياتشو أنور: أه بلياتشو

إسماعيل: مش بلياتشو أنور: لأ بلياتشو
أسماعيل: طب خد طب خد أنور: طب خد طب خد
فيروز:استنى أنت و هو هى المسألة عافية و قوة
تتخانقم ليه طب و عشان إيه
أنور: الحق عليه بلياتشو ولا فتوة
فيروز: استنو ما تتخافوش استنو ما تتعاركوش
أنا حاحكم بينكو و اشوف مين فيكو الحق عليه
اتفضل قوللى جنابك هو عمل لك إيه
إسماعيل: يعنى يصح يا ست يقول إن أنا بلياتشو
هو ده يبقى كلام معقول إن أنا بلياتشو
دا أنا بسقى الناس العطشانة من ماء الترعة البولاقية
و هزمت فريق الترسانة فى لعب الكورة الأرضية
يبقى يصح يا ست يقول إن أنا بلياتشو
فيروز: من غير ما يقول الناس بتقول إنك بلياتشو
يسلم من سماك بلياتشو و أبوك بلياتشو
إسماعيل: عمرى ١٢ سنة بالضبط مافيش فى كلامى مغالطة
فيروز: منهم خمسة صياعة و خمسة مجاعة و واحدة ونص أو نطة
إسماعيل: أما النص الباقى قضيته ف رحلة بين أمريكا و طنطا
على رجليا ثم إيديا و بعد شوية بقيت بلياتشو
فيروز: كبدى عليه و النبى مسكين
إسماعيل: بس الناس دول مش عارفين
فيروز: بتفرفشهم و تضحكهم
إسماعيل: و أنا فى الواقع قلبى حزين
أشكى لمين و أحكى لمين
الثلاثة: يا حلو لولو ع بلياتشو
حتى فى معره و فشره و نتشو بلياتشو بلياتشو

و فى فيلم "قطر الندى" لنفس المخرج جسد إسماعيل يس شخصية بلياتشو آخر ، أو مهرج يرتدى زى شارلى شابلن ،و لحن له منير مراد أغنية "أنت فاكرانى" على نفس غلإيقاع الذى غنت بع أم كلثوم أغنية بنفس الاسم. و الأغنية من تأليف أبو السعود الإبيارى ،و هما نفس الثنائى الذى ألقى و لحن أغنية "القتيل" التى يقول فيها:

أنا القتيل أنا القتيل من الهوى و السكس أبيل
من غير رصاص يا دهوتى طبيت قتيل زى المعيز
قتلتنى بعيونها التى فى طرفها حور لذيذ

و أنور وجدى هو الذى كتب السيناريو لفيلم "المليونير" الذى أنتجه أيضا ،و منح إسماعيل يس أول بطولة مطلقة له فى السينما. و هو فيلم كانت البطولة ليست فقط الأولى ، بل هى بطولة مضاعفة حيث جسد إسماعيل يس شخصيتين ، الأولى هو الزوج القاتل ،و الثانية الفنان جميز الذى سيحل محله فى قصره فى الفيلم.

و من الواضح أن أنور وجدى قد كتب السيناريو و دفع به إلى الإبيارى كى يكتب الحوار و الأغانى التى لحنها عزت الجاهلى من أجل الاستفادة من موهبة إسماعيل يس فى الاستعراض الغنائى ،و نحن هنا لن نتوقف عند كلمة مونولوج ، فأغلب هذه الاستعراضات بمثابة اسكتشات ثنائية أو جماعية مثل لحن

"المجانين" الذى هو عبارة عن حوار غنائى بين المجانين فى داخل مستشفى المجانين اشترك فيه ممثلون كثيرون فى أدوار قصيرة منهم سراج منير الذى جسد عنترة بن شداد (مجنونا) و محمد توفيق و غيرهم.

صورة
إسماعيل يس و شادية فى "آه من حواء"

صورة
إسماعيل يس و شادية و شكوكو فى "ليلة العيد"

و قد تضمن الفيلم غنيات فكاهية عديدة مثل "العز" و "ياخواتى مراتى مشاية" و "الأغنية التركية" و "الزفة" و "السكارى" ، ثم الأغنية الثنائية الشهيرة "أنا ح أروح" بين سعاد مكاوى و إسماعيل يس و التى نورد بعضها مما جاء فيها:

أنا ح أروح ما تروحشى
لا أنا مروح ما تروحشى
عايز اروح ما تروحشى
لو ح استنى هنا ح اتوفى م الحقن اللى باخدها فى حبك
بعد يومين كلى ح يتصفى و أخرج من هنا ميت رسمى
شوفى دراعى يا عينى يا دراعى خمسين حقنة من غير داعى
لو مش عيب كنت أبكى و أنوح ماتنوحشى
عايز أروح ماتروحشى
لا أنا مروح ما تروحشى
أنا مش فاهمة ح تروح فين ما هو دا بيتك يا سيدى البيه
سلامة عقلك يا نور العين بعد الشر جرى لك إيه
نازل فين و تهجر بيتك بعد ما حبيتنى و حبيتك

إذن فالغناء قد اقترن مع انتقال إسماعيل يس من الأدوار الثنائية إلى البطولة السينمائية ،و كان إسماعيل يس قد أثبت قبل ذلك بفترة قصيرة أنه قادر على إنجاح فيلم ما من خلال قدرته على الغناء و الاستعراض ،و ذلك من خلال الثلاثى الذى شكله كل من إسماعيل يس ،و شادية و شكوكو فى فيلم "ليلة العيد" لحلمى رفلة،و قد عرض فى نهاية عام ١٩٤٩ ،و بدا كأن رفلة يراهن على إسماعيل يس وحده ،و فى فيلم "ليلة العيد" هذا ، غنى الثلاثة معا "ياحلاوة الفول" ،و "أوعى يمينك أوعى شمالك" ،و "أحنا التلاتة سكر نباته" و "مجنون ليلى" ، الذى اشترك فيه أيضا إلياس مؤدب ، كما غنى لإسماعيل يس مع شادية اسكتش "هيلا هوب".

و حلمى رفلة هو أكثر من دفع إسماعيل يس للغناء فى أفلامه ، سواء الأغنيات الفردية أو الجماعية ،و قد حدث هذا فى "البطل" عام ١٩٥٠ ، ثم "الأنسة ماما" فى نفس السنة ، فغنى إسماعيل يس مع صباح "ما أعرفشى ما أعرفشى" ،و مع صباح و محمد فوزى استعراض "أبطال الغرام" و فى فيلم "بلد المحبوب" ١٩٥٢ ، غنى إسماعيل يس أمام سعد عبد الوهاب "حلوين كدا ليه" و مع الكورس "البوسطجى" و مع كل من سعد عبد الوهاب و شريفة ماهر و سعاد مكاوى استرعاض "هن هن".

ولا شك أن هذا قد شجع مخرجين آخرين إلى تكثيف العمل مع إسماعيل يس كمطرب للأغنيات المضحكة، مثل سيف الدين شوكت الذى أخرج له فيلم "فلفل" عام ١٩٥٠ ،ة ثم يوسف فى أفلام عديدة منها "فى الهوا سوا" ١٩٥١.

و فى هذا الفيلم الأخير ، هناك مونولوج غنائى بالغ الظرف و يتسم بفخة ظل عالية هو "إيه ح يهمك" الذى جاء فيه:

إيه ح يهمك م اللى يذمك و اللى يبعتر فيك و يلمك
خدها صريحة نصيحة مفيدة خليك راجل أوع يهمك

و هذا النوع من الأغنيات قد تمتلئ بالحكمة الشعبية أو بالسخرية أو بروح الفكاهة و الدعابة. و فى كثير من الأفلام كان إسماعيل يس يغنى باعتباره مطربا يؤدى الاستعراضات مثلما حدث فى فيلم "البطل" ، أى أن العمل من نفس الأداء و فى أحيان أخرى ، لم يكن يؤدى دور المطرب أو مؤدى الأغنيات ، سواء كانت مونولوجات أو استعراضات أو أغنيات جماعية.

و بعيدا عن حلمى رفلة و أفلامه التى أخرها لإسماعيل يس ، فإن الممثل كان يشترك فى الغناء مع آخرين، حيث لم يكن المغنى الوحيد فى افلام أخرى ، مثل "قليل البخت" لمحمد عبد الجواد ١٩٥٢ ،و "عشرة بلدى" لإبراهيم حلمى ١٩٥٢. ففى الفيلم الأول مثلا غنى إسماعيل يس وحده "ليه بس يا بخت لبخت" و "ياليلة زينة" ، كما غنى أمام شادية "ما ادرشى يوم أنساك" و غنت شادية أغنيتين بمفردها هما "الليلة تمت خطبتى" ،و "آدى اللى كان يا زمن" ،و فى فيلم "عشرة بلدى" غنيا دويتو لطيفا مع محمد أمين يقولان فيه:

أهلا أهلا أهلا بيك
فرصة سعيدة الله يخليك

أما المخرج الذى استفاد من إسماعيل يس كمطرب ، فهو أيضا عباس كامل ثم محمد عبد الجواد الذى جاء على لسان الذى كتبه بديع خيرى فى فيلم "الدنيا لما تضحك" أنه لماذا يغنى البناءون رغم المتاعب التى يعانون منها فى العمل ، فرد إسماعيل قائلا: لأن الغناء يهون عليهم التعب.

و مثلما امتلأ فيلم "الدنيا لما تضحك" بالمطربين الذين غنوا ، و منهم نجاح سلام ، فإن المخرج عبد الجواد قد جعل إسماعيل يغنى مع المجموعة أغنيتين هما: "اسكتش الحلم" ،و "البنائين" ،و فى فيلم "دستة مناديل" لعباس كامل غنى إسماعيل يس أغنية الخطوبة التى كتبها فتحى قورة ،و لحنها عزت الجاهلى ،و فيها يقول على طريقته:

هنونى الليلة و هنوها باركوا لى بشدة أنا و هى
دى الفاتحة الليلة حيقروها على روح أيام العزوبية
هنونى الليلة و هنوها
نحن السابقون عند المأذون و أنتو اللاحقين حسب القسمة
قولوا للأحباب يكفاكو عذاب و سلام و عتاب و يا النسمة
اعملوا كده زى و فضوها و اتلموا فى بيت الزوجية
دى الفاتحة الليلة حيقروها على روح أيام العزوبية

و من الواضح أن فطين عبد الوهاب الذى عمل فى أكثر الأفلام التى تحمل اسم "إسماعيل يس فى....." لم يهتم بمسألة إسماعيل يس مطرب ، قدر أن يكون مضحكا من خلال الحركات و الأداء الكوميدى المعروف عنه ، ففى فيلم "الأنسة حنفى" و هو التعاون الأول بين الطرفين ، كان المطربون أشخاصا آخرين غير إسماعيل ،و هما حورية حسن و شفيق جلال ،و سوف يتكرر نفس الأمر فى أغلب أفلام الاثنين معا فيلم "إمسك حرامى" حيث غنت فايزةأحمد "حمال الأسية".

لكن بالطبع هناك استثناءات من فيلم لآخر ، ففى التعاون الثنائى بين فطين و إسماعيل يس فى "إسماعيل يس فى الجيش" غنى بمفرده "لو أغمض عين و أفتح عين" و اشترك مع كل من النابلسى و النجدى و حسن أتله فى غناء "سلم على سلم على" ، لطن إسماعيل يس لم يغنى قط فى أفلام أخرى جمعت بين الاثنين مثل "إسماعيل يس فى البوليس" و "إسماعيل يس بوليس سرى" و "ابن حميدو" و "امسك حرامى" و إسماعيل يس فى مستشفى المجانين" ،و فى فيلم "إسماعيل يس بوليس حربى" غنى المقطع الأول من أغنية "فى يوم من الأيام" فى وجود عبد الحليم حافظ....

و رغم تقدم العمر و التجربة بإسماعيل يس ، فإنه كان يعود ٰلى نفس النوع من الغناء فى أفلام لاحقة ،و بدأ أنه لم يفقد القدرة على الغناء و يتمتع بنفس النبرات ، مثلما حدث فى فيلم "المليونير" لحسن الصيفى عام ١٩٥٩ ، حيث غنى اسكتشا اشتركت فيه فايزة أحمد التى مثلت الخير ،و نجوى فؤاد التى مثلت الششر و الإغراء ،و ذلك بعنوان "عشان بحبك أنا" ،و هو من تأليف فتحى قورة و تلحين منير مراد.

و فى عام ١٩٦٠ غنى مجددا فى فيلم آخر لحسن الصيفى هو "إسماعيل يس فى السجن" ،و إذا كان المخرج قد جمعه فى الفيلم السابق مع فايزة أحمد التى تكثف ظهورها فى العديد من الأفلام كمطربة فى تلك المرحلة ، فإنه راهن على مطربة صعدت فنيا أيضا فى هذه الفترة ، هى مها صبرى ،و جعلها تشارك إسماعيل يس فى أكثر من فيلم ، منها حسن و ماريكا ،و هذا الفيلم الذى غنى فيه إسماعيل يس وحده أغنية "أيظن" و هى تنويعة على الأغنية الشهيرة لكنها بكلمات فتحى قورة و ألحان محمد فوزى.

و الملاحظ أن إسماعيل يس توقف تماما عن الغناء فى هذه السنوات مع كافة المخرجين عدا حسن الصيفى الذى عمل معه إسماعيل يس بشكل مكثف فى أوائل السيتينات فى "ملك البترول" ،و "المجانين فى نعيم" و فى الترجمان" غنى إسماعيل أغنيةيتذكرها من سمعها لأول مرة فى الفيلم حين عرض فى أواخر عام ١٩٨١ و التى يقول فيها:

و بعد برج القاهرة توجد حفلة ساهرة
الليلة الساعةالعاشرة

و يقول محمد عبد الفتاح فى مرجع سابق "أنه إذا كان المونولوج هو بدايته الأولى لمعرفة الناس به ، فقد عاد إسماعيل يس فى أواخر أيامه ليعتلى خشبة المسرح فى الملاهى الليلية ، التى لا يختلف كثيرا روادها و جمهورها عن جمهور صالة بديعة أو مبانى الأربعينات و الخمسينات ،و قد استقبله الجمهور بالتصفيق و الهتاف كما استقبله فى مستهل حياته.

"لكن شتان بين الشاب الذى بدأ حياته ،و ابن الستين اذى تمكنت منه الأمراض" و على كل فإن الناس لم تعرف هذه الصورة عن إسماعيل يس من خلال السينما.

الفصل التاسع
صباح

صباح هى المطربة الأكثر أهمية فى السينما العربية ، كما أنها الأكثر تواجدا و حضورا ، سواء فى مصر أو لبنان ، حيث ظلت تعمل منذ عام ١٩٤٥ و حتى عام ١٩٨٠ ، فعملت أمام أكثر المطربين و نجوم السينما و ارتبط وجودها على الشاشة بالغناء فى المقام الأول.

و قد تمتعت صباح بأريحية و جمال أخاذ ،و صوت جميل و قدرة على التنوع و موهبة تمثيلية لا بأس بها،و فى الوقت الذى اختفت فيه عن الساحة مطربات عديدات من أجيال عملن إلى جوار صباح و من تلاها، فإن صباح قد ظلت فى الساحة ، سواء فى السينما أو فى مجال الغناء.

و قد شاهد الناس صباح لأول مرة كفتاة صغيرة تصلح لأن تكون سندريللا فى فيلم "القلب له واحد" لبركات الذى ، عرض فى يناير ١٩٤٥ ،و لم تكن المطربة الصغيرة قد تبلورت إلى الشكل الذى عرفناها عليه فيما بعد ، سواء من ناحية الشكل أو قوة الصوت و جاذبيته. و قد بدا أن هناك رهانا على صباح القادمة من لبنان من أجل أن تنافس نور الهدى ، أو أن تكون هناك مطربة لها نفس الحضور و القوة. و فى هذه الفترة كان الفيلم الأول للمطرب عادة ما يضم عدداً كبيراً من الأغانى كنوع من التأكيد على أهمية المطرب و لضمان الرهان عليه من ناحية أخرى.

و فيلم صباح الأول ضم ست أغنيات غنتها وحدها فى ظروف متعددة و هى تقوم بدور سندريللا التى تعانى من زوجة أبيها و ضعف شخصية أبيها ، فتتركها الأسرة و تذهب إلى حفل يقيمه أحد الأثرياء ، لكن الظروف تقود الفتاة إلى منزل الثرى الذى يقع فى هواها.

و سندريللا هنا هى فتاة عصرية تسكن المدينة نو قد غنت صباح هذه الأغنيات لتملأ أجواء الفيلم أمام أنور وجدى ، فبدت كأنها البطلة الفردية. و من المعروف أن أسماء المطربين و المطربات كانت تتصدر أفيشات الأفلام العربية قبل شركائهم لأن مساحة الظهور على الشاشة أكبر من الشريك.

هذه الأغنيات الست هى من تأليف بيرم التونسى و بديع خيرى و مأمون الشناوى و صالح جودت ،و من تلحين زكريا أحمد و السنباطى و القصبجى. و هذه الأغنيات هى: بشويش على عقلك بشويش ، أورح ما أروحش ، لأ مخاضماك ، أنا مش عافة ليه متاخدة ، يارب حيرانة ، و المركب. ورغم أننا أماما فتاة مظلومة مقهورة ، فإن الأغنيات كما نرى خفيفة مليئة بالبهجة و روح الشقاوة ،و قد ظلت هذه النوعية من هذه الأغنيات ملاصقة لصباح فى كافة أفلامها ، فهى البنت الشقية المثيرة للإغراء أحيانا الطيبة دوما ، النقية العاشقة ،و إذا كنا قد تحدثنا عن القلب له واحد "فليس لأنه الفيلم الأول لصباح ، بل إن هناك أفلام أخرى عرضت لها فى نفس العام مثل "هذا جناه أبى" ،و "أول الشهر" ،و سيبقى الفيلمالأول الأكثر جاذبية لفترة ، ففى فيلمها الثانى "هذا جناه أبى" كانت مظلومة و حزينة ، خاطئة ، عرفت الطريق إلى المحاكم.

و قد استطاعت صباح أن تفرض جاذبيتها فى أفلامها التالية مثل: "اكسبريس الحب" ،و "أول نظرة" ،و "أنا ستوتة" و لبنانى فى الجامعة" ، لكن لاشك أنها كانت فى أحسن حالاتها فى تلك الفترة حين كانت تقف أمام مطربين لتشكل ثنائيا فنيا ، سواء مع فريد الأطرش أو محمد فوزى ، حيث كانت تبدو فى قمة تألقها ، سواء حين تغنى بشكل فردى أو دويتو أمام المطرب الذى تقف معه.

و قد عملت صباح مع الأطرش فى ثلاثة أفلام هى "بلبل أفندى" لحسين فوزى عام ١٩٤٨ ، ثم "لحن حبى" لبدرخان عام ١٩٥٣ ،و "ازاى أنساك" لبدرخان عام ١٩٥٦. أما محمد فوزى فقد عمل أمامها فى "صباح الخير" لحسين فوزى ١٩٤٧ ،و "الآنسة ماما" لحلمى رفلة و "الحب فى خطر" لرفلة ١٩٥١ ،و "فاعل خير" لحلمى رفلة ١٩٥٣ ،و "ثورة المدينة" لحلمى رفلة ١٩٥٥.

و فى كلتا التجربتين كان على صباح أن تغنى من ألحان المطرب الممثل الذى أمامها ،و أن تدخل معه فى مباراة عمادها الغناء و خفة الظل ، ففى "بلبل أفندى" ، رأينا صبح تقوم بدور فتاتين إحداهما بريئة تبحث عن طريق للشهرة و المجد ،و الثانية زوجة مخادعة لا تلبث أن تقع فى شراك خداعها. و قد غنت صباح مع شريكها فريد الأطرش ثلاث أغنيات هى "حطه يابطة" و "أنا قلبى" و "أنغام من الشرق" ،و غنت لنفسها أغنية واحدة هى "ح اغنى يا دنيا".

و شتان بين الشخصية التى جسدتها صباح أمام فريد الأطرش فى الأفلام الثلاثة ، فهى فى لحن حبى تؤدى دور ابنة مغلوبة على أمرها ، أمها تخون الأب المريض و عندما تكتشف الابنة الأمر فإنها تنسب الخيانة لنفسها حتى لا توقع أمها فى دائرة المتعب. و هى فى نفس الوقت تحب جارها المطرب الشب الذى يود أن يشق طريق المجد فى عالم الغناء. و فى إطار هذه الحدتة غنت صباح أغنيتين فرديتين هما "يا على" ،و

بيحبنى و بأحبه....و لى محبة فى قلبه
لكن عزولى جنبه.... حارمنى بهجة قربه

كما غنت فى اوبريت "فارس الأحلام" الذى شاركها الغناء كل من فريد الأطرش و إسماعيل يس.

و فى الفيلم الثالث كانت صباح هى الشابة المتمردة ، التى بدأت من الحضيض. كانت تطمح فى الوصول إلى هدفها و التعرف على مطربها المفضل فريد بأى شكل ، فراحت تطارده حتى أمكنها الوصول إليه ثم صارت مطربة الفرقة و انتزعت فريد من فتاته التى راحت تدبر المؤامرة لاستغلال الطموح المدمر لدى زنزبة من أجل إبعادها عن فريد.

و فى هذا الفيلم غنت صباح مجددا أغنيتين فريدتين و أغنية أوبريت مع فريد الأطرش ، الأغنيتان هما "أحبك يانى" ،و "زنوبة". و كما نرى فإنها أغنيات خفيفة كلماتها مليئة بالدلال و الشقاوة ،و هو نفس سمات أغنيات صباح فى تلك الفترة.

هذه السمات بدت واضحة فى مجموع الأفلام التى جسدتها أمام محمد فوزى و هى أقرب إلى "بلبل أفندى"، فالثناسئى فوزى – صباح يتمتع بحضور و خفة ظل ملحوظتين ، يبدوان كأنهما لاعب كرة بنج بونج يتقاذفان الممازحات و المداعبات فيما بينهما ،و من الواضح أن حسين فوزى قد وجد فى صباح نجمته المفضلة قبل أن يتعرف على نعيمة عاكف فعملت معه فى أكثر من فيلم منها "بلبل أفندى" و من قبله "صباح الخير". و الفيلم حول مطربة صرية تعجب بمطرب لبنانى دون أن تراه ، يحاول الزوج أن يعرف سر هذا الإعجاب ، يحضر إليها فى هيئة المطرب اللبنانى و يحاول إغراءها و لكنها تصده ،و تشاء الظروف أن يحضر المطرب اللبنانى بالفعل إلى القاهرة و يقابل الزوجين ، لكن المرأة تثور عند مقابلتها الأولى بالمطرب بعد أن يحدث سوء تفاهم نتيجة ما فعله الزوج. و فى هذا الإطار راح الاثنان يغنيان معا و يتقاذفان المشاكسات و الحب و الغيرة.

أما فيلم "الأنسة ماما" فهو نموذج متميز للكوميديا الموسيقية ، حول فتاة تهوى الغناء ، تلتحق كخادمة بمنزل مطرب مشهور تعجب به و لكنه يصدها ، تقترب من أبيه الذى يعجب بها لكنه يتفهم مشاعرها نحو ابنه فيتفق معها على الزواج الشكلى من أجل إثارة غيرة الابن ، خاصة عندما توهمه أنها فى مكانة أمه ،و وسط مواقف متناقضة جارفة يشعر نحوها بالحب. و لابد لمثل هذه المواقف مع كل من فوزى و صباح أن يتولد الضحك ، خاصة أن الأب هو سليمان نجيب ،و كعادة الأفلام التى يقوم فيها مطرب بالبطولة أمام مطربة ، فإن على كل منهما أن يغنى بمفرده ، ثم لابد أن يشتركا فى دويتو ،و فى الدويتو الفكاهى "ماما" تبدو خفة ظل الثنائى ، فهى تتصنع أنها الأم التى تدلل صغيرها ،و هو يصدق الدور ،و يتناطحان و يتحابان بشكل ملحوظ ،و قد غنت صباح هنا مع إسماعيل يس "أغنية ما أعرفش ما أعرفش" و غنت فى أوبريت صغير مع فوزى و إسماعيل يس بعنوان "أبطال الغرام" ، أما فوزى فقد غنى واحدة من أجمل و أرق أغانيه على الطلاق "يا عينى يا قلبى.. كان قلبك ماله.. كان قلبك.. شاف الجمال كله".

و قد كان فوزى أحسن حالاته دوما أمام صباح ، عدا فلما واحدا هو "ثورة المدينة" ، فهو كئيب حزين لا يتناسب ما اعتاده الناس من الثنائى ، لكنهما فى فيلم "فاعل خير" شدا كل منهما بأغنيات صارت خالدة فى خريطة الأغنية. و الفيلم يتحدث عن فنان شاب فقير يحب فتاة ثرية تقدر فنه و موهبته ، لكن أباها

الأرستقراطى يقف فى سبيل زواجهما من هذا الشاب قبل أن يتضمن الشاب مستقبله ،و تحاول فتاة مستهترة أن تساعد الشاب فى احتراف الغناء و يحقق الشهرة و الثراء على يديها ، لكن يفقده صوته ، فيلحق به اليأس و يعمل على إبعاد خطيبته عنه و يحيا حياة الفقراء. و عندما تجرى له عملية جراحية تعيد له صوته يعود إلى حبيبته.

و فى إطار هذه الحدوتة غنى فوزى مجموعة من أشهر أغنياته مثل "مال القمر ماله... ماجيناش على باله" ثم "السعد واعدنى" ،و "روحى و روحك من زمان عايشين سوا... و اللى رمانى ع الهوان اسمه الهوى". أما صباح فغنت "حبيت الليل" و "خدعتنى" ،و كان الدويتو الذى جمعهما هو "مثلا.. يعنى مثلا.. قصدى مثلا".

و قد كانت صباح دوما فى أفضل حالاتها حين كانت تقف أمام مطربين مثل سعد عبد الوهاب ،و عبد الحليم حافظ ،و قد عملت أمام سعد عبد الزهاب فى فيلم "سيبونى أغنى" لحسين فوزى أيضا ،و صباح هنا هى توتة التى تعشق الموسيقى و الغناء أما زميلتها هند فتعشق الآداب و الفلسفة. يرسلها والدها من لبنان إلى مصر ليتولى صديقه إدخال كل منهما إلى المعهد الذى يختاره لهما. تتفقان على أن تحل كل منهما مكان الأخرى فى المعهد الذى يختاره الأهل لهن ،و بهذا تصبح توتة مغنية و هند أديبة. و تتداخل الشخصيتان مما يؤدى إلى حدوث مفارقات.

و ليس سعد عبد الوهاب بالطبع على نفس القدر من الموهبة و التدفق الذى يتمتع به فريد الأطرش أو محمد فوزى ، لذا فإن الثنائى لم يعمل مرة أخرى معا.

صورة
صباح مع عبد الحليم فى "شارع الحب"
صورة
صباح مع عماد حمدى فى "توتة"

و قد بدت ، فى أحسن حالاتها كأنثى و مطربة و ممثلة خفيفة الظل فى فيلم "خطف مراتى" لحسن الصيفى ١٩٥٤ ،و فيه تقوم بدور سميرة الفتاة التى تتزوج شابا يدعى أنور بدون حب من أجل مسألة الميراث و ينتظران الانفصال ، لكن ابن خالة الزوج و ابن عمة سميرة يأتيان لزيارة المنزل ، فتنتهز الزوجة هذه الفرصة و تقترب لابن خالة الزوج مما يثير غيرة زوجها الذى يكتشف أهمية الزوجة ،و فى نفس الوقت فإن الضيفة الثانية ترمى بشباكها على الزوج مما يوقد الغيرة فى قلب سميرة و يدفعها هذا إلى استكمال حياتهما بدون مشاكل.

و الحقيقة أن صباح مصنوعة فى المقام الأول لهذا النوع من الأفلام ، تبدو فى قمة تألقها كممثلة و مطربة،و هى هنا تغنى أربع أغنيات مشهورة ، تتمتع بأريحية عالية ن منها "شبكتو قلبى" تلحين منير مراد،و "شرفتنا" تلحين السنباطى ،و التى اشترك فى الغناء معها أنور وجدى و فريد شوقى ، ثم أغنية "الحلم" تلحين السنباطى أيضا ،و "أنت السبب" ألحان عزت الجاهلى.

و من المهم أن نتوقف هنا عند الحوار المتبادل بين الزوجين سيمرة و أنور ثم فريد شوقى فى "شرفتنا":

فريد: الله ياستى يشرفك دانا من زمان نفسى أعرفك
سميرة: و أعرفك بحضرته جوزى و منايا و مطلبى
شوف رقته شوف خفته دا أنا نفسى حلوة و النبى
لو شفته ليلة دخلته ماكنت جيت تبارك لنا
لكنا بقى القسمة كده حنعمل إيه فى بختنا

أنور: لطيفة قوى
فريد: مندهشة
أنور: غاوية الهزار و الفرفشة...
يا ستى بزيادة بقى هو دا وقت التريقة
سميرة: من صغرى حلوة مدردحة بس أعمل إيه فى اللى حصل
وردة جميلة مفتحة حطوها فى حزمة بصل

و مع عام ١٩٥٤ بدأت أفلام المآسى تعرف طريقها إلى خريطة أعمال الفنانة ، مثل "ياظالمنى" ،و"ثورة المدينة" و "صحيفة السوابق" ،و "دموع فى الليل" ،و "نهاية حب" ،و من الواضح أن عدد الأغنيات بدأت تقل من فليم لآخر ،و صارت صباح تعتمد على قدراتها كممثلة ، لكنها لم تتخل عن دورها كمطربة تغنى حتى و إن لم يستدع الدور الغناء ، فهى فى "العتبة الخضراء" ،و "سلم لى على الحبايب" ، تقوم بدور مطربة ، لكن عليها أن تغنى فى أفلام أخرى مثل "جوز مراتى" ،و "الحب كده". و سوف نتوقف هنا عند تجريبتها مع حسن الإمام فى فيلمى "وكر الملذات" ١٩٥٧ ، ثم "إغراء" ١٩٥٧ ، حيث غنت فى الفيلم الأول ثلاث أغنيات فقط هى "كتكوته" ،و "طرق الهوى بابى" ، ثم " الحلم" ، أما فى الفيلم الثانى فقد غنت أربع أغنيات كلها من ألحان عبد الوهاب "من سحر عيونك يا" ، "حبيتك يا أسمك إيه" و "جوه القلب" ،و "أغنية الوداع".

و قد تألقت صباح مجددا أمام عبد الحليم حافظ فى فيلم "شارع الحب" لعز الدين ذو الفقار ١٩٥٨ ،و و جمعت بين الأكابر الحسناء الذكية العاشقة ،و بين الأنثى الناضجة التى يغير الحب كثيرا منها و تصبح أكثر أحساسا بالمسئولية.

و فى البداية نرى كريمة فتاة تتنافس فى النادى دائما مع زميلتها ميرفت ،و يأتى إلى النادى الموسيقار الشاب عبد المنعم صبرى ليعلم البنات الموسيقى ،و و يشترط فى الوظيفة أن يكون المدرس عجوزا ، فيتخفى عبد المنعم صبرى فى زى رجل عجوز ، و يصبح مثار سخرية و تنافس. و تأخذه كريمة إلى منزلها الريفى من أجل أن تدفعه إلى أن يقص لحيته ،و هذا هو الرهان الذى عليها ن تكسبه من ميرفت ،و تغنى له أغنية خفيفة هى "علمنى الحب.. علمنى.. عن دنيا القلب.. فهمنى" ،و بينما هى تحاول أن تقتص الموسيقار ، فإذا به يحاول أن يبتعد عن مخاطرها و يتراجع دوما. و هى تبدو كالقناص بأنوثتها و طغيان سحرها.

و قد تألقت ، فى هذه السنوات كأفضل ما يكون التألق كامرأة جميلة و ممثلة ،و بدا هذا فى مشهد الحمام الذى بعده عبد المنعم أن يعود ،و أيضا فى مشهد الشرفة الذى انتهى بقبلة من الطرفين.

و رغم أن صباح غنت هنا أغنيتين فقد كانت فى إحدى أحسن حالاتها ،و فى مشهد جمع بين الحبيب الذى عاد إلى فتاته كى يعطيها النقود التى أعطتاها له ، تبدو و قد ارتدت فستان أبيض فاخر للغاية ، يكشف عن جمال كتفيها ،و تروح تغنى له: "لأه.. ياملوع لى قلبى دقة دقة.. قصدك أنسى حبك.. برضه لأه" ،و قد انتهى المشهد أيضا بقبلة ساخنة بين الحبيبين.

و مع كل فيلم جديد لصباح فى تلك الآونة كانت تلمع لها أغنية أو أكثر ، مثل أغنية "الحلو ليه تقلان قوى" التى ضمن ثلاث أغنيات فى فيلم "ثلاثة رجال و امرأة" لحلمى حليم ١٩٦٠ و هى من كلمات فتحى قورة و ألحان محمد الموجى و التى تقول فيها:

يا سيدى رق يا روحى ميل.... يا حبيبى ما يصحش كده
خلاص عرفنا أنك تقيل.... و لحد امتى التقل ده
مش بس أنت اللى جميل.... ما إحنا كمان حلوين قوى
تتقل قوى و تزعل قوى.... أنا قلبى بيحبك قوى

و فى فيلم "جوز مراتى" لنيازى مصطفى عام ١٩٦١ ، غنت صباح واحدة من أشهر أغنياتها "حسونة"،و فى فيلم "طريق الدموع" جسدت شخصية ليلى مراد على الشاشة ، باعتبار أن الفيلم يروى قصة حياة أنور وجدى ،و قد غنت أمام كمال الشناوى أغنية بديعة بعنوان "زى العسل".

و قد جسدت صباح فى فلام عديدة فى تلك الفترة دور المطربة ، فلم يكن هناك فارق بين ما تؤديه على الشاشة و بين الشخصية التى تعيشها فى الحياة ،و قد حدث هذا فى فيلم "توبة" ،و "الليالى الدافئة" ، حيث جسدت هنا دور مطربة تعانى من زوجها الذى أثر أن تكون علاقتهما الزوجية سرية ، لأنه كطبيب من أسرة راقية يرى أن زواجه من مطربة يقف ضد التقاليد ،و قد عانت المطربة فى هذا الفيلم كثيرا من الموقف المتعالى من الزوج الذى سعى إلى حرمانها من ابنتها ،و من أجل هذه الابنة غنت "حبيبة أمها" كلمات حسين السيد و ألحان فريد الأطرش ،و قد نجحت الأغنية مثلما حدث فى أغنية سابقة لصباح لم تنشدها فى فيلم و هى "آكلك منين يا بطة".

و قد ظهرت صباح باسمها كمطربة فى ثلاثة أفلام هى "هذا الرجل أحبه" ،و "القاهرة فى الليل ، ثم منتهى الفرح" ،و فى هذه الفترة بدت كأنها تختتم مشوارها فى السينما المصرية حيث ستسافر إلى لبنان لتعمل هناك بشكل مكثف فى فترة عرفت بالهجرة إلى لبنان ، سافر فيها إلى بيروت كل من محرم فؤاد ،و مريم فخر الدين ،و إسماعيل يس ،و عبد السلام النابلسى و آخرون ،و التقوا هناك و عملوا معا فى أفلام غنائية و كوميدية عديدة.

و قبل أن تسافر صباح إلى لبنان كان دورها فى فيلم "الأيدى الناعمة" لمحمود ذو الفقار ١٩٦٣ بارزا ،و غنت فيه أغنيتين طويلتين جميلتين ،و بدتا كأنهما تقطعان لإيقاع الفيلم كى نرى الفتاة تمشى فى حدائق المنتزه لتغنى "ب فتحة ب... باحبك ، ب كسرة ب.. بشدة ، ر ضمة ر.. روحى جنبك" ، ثم لتغنى أغنية طويلة أخرى مليئة بالطرب هى الدوامة".

و فى لبنان غنت صباح أغنيات مصرية أحيانا و أغنيات باللهجة اللبنانية كثيرا ،و قامت بدور المطربة التى تقع فى غرام الصحفى الذى يهاجمها فى فيلم "حيبة الكل" عام ١٩٦٤ ،و قد عملت مع يوسف معلوف و محمد سلمان كمخرجين. و من ابرز أغنياتها "على كرم الهوى" فى فيلم "كرم الهوى" عام ١٩٦٧ ،و يمكن الوقوف عند فيلم مصرى لبنانى هو "٣نساء" ، حيث قامت صباح بدور البطولة فى القصة الثالثة من الفيلم ،و بدت فيه فى قمة تألقها ، فهى مطربة فى أحد الملاهى الليلية ، تتعرف على شاب بعيدا عن عملها ، يحاول أن يتعرف على عملها و أن يحظى باهتمامها لو زارها هناك ،و تحذره الفتاة شمس من أن يزورها فى عملها ، لكنه يفعل فتسقيه مثل الآخرين ثم تخرجه من حياتها.

و قد غنت صباح فى هذا الفيلم أغنية خفيفة تحتاج إلى حنجرة قوية و روح شبابية عالية هى "يابو الطاقية".

و من أبرز الأفلام اللبنانية لصباح فى تلك الآونة "المليونيرة ١٩٦٥ و "الصبا و الجمال" ١٩٦٦ ،و أهلا بالحب ١٩٦٨ ،و فى عام ١٩٧٠ أخرج لها محمد سالم فيلم "نار الشوق" الذى جمع بين ابنتها هويدا و وديع الصافى ،و فى الفيلم تقوم المطربة بأداء شخصية مطربة اسمها صباح رفض شقيق حبيبها على أن يتزوج منها ، فتزوجت من رجل آخر و رحلت إلى بيروت و أنجبت فتاة هى هويدا ،و يموت زوجها. تهوى هويدا أيضا الفن و تسافر إلى القاهرة لتشارك فى عمل فنى فتعترف على شريف ابن عمها حسن ،و هو مصمم ديكور العمل. يرفض الأب زواجهما ،و من الواضح أن هناك جزءا من حكاية الفيلم مأخوذة عن حياة صباح.

و فى السبعينات عملت صباح فى أفلام قليلة للغاية ،و ظلت هناك لسنوات طويلة و عادت إلى مصر عام ١٩٨٠ لتختتم حياتها السنمائية فى فيلم غنائى أخرجه أحمد يحيى باسم "ليلة بكى فيها القمر" ،و هو أيضا فيلم عن معاناة مطربة عاطفية ،و الفيلم مأخوذ من الفيلم الأمريكى "مولد نجمة" لجورج كيوكر.

و الفيلم عن حنان المطربة المعروفة التى تتعرف على شاب أصلح لها سيارتها فى الطريق الزراعى و عرفت مخرج مسرحى ، فتحابا و مدت له يد المساعدة و صار مخرجا مشهورا و تزوجها ، لكنها صدمت ذات يوم حين اكتشفت أنه يخونها مع امرأة أخرى فقررت أن تهجره و أن تعيش من أجل الفن.

و فى الفيلم مجموعة من أغنيات صباح الأخيرة الجميلة ، الأخيرة فى السينما المليئة بالشجن ، مثل "ساعات ساعات" ثم "الحب اتعلموه" و قد حاولت صباح فى هذا الفيلم أن تبدو على أحسن ما تكون فهى عندما أدت "ساعات" ارتدتثوبا أبيض بورود بديعة و كأنها طاووس أحمر الريشات.

و قد كتب الناقد مجدى فهمى عن المطربة فى الفيلم "صباح لا تدعى أنها ممثلة ، هى فقط مطربة تتصرف بعفوية و بساطة تصل بها إلى قلوب الجماهير ،و من هنا نجحت جدا فى أن تمثل "حالة الحب" و لم تمثل انفعالات الحب فى مواقفه المختلفة ،و كان الوقف الدرامى الذى تعرضت له و هى تكتشف خيانة زوجها أضعف مشاهدها".

صورة
صباح فى الأيدى الناعمة

الفصل العاشر
محمد الكحلاوى

نظرت السينما المصرية دوما إلى المطرب على أنه الشخص الذى يغنى و أن الناس تود رؤيته فى حالة غناء ،و لذا فلم تكن وسامته ولا موهبته الفنية كممثل مصدر قلق كبير للمنتج أو المخرج ، المهم أن الناس التى اعتادت سماع هذا المطرب فى الإذاعة فإن أقصى ما يحلمون به هو رؤيته ،و هل هناك أكثر من السينما كى يراه الناس على شاشة عريضة.

و قد عمل محمد الكحلاوى فى أفلام كثيرة لأكثر من خمسة عشر عاما ،و رغم أنه لم يكن بالشخص الوسيم أو الجذاب أو الممثل الموهوب ، فإنه قد بقى يتعامل مع المخرجين بدرجات مختلفة ،و قد حدث نفس الشئ لمطربين عديدين من أبرزهم عبد الغنى السيد و محمد قنديل.

ولا شك أن الكحلاوى أحد الذين يحب الناس غناءهم ، خاصة أنه كان يتمتع بشعبية واسعة و لذا ، فإنه فى أفلامه الأولى التى قام ببطولتها كان المخرجون يكتفون بإسناد أداء أغنية ما قد لا تكون لها أى علاقة بالفيلم نفسه.

و كانت هذه هى بدايات الكحلاوى و غيره ممن يملكون نفس السمات فى السينما ،و قد رأينا الكحلاوى مثلا فى أحد مشاهد فيلم "على مسرح الحياة" لأحمد بدرخان ١٩٤٣ ، جالسا بملابس الريف فوق الساقية التى تلف به و هو يغنى للطبيعة من حوله ،و ذلك فى إطار أن بطل الفيلم – حسين رياض – كان عليه أن يذهب مع أسرته – زوجته و أختها – التى تحبه من أجل قضاء بعض الوقت.

و محمد الكحلاوى هو مطرب شعبى و بلدى مطلوب ، نجحت أغنيته "يا زين يا با زين" فى أوائل الأربعينات مما دفع بالمخرجين إلى التعامل معه ،و يقول محمد قابيل فى كتابه "موسوعة الغناء المصرى " أنه كان يصر على أن يتقاضى أجر لا يقل عن الأجر الذى تتقضاه ليلى مراد عن الفيلم و هو ١٥ ألف جنيه،و ذلك يعكس مكانته لدى الناس رغم السمات التى وصفناه بها.

و قد عمل الكحلاو فى أفلام عديدة فقط كمغن ،و كما أشرنا فى فيلم "على مسرح الحياة" فإنه غنى فقط و بحضوره الجسمانى فى أفلام من طراز "بحبح فى بغداد" ١٩٤٢ ،و "جوهرة" ثم شارك فى بطولة فيلم "رابحة" عام ١٩٤٣.

و فى أفلامه الأولى كانت توضع أسماء أبطال الفيلم ثم يكتب اسم المطرب هكذا "محمد الكحلاوى" ، باعتبار أن ظهوره على الشاشة يستغرق وقتا يؤهله إلى هذا التميز ،و قد غنى فى "بحبح فى بغداد" لحين فوزى عام ١٩٤٢ و شاركته الغناء كل من حورية محمد و سعاد زكى. و فى هذا الفيلم لمع فى الدور "البدوى" و الريفى الذى كان الناس يطلبونه فيه "فيغنى" غنوة الصحراء" ،و "قف يا مراكبى" ،و "بدور تلاعب بحبح".

و من اللحظة الأولى كان الكحلاوى صاحب لحنه لذا فإن أغنياته حملت اسمه. و كان سبب نجاح الأغانى لدى الناس أن صار المخرجون يطلبونه باعتبار أن الأغنية فى الأفلام بمثابة "طرفة" لابد من وجودها. و قد اشترك الكحلاوى فى تلحين بعض الأغنيات البدوية فى أفلام عديدة لم يشارك فيها بالغناء فلحن لنور الهدى أغنية "راعية الغنم" فى فيلم "جوهرة" ليوسف وهبى ١٩٤٣. و لحن لها أغنية "الشجن" فى فيلم "برلنتى" لنفس المخرج ١٩٤٤ ، ثم غنى لنفسه نفس النوع من الأغنيات فى نفس الفيلم باسم "جمال الليل" التى كتبها عبد العزيز سلام.

و فى عام ١٩٤٤ أيضا شارك الكحلاوى بألحانه و أغانيه بقوة فى بعض الأفلام ،و زاد لمعانه كمطرب و ملحن ، منها فيلم "ابنتى" الذى أخرجه نيازى مصطفى ،و من الواضح أن المخرج قد وجدا ضالته فى مطرب كى يصبر النجم الغنائى المتواجد فى كل أفلامه ، خاصة أن نيازى مصطفى قد نفسه فى اللون البدوى،و لم يكن أمامه أكثر لمعانا و جاذبية فى هذا الدور من الكحلاوى فجعله يعمل معه بشكل دائم فى أفلامه التالية حتى و ان لم يكن الفيلم فى حاجة إلى مطرب.

و فى فيلم "ابنتى" قام الكحلاوى بتلحين أغنية "البحث" من غناء شافية أحمد ثم لحن لنفسه أغنيتين لمعتا بقوة ولا تزال واحدة منهما موجودة فى أذهان الناس حتى الآن ، الأولى هى "الوابور" و الثانية كانت من تأليفه و ألحانه و عنائه و هى "دوبنى دوب يا هوى".

و قد كان الكحلاوى هنا مجرد مطرب يظهر فى المناسبات كى يغنى ،و لم يكن له دور تمثيلى بالمرة ، فنحن أمام قصة امرأة حاولت انقاذ ابنتهامن الوقوع فى خطيئة ارتكبتها هى يوما ،و هى خيانة الزوج لذا قامت بحماية ابنتها التى لا تعرفها و نسبت الخيانة إلى نفسها ،و هى كما نلاحظ قصة "مروحة الليدى و ندمير" المسرحية التى كتبها أوسكار وايلد و أخرجتها السينما المصرية أكثر من مرة.

و من اللون البدوى الذى قدمه الكحلاوى فى "رابحة" عام ١٩٤٣ ، إلى فيلم عصرى هو "حسن و حسن"، رأينا نيازى مصطفى يحاول الاستفادة من شعبية مطربه فيقدمه للناس يغنى ،و ليس الغناء أمام الكاميرا بحاجة إلى قدرة تمثيلية ،و كان "حسن و حسن" و هو الفيلم الأول الذى يكتب اسم الكحلاوى فى المقدمة ، ثم يأتى من بعده أسماء كل العاملين ابتداء من المطربة حورية محمد ،و بشارة واكيم و فردوس محمد و هاجر حمدى و غيرهم.

و الفيلم عن السائق حسن ، له ابن عم يدعى حسن بك ، إلا أنه نصاب و محتال و وجيه ،و أراد حسن بك هذا أن يتزوج بأخت السائق فانتهز الفرصة و طلب من السائق أن يعطيه مالا يستثمره فى أحد المشروعات،و عند سفرهما إلى الإسكندرية أحب فتاة كانت تركب مع خادمتها بالقطار. أحب الاثنان الفتاة و ظنت الخادمة أن أحدهما أحبها ،و انتهت العلاقة بزواج حسن من الخادمة ،و حسن من السيدة ، لكن أهل الفتاة رفضوا و اعتدوا على حسن السائق ،و كذلك اعتدى أهل الخادمة على حسن بك عندما هرب لعلمه أنها الخادمة ، يبدأ

حسن بك فى الاحتيال على أهل الفتاة و يورط والدها حتى يجعله يبدد أموالا كانت أمانة لديه ،و يتعرض للسجن مما يجعل حسن السائق ينقذ العائلة التى قامت بإنكاره فيما قبل.

و الفيلم كما هو واضح نموذج لولع نيازى مصطفى بالحيل ، فنحن أمام ممثل يؤدى شخصيتين متناقضتين،و هو نفس الأمر الذى قدمه فى "سى عمر" و نجح فيه بكفاءة و فى الفيلم دخل الكحلاوى بكل قوة، ليس فقط بوجوده طيلة الأحداث من خلال الشخصيتين ،و لكن أيضا لأنه لحن أربع أغنيات فى الفيلم و غنى منها وحده أربع أغنيات ،و الغريب هنا أنه غنى لنفسه من ألحان القصبجى أغنيتى "البحر" ،و "خاين ودى" ، كما غنى من ألحانه إحدى الأغنيات البدوية "على دجات الطبول" ، ثم "ولو كان بكيفك" ، أما الأغنيات الأخرى فهناك مونولوج لشكوكو باسم "أنا زقزوق" و أغنية بها ليلى حلمى باسم "يا إسكندرية".

و كان على نيازى مصطفى أن يسرع للاستفادة من النجاحات المتوالية التى يمثلها المطرب ، فقدمه فى واحد من أشهر أفلامه "طاقية الإخفاء" ،و هو الفيلم الذى قام بإنتاجه كل من عزيزة امير و محمود ذو الفقار التى أنتجت فى نفس السنة فيلم "ابنتى".

و بطل "طاقية الإخفاء" هو المعلم عباس الذى يعيش حياة بسيطة لا تخلو من الديون و الأحلام البعيدة المنال ، يعثر ذات يوم على طاقية الإخفاء التى تستطيع أن تخفى من يضعها فوق رأسه فلا يراه أحد ،و يستغلها عباس فى سداد ديونه و تحقيق أحلامه البسيطة ، ثم يكتشف حقيقة أخلاق الناس حوله. فاستطاع أن يعرف مدى ما يتسم به الآخرين من نفاق ، فصار وحيدا لا جليس له ولا يتخذ له صديقا سوى الطاقية. و عندما يفقد الطاقية يحس بالوحدة الشديدة و يعرف أن اللصوص قاموا بسرقة الطاقية و أنهم يحاولون استغلالها فى اعمال خارجة على القانون.

و يدرك عباس فى النهاية بعد القبض على العصابة أن تحقيق الآمال ليس بطاقية الإخفاء و إنما بالجهد و العمل. و هذه المرة كانت الأغنيات الست كلها من تلحين الكحلاوى فغنت تحية كاريوكا من تأليف عبد العزيز سلام "يا قلبى بحبك" ،و غنى هو لنفس المؤلف "الله ع الرقص اللى يسلى" و "صحتك بالدنيا" و "ياقلبى دارى هواك" ،و "زينة زين" ، كما غنى من كلمات أبو السعود الابيارى "يادى النعيم".

و فى عام ١٩٤٥ ، كان نيازى مصطفى قد راهن على مطرب آخر هو فؤاد الرشيدى فى فيلم "عنتر و عبلة" و لكنه لم يلمع بنفس القدر ، أما الكحلاوى ، فقد عمل فى فيلم "الآلة الكبرى" الذى شارك بطولته أنور وجدى ،و حسين رياض ،و فيه لم يجد الكحلاوى نفس الجماهيرية التى حققها فى أفلامه السابقة ، فقام الكحلاوى بنفسه فى نهاية السنة بتأليف قصة فيلم "المغنى المجهول" و التى دفع بها إلى أبو السعود الإبيارى كى يكتب لها السيناريو الحوار و أخرج الفيلم مصطفى حسن.

و الفيلم يروى قصة محمد ابن القهوجى ، الذى يدرس فى نفس المدرسة مع شفيق ابن أخو عاصم بك الثرى. يصبح شفيق مهندسا بينما يحترف محمد صناعة الزخرفة و يصبح ماهرا فيها ، كما أنه يمتلك صوتا شجيا. ينجح فى أن يسجل أغانيه فى الإذاعة. تحبه محاسن ابنة عاصم بك ، لكن ينافسه فى الحب شفيق ، لذا يرفض البك و يصر على زواجها من شفيق الذى يعمل على إزاحة محمد حتى كاد أن يدخله السجن. يحصل محمد على جائزة تكريم بصفته عاملا فيغير عاصم بك نظرته إليه و يزوجه ابنته.

و كما نلاحظ ، فإن المهن التى أداها الكحلاوى فى السينما هى مهن شعبية تمجد الصانع الشعبى ،و تسمو أخلاق أبناء هذه الطبقة فى الأفلام على ابناء الطبقة الموسرة.

و لاشك أن مثل هذه الشخصيات تساعد فى اقتراب النجم الذى يغنى باسمها من قلوبها. فهو لسان حالها و يعكس أهم صفاتها. و قد تنبه صناع الأفلام إلى هذه النقطة لدى المطربين الشعبيين دوما ، فتكررت عند عبد

الغنى السيد ،و عبد العزيز محمود و كارم محمود ،و سوف نرى أن آخرين لهم جمال الصوت قد ظلوا دوما يعبرون عن أبناء الطبقة الراقية الثرية و منهم إبراهيم حمودة كأوضح مثال على هذا.

إذن ، فالكحلاوى جسد شخصيتين مثلما حدث فى "حسن و حسن" ، فلابد أن يكون الصانع أو الشعبى هو الطيب ، أما الثانى الثرى فهو الشرير. و قد تكرر هذا فى "المغنى المجهول" ،و هو هنا جسد فقط شخصية محمد ابن القهوجى الذى يبرع فى صناعة الزخرفة ،و لاشك أن الكحلاوى الذى ألف الفيلم قد وضع عينيه على هذه الرؤية فراح يؤكد عليها بكل قوة.

و فى النهاية العام قدمه حسين فوزى فى فيلم يدور فى نفس المناطق و حول نفس الشخصيات ،و هو فيلم "يوم فى العالى" من تأليف و إخراج فوزى نفسه ،و فيه قامت بالبطولة زميلته السابقة حورية محمد مع محمود شكوكو.

و بطل الفيلم هنا هو شاب من الطبقة المتوسطة يسكن مع أبيه فى حى شعبى و لكنه يحترف الغناء الذى يوفر له عملا فى صالة ليلية. يتعرف هناك على راقصة يغنى معها فى الصالة. يتعلق بها و تحبه إلا أن أباه يرفض هذه العلاقة و يرغب أن يرتبط ابنه من ابنة صديقه و جاره الذى ينتمى لنفس طبقتهم و طباعهم ،و لا سيما و ان ابنة جاره تحب ابنه و تعجب به.

لكن المطرب الشاب هذا يصد جارته ،و يصر على زواجه منالراقصة فيغضب عليه أبوه ، لذا يتزوجها رغما عنه و يعيش بعيدا عن والده. و بعد مواقف تثبت مدى إخلاص الراقصة و حبها لأهله يرضى عنه والده ليعود إليه و يعيش فى وسط أهله فى الحى الشعبى.

صورة
إعلان عن الفيلم الصبر جميل

و قد صنع حسين فوزى شخصية بطله هنا كى تنتمى إلى عالمين معا ،و الحى الشعبى و الصالات فكلاهما محبب لدى رواد السينما ولا بد للمطرب الشاب هنا ان يغنى من ألحانه كى تغنى الراقصة و كى يحقق النجاح.

و فى عام ١٩٥٧ ، قام الكحلاوى ببطولة فيلم "أحكام العرب" لإبراهيم عمارة ،و هو من تأليف و إنتاج و ألحان و توزيع و تمثيل الكحلاوى. و قد اشترك معه فى وضع الألحان محمد حسن الشجاعى. فقام بدور الأخ الطيب الذى ورث أرضا من الأب الراحل مع أخيه (سراج منير) و هو شخص أنانى يعشق ذاته و يحب المال. لذا يحاول الأخ الطيب أن يتجنب الخصام مع أخيه فيتنازل له عن حقوقه فى الأرض كلها ليعيش فى نعيم و رغد ،و يقاسى الطيب الفقر و الحاجة.
إلا أن عدل السماء يتدخل حين يرعى الأخ الشرير عدواته مع الآخرين ، بسبب المال الذى لم يوفر له السعادة يوما ، بل وفر له القلق و الخوف من ضياعه حيث يتسلل أعداؤه إلى منزله ليلا و يسرقونه ثم يقتلونه و تؤول الأرض كلها إلى الأخ الطيب.

و الأفلام التالية للكحلاوى كان أغلبها من تأليفه و إنتاجه و ألحانه ، لذا فقد كان هو الذى يختار مخرجه و طاقم العاملين معه ،و كان فيلمه التالى "ابن الفلاح" لعبد الفتاح حسن سنة ١٩٤٨ ، الذى كتب له الحوار بديع خيرى و شاركته البطولة تحية كاريوكا.

و نحن هنا أمام القصة التقليدية فى السينما الغنائية ، حول الشاب الذى يطمح فى أن يصير مشهورا فى عالم الغناء ، حيث يمتلك صوتا جميلا فيسافر إلى العاصمة بحثا عن فرصة يعرض فيها موهبته فى الغناء ،و يجد فرصته فى إحدى الصالات و يصبح ذا حيثية و شهرة و يتعرف على راقصى يحبها و يبثها الشوق

الجميل ، إلا أنه يجدها بعد أن صرحت له بحبها لغيره... و يعانى كثيرا من زيف العالاقات و النفاق مما يجعله يضيق بالمدينة و بالشهرة فيعود إلى قريته و يغنى فقط للفلاحين.

النهاية هنا غير تقليدية ، لكن فيها العزف على الاقتراب من البسطاء فهو يفضل الفلاحين على الأغنياء و يرى فى أبناء الريف نقاء لم يجده فى العاصمة.

و قد جسد الكحلاوى دور المطرب فى أفلامه التالية ، مثل "مبروك عليكى" ،و هو من تأليف و إخراج عبد الفتاح حسن ، ثم "أسير العيون" لإبراهيم حلمى ١٩٤٨ ،و فى الفيلم الثانى اشترك الكحلاوى فى صناعة العمل بشكل مباشر ، فهو ليس فقط مؤلف القصة و السيناريو ، بل ساعد فى كتابة الحوار مع بيرم التونسى و "أبو السعود الإبيارى" ، كما أن الفيلم من إنتاجه و توزيعه و ألحانه ،و فيه يقوم بدور مطرب يحب الصيد ، يدخل فى مبارزة مع شخص مجهول فيكتشف أنه فتاة فيحبها. و هو بالطبع فيلم بدوى ، فالفتاة تدعى ليلى من قبيلة بنى بكر هربت من أسرتها التى تود أن تزوجها من ابن عمها ،و تقرر الزواج بالفارس الذى يغلبها ، لذا فهى تعيش مع محمد ، إلى أن تشى بها فتاة لدى القبيلة ،و تعود إلى القبيلة ،و هناك تطلب مبارزة كل شباب القبيلة فغلبتهن بمن فيهم ابن عمها ، إلا أن محمد يتقدم لمبارزتها و يتغلب عليها و يكون ذلك سببا لأن توافق القبيلة على الزواج.

و الفتاة التى جسدت دور ليلى هنا ليلى فوزى ، أما الممثلة التى قامت بدور البطولة أمامه فى فيلم "أنا و أنت" عام ١٩٥٠ فهى هاجر حمدى منتجة الفيلم ،و الفيلم من إخراج بدرخان.. و الذى غنى فيه مع فايدة كامل عدة أغنيات.

كان نيازى مصطفى قد ظل بعيدا عن الكحلاوى لأكثر من خمس سنوات لكنه عاد مرة أخرى إليه عام ١٩٥١ ليجمعه و تحية كاريوكا و شادية فى فيلم من إنتاج الكحلاوى نفسه ،و الغريب أنه قد تنازل هنا عن التأليف ، فتركه كاملا لبديع خيرى لكنه لم يتخل عن الطبقة التى انتمى إليها دوما فى أفلامه ، كما أنه لم يتخل عن اسمه "محمد" ، فهو هنا عامل بنزين يعمل مع ابنة خاله كراملة فى إحدى محطات البنزين ،و لما كان من هواة الغناء أثناء العمل فقد فصلا من المحطة بسبب هذه الهواية و عادا إلى البيت فطردتهما والدة محمد مما يدفع برجل أعمال إلى أن يلحقهما بمصنعه.

و فى المصنع تقوم منافسة بين محمد و أحد زملائه بسبب هخطيبته بطة التى تعمل فى نفس المصنع ،و يتمكن محمد من اختراع طريقة جديدة تزيد من إنتاج الآلات. سيتكرر نفس الأمر فى "خليك مع الله" ، لكن جزاء محمد هنا الطرد و ذلك بسبب بطة الى يحبها صاحب المصنع. فى نفس الوقت فإن الشابة درية تلجأ الى محمد كى يعاونها ضد عزت بك الذى بدد أموالها ،و ذلك حتى تسترد رسائلها الغرامية التى يطلب فيها ثمنا غاليا.
هى إذن نفس شخصية العامل ،و هو كفء فى النهار ، حتى يتمكن من اختراع ما يطور الآلات ،و الليل حيث يذهب إلى الملاهى و يغنى ،و لذا فإن الأغنيات التى تضمنها الفيلم ليست كلها عاطفية ، بل عن العمل مثل أغنية "شل" التى كتبها حسين توفيق:

آه يا عينى على شل و بنزين شل و عمال شل
خدمة من العال و تجيك فى الحال ساعة ما تهل
آه ياعينى على شل و بنزين شل

كما غنى الكحلاوى فى الفيلم مع زميلاته ، فأمام شادية غنى "يا طارحين الشبك" ، تأليف جليل البندارى:

يا طارحين الشبك فى بحركم غالى
و لما قلبة انشبك طلع الشبك خالى

يا طارحين الشبك

و أمام حورية حسن التى تظهر فى السينما لأول مرة غنى "لاتصيبك العين" من كلمات كمال محمد:

محمد: لا تصيبك العين لا تصيبك العين
أنا قلبى عليك من حسد العين
لا تصيبك العين
بطة: دارى هواك عن كل عزول
ده الى عشق عمره ما بيقول
محمد: و اللى صبر
بطة: بالصبر ينول

و قد غنى الكحلاوى هنا لأول مرة سينمائيا ؛ واحدة من أغنياته الدينية الشهيرة التى لمع بها فيما بعد ، و تخصص فى أدائها و هى أغنية الحج التى كتبها كمال محمد:

الأولة آهـ يا فرحكم يا هناكم
و الثانية آهـ.. نور النبى دعاكم
و الثالثة آهـ بروحى معاكم
أشوف حبيب الله و اقول لعينى آهـ

و قد تضاءلت علاقة الكحلاوى بعد ذلك بالسينما ، حيث بقت له ثلاثة افلام و هى "خليك مع الله" لحلمى رفلة ١٩٥٤ ،و الذى قام فيه بدور عامل و فى و ماهر فى أحد المصانع ، رغم أنه وريث نفس المصنع الذى يعمل فيه دون أن يدرى ،و قد شاركته البطولة هنا مطربة جديدة لم تعمل كثيرا فيما بعد هى نادية رياض و غنت من ألحانه "أول ليالى الهنا".

أما الأغنيات الأخرى فهى "دارى جمالك دارى" تأليف نجاح الغنيمى ،و "على فين يا وابور" تأليف حيرم الغمراوى ،و "غزالى الحلو قابلنى" تأليفعبد الفتاح مصطفى ، ثم الأغنية التى تحمل اسم الفيلم و التى كانت سببا فى نجاحه "خليك مع الله" تأليف حيرم الغمراوى:

خليك مع الله.... و أعمل الطيب
سلمها لله.... تلقى البعيد قريب

و فى العام التالى قام الكحلاوى بالغناء فى فيلمه الشهير "كابتن مصر" و هو هنا يؤدى شخصية يمكنها أن تقترب كثيرا من الجماهير ، فهو مولع برياضة كرة القدم و يصبح بطلا قوميا بعد أن يحرز فريقه عدة انتصارات. يحب فتاة و لكن هناك غريمه الرجل الثرى الذى يحاول إبعاده و يلجأ إلى حيلة و هى أن يضع فى طريقه راقصة يمكنها بأنوثتها إبعاده عن البطولات فينهزم فريقه فى عدة مباريات و يفصل من الفريق ، إلا أنه بمعاونة شقيق الفتاة التى يحبها و أهل الحى يتمكن من استرجاع البطولات و تعود له شهرته و يتزوج حبيبته.

و رغم أنه رياضى فلامانع أن يغنى سواء مع دينا زاد فى "إيش لونك" ، أو سواء مع صوت نادية فهمى المطربة التى غنت كثيرا فى السينما على شفاه العديد من المطربات مثل هند رستم فى "الملاك الظالم" دون أن تظهر على الشاشة فى أغنية "ان كنتوا نسيتوا اللى جرى.. هاتوا الدفاتر تتقرا" ، كما غنى الكحلاوى أيضا أغنيات مثل "سبع سنين و يوم" و "ياللى غرامك نار" و أغنيته الشهيرة "أتوب".

الكجلاوى الذى اعتزل السينما بعد فيلمه "بنت البادية" عام ١٩٥٨ يكون قد عمل فى أكثر من عشرين فيلما ،و طالت مدة بقائه فى السينما أكثر من أقرانه الآخرين ، سواء الذين ظهروا معه أو الذين جاءوا من

بعده ، خاصة الذين لمعوا فى الغناء الشعبى ،و منهم عبد العزيز محمود و كارم محمود ،و عزيز عثمان ،و آخرين.

صورة
لقطة من فيلم "أنا و أنت" تمثيل محمد الكحلاوى
و هاجر حمدى إخراج أحمد بدرخان إنتاج ١٩٥٠

صورة
إعلان عن فيلم الصبر جميل منشور بالجرائد

الفصل الحادى عشر
السينما الغنائية فى الأربعينيات

الأربعينيات هى العصر الذهبى للسينما الغنائية. و هناك أسماء عديدة لا يمكن أن نفرد لكل منها فصل فى الحديث عن انجاز كل منهم ، ليس أبدا لقلة أهميتهم ،و لكن لقلة المراجع عن أغنيات كل منهم فى الأفلام ،و أيضا لعدم توافر نسخ الأفلام لمشاهدتها ،و لذا فإننا عندما نحاول أن نجمعه هنا للحديث فإننا لا نسعى أن نقلل من أهمية عطائهم.

ز على جانب آخر ، فإن بعض الأماء منها كان عطاؤها فى السينما قليلا للغاية ، مثل حياة محمد التى غنت فى فيلم "ليلى البدوية" عدة أغنيات بمفردها ،و مع إبراهيم حمودة كما أن هناك فى نفس الفيلم أحمد عبد القادر الذى غنى "يالوعة المشتاق" و "يا ظبية الوادى" بالإضافة إلى حكمت مجدى.

و اول هذه الأسماء هو إبراهيم حمودة ،و هو أحد أطول المطربين عمل فى السينما منذ أن غنى فى فيلم "ليلى بنت الصحراء" عام ١٩٣٧ ،و حين غنى فقط عام ١٩٦٥ فى فيلم "المعلمين" لعبد العليم خطاب. و قد كان حمودة من أبرز وجوه الغناء السينمائى فى الأربعينيات ،و وقف أمام أم كلثوم فى فيلم "عايدة" لبدخان عام ١٩٤٢ ،و غنى دويتو يحمل اسم "أراك يا نور عينى" ،و فى عام ١٩٤٤ أدى دور روميو فى "شهداء الغرام" أمام ليلى مراد ،و غنى أمامها أغنية "رايح تفوتنى و الوقت بدرى" ، كما غنى بشكل فردى "ياللى ملكت الفؤاد" و "يا نايمة بين الشموع" ،و قد ظل إبراهيم حمودة يغنى فى السينما فى أفلام من طراز "قصة غرام" و "الصبر طيب" و "ليلة الجمعة" عام ١٩٤٥ ، ثم "الدنيا بخير" ١٩٤٦ ،و "معروف الاسكافى" ١٩٤٧. و قد كان إبراهيم حمودة قوى الصوت له قبول فى الدراما ،و لذا فقد ساهم فى الأداء فى الكثير من الأفلام دون أن يشارك فى بطولتها ، منه "ليلة غرام" و "الحموات الفاتنات" ، كما غنى فى العديد من المسرحيات الغنائية مثل "يوم القيامة" و "شهر زاد" و غنى الدراما الإذاعية الغنائية الشهيرة "الدندورمة" ،و من بين ما غنى استعراض "الحمة\وات الفاتنات" فى فيلم يحمل نفس العنوان لحلمى رفلة ، كتبه فتحى قورة و لحنة أحمد صبرة ،و شارك فى الغناء معه كل ن حسن و حسان ،و فيه يقول:

هو: ضلل يا ورد علينا و قول.... ياريت لقانا يدوم على طول
قالوا اللى يصبر بكره ينول.... لكن صبرنا سنه و سنين
هى: ان كنت مش ناوى تسيبنى.... روح ياللا على بابا و أخطبنى
ما دمت عجباك و عاجبنى.... و شغلت قلبى بنظرة عين
هو: ح أروح لأبوكى طوالى.... مهما يكون مهرك غالى
و ان كان يوافق يا آمالى.... أدفع له بدل المية ميتين

أما المطربة نجاة على ، فقد وقفت أمام محمد عبد الوهاب فى فيلم "دموع الحب" المأخوذ عن ماجدولين "و غنت معه"يا ما رق النسيم" ،و لمعت بأغنيات من طراز "فاكراك و مش ح أنساك ، مهما الزمان

اساك"،و هى من الأغنيات الباقية لها طوال هذه السنين. و قد عملت نجاة على فى خمسة افلام منها "شئ من لا شئ" و "حب من السماء" و "الحظ السعيد" ،و "الشاطر حسن" ،و قد غنت فيها جميعا أغنيات مثل "عاشق السهر" و "عاد الغريب يا ليل" ،و قد اشتركت فى الغناء مع محمد أمين فى فيلم "حب من السماء" لعبد الفتاح حسن" عام ١٩٤٣ ،و غنت من ألحان محمد عبد الوهاب و زكريا أحمد ، حيث تؤدى دور سامية المصابة بالشلل رغم جمالها و هدؤ طبعها مما يجعلها تشعر بالنقص الكبير ، تصد سامية المهندس الشاب الذى يحبها ،و لكن حينما يرغب فى الزواج منها ترفض ظنا منها أن ما يشعر بها تجاهها ما هو إلا شفقة على حالتها. تسعى سامية إلى خلق عاطفة متبادلة بين المهندس و ابنة عمتها الفوضوية المستهترة و تخفى هى دموعها.

تشفى سامية من مرضها بعد إجراء عملية على يد طبيب كبير تكون حياة المهندس قد أصبحت جحيما مع زوجته ، يفقد المهندس بصره فى حادث ، تضيق به زوجته و تتركه فيطلقاها و تقف سامية إلى جواره و يتزوجها بعد أن يشفى.

و محمد أمين الذى قام بدور المهندس فى الفيلم هو المطرب الوحيد الذى قدمه محمد عبد الوهاب فى أحد أفلامه غنى "يامراكبى" فى فيلم "ممنوع الحب" ،و اشترك فى بطولة ١٢ فيلما ، منها "الجنس اللطيف" و "أحلام الحب" و "غرام بدوية" و "عشرة بلدى" و "الستات كده"،و فى "أحلام الحب" لفؤاد الجزايرلى ١٩٤٥ قام بالبطولة أمام زوجته آنذاك مديحة يسرى التى جسدت دور مليونيرة متكبرة تختار لنفسها شابا من ضعاف الشخصية لتكون لها السيطرة عليه ،و فى مرحلة الخطبة تحب رجلا يتمتع بشخصية قوية. تحاول شراءه بالمال لكنه لم يعبأ بثراءها ، فهو إنسان من نوع مختلف ، تتأكد من حبها له و تترك خطيبها كى تتزوجه.

و من أفلام محمد أمين "الحب بهدلة" لصلاح أبو سيف ١٩٥٢ ، حيث يقوم بدور واحد من ثلاثة شباب يحبون ثلاث فتيات يعملن سويا فى كباريه يمتلكه ثرى ، ينافس أحدهم و هو المغنى فى حبه للراقصة ، يحاول أن يستأثر بها لنفسه و يعمل على التفرقة بينهما. يترك المطرب الكباريه و يفتح هو و زملاؤه ملهى ليلى خاص بهم ، يغرى صاحب الكباريه الراقصة بالمال. يخطفها و يحبسها . ينقذها المغنى و زملاؤه. تعود للكباريه مع زملائه لتقوم بدور البطولة فى العمل الذى يعده المطرب ،و يستعدان للزواج. و فى هذا الفيلم لحن محمد أمين العديد من الأغنيات لنفسه كتبها فتحى قورة ، منها "الليلة نشرب شمبانيا". و هناك أغنيات شهيرة لمحمد أمين ، منها أغنية "أهلا بيك فرصة سعيدة الله يخليك" التى غناها أمام إسماعيل يس فى فيلم "عشرة بلدى" لإبراهيم حلمى ١٩٥٢. و يصف المونولوج حالة الفنان عندما يكون عاطلا و يجرفه التيار ليقوم بعمل غير فنه فيتحايل عليه ، كما غنى نفس الثنائى أغنية أخرى هى "استعراض التأمين".

و إذا كان محمد أمين هو المطرب الوحيد الذى غنى فى واحد من أفلام محمد عبد الوهاب ، فإن هذا الفنان الكبير قد أتاح الفرصة لمطربات كثيرات أن يغنين أمامه ، مثل ليلى مراد ،و نجاة على ،و رجاء عبده التى قامت أمامه ببطولة فيلم "ممنوع الحب" ، كانت رجاء هى المرشحه كى تقوم بدور البطولة أمام عبد الوهاب فى فيلم "الوردة البيضاء" ، لكن الأمر تأخر قرابة تسع سنوات. و بدأت رجاء العمل فى السينما من خلال فيلم "وراء الستار" لكمال سليم ١٩٣٧ أمام عبد الغنى السيد حول علاقة حب بين المطربة زينب و عبده المطرب الشهير اللذين يتعاونان من أجل عمل أوبريت يساعد فى إخراج المسرح الذى يعملان فيه من الإفلاس. أما الفيلم الثانى "صرخة فى الليل" لإبراهيم لاما عام ١٩٤٠ ، فكان يدور فى أجواء الخيانة ،و لم يكن موضوعا مناسبا لصناعة فيلم غنائى ، حيث تنتقل الأحداث إلى ساحات القضاء.

و بدت رجاء عبده سينمائيا فى أحسن حالاتها أمام محمد عبد الوهاب فى "ممنوع الحب" المأخوذ عن "روميو و جولييت" و أخراجه محمد كريم ١٩٤٢ ،و قد غنت فى هذا الفيلم بمفردها "ح يحبنى" ، كما غنت مع عبد الوهاب "ياللى فئت المال و الجاه" و "قول لى بقى اتأخرت ليه".

و فكرة هذا الفيلم هى جولييت فى عمل مقتبس عن شكسبير ،و هى تلتقى بالشاب الذى ينتمى إلى أسرة خصيمة لأسرتها فى القطار ، لكنها عندما تصل إلى القرية تعرف أن من انشغلت به هو ابن اللدودين ،و يتفقان على الزواج تحت ادعاء أن كل طرف يقنع الأهل أنه سوف يذيق ابن الطرف الآخر الويل و العذاب ،و لكنهما يعيشان فى سعادة و وئام.

و قد غنت رجاء عبده فى أفلامها العديدة ،و بدت فى احسن حالاتها كمطربة و ممثلة ذات حضور و جاذبية ، خاصة فى فيلم "حبايبى كتير" لكمال عطية ١٩٥٠ حيث تقوم بدور المطربة نبيلة التى لا تهتم بالمعجبين ،و تحاول أن تعيش فى محراب الفن فقط. يظهر فى حياتها شاب هو مدير إحدى شركات الإعلانات فتقع فى غرامه ،و لكن شقيقها الشرير لا يرضى عن هذا الغرام و يحارب فكرة زواج شقيقته من هذا الشاب لأنه يريد أن يزوجها من غندور بك طمعا فى ثروته الضخمة ،و هنا يقوم الصراع بين المطربة و شقيقها ينتهى بانتصار الخير ، حيث تتزوج من الرجل الذى أحبته.

وفى هذه الأفلام غنت رجاء عبده لكل من محمد عبد الوهاب و أحمد صدقى و محمود الشريف ،و من هذه الأغنيات "أشهدوا يا ناس" ،و "أنا مش على كيفك" و "هاتوا الورق و القلم" و "حبيبى بدر فى تمامه".

أما المطرب الذى وقف أمام رجاء فى فيلمها الأول فهو عبد الغنى السيد ، أحد الذين غنوا للإذاعة المصرية عند افتتاحها الرسمى عام ١٩٣٤. و قد اشتهر بأغنيات عديدة ، منها "البيض الأمارة" و "وله ياوله" ،و هذه الأغنية كانت ضمن العديد من أغنياته فى فيلم "شارع محمد على" لنياوى مصطفى ١٩٤٤ ،و قد وقف عبد الغنى السيد أمام مطربات من جيله فى أفلامه ، منهم رجاء عبده فى "وراء الستار" ،و نجاة على فى "شئ من لا شئ" ،و أمام محمد الكحلاوى فى "حسن و حسن".

و فى فيلم "شارع محمد على" نرى عالم المنطقة الأكثر شهرة فى إنجاب أهل الطرب للصالات و السينما،و قد قام عبد الغنى السيد هنا بدور المطرب إسماعيل الذى يحب الراقصة تعيمة التى نعيش مع زوجة أب تعشق المال ، فستولى على ما تربحه نعيمة من الرقص ، تتعاهد الفتاة مع إسماعيل على الزواج ،و لكن زوجة الأب تعترض على هذا الزواج لأن إسماعيل مطرب مبتدئ فقير ،و لأن الزواج سوف يمنع امال عنها،و تختار لنعيمة زوجا ثريا و تضغط عليها لقبوله ، فتضطر نعيمة للزواج من هذا الثرى يسئ عشرتها ،و حين تلجأ إلى زوجة أبيها لا تبالى حيث أنها حصلت من هذا الثرى على مبلغ من امال ،و لكن نعيمة تكتشف سلوكيات الزوج غير الأخلاقية و ترفض بشدة مجاراته فيها ،و تهرب من منزل الزوجية لتعود إلى شارع محمد على.

و هناك تلتقى بإسماعيل الذى بدأ نجمه يعلو فى الغناء و يقف إلى جوارها فى محنتها. و قد غنى عبد الغنى السيد فى هذا الفيلم أشهر أغنياته و منها "ع الحلوة و المرة":

ع الحلوة و المرة مش كنا متعاهدين
ليه تنسى بالمرة عشرة بقى لها سنين

فى هذا الجيل أيضا برز عزيز عثمان كمطرب سينمائى له أسلوبه الخاص فى الأداء و رغم أنه لم يحصل على بطولات ، فإن الأغنيات التى كان يؤديها فى الأفلام التى يشارك فيها ، كانت تترك أثرا لدى المستعين و المتفرجين ،و منها أغنية "بطلوا ده و اسمعو ده" التى غناها فى فرح الفتاة التى يحبها على زوجها الذى يكبرها سنا فى فيلم "لعبة الست" لولى الدين سام ،و يقول فيها:

بطلوا ده و اسمعواده
الغراب.. يا وقعة سوده جوزوه أحلى يمامة

كما برز فى الاسكتش الذى لحنه محمد عبد الوهاب فى فيلم "عنبر":+

مربوط ع الدرجة التالتة و الناس درجات
و مرشح آخذ الرابعة غير العلاوت
ما أعرفش لا كده ولا كده الباب للباب
ولا لى دعوة لا بدع ولا ليا أصحاب
يعنى الماهية من الصراف مع العلاوة مع الإنصاف
ح يكونوا ملك ايدكى نضاف
و انشا لله آكل أنا عيش حاف.

و قد عمل عزيز عثمان فى أكثر من خمسة و عشرين فيلما ، منها "شباك حبيبى" لعباس كامل ١٩٥١ ، الذى غنى فيه أغنية "المحترم" من تأليف فتحى قورة و ألحان محمود الشريف:

ألو....
أيوة يا سيدى أيوة يا بيه
طلباتك كلها موجودة
قوللى بسرعة عايز إيه
أصل الكمية محدودة
طبعا طبعا عندى يا فندم
طباخة من الدرجة الأولى
ما تلاقيهاش عند أى مخدم
و ما هيتها كمان محدودة

و فى فيلم " المنتصر" لحلمى رفلة ١٩٥٢ ، قدم استعراضا ضخما غنى فيه مع كارم محمود ، باسم "دكان الأفراح" و هو من كلمات فتحى قورة و ألحان أحمد صبره ، يقول هو فى بدايته:

يا فتاح من غير مفتاح ابعت لنا أى استفتاح
فيه عندنا دكان أفراح كله طرب و ليالى ملاح
يافتاح من غير مفتاح
المطربين بالوقة و الرئاصات بالكلية
و فيه عوالم رقة تحيى لكوا أجدع ليلة
و تخش باب الشقة تمدح فى أصل العيلة
و تقول ع القرد غزال شارد
و الدم خفيف و يكون بارد

و من مطربى هذه الحقبة أيضا حامد مرسى ، حيث ظل يغنى فى كافة الأفلام التى عمل بها ،و كان صاحب صوت قوى ،و قام ببطولة فيلم "ألف ليلة و ليلة" لتوجو مزراحى ، كما غنى فى أفلام "ثمن الحرية" لنور الدمرداش ١٩٦٣ ،و "شفيقة القبطية" ١٩٦٣ أيضا. و فى بعض هذه الأفلام غنمن ألحان سيد درويش مثلما فعل فى "ثمن الحرية" حيث غنى "أنا المصرى كريم العنصرين" كما غنى فى فيلم "بداية و نهاية" أغنية محمد عبد الوهاب "كنا نحب القمر و القمر و بيحب مين".

صروة
عبد الغنى السيد من نجوم الأربعينيات

و إذا كانت منيرة المهدية قد قامت ببطولة فيلم واحد فى السينما هو "الغندورة" عام ١٩٣٥ فإنها لم تكرر التجربة ،و هناك حالات كثيرة لمطربات عملن فى السينما لمرة واحدة ، مثل نادرة. كما عمل زكريا الحجاوى أيضا لمرة واحدة فى السينما ،و ذلك موضوع آخر له مكان من هذه الدراسة.

و من هذا الجيل أيضا ، شافية أحمد التى غنت فى حوالى ٣٥ فيلما أغلبها يتنمى إلى النوع الصحراوى الذى قامت ببطولته "كوكا" مثل "رابحة" و "عنتر و عبلة" ،و عملت فى أفلام أخرى مثل "أحبك أنت" لبركات أمام فريد الأطرش و قد اشتهرت بأغنيتها "يا عاشقين الورد".

أما محمد عبد المطلب فقد صنع غنائيات سينمائية ،و حصل على بطولات عديدة فى السينما و اشترك فى بطولات فى ذلك العقد منها "على بابا و الأربعين حرامى" ١٩٤٢ ،و "كدب فى كدب" ،و "تاكسى حنطور" ١٩٤٥ ،و "الجيل الجديد" و "كازينو اللطافة" ،و هو من الأفلام القليلة التى قام ببطولتها من إخراج جمال مدكور. و الفيلم يحكى قصة عزيزة و شريفة الصديقتين ، كما أن الباشا زوج عزيزة و رفعت زوج شريفة صديقان. يحدث أن تشك عزيزة فى سلوك زوجها و تدعم صديقتها هذا الشك و تدبران لكشف الحقيقة ، فترسل شريفة خطابا غراميا غير موقع إلى الباشا.

تضرب له موعدا فى كازينو اللطافة و يتلقى الباشا الخطاب على أ،ه حدث مثير فيطلع عليه أصدقاؤه فيتعرف على خط زوجته و يتهمها بالخيانة و يتأزم المزقف ، حيث رفعت أمره على الانتقام من زوجته شريفة ، فيهرع الباشا إلى الكازينو ليحذر شريفة من غضب زوجها ، إلا أن عزيزة تراه هناك فتتأكد من خيانتها ،و يصل سوء الفهم إلى ذروته و لكن فى مواجهة تضم الأربعة.

و قد غنى عبد المطلب فى الأرفح التى تقام فى الأفلام ، كما غنى فى استعرضات و رقصت على أدائه نعيمة عاكف فى "لهاليبو" لحسين فوزى ١٩٤٩ ،و أشتهر بأغنيته "بنت الحتة" عام ١٩٦٤ فى فيلم لحسن الصيفى بنفس العنوان ، أداها على رقصات زينات علوى فى فرح شعبى و هى من تاليف فتحى قورة:

بنت الحتة يا زينة الحتة
يالل مفيش فى حلاوتك ستة
و اللى فى سنك غايرين منك
مش طايلين من حسنك حتة
يا بنت الحتة
لما خطر فى عز شبابك
ألف عريس خبط على بابك
و اللى اتهنى خش الجنة
جه رضوان و كتب له كتابك
و الله يا بخته يا بنت الحتة
لو مش عيبة لأقول هات حتة
و اللى فى سنك غايرين منك

و فى عام ١٩٧١ قام محمد عبد المطلب بإنتاج فيلم شارك فى بطولته من إخراج السيد بدير باسم "٥ شارع الحبايب" و من الأغانى فى هذا الفيلم "نقش الحنة":

ولا ألف جواب وصلك منا
ولا جانا الرد يطمنا
اشمعنى احنا بنسأل دايما
يعنى على ايدك نقش الحنة
صعبان علينا عدم السؤال
فين المحبة.. فإن الوصال
هو احنا مش قد المقام
ولا خلاص ما حناش عى البال
اشمعنى احنا بنسأل دايما

كما غنى عبد المطلب من كلمات محمد حمزة و ألحان بليغ حمدى "آه يا بو قلب دهب":

آه يابو قلب دهب
آه يا ذوق و أدب
يا جمال ما وصفش زيك ما حصلشى
سبحان من وهب
يا عيون حلوين غالى و غاليين
جرحونا بنظرة و فاتونا حايرانين

و كما هو واضح فإن المعانى هنا قد تدنت كثيرا قياسا إلى ما كان يغينه فى أفلام سابقة ، مثل "يا نايمة الليل و أنا صاحى" ،و ولا شك أن محمد عبد المطلب واحد من الذين لم يلمعوا فى السينما قدر لمعانهم فى الأغنيات الشعبية فى الحفلات و الأذاعة ،و هو حالة نادرة من الجيل الذى عمل فى الأربعينيات ، فاستمر يغنى فى الأفلام حتى نهاية الستينات ، ثم أوائل السبعينات ، فظهر على الناس بطلا أمام نجلاء فتحى و حسن يوسف و وضع الباروكة المصبوغة و غنى كما يغنى الشباب.

و من هذا الجيل أيضا هناك عبده السروجى الذلا أشترك فى خمسة أفلام منها "وداد" مع أم كلثوم ،و "حب من السماء" السابق الإشارة إليه مع نجاة على ،و قد كان مجرد مغنى فى هذه الأفلام و ذلك ضمن من غنوا فى هذه السنوات فى السينما المصرية.

و قد تحولت الأربعينات إلى حالة من الغناء ، فغنى أشخاص ليسوا منه أبناء الطرب ، مثل هاجر حمدى فى "أنا و أنت" ،و مثل راقية إبراهيم التى غنت أمام محمد عبد الوهاب فى "حكيم عيون" ، أما فاتن حمامة فغنت و هى شابة صغيرة بصوت مطربة أخرى ليست لدينا مراجع عمن تكون فى فيلم "دنيا" و "نور من السماء" ، كما تنتمى عقيلة راتب إلى المطربات اللاتى عملن فى التمثيل ثم هجرت الغناء شيئا فشيئا و احترفت التمثيل وحده ،و قد غنت فى أفلام عديدة منها "ألف ليلة و ليلة" لتوجو مزراحى عام ١٩٤٧ ، كما غنت لطيفة فى فيلم "طلاق سعاد هانم" من تأليف مصطفى السيد و ألحان عبد العزيز محمود و فيها تقول:

ما عرفش منين دا طلع لى منين....و فى غمضة عين اتجوزنى
كان حلم و راح و القلب ارتاح.... قيموا الأفراح يطلقنى
ح يطلقنى ح يطلقنى
دقن و بشناب و مش لاقى يحلق.... ما لقاش إلا أنا بيشكشكنى
دى عنيه يا حفيظ لما تبحلق.... ما عرفش ازاى كده ترعشنى
موش عارفة ازاى ولا فاهمة ازاى

و لنفس المؤلف و الملحن غنت "عين فى الجنة و عين فى النار":

عين فى الجنة و عين فى النار
أنا ح أتجنن مين أختار
أنا ح أتجنن
عين غمزتلى و قالت لى أهو ده المطلوب
غلبان و مهلهل و هليلهى لكن حبوب
مين عارف لو اصفا له يمكن اتعدل حاله
و نعيش سوا زى العشاق موش يوم جواز و التانى طلاق
أنا ح أطلقك أنا ح أطلقك

صورة
لقطة من فيلم "دنانير" إنتا الأربعينيات

الفصل الثانى عشر
أغانى للملوك و الرؤساء فى السينما

كانت المفاجأة حين عرض فيلم "غرام و انتقام" ليوسف وهبى عام ١٩٤٤ فى مجطة (A.R.T) أن شاهدت أغنية تؤديها المطربة أسمهان فى حفل غنائى ، لم أكن أتصور و جودها ، فكم شاهدنا الفيلم على الشاشات و فى المحطات التليفزيونية دون أن نراها.

تقف المطربة أمام جمهور و من بينهم فتحى الذى ستقع فى حبه فيما بعد ،و تغنى أغنية ليست لها علاقة بالفيلم ،و قد تم أخراجها بالشكل الجديد تماما على الأغنية السينمائية فى تلك الآونة...

الأغنية عبارة عن ذكر مأثورات أسرة محمد على ،و لأن الأغنية من أربع كوبليهات ، فقد توقفت فقط عند أربعة من الحكام ، هم محمد على و الخديوى إسماعيل و الملك فؤاد ثم الملك فاروق الأول ،و بالطبع فإن المفاجأة لم تدفعنى إلى تسجيل الأغنية لنذكر كلماتها هنا ،و لكنها أغنية عن أمجاد كل منهم ، فمحمد على تقول الأغنية هو صانع مصر الحديثة و هو راعى نهضتها ، أما إسماعيل فهو باعث التمدين فيها ،و الملك فؤاد رجل شجاع حكيم ،و الملك فاروق حبيب الناس و معقود عليه الآمال.

و الجديد فى إخراج هذه الأغنية هو أنه مع ذكر أو الغناء لكل شخصية ، تظهر صورة للشخصية فى عزوة و مجد ،و صور متحركة لبعض إنجازاته ، مثل القناطر الخيرية أو الحقول الخضراء ،و قناة السويس و مبنى القناة فى بور سعيد ،و الأوبرا القديمة ،و رأينا صورة للملك فؤاد و هو فى عربته الملكية يحيى الناس ،و صور لمصر الحديثة من الأفق. ثم جاءت صور لفاروق وسط الناس ، ثم و هو يركب العربة الملكية و يبدو شابا رشيقا ينحنى أمام الكاميرا بكل تواضع.

من المهم أن تعود إلى كلمات هذه الأغنية ، الضائعة بالنسبة للناس و الباحث ،و ليس فى إمكاننا الآن العثور على الأغنية ، لأن النسخة الكاملة تملكها المحطة ولا يعرض ليدنا فى مصر أى نسخ كاملة من هذا الفيلم ، بالطبع لدواعى تاريخية.

هذا يعنى بالطبع أن الظروف السياسية المتعاقبة فى مصر ، قد دفعت إلى ضياع العديد من الأغنيات ، حتى على الباحثين ، لكن من المهم هنا أن تسجل هذه الظاهرة ، لنثبتها فى تاريخ الأغنية السينمائية كأول محاولة من نوعها.

لكن هذا ليس بالأمر السهل ، فنسخ الأفلام الكاملة غير متوافرة ،و الكتاب الدعائى غير موجود فى أغلب الأحيان ، لكن من خلال ما نتمكن من الوصول إليه سنحاول الوقوف عند هذه الظاهرة و رصدها من أجل ألا يضيع التاريخ مهما اختلفت الأنظمة السياسية المتعاقبة ،و بصرف النظر عن تناقض النظم و مواقفها من بعضها ، خاصة بعد الثورة ، فمن المعروف أن الأغنيات الوطنية و أغنيات الحكام بعد الثورة قد تغير شكلها ، فالأغنية الوطنية موجودة أكثر فى التليفزيون ، أما الأغنيات الخاصة بالحكام الذين جاءوا بعد الثورة فهى ليست موجودة ، أى أنه لم يتم الغناء لعبد الناصر – و هو الحاكم الذى حظى فى حياته بأكبر قدر من الأغنيات التى تمجد اسمه – فى السينما.

و لعل من الأغانى التى تغنت للملك فاروق و التى لا نعرف عنها شيئا ،و هى تلك التى غنتها المجموعة فى فيلم "ليلى بنت الفقراء" ١٩٤٥ لأنور وجدى ،و هو أول فيلم من تأليف و إخراج و إنتاج أنور وجدى ،و لذا كتب إهداء مطول إلى الملك فاروق فى مقدمة الكتاب الدعائى للفيلم ، يهمنها هنا أن نورده كوثيقة تاريخية:

"إلى مولاى صاحب الجلالة

"مولاى...

لقد كنت يا مولاى ولازلت مسوقا بأمل جميل كان لى منه الهام و وحى و اتخذته نفسى مثلا عاليا و هاديا. هو أن يحل كل يوم أحس فيه بأن فى مقدورى أن أرفع إلى سدة مولاى المليك المفدى باكورة إنتاجى و أطمع فى أن يجوز هذا الإنتاج عطف جلالته السامى.

"فإن نال عملى رضا مولاى أو بعضا منه فسيكون هذا حافزا لى على السعى حثيثا نحو الكمال حتى استزيد من هذا الرضا الكريم.
و إذا كان الصواب قد تخطانى فيما قدرت فلن أدخر وسعا فى العمل على تحقيق هذا الأمل الذى يملأ شغاف قلبى.
"و أنا يا مولاى الخادم الأمين...

أنور وجدى

و من الواضح أ، هذه الفترة بالذات كانت خصبة بالنسبة للملك فى أغنيات السينما ، فحسب الكتاب الدعائى "جوهرة" ليوسف وهبى ١٩٤٣ ، فإن هناك أغنية باسم "لحن التنويج" كتبها بيرم التونسى ،و لحنها رياض السنباطى ،و لكن ليس لدينا أى إشارة لكلماتها ، لكن من المهم أن ننقل هنا كلمات أغنية "عاش الملك" التى كتبها أحمد رامى و تلحين الصاغ عبد الحميد عبد الرحمن و أداها أفراد سلاح المشاة حسب الفليم و بقية الأسلحة كما سنرى.

و الغريب أيضا أن صلاح طناوى فى كتابه عن الفيلم فى كتابه عن ليلى مراد لم يشير إلى هذه الأغنية بالمرة ضمن قائمة أغنيات الفيلم ، رغم أنه شاهد الفيلم حين عرض فى حينه كاملا.

و فى هذا الفيلم كما هو معروف ، فإن أنور وجدى يؤدى دور ضابط من أسرة ثرية ، يقع فى غرام فتاة فقيرة من حى السيدة ،و وحيد هذا ابن مختار باشا يسكن الزمالك ،و هو يعتقد خطأ أن ليلى ابنة درويش باشا ، يقرر وحيد الزواج من ليلى إلا أنها ترفضه فى البداية للفلرق الاجتماعى بينهما ،و لكنها تتكتم الأمر. يذهب والد وحيد ليخطبها من (يونس باشا) فيظهر سوء التفاهم الذى حدث ،و عندما يعلم وحيد أن ليلى فقيرة فيظن أنها خدعته كمعا فى ثروته ،و فيما بعد يتعرض الاثنان لمتاعب من فتاة من أسرة وحيد أرادت الزوا منه و السخرية من ليلى ، لكن العواطف تتقلب و يتزوج الحبيبان.

إذن.... فقد أراد أنور وجدى فى فيلمه هذا أن يظهر كما يحب ، ضابط وطنى لديه الولاء لوطنه و لمليكه و للجيش ، فحسب ما جاء فى الكتاب الدعائى أيضا أننا أمام أول فيلم تدور أحداثه بين صفوف الجيش المصرى ،و هناك صفحتان كاملتان بهمل أكثر من تسع صور للجيش المصرى فى تلك الآونة.

و الآن.. ماذا جاء فى هذه الأغنية؟ "عاش الملك"...

سلاح المشاة:

فى ظل فاروق رفعنا العلما.... رمز البلاد للمليك و الوطن
أرواحنا فدى له و للحمى.... عزت به أيامنا على الزمن
يا من روينا روحنا من منهلك.... تحيا لنا عاش الملك ، عاش الملك

سلاح الفرسان:

على ظهور الخيل تجرى كالرياح.... إلى سبيل النصر بين الفاتحين
فى كفنا سحر العوالى و الرماح.... نهوى بها كالبرق فى ساح المنون
فاروق يافخر الزمن.... تحيا لنا عاش الملك ، عاش الملك

سلاح الطيران:

و فى عنان الجو نسرى كالشهاب.... نشق صد الريح كالسيف السليل
لنا بساط طائر بين السحاب.... نمضى به للعز فى كل سبيل
فاروق يا كنز المنى.... تحيا لنا عاش الملك عاش الملك

سلاح المدفعية:

و فى لهيب النار عمرنا... حديثنا على لسان المدافع
نذود بالأرواح عن ديارنا.... و نلتقى حول المليك الأرفع

الجميع:

فاروق يا حامى اللواء.... تحيا لنا على المدى معززا مؤزرا
تحيا لنا عاش الملك عاش الملك

و من الواضح أن إهداء الفيلم باسم الملك لم تكن حالة عابرة بالنسبة لأنور وجدى كمنتج و مخرج ، حيث كررها مرة أخرى فى فيلمه "قلبى دليلى" ١٩٤٧ ،و هو هنا لم يضع أغنية خاصة للملك ،و لكنه عاد و أهدى الفيلم إلى الملك ،و ذلك أيضا فى الكراسى الدعائى للفيلم ،و من المهم هنا أن نورد ما كتبه أنور وجدى إلى:

"مولاى صاحب الجلالة...

إن الفن السينمائى و المسرحى الذى تشرف بتشجيع سيادتكم لرجاله و رعاية المشتغلين به ليعتز بهذا التشجيع و هذه الرعاية...

و إنى يا مولاى لا أعدو الحق إذا قلت أنه اكتسب شبابه من شبابكم ،و فتوته من فتوتكم ،و هأنذاك أتشرف بتقديم فيلمى الثالث "قلبى دليلى" إلى جلالتكم ،و كل ما أرجوه أن ينال الرضاء السامى"

عاش الفاروق
حامى الفن و الفنانين
الخادم الأمين أنور وجدى

و من الواضح أن هذه الأغنيات كانت توضع فى الأفلام حتى وان لم تكن هناك مناسبة ،و ذلك من أجل تحية الحاكم ، خاصة الملك فاروق ، فمن المعروف أن الفنان محمد عبد الوهاب قد غنى أغنيته المعروفة "الفن" ،و ضم بها كوبليه خاصا بتمجيد الملك فاروق ،و هى أغنية غير سينمائية بالمرة. لكن السينما حاولت الاستفادة من هذه الأغنية و من مدح الملك ، فقامت بوضعها فى فيلم "الماضى المجهول" من إخراج أحمد سالم ،و ذلك ضمن أحداث الفيلم.

و لم تكن هناك أى مناسبة أن يكون للأغنية مكان فى الفيلم ، لكن أحمد سالم كان فى حاجة إلى تعضيد نفسى و خاص للوقوف إلى جانبه ، أى أن هذه الأغنيات قد تكررت للمرة الثانية فى فيلم من بطولة ليلى مراد بعد "ليلى بنت الفقراء" ،و لكن أنور وجدى لم يكن داخل الدائرة هذه المرة.

و يتضمن الفيلم عددا من الأغنيات منها "يا ليل سكونك حنان" و "أنا قلبى خالى" و "سلم على " و "ياللى غيابك حيرنى" و "منايا فى قربك أشوفك سعيد ،و أشوف نفسى جنبك دا شئ مش بعيد "ثم" حيران فى دنيا الخيال... محروم من الذكريات.. لا عندى فيها آمال.. ولا باناى اللى فات" ،و هى كلها أغنيات عاطفية ، قد ترتبط بشكل أو بأخر بأحداث الفيلم ،و القصة العاطفية التى تدور بين الوجيه أحمد علوى و الممرضة الحسناء نادية ، لقد فقد الأول الذاكرة و تلقفته الثانية فى شخصيته الجديدة فأحبتهو تزوجته ، لكن ما لبث أن رجعت إليه ذاكرته فعاد إلى قصره القديم،و ترك امرأته و أسرته ،و بعد أن يصطدم بالواقع القادم من الماضى يعود من جديد إلى نادية.

و أغنية "الفن" أو "الدنيا ليل" هى كما يقول صلاح طنطاوى فى كتابه عن ليلى مراد الوحيدة التى غنتها ليلى مراد و كانت هذه أول مرة تغنى فيها مطربة أغنية – لا لحنا – لمطرب آخر.

كما أن تصوير الأغنية فى الفيلم جاء بطريقة ذكية ، كانت ليلى مراد تحتفل مع زميلاتها فى المستشفى بعيد ميلاد واحدة منهن و أعلن الراديو غناء محمد عبد الوهاب للأغنية ، ثم انقطع النور فجأة و طلبت الزميلات من ليلى مراد أن تغنى الأغنية فغنتها.

و كلمات الأغنية كما هو معروف تقول:

الدنيا ليل و النجوم طالعة تنورها
نجوم تغير النجوم من حسن منظرها
ياللى بدعتوا الفنون ايديكوا أسرارها
دنيا الفنون دى جميلة و انتو أزهارها
و الفن لحن القلوب يلعب بأوتارها
و الفن دنيا جميلة و انتوا أنوارها
الفن مين يوصفه.. إلا اللى عاش فى حماه
و الفن مين يعرفه.. إلا اللى هام فى سماه
و الفن مين انصفه.. غير كلمة من مولاه
و الفن مين شرفه.. غير الفاروق و رعاه
انت اللى كرمت الفنان... و رعيت فنه
رويت فؤاده بالألحان.. برضاك عنه
الفن جنة تسحرنا بألوانها
نعيش على ظهرها و نغنى ألحانها
أحنا ياتاج البلاد فى الجنة سكانها
و أنت راعيها و حارسها و رضوانها

و الأغنية من كلمات صالح جودت و ألحان عبد الوهاب بالطبع ،و قد غنتها ليلى مراد بأكملها فى الفيلم ،و من الواضح أن اقحام الأغنية بهذا الشكل يعكس منظور الفنان للحاكم فى تلك السنوات ، فهو يغنى له فى الإذاعة و فى الحفلات الخاصة و العامة ،و لكن انتقال الأغنيات إلى الشاشة يعكس إلى أى حد حاول المطرب أن يتقرب من الملك. باعتبار أن السينما حدوتة الناس تذهب لمشاهدة الحدوتة ،و متابعة أحداثها من خلال الشكل الفنى الذى يختاره المخرج و كاتب السيناريو. و لو أننا أمام فيلم عن هذه الشخصية و حياتها و أثرها فى الناس ، لبقى الغناء هنا مقبولا و مهما ، لكن هذه الأغنيات كانت مضافة على الأفلام التى ذكرناها ،و بالتالى فإنه عندما تم حذفها بعد قيام الثورة ، لم يحس الناس بأنها موجودة ،و حين تذكر أحدا بأن أسمهان غنت للأسرة المالكة أغنية باسم "مراكب النصر" ، فإن الدهشة سوف تعتريه و هو يتساءل: فى أى مكان من الفيلم غنت!

صورة
أنور وجدى و ليلى مراد من فيلم "ليلى بنت الفقراء"
صورة
عبد الوهاب فى غزل البنات و صورة الملك فى الخلفية

و كما رأينا فإن جيل النجوم الكبار قد غنى بأكمله للملك فاروق فى الحياة العامة ،و أغلب هذا الجيل غنى لميلكه على الشاشة ،و تضافر ابرز المؤلفين للكتابة ،و لحن البارزون ،و غنى عبد الوهاب و أسمهان و أم كلثوم و ليلى مراد ، ليس مرة واحدة بل أن البعض كرر التجربة.

و هؤلاء الفنانون هم الذين غنوا بعد ذلك للثورة ، فى الإذاعة و التليفزيون ،و لكن الكثيرين منهم لم يطل بهم العمر السينمائى بعد قيام الثورة ، حيث كان كل من عبد الوهاب و أم كلثوم قد توقفا تماما عن العمل

بالسينما ، لكن عبد الوهاب غنى فى فيلم وطنى يحمل اسم "منتهى الفرح" لمحمد سالم ١٩٦٣ و هو الفيلم الذى تدور أحداثه حول عودة جنود مصر من اليمن بعد مؤازرة الانقلاب الذى قام به عبد الله السلال على الإمام أحمد. وامتلأ الفيلم بأغنيات وطنية و عاطفية ، أداها نجوم الفن ، فأدى فريد الأطريش أغنية وطنية ،و أستقبلت شادية الجنود فى القطار ،و كان هم الشيخ حسن هو دعوة عبد الوهاب كى يغنى فى الفرح ،و فوجئ به يأتى و يغنى أغنية عاطفية هى "هان الود عليه".

قالوا لى هان الود عليه.... و نسيك و فات قلبك وحدانى
رديت و قلت بتشمتوا ليه.... هو افتركنى عشان ينسانى

و الغريب أنه رغم الحس الوطنى العالى إبان الخمسينيات و الستينيات و مؤازة جمال عبد الناصر ، فإن الأغنيات الخاصة بالحاكم لم نشاهدها سينمائيا ، أى أنه لم يتم الغناء لعبد الناصر فى الأفلام مثلما حدث للملك فاروق إلا فى أضيق الحدود ،و قد رأينا فى بعض الأفلام السياسية شخصيات تحس أنها جمال عبد الناصر ، مثل "الله معنا" لأحمد بدرخان ١٩٥٥ حيث هناك تشابه واضح بين الضابط أحمد و بين عبد الناصر ،فكلاهما من نفس الدفعة ،و صدم باشتراكه فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،و كلاهما أسس اتظيم الضباط الأحرار و الثورة بالطلع ، لكن دون غناء ،و فى أفلام عديدة من هذا النوع لم نر أى أغنيات ،و منها "حب من نار" لحسن الإمام ١٩٥٨ الذى تدور أحداثه حول العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ،و "لا وقت للحب" لصلاح أبو سيف، حول النضال السياسى قبل الثورة ،و أيضا "الباب المفتوح" لبركات ١٩٦٣.

لكن يحضرنى هنا أغنية رائعة الأداء جماهيرية التنفيذ و رددتها هدى سلطان فى فيلم "بور سعيد" لعز الدين ذو الفقار ١٩٥٧ ، فقد أدت فتاة من حى شعبى بالمدينة الباسلة ، مخطوبة للعريف طلبة ،و هى ضريرة مغلوبة على أمرها ،و عندما يقوم جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس ، فإنها تخرج إلى النافذة إلى أبناء الحى السعداء بالنبأ ،و تغنى بينهم أغنية باسم "أمم جمال" و كلمة "أمم" هنا هى فعل الأمر من تأميم ، اى أنها تطلب من جمال أن يؤمم القناة كى تعود حسب كلمات الأغنية إلى المصريين.

و قد أدت هدى الأغنية بصوت قوى ،و شاركها فى الأداء المجموعة بصوت له نفس القوة و التأثير.

ولا يحضر الذاكرة أى أفلام فى تلك الفترة بها غناء لعبد الناصر. و لعل النجمين الأكبر فى الطرب السينمائى فى تلك الآونة ،و هما عبد الحليم حافظ و فريد الأطرش ، قد غنيا أغنيات عاطفية فقط فى الأفلام و اناختلف الأمر تماما فى الحياة خارج السينما ، حيث كان المطربون يتنافسون بقوة فى أعياد الثورة لتقديم أغنيات ، كان بالكثير منها إشارة لعبد الناصر بالاسم ، فغنى فريد الأطرش فى "المارد العربى" لجمال ،و غنى عبد الحليم حافظ لعبد الناصر باسم "ابو خالد نوارة بلدى"،و غنى عبد الوهاب "ناصر كلنا بنحبك ، ناصر و حنفضل جنبك ، ناصر ،و نعيش نقول لك يا حبيب الشعب يا ناصر" ،و كما غنى أكثر المطربين فى تلك المرحلة.
و قد تضاءلت هذه الظاهرة بشكل واضح فيما بعد ، لدرجة أن يوسف شاهين غير منطوق الهتاف الذى ردده الشعب عقب تنحى عبد الناصر ، حيث خرج الناس فى شوارعنا على الأقل يهتفون باسم الرئيس المتنحى "ناصر.. ناصر" مطالبين إياه بالعودة إلى الحكم ، أما يوسف فى نهاية فيلم "العصفور" فقد جعل بهية و أبناء الحى ، بل ابناء الشعب يرددون "حنحارب.. حنحارب".

و من المعروف أن الثورة لم تمح فقط هذه الأغنيات من الأفلام ، لكنها كانت صور الملك فاروق من المشاهد البارزة فى الأفلام.. مثل مشهد أغنية عبد الوهاب "عاشق الروح" فى نهاية فيلم "غزل البنات" حيث كان يغنى و فى الخلفية صورة للملك ،و كذلك نهاية فيلم "الأسطى حسن" لصلاح أبو سيف عام ١٩٥٢ فى مشهد المحاكمة ،و بعد وفاة عبد الناصر بدأت النسخ الجديدة تطبع من هذه الأفلام و يرى الناس صورة مليكهم السابق دون أى حساسية ،و دون أن يثير ذلك شيئا سوى رؤية الصورة أو الحنين إلى الماضى.

و الآن.. و بعد مرور أكثر من عقد على هذا التاريخ و مع انتشار قنوات الأفلام و عرض الكثير من هذه الأفلام فى قنوات فضائية عربية ، صار على المشاهد أن يرى الأفلام كاملة بدون حذف ، فيرى أسمهان و هى تغنى لأبرز أفراد أسرة محمد على فى "غرام و انتقام" ثم ليلى مراد و آخرين ،و لعل الأفلام التى تحدثنا عنها هنا ليست كل النماذج التى يمكن الرجوع إليها.. فسوف يكشف الزمن عن أغنيات مجهولة كثيرة من هذا النوع.

الفصل الثالث عشر
محمود شكوكو
ثريا حلمى

انتقل المونولوج الشعبىمن صالات الملاهى الليلية و الكباريهات إلى الإذاعة المصرية ،و منها ذاع صيته فى صالات السينما باعتبار أن السينما سرعان ما تستقطب كافة الفنون الناجحة الصالحة لأن تكون صورة.

و صارت السينما تقدم المونولوج فى صور متعددة ، فصار أحيانا اسكتش غنائى أو دويتو أو استعراضا جماعيا. و هناك نجوم برعوا فى تقديم مثل هذا النوع من الغناء منهم إسماعيل يس،، ثريا حلمى و محمود شكوكو و آخرون.

و سوف نتوقف هنا عند كل من شكوكو و ثريا حلمى كاثنين من اشهر فنانى هذا الفن ،و باعتبار أن هذا الفن لم يجد فرسانه الكبار بعد توقف كل منهما و زملائهما عن العمل ،و الغريب أن الاثنين لم يصعد نجمهما إلى أدوار البطولات إلا فى فرص قليلة كانا فيها لا يؤديان أى نوع من الغناء ، و نقصد هنا فيلم "اليتيمين" لحسن الإمام ١٩٤٨ بالنسبة لثريا حلمى ،و "عنتر و لبلب" بالنسبة لمحمود شكوكو.

إذن فنحن أمام حالة بالنسبة للفنانين اللذين نتكلم عنهما ، فكان على شكوكو أن يغنى كلما أتاح له النص أن يفعل ذلك ،و كان فى الغالب ممثلا مشاركا يساهم فى الإضحاك و الغناء من أجل المشاركة فى صناعة الكوميديا و البهجة.

و هذا النوع من الغناء يرتبط أساسا بالكوميديا و خفة الظل ،و يحتاج إلى مؤد ماهر ، يعرف كيف يخرج ألفاظه كى يكون لها التأثير الأعلى ،و يمكن لصاحبه أن يرقص و هو يغنى ،و قد كانت لشكوكو حركاته كما أن ثريا حلمى كانت تغنى ،و لا مانع أن ترقص.

و ظهر كل من شكوكو و ثريا حلمى فى الأفلام من أجل صنع البهجة ، لكن سنوات المجد بالنسبة لهما كانت هى أيضا سنوات المجد بالنسبة للسينما الغنائية و الاستعراضية بشكل عام.

إذن فقد كان وجود شكوكو فى هذه الأفلام بمثابة عامل مساعد أو صديق البطل ، حتى و لو كان اسمه هو الثالث على الأفيشات ،و الجدير بالذكر أن أدوار شكوكو ظلت دائما ابن البلد ،و الشهم ،و لم نعرف أنه جسد دورا واحدا لشخص شرير ،و تعال نبدأ بفيلم "صباح الخير" لحسين فوزى الذى قامت ببطولته صباح و محمد فوزى "عام ١٩٤٩ ، فهو يحكى زوجين متحابين هما زقزوق و ظريفة ، يعملان فى الطرب بكازينو الدلال لصاحبته دليلة و زوجها شمشون ، يغار كل منهما على الآخر غيرة عمياء ،و يتدخل مشكاح معلم الرقص و زوجته ريمة فيما يقع بينهما من نزاع.

تستغل ظريفة قرب وصول المطرب اللبنانى جميل رضوان ليعمل مطربا بالكازينو ،و صارت تثير غيرة زوجها بإعجابها بيكله و صوته حتى ثار زقزوق ،و لما كان جميل زقزوق كل الشبه فقد أشار شمشونعلى زقزوق أن يتنكر فى صورته ليتعرف على عواطفها الحقيقية ،و تساير ظريفة زقزوق عندما تكتشف المكيدة فدعته إلى منزلها حتى علم زقزوق بأن زوجته تخونه فثار و أغرق همه فى الخمر التى قادته إلى السجن ،و

لحق به شمشون و مشكاح للترقية عنه حتى انقذ الثلاثة بالجهود التى بذلت من زوجاتهم الثلاثة ظريفة و دليلة و ريمة.

و قد كتب حسن توفيق كلمات أغانى الفيلم و لحنها محمد فوزى ، منها مونولوج "جاى جاى" الذى ألقاه شكوكو وحده ،و فيه يقول:

جاى منك جاى ، أى منك آى
بتسبنى يا رميو أرف ، و تموت جولييت من الصهر
طب لما تشوفنى باحس ، بوس ايدك وش و ضهر
هو انت تطول ، خليك معقول
و أنا عرض و طول ،و الهوى له أصول
تنساها ازاى ، جاى منك جاى

و إذا كان فيلم "صباح الخير" ينتمى إلى الكوميديا الغنائية فإن فيلم "نحو المجد" لحسين صدقى عام ١٩٤٨ يختلفتماما ، فهو فيلم مباشر مثل عنوانه ، عن خالد الشاب الجامعى الذى يشق طريقه إلى الحياة المثالية و بيده قبس منونور الشباب الوهاج ، فأبوه عبد العزيز بك شديد القسوة ،و منيرة زوجة الأب صاحبة مكائد ،و شقيقتها فردوس فاتنة لعوب نصبت له بأنوثتها شباكا كلها إغراء. يغيش مع زميلين من الجامعة ، أحدهما ملاك طيب يساعده ،و الثانى شيطان رجيم يتآمر ضده و يحاول اغتياله فى اللحظة التى يخطب فيها الجماهير دفاعا عن قضية العمال ،و يشن خالد حملة على رجل الأعمال رحمى بك الذى لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا.

فى وسط هذه الأجواء الجافة المباشرة يغنى شكوكو مونولوجين ، الأول من تأليف حسن توفيق باسم "النجاح" لحنه محمود الشريف ، يقول فيه:

ميت فل و فل على الجدعان... استقروا و نجحوا فى الاستمحان
ليل و يا نهار.. هات فى استذكار و بنات أفكار من احلا بنات
جاوبوا السؤلات.. خدوا الشهادات اعلا الدرجات يا سبع بركات
و قليل الهمة من خيبته.. لا شهادة ولا جنبه حبيبته

أما المونولوج فقد كيبه أحمد المسيرى و لحنه شكوكو لنفسه بعنوان "تطلع تنزل" و فيه يقول:

تطلع تنزل ، تنزل تطلع
المكتوب لك و المقسوم لك
لازم يحصل غصب عنك
تطلع تنزل ، تنزل تطلع
سيب الهموم ، سيب الزعل
قوم و جاهد للعمل
دا الحظ ينعنشك
و يفرفش حضرتك

فى تلك الفترة كان شكوكو يمثل ثنائيا مع إسماعيل يس ، يظهران فى بعض الأفلام بأسمائهما الحقيقية ، من أجل أن يؤديا بعض الاسكتشات و قد حدث هذا فى فيلم "قلبى دليلى" ، ثم فى "حب و جنون" لحلمى رفلة ١٩٤٨ الذى قام ببطولته محمد فوزى و تحية كاريوكا.

و فى وسط الصعود و الهبوط من حيث مساحة الأدوار التى كانت تصنع لشكوكو فى هذه الفترة ،و أيضا فى كل تاريخ حياته ، كان على أنور وجدى أن يمنحه فرصة البطولة الثالثة بعده و بعد عقلية راتب فى فيلم "طلاق سعاد هانم" من إخراجه عام ١٩٤٨ أيضا.

و شكوكو هنا هو صديق البطل الذى يجد نفسه و قد صار محللا ليتزوج من فتاة بدلا من زوجها الذى يلقى عليها اليمين كثيرا. حول الصديق أن يثنى صديقه عن الانغماس فى مثل هذه التجربه عندما أدرك أن حبا حقيقيا قد تولد بين الاثنين صار يسانده.

و فى الفيلم هناك مونولوج و اسكتش ،و كلاهما من تأليف أبو السعود الإبيارى ، الأول بعنوان "مطروح ما ترسى" من الحان شكوكو نفسه ،و فيه يتحول المونولوج إلى بديل عن الحوار و يخاطب صديقه قائلا:

مطروح ما ترسى دقلها.. و أنا أدق معاك
مش قلت لك حليعدلها.. يا حدق مولاك
هيص فصص مصمص بص.. و أترقص على واحدة و نص
مطرح ما ترسى دقلها
عيشة أهل العز تلز هيص و أتمتع
دول كتاكيتهم زى الوز فرتك قطع

أما أغنية يا حسن التى لحنها محمود الشريف فلاشك أن مشاهدتها على الشاشة أكثر متعة من الحديث عنها، فها هو حسن الزوج الأول يدخل فى مشاجرة مع العريس الذى يتغلب عليه و يحمله شكوكو و خادمات المنزل على السلم يضربونه و يحسون بالشماته فيه ،و يسخر على اللحن الشهير "يا حسن يا خولى الجنينة يا حسن" ، مردادا على طريقته المألوفة التى يسخر فيها من الأغنيات الشهيرة ،و هى سمة سوف نراها تتكرر لدى شكوكو سواء فى أفلامه أو فى الحياة.

فهو يقول هنا و النبات تحمل حسن:

يا حسن يا شوك الجنينة يا حسن
ماحدش فى خيبتك يا كروديا يا حسن
اتحشمش يا حسن
اتدشدش يا حسن
اتفشفش يا حسن
اتنلبش يا سن
ها ها هاءو أو آنست يا حسن

و من الواضح أن هذا الأسلوب من الغناء قد وجد نجاحا و هوى لدى شكوكو ، لذا فإنه فى عام ١٩٤٩ راح يغنى مع سامية جمال أغنية حكيم عيون لمحمد عبد الوهاب ،و لم يكن الغناء لسامية جمال بل بصوت سعاد مكاوى. فراحا يرددان باعتباره طبيب بيطرى ،و هى صاحبة الكلب ، أما عبد العزيز فيقف بعيدا:

شكوكو: كنت فين تايه يا غرامى
سامية: هنا هنا يا دكتور
شكوكو: أنا مش شايف قدامى غير صفين لولى ،و ده يلزمه واحد جواهرجى يا مدام
سامية: مش حضرتك حكيم سنان
شكوك: لأ.. حكيم ذوات
سامية: حكيم ذوات يعنى إيه؟
شكوكو: حكيم ذوات لأربع رجلين ،و لا باشتغلشى نهار الاتنين ، أعرف عيادهم بيجى فين ،و أعرف كمان يندبحوا فين ، أنا أصلى حكيم مدهش و قديم ،و لا يحتاجليش غير كل بهيم و بأداوى

جاموس ولا أخدشى فلوس ،و بأعالج حتى كمان الفيل ،و داويت أسدين واقفين الاتنين على كوبرى قصر النيل.
سامية: لكن أعرف يا دكتور ان سنانه بتوجعه لما بياكل عضمة جامدة.
شكوكو: عشان تحرمى تاكلى جلاس و تدوبى فى قلوب الناس

صورة
محمود شكوكو الفنان الوحيد الذى خلده الشعب و صنع له تمثالا و هو على قيد الحياة

وفى فيلم "شباك حبيبى" لعباس كامل لعب شكوكو دور الجار الشهم الذى يقف إلى جوار جارته من أجل كشف غمتها و براءتها أمام أهلها، و نحن هنا أمام فيلم غنائى يغنى فيه نجوم من طراز عبد العزيز محمود و نور الهدى ،و فى نفس الوقت فإن شكوكو قد ساهم بأغنية "المحترم" التى ألفها فتحى قورة و لحنها محمود الشريف و فيها يقول:

ألو..
أيوة يا سيدى أيوة يا بيه ، طلباتك كلها موجودة
قوللى بسرعة عايز إيه ، أصل الكمية محدودة
طبعا طبعا عندى يا فندم ، طباخة من الدرجة الأولى
ما تلاقيهاش على أى محترم ،و ما هيتها كمان معقولة
خمسة جنية بتقول إيه ، حلوة ، آهى برضة مقبولة

و شكوكو غنى و كان فى أحسن حالاته أمام شادية و إسماعيل يس فى "ليلة الدخلة" لحلمى رفلة ١٩٤٩ ، فشدا على أخته راقية فى الفيلم "أحنا التلاتة سكر نباته" من ألحان محمود الشريف ،و "مجنون ليلى" و "أوعى يمينك أو عى شمالك".

و قد غنى شكوكو مع آخرين ، أى أنه لم يكن مونولوجست بقدر ما هو مغن يشترك فى آداء استعراض مثلما حدث فى فيلم "ظلمونى الناس" لحسن الإمام ١٩٥٠ ، حيث غنى أمام كل من شادية و برلنتى أغنيتين من كلمات فتحى قورة الأولى هى "الرقص جميل" لحن أحمد صدقى ، ثم "لحن العربية" ألحان أحمد صدقى،و قد استعان به حسن الإمام فى أكثر من فيلم من أجل أن يغنى ،و تكون اسكتشانه بمثابة الطرفة وسط أجواء مأساوية ، فغنى فى فيلم "حكم القوى" مع ثريا حلمى أغنية "يا صلاة النبى ، ياصلاة الزين" ،و غنى فى "حب فى الظلام" أغنيتين بالمشاركة مع آخرين هما "لولا يا لولا" ،و "أنا من سنباط". و فى "بائعة الخبز" غنى "ياخديجة سلامتك" من كلمات فتحى قورة و ألحان محمود الشريف.

و قد ظل تواجد شكوكو فى السينما يتأرجح بين الصعود و الهبوط، بين المساحة الصغيرة الغنائية و بين الدور الكبير ،و نحن نعرف أن له بطولة واحدة لم تتكرر فى "عنت و لبلب" ،و فى فترة لاحقة توقف شكوكو عن الغناء فى الأفلام و انقطعت صلته إلا من أفلام قليلة ، مثل "حب و دلع" و فى "أم رتيبة" ١٩٥٩ استعان به السيد بدير ليغنى مونولوج فقط هو "الليلة ليلة الأربعين.. تفرح القلب الحزين" و فى "زقاق المدق" ١٩٦٣، الذى تدور أحداثه فى الأربعينيات تم الاستعانة به باعتباره محمود شكوكو مغنى الأفراح كى يغنى فى إحدى المناسبات السعيدة أغنية قديمة هى "ورد عليك ، فل عليك ، يا مجننى عينيك".

و فى فيلم "حرامى الورقة" لعلى رضا عام ١٩٧٠ لم يغن شكوكو ، لكنه شارك سعاد حسنى فى الاستعراض فى فيلم "أميرة حبى أنا" لحسن الإمام ١٩٤٧ ،و عاد للغناء مجددا آخر أفلامه على الشاشة "شلة الأنس" ليحيى العلمى ١٩٧٥.

أما ثريا حلمى (١٩٢٣ – ١٩٩٤) ، فقد بدأت علاقتها بالمونولوج من خلال المسرح ، حيث كانت تصعد إلى المسرح بين الفصول و تقدم وصلات غنائية ،و من هنا بدأت علاقتها بالمونولوج ،و سرعان ما التقطتها السينما كى تغنى مونولوجاتها فظهرت عام ١٩٤٢ فى فيلمى "لو كنت غنى" ،و "أخيرا تزوجت" ،و كانت تملأ الأفلام التى تمثل فيها بالبهجة و السعادة من خلال ما تؤديه من مونولوجات ،و تمت الاستعانة بها كثيرا لتعمل فى أفلام من طراز "السوق السوداء" لكامل التلمسانى ،و "ليلة حظ" لعبد الفتاح حسن و "القرش الأبيض" لإبراهيم عمارة و "ليلة الجمعة"لكمال سليم و "كازينو اللطافة" و كلها عام ١٩٤٥. ثم "أنا و ابن عمى" لعبد الفتاح حسن ،و "النفخة الكدابة" لبدرخان ،و "حرم الباشا" لحسن حلمى عام ١٩٤٦. ثم "دموع القرح" الذى أخرجه أحمد سالم عام ١٩٤٨ و قام ببطولته أمام مديحة يسرى ،و فيه ترى ما أسماه الفيلم "بين إسماعيل يسو ثريا حلمى ، ألفه فتحى قورة و لحنة أحمد صدقى بإسم "جولييت ما هذا السكوت" و الذى يبدأ على النحو التالى:

نبيه: جولييت ما هذا السكوت.. اتكلمى احسن حموت
سكتى ليه ، بقك دا إيه.. عشش عليه العنكبوت
بطة: حقولك إيه مدام ما فيش
نبيه: أهو الغرض ما تسكتيش
أنا عندى فكرة كويسة.. يا للا نوصف بعضنا
من غير مجاملة و محلسة
بطة: لطيفة و حياة ربنا.. و ازاى ح نوصف بعضنا

و فى عام ١٩٤٩ عملت ثريا حلمى فى فيلم "أحبك أنت" لأحمد بدرخان ،و لم تكن هناك أى فرصة لها للغناء فى وجود فريد الأطرش الذى استأثر وحده بالألحان و الأغنيات.

و كان حظ ثريا فى الأفلام كمغنية أقل بكثير مما قدمه شكوكو ، فكانت مجرد كوميديانة تغنى فى فيلم من طراز "نص الليل" لحسن فوزى ١٩٤٩ و "الصيت ولا الغنى" لحسن الإمام أيضا فى نفس العام.

أما أهم تجربة سينمائية قدمتها ثريا حلمى فهى كما سبقت الإشارة فيلم "اليتيمين" لحسن الإمام ،و فيها و قفت رأسا برأس أمام فاتن حمامة ، حيث جسدتا دور أختين ، حيث يعثر رجل فى الريق على مولودة فيتبناها و يطلق عليخا اسم نعمت و تنشأ مع ابنته سنية كأختها ،و يموت الرجل و تصبح الاثنتان وحيدتين ، فتكافحان معا فى الحياة. تسافر الاثنتان معا و لكن الظروف نفرق بينهما ، تلقى الظروف بالأولى فتتعرف على شاب من أسرة راقية يحبها و يعرض عليها الزواج إلا أنها تؤجل الموضوع لحين عثورها على أختها التى تقع فى يد امرأة شريرة تدير وكرا للإجرام و تسومها كافة أنواع العذاب.

و بعد معاناة يجتمع شمل الأختين كى تعوضا ما فاتهما من سعادة. و قد جسدت ثريا حلمى دور الأخت "سنية" ،و من الواضح أن كمية المآسى التى تعرضت لها لم تسعفها أن تغنى أى أغنية من أغانيها الخفيفة المعروفة عنها ، أى أن حسن الإمام قد وضعها فى إطار غير مألوف بالنسبة لناس ،و من الأهمية أن نرجع إلى ما كتبه محمد عبد الفتا عن الأغنية التى جسدتها ثريا حلمى فى هذا الفيلم فى كتابه عن حسن الإمام فيقول:

"فى تصوير أغنية "يا معزتى" يستخدم القطع على مؤدي الأغنية "سنية" و نعمت و الحقول و الشوارع ،و خلفية الصورة بتقديم صور الفلاحين يرقصون بالعصا و راقصات يرقصن فى الحقل على نغمات الأغنية"

و فلا أغنية "منديل بأوية: يستخدم نفس الأسلوب فهو يقدم سنية – المؤدية – و هى تسير فى أكثر من شارع و داخل المقهى و تستوقف أحد المارة و معه خطيبته لعرض المناديل عليه. و السكان فى الطوابق العليا يطلون عليها ثم و هى تدخل أحد البارات لتبيع داخلها.

حسن الإمام لا يتوقف كثيرا أمام المغنية ، بل يعتمد على حركة الكاميرا و تنوع اللقطات و زوايا التصوير فى اسكتشات ،و تقديم ملامح المكان و حركة المؤدى و التجاوب.

و أغنية "يامعزتى" تأليف مأمون الشناوى و ألحان عزت الجاهلى ،و قد أدتها ثريا مع فاتن حمامة ، أما "المنديل" فهى من تأليف فتحى قورة و ألحان عزت الجاهلى و أدتها ثريا وحدها بالطبع ، كما أدت أغنية ثالثة هى "احنا هنا" من كلمات فتحى قورة و ألحان أحمد صبرة.

و من الأفلام التى برزت فيها ثريا حلمى "بيت الأشباح" لفطين عبد الوهاب حيث جسدت بطولة أخرى أمام كل من أسماعيل يس و كمال الشناوى ،و الفيلم من نوع الكوميديا السوداء ، يدور فى قصر بعيد مظلم أغلب الوقت ، جاءت إليه مجموعة من الورثة من أجل تنفيذ وصية تركها صاحب القصر ، حيث من شروط الوصية أن يبقى هؤلاء الأقارب لمدة شهر داخل القصر ، لكن و كيل الدائرة يدعى أن بالقصر اشباح ،و كانت مدة الشهر كافية لتنفيذ خطته و التخلص منهم و يستولى على الثروة. لكن محاولته تفشل بفضل خادم أخرس ، يتمكن من كشف أبعاد الخطة ،و هو فى حقيقة الأمر من الشرطة ،و ينال كل من الورثة ما هو مكتوب له.

و الغريب أن ثريا حلمى لم تغن فى هذا الفيلم ، كذلك تركت شادية و إسماعيل يس يغنيان فى فيلم "مالوش دوا" عام ١٩٥٢ و لم تشارك فى الغناء ،و لكنها غنت فى ثلاثة ألحان من فيلم "آمن بالله" لمحمود ذو الفقار ١٩٥٢ ، حيث غنت مع إسماعيل يس "أطفال الروضة" ،و هو دويتو أداه معها إسماعيل يس ،كما اشتركا معا فى "اسكتش المصارعة" تأليف فتحى قورة و ألحان أحمد صبره و اشتركت معهما مغنية تحمل اسم فاطمة على فى أغنية الريف التى لحنها محمود صادق.

و فى فيلم "بشرة خير" لحسن رمزى فى نفس السنة غنت ثريا حلمى عدة استعراضات اشتركت فيها بطلة الفيلم شادية و هى تؤدى دور و صيفتها التى تحب موظف الإصلاح القادم من أجل إصلاح السخان ، ثم مع مهندس الشركة ،و قد غنت ثريا هنا "استعراض مصر و السودان" مع شادية ،و "أنا خايفة" ،و الأول من كلمات السيد زيادة – صار مخرجا فيما بعد – و ألحان حسن أبو زيد ، أما الثانى فمن كلمات جليل البندارى،و ألحان حسن أبو زيد أيضا.

و قد كانت ثريا حلمى سعيدة الحظ دوما و هى تعمل مع حسن الإمام ، فكان يمنحها الفرصة كى تغنى دوما مثلما حدث فى فيلم "بائعة الخبز" عام ١٩٥٣ حين غنت مع شادية أغنية خفيفة كتبها فتحى قورة و لحنها محمود الشريف بعنوان "مصنع الأزياء".
و فى الوقت الذى كانت سعاد مكاوى تعمل مع زوجها عباس كامل ، فإن ثريا حبمى التى كانت تؤدى نفس أنواع الأغنيات كانت تعمل مع حسن الإمام ،و فى الوقت الذى لم يستعن فيه عباس كامل بإسماعيل يس فى تلك الفترة غنت معه فى فيلم "حلاق بغداد" لحسين فوزى ١٩٥٤ ، حيث اشتركت مع كل من كارم محمود و إسماعيل يس فى اسكتش "ناولنا الكاس" من ألحان كارم محمود و تأليف محمد أنور نافع و هى كما نرى مشاركة ضعيفة رغم أنها بطلة فى الفيلم ،و من الواضح أن المونولوجست التى قدمت "فتح يا بنى فتح ، شوف مين بيكلمك "ق قلت أسهمها كمطربة فى السينما.

و قد منحها حمادة عبد الوهاب دورا كوميديا متميزا فى فيلم "إسماعيل يس يقابل ريا و سكينة" عام ١٩٥٥، فغنت بقوة فى هذا الفيلم و حدها "بنات اليوم" تأليف أبو السعود الإبيارى و ألحان فريد غصن ، ثم "بيت ريا" تأليف فتحى قورة و ألحان سعيد فؤاد ،و "الايدين" تاليف فتحى قورة و ألحان على إسماعيل.

و مع انتهاء مرحلة السينما الاستعراضية فى السينما المصرية بدأت ثريا حلمى تبتعد عن الغناء فى أفلامها التالية و مثلت فقط فى أفلام عديدة منها "حبيبى الاسمر" لحسن الصيفى ١٩٥٨ ،و "صائدة الرجال" ١٩٦٠،و "زقاق المدق" ١٩٦٣ ، إلا أنها عادت للغناء الجماعى مرة عام ١٩٦٧ مع حسن الإمام فى فيلم "إضراب الشحاتين".

صورة

الفصل الرابع عشر
الغناء السينمائى
مرة واحدة فقط

كان للمطربين دوما جاذبية خاصة لدى السينما ، فما أن ينجح مطرب ما فى الإذاعة حتى تسرع السينما و تتلقفه و تدفعه إلى أدوار البطولة ،و تراهن عليه بشدة أنه سوف ينجح فى هذه التجربة.

و لو راجعنا أسماء المطربين الذين عملوا فى عصر السينما ، فسوف نجد أن السينما جذبتهم و أعطتهم الفرصة سواء كانوا موهوبين فى التمثيل أم لا ، لم يكن المهم هو أن يكون ممثلا لكن فى المقام الأول يجب أن يكون مطربا يغنى للناس ،و فى تاريخ السينما المصرية سنجد أن هناك مطربين عملوا مرة واحدة فقط أو أكثر بقليل ،و أن السينما لم تكرر التجربة معهم أبدا ،و قد حدثت هذه الظاهرة دائما فى تاريخ السينما منذ بدايتها و حتى الآن بداية من نادرة و بديعة مصابنى كراقصة ،و حتى مصطفى قمر فى عام ١٩٩٨.

و سوف نتوقف هنا على هذا النوع محمد و كمال حسنى و رياض السنباطى و عفاف راضى و محمد الحلو – عمل فى أكثر من فيلم – و عمر فتحى ،و نحن نقصد هنا بالأسماء الساطعة فى نجوم الطرب التى عملت فى بطولات الأفلام.

التجربة الأولى أو الفيلم الأول الذى يمكن أن نقف عنده و هو "أنا وحدى" لبركات ، حيث منحت البطولة لثانى مرة لسعاد محمد. و من الواضح أن التجربة الأولى لسعاد محمد فى السينما لم تنجح ، لا فنيا ولا سينمائيا ،و لكن هذا الفشل لم يجعل بركات يتراجع عن الإقدام من جديد عن العمل معها ، ففى عام ١٩٤٨ قد محمود ذو الفقار فيلمه "فتاة من فلسطين" و قام فيه بالبطولة ،و غنت سعاد فى الفيلم أغنيات مثل "يا مجاهد فى سبيل الله" ،و "بنت البد عنديكم".

و قد جسدت سعاد محمد هنا دور الفتاة الفلسطينية التى تتلقف طيارا مصريا اشترك فى حرب ١٩٤٨ ، حيث أصيب و سقط بطائرته فى إحدى القرى الفلسطينية ، فتقرر مساعدته و الوقوف بجانبه.

و قد قد ذو الفقار فى أفيشات الفيلم كما يلى: "مع المطربة الجديدة صاحبة الصوت الساحر" ،و لم تكن سعاد محمد تتمتع سوى بصوت جذاب ،و لذا فإنها تأخرت كى تظهر مرة أخرى ، حيث راهن عليها بركات لآخر مرة فى "أنا وحدى" و قدمها على أفيشات الفيلم: "ذات الصوت الذهبى الساحر" و سبق اسمها كافة الممثلين فى الفيلم ، من ماجدة و منى و عمر الحريرى و ميمى تشكيب ،و غيرهم.

و يحكى الفيلم قصة فتاتين تعيشان فى القاهرة تكافحان من أجل لقمة العيش ، تحلم إحداهما بالحب و الثانية بالثروة ، يصل خطاب من شقيقة إحداهما تعيش معذبة بين أم حائرة و زوج غليظ القلب و تود أن تلحق بهما،و هى صاحبة الصوت الجميل ،تبحثن الفنيات الثلاثة عن أسرة وهمية ،و تتكون أسرة من أناس غرباء يكتشفون أن الحب هو أغلى كنوز الحياة ،و تتسلق المطربة سلم الشهرة و تصادف الحب ،و تعرف معنى العذاب ،و حين تصبح نجمة تفقد الحب و تعود وحيدة إلا من ذكرى هنيئة ناعمة ،و هنا يبدأ كل فرد من هذا العائلة الوهمية يكشف عن معدنه.

و لأننا أمام فيلم تقوم ببطولته مطربة فلابد من الرهان على أغنياتها ،و رغم أن البطولة تشعبت هنا بين أفراد الأسرة و الجيران الذين انضموا إليهم ، فإن سعاد محمد تغنى مجموعة أغنيات من بينها "فى مدح الرسول" التى لحنها زكريا أحمد ،و كتبها صالح جودت ، وقد غنتها فى إحدى المناسبات الغنائية فيها:

يا حبيبى يا رسول الله يا أغلى طموحى
يا شفيعى يوم ترتد إلى الديان روحى
دينك السمح على الأيام مرفوع الصروح
ينشر الرحمة و النور على الشرق الفسيح
بلسان عربى طاهر الذكر فصيح
أنا فى حبك أهوى الموت إن طهرت روحى

و حسب قصة الفيلم و رغم أن البطلة هنا مطربة ، فإن الأحداث كانت تحاول أن تلفق أى ظروف للفتاة كى تغنى ، كأن يطلب الجيران من الأب الموهمى أن تغنى ابنته فيعترض بشدة ، ثم تبدأ فى الغناء ،و سرعان ما يتم التعاقد مع الأب كى تعمل الابنة فى ملهى.

و قد تركت سعاد محمد بصمتها فى الطرب من خلال أغنيات شدت بها فى هذا الفيلم ، لكنها لم تكن ممثلة بها أى جاذبية يمكن الاستعانة بها مرة أخرى ، فغنت أغنيتها الشهيرة "القلب ولا العين" التى كتبها مأمون الشناوى و لحنها محمود الشريف:

القلب ولا العين ، مين السبب فى الحب
فيه ناس تقول العين ،و ناس تقول القلب
مين يا ترى كان السبب فى الحب مين
والا الهوى وعد انكتب ، على الجبين
الفرحة و الابتسام ، م القلب والا العين
و الحيرة ساعة السلام ، م القلب والا العين

كما غنت أغنيات أخرى ذائعة الصيت منها "فتح الهوى الشباك.. و النوم طار منى" التى كتبها مأمون الشناوى و لحنها رياض السنباطى ،و من أشعار صالح جودت أيضا و ألحان السنباطى غنت قصيدة "أنا وحدى" كما غنت "إيه يا دنيا" للشناوى و السنباطى أيضا.

و قد تكررت نفس التجربة مع أحلام فى نفس السنوات ، حيث ما أن ذاع صيتها فى مجموعة أغانيها خاصة أغانى الأفراح و منها "يا عطارين دلونى" ،و "القمح الليلة" و "توب الفرح" ، حتى أسند إليها حلمى رفلة بطولة فيلم "البنات شربات" أمام إسناعيل يس عام ١٩٥١ ،و فيه غنت ثمانية أغانى فردية و أغنيات مع بطل الفيلم إسماعيل يس و محمد البكار.

و الغريب أننا هنا أيضا أمام ثلاث بنات يعشن فى ظروف اجتماعية قاسية ، من وردة و فلة و قرنفلة ،و هن يعشن بعيدا عن الأب الذى تزوج من امرأة أخرى و أجب ولدا ، يتعرف على قرنفلة (المطربة) فى ملهى ليلى و يرمى شباكه حولها فى الصالة دون أن يعرف أنها أخته. تتزوج أمهن و تعانى الثلاث من قسوة معاملة زوجها الذى يريد تزويجهن من ثلاث رجال كبار فى السن ، تهرب الفتيات و يكتشف الأخ الحقيقة فيصحب أخواته إلى منزل الأب و يتغير سلوكه و يدرك الأب مقدار خطئه فى ترك زوجته ،و يزوج بناته الثلاث و يعاهد ابنه أن يستقيم فى حياته.

و من الأغنيات التى تضمنها الفيلم "ح تروح لمين" و "مين هو اللى باحلم بيه" و "البنات شربات" تأليف صالح جودت و ألحان زكريا أحمد. أما أغنية "التماثيل" فهى من كلمات فتحى قورة و ألحان محمد البكار و

هما أيضا اللذان كتبا أغنية "ماما جمالات" و كتب قورة أغنيتى "أجزخانة الهوة" و "عيد الميلاد" اللتين لحنهما أحمد صبره.

أما البنتان الأخريتان فكانتا الراقصين الاستعراضيين رجاء و عواطف يوسف ،و قد غنت أحلام و هى توقظ أختها عقب العودة إلى المنزل ،و راحت تردد فى أغنية "ماما جمالات":

أحلام: يا للا يا فلة يا للا يا وردة.. نعمل شغل البيت يا بنات
و نخليه كده زى الوردة.. عشان يعج ماما جمالات
رجاء: أنا ح أبسطها و راح أخليها.. تعرف انى ماليا شبيهة
عواطف: و أنا ح تشوفنى تقول دى نبيه.. و من شطارتها أنها معجبة بيها
أحلام: و أنا ح أطاوعها و أحايل فيها.. و أقطع روحى عشان أرضيها

و قد قدمت هذه الأغنية على سبيل المثال فى إطار استعراضى راقص ، حيث تقوم البنات بتنظيف المنزل، ملابس البيت ، فينزلن السلم و ينظفنه و يدخلن المطبخ و يغيرون من شكله.

و من الواضح أن حلمى رفلة هو صانع السينما الغنائية فى مصر هو الذى خاطر أكثر من مرة فهو الذى راهن على الملحن رياض السنباطى فى فيلم "حبيب قلبى" عام ١٩٥٢ ،و قد بدت المراهنة قوية من خلال ما جاء فى الإعلانات المنشورة فى الصحف و المجلات التى تقول "الفنان الملهم رياض السنباطى يمثل و يغنى و يلحن لأول مرة فى تاريخ السينما فى فيلم التجديد و الابتكار" ،و كلمات الأغنيات فى الفليم مثل "على عودى أنام واصحى "كتبها جميعا حسين السيد ،و لحنها السنباطى نفسه الذى قام بدور الموسيقار سمير الذى يعمل صديقه فتحى فى وظيفة صغيرة بعد أن أصيب فى حادثة أدت إلى إصابته فى صوته و تفشل ناهد فى العثور على وظيفة لأن الكل يطمع فيها. تتعرف على فتحى الذى يكتشف فيها حلاوة صوتها ، يقدمها لسيمر الذى يعجب بموهبتها و يقرر أن ألحانه ، يتفق معها على الزواج إلا أنه يضحى بحبه ففتحى يحبها ، يضطر فتحى للاختلاس من الشركة لكثرة نفقاته بعد زواجه ، يطرد زوجته واهما أنها تحب سمير ،و عندما يتم القبض عليه ينتحر و يتولى سمير رعاية أسرته ثم يتزوج من ناهد.

و من الواضح أن السنباطى لم يكن ممثلا جذابا ، لذا لم تتكرر التجربة مرة أخرى ،و قد حدث نفس الشئ بعد حوالى واحد و عشرين عاما مع ابنه أحمد حيث أفسحت له مساحة من الدعاية و هو يقدم فيلمه "البنات لازم تتجدوز" ،و سوف نعود إليه فى مكان آخر.

و فى منتصف الخمسينيات تم الرهان على كمال حسنى ، حين قدمه إبراهيم عمارة فى فيلم "ربيع الحب" أمام شادية أى أن إبراهيم عمارة الذى قدم لعبد الحلم حافظ أول أفلامه "لحن الوفاء" أمام شادية كان يستعد لتقديم نجم يلمع فى السينما أيضا ،و ذلك من خلال حكاية تصلح لأن تكون فيلما غنائيا ، فهناك قصة حب بين آمال ابنة الثرى و ابن عمها حسن. يعارض الأب زواج ابنته بعد أن يترك جلال دراسته فى كلية الحقوق كى يكون فنانا و يرى أن تتزوج من ابنة اخيه كمال ،و هو شاب يهتم بدراسته. توافق آمال أن تخطب لكمال بعد أن تشك فى علاقة جلال بامرأة أخرى ، إلا أن آمال تكشف الحقيقة و أن السيدة التى تعيش معها جلال هى والدته التى طلقها أبوه ، فتدرك أنها ظلمت جلال فتعود إليه و يرجع الأب لزوجته.

صورة
نموذج لإعلان عن فيلم فى إحدى المجلات عام ١٩٥٢

و قد غنى كمال حسنى فى هذا االفيلم أغنيته الشهيرة:

غالى عليا.. غالى عليا
و أغلى عندى من الدنيا ديا
قدمت قلبى إليه هدية

اتمنى فرحه و ادعى له
و من كل قلبى اغنى له

و كما قدم عمارة لعبد الحليم و شادية دويتو جميل هو "تعالى أقول لك" فى الفيلم الذى أخرجه لهما ، فإنه قدم كمال حسنى و شادية فى دويتو آخر لايزال حتى الآن فى أذهان الناس تقول كلماته:

كمال: لو سلمتك قلبى.. و سلمتك مفتاحه
راح تقدر على حبى.. و دموعه و أفراحه
لو سلمتك قلبى.. أنا أوهب لك قلبى
شادية: راح بهوايا.. و تبطل طول وقتك
لما كنت معايا.. أول مرة عرفتك
قوللى حتنسى عهودى.. و تجينى فى مواعيدى
فكر قبله شوية.. بعدين رد عليا

و تقول الأوساط الصحفية أن كمال حسنى تعرض لحملة إعلامية قاسية قام بها أحد الصحفيين الذين صاروا مشهورين لصالح عبد الحليم حافظ ،و لذا لم ينجح الفيلم ،و قد تحدث كمال حسنى نفسه عن هذه الفترة فى أحد البرامج التليفزيونية و أكد هذا الأمر ، لكن لاشك أن الجاذبية لم تسفر عن كيلاد تجربة أخرى من قبل كمال حسنى ، لا فى السينما ولا فى مجال الغناء نفسه ،و من الواضح أن السينما خسرت مطربا حلو الصوت.

و فى الوقت الذى فشلت فيه تجارب شهر زاد أكثر من مرة فى أفلام اشتركت فى الغناء فيها مثل "زينب لمحمد كريم عام ١٩٥٢ ، فإن المطربة لم تسند إليها أى بطولة ولا يكاد أحد يذكر تجاربها السينمائية ،و لو نظرنا إلى أغنياتها فى هذا الفيلم فإنها لم ترسخ بالأذهان.

و الغريب أن هذه الظاهرة عادت مرة أخرى للتواجد بقوة فى السبعينيات ، ففى عام ١٩٧٣ راهن على رضا على أحمد السنباطى بعد نجاحه الساحق فى غلإذاعة و التليفيزن فى أغنيات مثل "مين فى الجمال قدك" و "لو بينا بلاد" و بدا الرهان من خلال فيلم ضخم الإنتاج و قف فيه نجوم السينما القدامى كى يساندونه مثل وهبى و رشدى أباظة و مريم فخر الدين ، أما البطلة التى وقفت أمامه فهى نجلاء فتحى و قد كان الفيلم ملونا فى فترة لم تكن جميع الأفلام ملونة.

و كاتب الفيلم هو أحد الكتاب القدامى للأفلام الغنائية على الزرقانى ، إذن فالموضوع مناسب من أجل صناعة نجم ،و قصة الفيلم عن أحمد مدرس الوسيقى الذى يتزوج من صافى رغم اعتراض والدها و لكن بموافقة جدها. يثور عليها الأب و يطردها فتعيش حياة متواضعة مع أحمد فى منزل أمه ، فى نفس الوقت يتخلى عنها أخوها أشرف الذى ينهار لما فعلته ، ينجح أحمد فى عالم الغناء و التلحين ، تتعرض صافى للخطر و هى تلد فيسرع الأب إليها ليعرب عن ندمه و يبارك زواجها.

و قد نوع على رضا كمخرج المطربين الذين كتبوا الأغنيات ، منهم نزار قبانى و مأمون الشناوى و حسين السيد و مصطفى الضمرانى ، أما رياض السنباطى فقد ساهم فى تلحين الأغنيات كذلك قام أحمد السنباطى و هو فى الأساس عازف عود و جيتار.

و بعد عامين فى ١٩٧٥ قدم حسين كمال التجربة الوحيدة لعفاف راضى فى فيلمه "مولد يا دنيا" ،و الاختلاف البادى بين تجربة السنباطى و عفاف راضى أن هذه الأخيرة كانت عندما دخلت البلاتوه لتمثيل كانت قد قطعت شوطا طويلا من الشهرة بعد أن غنت لأول مرة فى عام ١٩٦٨ ، أما السنباطى فقط أسرعت السينما بالتقاطه ،و نحن أمام فيلم استعراض أكثر منه غنائى ، فنحن أمام مخرج مسرحى يلتقى بمجموعة من

النشالين و هم يغنون و يرقصون فيعجب بموهبتهم ، يتفق معهم على تكوين فرقة استعراضية بعد تدريبهم ، يعلنون توبتهم من الإجرام مما يثير غضب زعيمهم أبو دومة. ينضم إليهم العربجى أبو ريشة ، يستعدون لتقديم الاستعراض على أحد مسارح القاهرة إلا أن أبو دومة يحاربهم و يخطط لفشل العرض ،و و ينجح المخرج المسرحى فى أن يكسب ود أبو دومة إلى صفه و ينجح الاستعراض.

و قد غنت عفاف راضى أغانى فردية بعيدا عن أجواء المسرحية الاستعراضية ، أغنيات تعبر عن مشاعر الحب الذى تكنه الفتاة للمخرج مثل "يمكن على باله حبيبى يمكن عن باله قريب ، لكن و الله يا حبيبى عن بالى ما بتغيب "و أيضا أغنية" حبيتك على قد الحب و حبيتك".

و قد كتب النقاد يشيدون بعفاف راضى كثيرا عكس ما حدث مع النماذج سابقة الذكر ، حيث كتب مجدى فهمى فى مجلة الشبكة ، أن اكتشاف الفيلم الأكبر هو عفاف راضى ، فالسينما المصرية مشكلتها الكبرى تنحصر فى العثور على مطربة تملك موهبة التمثيل ، مطربات كثيرات حاولن وفشلن رغم مقدرتهم الغنائية مثل فايزة أحمد و سعاد محمد و غيرهما ، إلا أن عفاف راضى قد تحولت فى يد حسين كمال إلى عجينة لينة تحولت و تشكلت ، ثم انضجت فى قرن التجربة فكانت ممتازة.

"عفاف خفيفة الظل خفيفة الحركة ، قريبة من القلوب. و هذه ميزات ضاعفت رصيدها الفنى كمطربة من أول فيلم".

و فى أول الثمانينيات بدأت السينما تراهن على نجوم الطرب الجدد ،خاصة بعد رحيل عبد الحليم حافظ ،و قدم حسن الإمام محمد ثروت فى فيلمه الأول "ابن مين فى المجتمع" عام ١٩٨٢ ،و الغريب أن ثروت الذى لم ينجح فى السينما ، قد نجح فيما بعد فى التليفزيون ،و من الواضح أن حسن الإمام قد راهن عليه مثلما سبق و راهن على عشرات النجوم الذين اكتشفهم. لكن أفلام حسن الإمام فى تلك الفترة ، كانت بمثابة إعادة لأفلامه القديمة ،و قد تصور المخرج بعد نجاح "وبالوالدين إحسانا" و هو إعادة لفيلمه الثديم" غضب الوالدين" أن مسألة إعادة هذه الأفلام ستكلل بالنجاح ، إلا أنها جميعها فشلت بما فيها "ابن مين فى المجتمع" ،و رغم أن ثروت قد غنى فى الفيلم عدة أغنيات منها "ياللى مالوش غيرك حما" من ألحان أحمد صدقى ، فإنه لم ينجح و بدا كأنه يبتعد بعد هذا الفيلم للأبد عن السينما.

و كان مطرب من نفس الجيل قد قدم أكثر من تجربة مثل عماد عبد الحليم ، لكن محمد ثروت الذى سمعه الناس بشغف فى أغنيات من طراز "حلوين من يومنا و الله" و أغنيات الأطفال "حبيبة بابا رشا" و "طيور النورس" لم يكن جذابا أمام شاشة السينما.

و قد تكرر نفس الحظ السئ بالنسبة لأغلب أبناء هذا الجيل سينمائيا ، فعلى الحجار ظهر فىفيلم "أنياب" الملئ بالتجريب و المباشرة من إخراج محمد شبل ،و لم ينجح الفيلم ، كذلك لم ينجح الحجار ، صحيح أنه لم ينقطع عن السينما ، لكنه فى أفلامه التالية اكتفى فقط بالغناء ،و كانت قد فشلت التجربة الأولى فى الغناء فى فيلم "المغنواتى" لسيد عيسى ؛ و هو فيلم مأخوذ عن "حسن و نعيمة" و هى قصة كانت سببا فى زمن السينما الغنائية فى اكتشاف موهبة محرم فؤاد ،و أطلقته فى السينما لعدة سنوات.

أما محمد الحلو ، صاحب أغنية "عراف" فقد عمل فى أفلام ضعيفة تنتمى إلى سينما المقاولات ،و هى أفلام تعتبر بمثابة مقبرة للمواهب الجديدة ، منها فيلم "ابتسامة فى عيون حزينة" لناصر حسين ١٩٨٧. و الفيلم يروى قصة الموسيقار المشهور جلال الذى اصابته عقدة نفسية من النساء بسبب خيانة زوجته فطلقها ، يكرس حياته لتربية طفله عماد. تمر السنوات و يلتحق عماد بمعهد الموسيقى و يربط الحب بينه و بين جارته منى ، يعارض الأب الزواج بسبب عقدته التى تلازمه مما يثير غضب عماد فيهمل دراسته و تدريباته و تكاد فرصة اشتراكه فى بطولة فيلم سينمائى أن تضيع منه و لكن الأب يغير موقفه.

و الملاحظ أن نصف قصة الفيلم مأخوذة من فيلم "لحن الوفاء" ، أى أننا أمام قصة تصلح لفيلم غنائى ، لكن هناك مسافة بين الأزمنة ،و مواهب الذين يعملون فى الفيلمين،و نحن هنا لا ندافع عن إبراهيم عمارة و موهبته و لكن مستوى فيلمه فاق فيلم ناصر حسين الذى يختلف مستوى فيلمه تماما عن الفيلم القديم.

و قد عاد الحلو للعمل مرة ثانية مع ناصر فى فيلم "شباب لكل الأجيال" عام ١٩٨٨ ، حيث يجسد شخصية أحمد الذى تخلت عنه حبيبته جيجى تحت ظروف حياتها الصعبة كى تتزوج من رجل ثرى كبير فى السن ،و عن طريق زملاء ثلاثة يكتشف أحمد أن زوج جيجى أنور الجواهرجى ، يمارس أعمالا غير مشروعة فيراقبونه و يتعاونون و معهم جيجى لكشفه.

إذن فنحن هنا لسنا أمام فيلم غنائى بقدر ما هو فيلم بوليسى ،و المعروف أن مثل هذه الأجواء تفسد الغناء تماما.

و كان عمر فتحى قد قام بتجربته السينمائية الوحيدة فى فيلم "رحلة الشقاء و الحب" عام ١٩٨٢ لمحمد عبد العزيز. و ذلك بعد نجاحه ،و قام فى الفيلم بدور واحد من مجموعة شباب يقررون الهجرة من الوطن إلى اليونان بحثا عن فرصة عمل ،وفى الطائرة يتعرف على فتاة تهرب من تجربة حب فاشلة ،و هناك تترطد العلاقة بينهما و لكنها تصاب بمرض الصدر و تموت بين ذراعى حبيبها ،و يكون الفشل قد حل محل الأمل،و يعود كل الأصدقاء حاملين جثة الفتاة معهم بعد أن صدموا جميعا فى الغربة.

و فى الفيلم غنى عمر فتحى أربع أغنيات هى: "وكان اللى كان" كلمات محمد حمزة و ألحان محمد الموجى ، ثم "خدينا و لفى بينا" لمحمد حمزة و ألحان محمد سلطان ، ثم "حبيبى حقيقى بحبك" لمأمون الشناوى و لحن رؤف ذهنى ، ثم "أيام" من كلمات عمر بطيشة و ألحان محمد الشيخ.

وتم تقديم عمر فتحى على أنه نجم الأغنية الجديد ،و لكن القدر لم يمهله كى يعمل مرة ثانية ،و إن كان قد مثل فى التليفزيون مسلسلا مأخوذا عن حسن و نعيمة.

صورة
عفاف راضى فى "مولد يا دنيا" إخراج حسين كمال
و تجربة واحدة فى الغناء للسينما
صورة
على الحجار فى "المغنواتى" إخراج د. سيد عيسى و فيلم غنائى واحد

الفصل الخامس عشر
حلمى رفلة

فى السنوات الأولى من عمر السينما الغنائية و الكوميديا الموسيقية ، عمل كل المخرجين تقريبا فى إخراج هذا النوع من الأفلام دون استثناء.و لم لا.. و الناس يحبونها و يقبلون عليها بدرجات مختلفة ،فى وقت تحولت فيها فنون الشاشة الفضية إلى كيان مغرد ،و صار وجود أغنية أو استعراض ممزوج بالغناء بمثابة ورقة البريد التى يجب أن توضع على كل مظروف عليه الوصول إلى مستقبله.

و الذين صنعوا هذا النوع من الأفلام هم بلا شك المخرجون ،و كان عليهم العثور على مطربيهم من أجل تقديمهم بصور مختلفة ،و كما نعرف فإن هناك مخرجين بأعينهم كانوا يحبون أكثر من غيرهم هذه الأفلام و اهتموا بها ،و بدا أن لكل نجم غناء مخرجه المفضل ، مثل محمد كريم الذى عمل فقط – كما نعرف – مع

محمد عبد الوهاب ،و بدرخان الذى عمل مع فريد الأطرش ،و أم كلثوم أكثر من أى مخرج. و هناك فى تلك الفترة أسماء مخرجين آخرين مثل حسين فوزى و توجو مزراحى و عبد الفتاح حسن.

ولا شك أن المخرج الأكثر غزارة فى تقديم هذا النوع من الأفلام هو حلمى رفلة ،و يليه حسين فوزى ،و سوف نفرد فصلا هنا للحديث عن رفلة ؛ على أن نخصص لزميله فصلا آخر ، فرفلة له واحد و سبعين فيلما ينتمى أغلبها إلى الكوميديا الموسيقية ،و السينما الغنائية.

و قد نظر النقاد دوما إلى رفلة نظرة المخرج المتواضع القيمة ، فلم تكتب عنه دراسة يستحقها ،و نحن هنا لا نقيم المخرج فنيا ،و لكننا سوف نتوقف عند الحالة التى صنعها فى هذا النوع من الأفلام ، فلاشك أنه صنع حالة أكثر من غيره فأضحك الناس و أبهجها ،و أكتشف مواهب عديدة و استفاد أيضا من المواهب الموجودة،و نحن لن نعدد أسماء المطربين و المطربات الذين تعامل معهم ، بل سنذكر هنا فقط أسماء من قدمهم لأول مرة على الشاشة فى عالم الطرب. فمع أول فيلم للمخرج عام ١٩٤٧، قدم حلمى رفلة المطربة الجديدة شادية فى "العقل فى اجازة" ،و هو الذى قدم أحلام فى "البنات شربات" عام ١٩٥١ ،و قدم الملحن رياض السنباطى كبطل سينمائى فى فيلم "حبيب قلبى" عام ١٩٥٢ ،و ذلك فى تجربته السينمائية الوحدية. كما أنه أول من قدم عبد الحليم حافظ فى نفس السنة مع إبراهيم عمارة ، كل منهما فى فيلم ، الأول فى "ليالى الحب" و الثانى فى "لحن الوفاء".

و حلمى رفلة هو الذى راهن على المطربة الجزائرية وردة فى فيلم "ألمظ و عبد الحامولى" فأعطاها دور البطولة أمام عادل مأمون الذى ظهر فقط فى بعض الأغنيات من قبل ،و ذلك عام ١٩٦٢.

و سوف يجد القارئ حديثا متناثرا عن أفلام حلمى رفلة فى الفصول التى تحدثنا فيها عن محمد فوزى و شادية و إسماعيل يس و فريد الأطرش ، لذا فإننا سنتوقف هنا عند السينما التى صنعها بعيدا عن هذه الأسماء و غيرها ، حتى لا يحدث أى تداخل أو تكرار لما نقدمه عن هذه الظاهرة.

و قد اخترنا أن نبدأ بفيلم قد يكون بعيدا عن أذهان المتفرجين و القراء بعنوان "المنتصر" ، أخرجه حلمى رفلة عام ١٩٥٣ ، قامت ببطولته تحية كاريوكا ،و قام فيه اللاعب الرياضى برهان صادق بالبطولة المطلقة إلى جوار إسماعيل يس ،و جمع الفيلم حشدا مع نجوم الغناء منهم كارم محمود و عزيز عثمان – كضيوف غناء – و قد جمع كافة التوابل المعروفة فى هذا النوع من السينما ، راقصة و قصة حب و رياضى و ممثل كوميدى و استعراضات.

و الفيلم يروى قصة الراقصة سهام التى تتنكر فى إحدى الليالى فى ملابس خادمة و تتسمى باسم زينب و تذهب للفرجة على سيرك ،و هناك تنشب مشاجرة تكاد تصاب فيها زين لولا أن يسرع منير و هو عامل فى أحد المصانع كان فى السيرك فيدافع عنها و يتمكن من إنقاذها دون أن تصاب بأذى ،و تبدأ بينهما قصة حب ،و ترى زينب – سهام – أنه يمكن توجيهه إلى الرياضة فتسعى إلى أحد مدرسى الملاكمة و تقنعه بالاهتمام بتدريب منير ، و يتمكن المدرب من جعله ملاكما ممتازا حتى ينال البطولة فيلفت برجولته أنظار سهام ،و هى ابنة رجل ثرى تسعى إلى مصادقة أبطال الرياضة.

و سرعان ما تتولد قصة حب بين إلهام و منير و ينسى حبيبته ،و يقبل الشاب على السهرات الصاخبة و يتهالك على الخمر فيعرف معنى الهزيمة و يفقد بطولته فتهجره إلهام. و يفيق منير على أنه فقد زوجته و بطولته و تصاب يده أثناء ثورة غضب أثناءها المرآة و تكتشف سهام ما حدث لزوجها فتحاول إعادته إليها و إلى الحلبة حتى ينتصر.

و طالما أننا أمام راقصة ، فلابد أنها هى التى سترقص ، أما المغنى فهو كارم محمود ،و هو هنا لا يتدخل فـى الأحـداث بـل عليـه أن يغنـى فـى الكباريـة و لـه أغنيـة كيبهـا إمـام الـصفطاوى و لحنهـا الـسنباطى باسـم "القصيدة" يقول فيها:

على دة القلب حول النغم.. تاهت الموجة من ضياء
بورد من الثغر حين ابتسم.. تناثر فى الكون معنى الهناء

ويشترك كارم محمود مع تحية فى استعراض ثنائى بإسم "غرام القطط" جاء فى الكوبليه الثانى منه:

كارم: فين أنت يا نو
تحية: أنا آهه ياروح نو
كارم: انتى لوحدك
تحية: نو
كارم: ماحدش عندك
تحية: نو
كارم: أنا جبت معايا هدية و جيت
بعد ما دورت و لفيت
دخلت المطبخ ولا خليت
و سألت عليكى صحون البيت

كما أن كارم محمود غنى حفل زفاف البطل الرياضى على حبيبتـه أغنيـة "الزفـة" ، أمـا عزيـز عثمـان فقد اشترك مع الكورس و كارم فى استعراض طويل باسم "دكان الأفراح" جاء فى بدايته:

يا فتاح من غير مفتاح ابعت لنا أى استفتاح
فيه عندنا دكان أفراح كله طرب و ليالى ملاح
يافتاح من غير مفتاح
المطربين بالرقة و الرقاصات بالكلية
و فيه عوالم رقة تحيى لكوا أجدع ليلة
و تخش باب الشقة تمدح فى أصل العيلة
و تقول ع القرد غزال شارد
و الدم خفيف و يكون بارد

أما الفيلم التالى ، فهو "شرف البنت" عام ١٩٥٤ ،و هو من بطولة عقيلة راتب و عماد حمدى ،و اشترك فى البطولة كل من إسماعيل يس و شادية و حسن فايق و زينات صدقى و عمر الحريرى. و مفاجآت الغناء هنا أن عقيلة راتب قد عادت للغناء بعد توقف طويل. و إذا كانت شادية قد غنت أغنيات شهيرة مثل "أحبك.. و أضحى لحبك أعز الحبايب" من ألحان محمد عبد الوهاب ، فإن عزت الجاهلى لحن استعراضا غنائيا كتبه صالح جودت لعقيلة راتب تحت اسم "العقل و القلب".

نفسى أحب و خايفة أحب و أنا أعمل إيه
ياللى سكرتو بكاس الحب احكوا لى عليه
ناس بيقولوا عليه يا جمله و ناس سهروا الليل ولا نالوا
ان كان حلو أنا أموت فى خياله و ان كان مر أنا مالى و ماله

و عقيلـة راتـب فـى هذا الفيلم ممثلـة لهـا بنـت شـابة ذات ميـول للتمثيل ،و لكـن أمهـا تمنعهـا مـن ممارسـة هوايتها، يرى كاتب مسرحى كبير أنها ممثلة مناسبة لدور البطولـة فـى إحدى مسرحياته بدلا من أمهـا. تبدأ الفتاة فى حفظ دورها سرا ، و بعد النجاح تصارح أمهـا ، لكن المفاجأة أن الأم تتدرب علـى نفس الـدور ،و ترى أنه الدور الذى تنتظره ليحقق لها مجدا.

تظن الأم أن ابنتها قد تورطت و فقدت شرفها ،و يتم اكتشاف الحقيقة و تتخلى الأم فى النهاية عن الدور من أجل ابنتها ، رمز الجيل القادم.

و قد امتلأ فيلم "ظلمونى الحبايب" بالغناء المبهج و الاستعراضات عام ١٩٥٣ ،و رغم أن قصته تقوم على الظلم و الموت ، فوالد الفتاة يموت و تعيش الدنيا بعد ابتسام ، ثم يتعقبها رجل شرير و تحاول الفتاة أن تدافع عن نفسها ، ثم تجد نفسها فى المحكمة ، فيظلمها الناس و أقرب الأشخاص إلى قلبها ، بل إن صديق الصبا و زميل الدراسة و شريك العمر يصبح هو المتهم الأول.

و فى الفيلم العديد من الأغنيات الخفيفة لحنها محمد فوزى و ألفها مأمون الشناوى ، مثل أغنية:

قلبك يسمع دقة قلبى يشهد على إخلاصى وحبى
روحى حياتى عقلى فكرى كل عواطفى هايمة معاك

و أيضا أغنية :حبيبى اصحى":

قوم يا حبيبى صح النوم و شوف الحكاية كلها أحلام
العمر كله فيه كام يوم علشان تفرط فيه و تنام
شوف ابتسام الزمان و ان قربك
ياللى الرضا و الحنان و العطف فى حبك

كما غنت صباح مع شكوكو استعراضا طويلا باسم "ياللى بافكر فيك" أما الأغنيات الحزينة فعددها اثنان هما "ظلمونى الحبايب" ،و "حبيبى حياتى" ،و هى كلها من تأليف الشناوى ،و ألحان فوزى ،و تقول فى مطلع هذه الأغنية مثلا:

لا انت حبيبى و لا حياتى ولا بحبك
ياللى نصيبى منك آهاتى و غدر قلبك
لا انت حبيبى

و فى تلك الفترة كان يعز على حلمى رفلة و أيضا على الكثير من المخرجين أن يقدموا أيا من أفلامهم دون أن يخلو من أغنية ،و رغم أن أبطال فيلم "عاشق الروح" جميعهم من الممثلين الذين لا يمارسون الغناء و منهم كمال الشناوى و تحية كاريوكا و زهرة العلا ، فإن رفلة قد جعل الشناوى يغنى ،و قد محمد سلمان اسكتش غنائى راقص ألفه و لحنه بعنوان "غرام البادية":

كورس: ما أحلى السهر بضى القمرة وسط الصحراء ياه ياه
سلمان: يا عرب بالله دلونى شفتوا حبيبى
انكنتوا شفتوا الزين احكوا لى وطفوا لهيبى

و فى فيلم لحموات الفاتنات" لم يود رفلة أن يجعله فيلما يمر إلى الناس دون أن يجعل إسماعيل يس يغنى "الحماتين" من تأليف فتحى قورة ،و ألحان حسين أبو زيد ،و فيها يقول بخفة ظله المعهودة:

قسما بالذى رفع السموات و حياة من خللى اللى اختشى مات
لو حكمتونى على الحموات لعبتهم كوريا فى غمضة عين
يا سلام عندما يصبحوا خصمين
و ياباى كلما خانقوا الزوجين
و أنا أشوف العمى و لا أشوف الاتنين
حما زائد حما يبقو حماتين
و أنا أشوف العمى ولا أشوف الاتنين

و إذا كان رفلة قد استعان بمحمد سلمان كى يقدم اسكتش فى فيلم "عاشق الروح" فإنه استعان هنا بإبراهيم حمودة ،و فيفى ماهر ،و الثنائى حسن و حسان من أجل أن يقدموا استعراضا طويلا كوميديا يحمل اسم الفيلم كتبه فتحى قورة و لحنه أحمد صبره ،و فيها يردد إبراهيم حمودة:

ضلل علينا ورد و قول ياريت لقانا يدوم على طول
قالوا اللى يصبر بكره ينول لكن صبرنا سنة و سنين
ان كنت مش ناوى تسيبنى روح ياللا على بابا اخطبنى
مادمت عجباك و عاجبنى و شغلت قلبى بنظرة عين

و قد قدم رفلة الكحلاوى فى فيلم "خليك مع الله" و هو واحد من بطولاته السينمائية الضعيفة ،و ذلك عام ١٩٥٤ ،و فى الفيلم غنى الكحلاوى أربع أغنيات هى: "دارى جمالك دارى" و "غزالى الحلو قابلنى" و "على فين يا وابور" و "أول ليالى الهنا". و حول الغناء فى هذا الفيلم كتب ابن زيدون ناقد مجلة الكواكب: "للكحلاوى أسلوبه الغنائى الخاص ،و أعتقد كسميع أنه أرضى المعجبين بهذا الأسلوب ،و هو طبعا أسلوب لا يصلح للسينما إذ يتخلله التكرلر فى الكوبليهات و الاستطالة بالموال و ترديد المذهب ،و لكن ها عيب مشترك فى أغانينا لا يؤاخذ هو وحده بجريرته".

و مع النصف الثانى من الخمسينات بدأت اللكوميديا الموسيقية و السينما الاستعراضية فى الانحسار فى مقابل ارتفاع مكانة الفيلم الغنائى الخالى من الاستعراض ،و قد حدث هذا مع ظهور جيل جديد من أهل الطرب يغنى فقط دون أن تكون لديه القدرة على المشاركة فى الاستعراض ،و منهم عبد الحليم حافظ ،و كمال حسنى ،و محمرم فؤاد ،و وردة الجزائرية ، ثم عادل مأمون ،و ماهر العطار. و قد وجد حلمى رفلة نفسه أمام هذه الظاهرة فلم يشأ أن يبتعد عنها و سعى قدر إمكانه إلى استغلال سواء فى الأفلام المصرية أو فى بعض أفلامه اللبنانية ،و منها فيلم "مهرجان الحب" عام ١٩٥٨ الذى غنت فيه صباح.

و حلمى رفلة هو الذى أخرج أكبر عدد من الأفلام لعبد الحليم حافظ ، على سبيل المثال هى "ليالى الحب" ١٩٥٥ ،و "فتى أحلامى" ١٩٥٧ ، ثم "المعبودة الجماهير" ،و كان قد توقف عن التعامل مع فريد الأطرش بعد أن قدم له مجموعة من الأفلام منها "تعالى سلم" ١٩٥١ ، ثم بدأ يراهن على المطربين الجدد ،و من ابرزهم وردة الجزائرية التى قدمها فى أول تجربتها فى "ألمظ و عبده الحامولى" عام ١٩٦٢ ، ثم عاود العمل معها فى "صوت الحب" عام ١٩٧٣ عقب عودتها من اعتزالها الذى استمر ثمان سنوات.

و الفيلم كما نعرف يستعرض جانبا من حياة اثنين من أشهر نجوم الطرب العربى فى القرن التاسع عشر ، هما ألمظ عاملة من عاملات البناء ، ثم أصبحت من المع كواكب الغناء فى عهد الخديوى إسماعيل ، كان وراء ذلك المطرب المعروف عبده الحامولى الذى شجعها و علمها و قدمها للأوساط الراقية. و قد نظر إلفيلم إلى القصة من منظور سياسى ، من أجل إلقاء وجهة نظر تلك المرحلة التى كانت ترى فى الخديوى شخصية فاسدة اجتماعيا و سياسيا ،و لذا فإنه يطمع فى ألمظ ، لذا فإنها تتزوج عبده الحامولى من أجل أن يحميها من الخديوى ، لكن الحامولى يطلب منها أن تعتزل الغناء و الاكتفاء فقط بالتواشيح.

و الفيلم يضم ست أغنيات مستوحاة من أغنيات مشهورة للمطربين مثل "زفة العروسة" التى تقول فيها:

يا نخلتين فى العلالى يا بلحهم دوا يا نخلتين على نخلتين طابوا فى ليالى الهوى

و الأغنيات الست من نظم صالح جودت اشترك فى تلحينها ستة ملحنين ن هم محمد عبد الوهاب (إسأل دموع عنيه) ،و على إسماعيل (نشيد النصر) ،و فريد الأطرش (روحى و روحك حبايب) ، و بليغ حمدى (زفة العروسة) ،و كمال الطويل (ياللى سامعنى) ،و محمد الموجى (كنت فين) ،و أربع من هذه الأغنيات غنتها وردة و منها أغنيتها التى صنعت شهرتها:

اسأل دموع عنيه و اسأل مخدتى

كام دامعة رايحةجاية تشكيلك حدتى
و اسأل مخدتى

أما الأغنية التى ساهمت فى رفع أسهم عادل مأمون الذى اشتهر بتقليده محمد عبد الوهاب ، فهى "ياللى سامعنى" "التى يقول فيها:

قولوا لطيرى اللى سارح عشه ما بين الجوانح و له على الأمان
حاجعل ضلوعى غصونه و أعز حسنه و أصونه و أرويه بدمع الحنان

و فى تلك الفترة راهن حلمى رفلة على المطرب الجديد محرم فؤاد بعد نجاحه فى فيلم "حسن و نعيمة" ،و فى فيلمه "لحن السعادة" بدا المخرج كأنه يحاول أن يصنع من المطرب الجديد صورة جديدة من عبد الحليم حافظ ، فها هو أمام مطرب شاب ولا يجيد سوى الغناء و عليه أن يغنى فى المروج و المراعى ، باعتبار أن أحداث الفيلم تدور فى الريف ،و أبطال الفيلم يحلقون كالطيور يحملون بالمثل و الحب. فنحن هنا أمام معالجة قريبة من روميو و جولييت. والد الفتاة رجل مثالى ، يرفض أن يبيع أرضه ، أما عم الفتى فهو يريد شراء قطعة أرض يمتلكها والد الفتاة من أجل أن يسد سبل الرى على أحد خصومه.

إذن ، فقصة الحب تتولد بين أجواء شائكة و تبدأ بالشباب الذى يقابل الفتاة و هى تسير فوق الجسر فيغنى لها "شفت بعينى ما حدش قاللى.. شفت الحب و دقت الحب" ، ثم هو عندما تتعقد الأمور أمام الحب يسير فى الشوارع يغنى فى يوم العيد:

و أنت عنى بعيد قلبى عنى بعيد
حتى يوم العيد

و قد اكتشف حلمى رفلة أن مطربه ليس فى قوة من سبق التعامل معهم من المطربين خاصة عبد الحليم حافظ ، لذا فإن المتفرج يحس أن كلا من زكى رستم و حسين رياض قد حملا بطولة الفيلم وملآ الأحداث بوجودهما.

و مع أنحسار موجة السينما الغنائية ، بدأ حلمى رفلة يتعثر كثيرا فى عمل أفلامه التالية ،و واجه العديد من المشاكل خاصة بمرض بطله عبد الحليم حافظ فى فيلم "معبودة الجماهير" ، الذى استغرق إعداده أكثر من أربع سنوات ،و بدأ حلمى رفلة يبتعد بصكل ملحوظ عن الأفلام اغنائية مجبرا لا مخيرا. و فى عام ١٩٧١ عملت معه شادية فى فيلم تم تصويره فى لبنان هو "لمسة حنان" و فيه غنت أغنيتها المعروفة "عالى" ،و فى نفس السنة أخرج فيلما غنائيا ضعيفا لنجاة باسم "ابنتى العزيزة" ،و فى عام ١٩٧٣ ، استعاد وردة لتقوم بقصة سبق للسينما أن أخرجتها مرارا و شاهدناها فى فيلم "قمر ١٤" و غيره ،و ذلك فى "صوت الحب" ، وبدا رفلة كأنه يحاول استعادة أمجاد الفيلم الغنائى بأى ثمن. و تكررت المحاولة عندما دفع بشمس البارودى إلى الغناء فى فيلم "الزواج السعيد" عام ١٩٧٤ ،و فى العام التالى قدم آخر تجاربه فى السينما الغنائية من خلال فيلمين هما: "جفت الدموع" آخر أفلام نجاة الصغيرة سينمائيا ،و أيضا فى فيلم "حب أحلى من حب".

و نحن نتوقف هنا عند هذا الفيلم الأخير ، لأنه لا يوجد أحد من أبطاله من المعروفين أنهم مطربون سواء محمود يس أو نجلاء فتحى ، أو نادية الكيلانى. و الفيلم مقتبس عن واحد من اشهر الأفلام الموسيقية فى الستينان و هو "صوت الموسيقى" لروبرت وايز عام ١٩٦٥.

و الفيلم يروى قصة رفعت الذى ماتت زوجته و تركت له ستة أطفال ،و قد عانى كثيرا من جلب كربيات تقنن الصغار فى طردهن ، إلى أن جاءت ليلى من إحدى الجمعيات الخيرية التى رأت أن تخلص المنزل من النظام العسكرى الذى فرضه رفعت على الأولاد ،و تواجه ليلى بعض المتاعب مع سامية خطيبة رفعت ،و

يميل الأولاد شيئا فشيئا إلى المربية التى تفاهمت معهم و عزفت على ألحانهم و مشاعرهم ، لذا فقد أحبها الأطفال و سعوا إلى طرد خطيبة أبيهم من خلال مطالبهم المتعددة و دفعوا بأبيهم إلى الزواج من ليلى.

و قد حاول رفلة استعادة أمجاد الفيلم الغنائى لكن محاولته بدت خايبة ضعيفة للغاية ، باهتة لدرجة أن مجدى فهمى كتب فى مجلة الشبكة عن هذا الفيلم: "و الغناء الاستعراضى فى أفلامنا للأسف ينحصر فى بعض حركات راقصة... حيث الكل يغنى و الكل يرقص".

إذن ، فقد بدأ حلمى رفلة يغلق أحد الأبواب الرائعة ، أبواب السينما الغنائية التى ازدهرت على يديه. و لم تكن المشكلة فقط فى عدم وجود نجوم لهم نفس موهبة من سبقوهم فى هذا المضمار ، بل أيضا كان كل من تعامل معهم رفلة فى كتابة الأغنيات و الاستعراضات قد رحلوا مثل أبو السعود الإبيارى ،و فتحى قورة. و خوت الساحة لا يدخلها امرؤ له نفس الموهبة و المقدرة.

الفصل السادس عشر
محمد فوزى

محمد فوزى هو أحد الحالات القليلة فى السينما الغنائية ، فهو يغنى و يلحن و له جاذبية لدى الناس كممثل،و الغريب أنه المطرب الذى عمل فى أكبر عدد من الأفلام السينمائية طيلة عمر السينما المصرية ، هذا طبعا بالنسبة للبطولات و النجومية ، حيث عمل فى الفترة بين عامى ١٩٤٤ – ١٩٥٩ فى ستة و ثلاثين فيلما ،و هو عدد كبير بالنسبة للسنوات الخمس عشر ،و لذا فإنه على عكس مطربين آخرين يعملون فيلما واحدا فى العام على الأكثر ، فإنه فى عام ١٩٤٨ ظهر فى خمسة أفلام. و فى العام التالى عمل فى أربعة أفلام، أما فى سنة ١٩٥٠ فقد عاد ليمثل فى خمسة افلام ثم قلت هذه النسبة فيما بعد.

و قد ملأ فوزى هذه الأفلام بألحانة الشجية ، فقام بالتلحين لنفسه بالطبع و لبطلات أفلامه اللاتى غنين أمامه ، مثل نور الهدى و صباح و عقيلة راتب و ليلى مراد و أحلام و نازك. و من هذه الأسماء سوف نكشف أيضا أن محمد فوزى هو أكثر منوقف أمام مطربات على الشاشة ،و رغم أنه من الشائع أنه قد صنع ثنائيا تمثيليا مع زوجته مديحة يسرى.

و محمد فوزى هو أيضا مثل كافة المطربين فى السينما ، هو مغن يمثل يستفيد من السينما ، لذا فإن كل رسالته هو أن تمتلئ الأفلام بالأغنيات. و قد ظهر المطرب مع ازدهار السينما الغنائية و الاستعراضية ثم بدأ فى الاختفاء مع انسحار هذه الموجة ، إذن فهو أحد صناعها و علامة بارزة من علاماتها.

و السينما الغنائية هنا مرتبطة فى المقام الأول بالكوميديا ، فمن بين مجموع أفلام فوزى حلمى رفلة أخرج له أربعة عشر فيلما ،و الجدير بالذكر أن بدايات فوزى فى السينما لم تكن لامعة ، فالفيلمان الأولان له و هما "سيف الجلاد" ليوسف وهبى ١٩٤٤ ،و "قبلة فى لبنان" لبدرخان ١٩٤٥ ، لك يكونان من بطولة فوزى ، إلا أنه صار بطلا مطلقا فى فيلمه الثالث أمام نور الهدى ،و هو أيضا من إخراج أحمد بدرخان و هو "مجد و دموع" عام ١٩٤٦ ،و فى هذا الفيلم لم تبد ملامح فوزى التى عرفناها فيما بعد ، فهو هنا فى دور موظف تلحق به المآسى ، سواء من ناحية حبيبته أو من قبل رئيسه فى العمل الذى ينقله إلى مدينة بعيدة كى يخلو الجو لهذا الرئيس من أجل المغنية التى ينافسه الشاب على قلبها ، لكن هذه المغنية تحب رجلا هو ابن أسرة ثرية ،و إمعانا فى إذلالها فإنه يدعوها على خطبته و تغنى فى هذا الحفل.

و الشخصية الرئيسية هنا هى درية المطربة ، أما حمدى فهو شخصية ثانوية باعتبار أن المجد هو الذى يلاحق الفتاة حين تصير مطربة مشهورة ، ثم هى التى تحصل على الدموع بعد أن يتزوج الرجل الذى أحبته ،و تموت أختها فى حادث و تتراكم عليها الديون ،و هنا يعود حمدى من وظيفته فى أسوان كى يقف بجانبها فى محنتها و يساعدها لتعود مرة أخرى إلى المجد و يتزوجان.

و الغناء الرئيسى فى هذا الفيلم أدته نور الهدى ،و من الواضح أن المخرجين كانوا يضعون أمام محمد فوزى مطربات أخريات فى أفلامه الأولى ، حيث كان يبدو كأنه لا يتحمل بطولة فيلم وحده ، فوقف أمام رجاء عبده فى "أصحاب السعادة" لمحمد كريم عام ١٩٤٦، ثم أمام صباح فى "عدو المرأة" لعبد الفتاح حسن فى نفس العام ، ثم أمام المطربة الجديدة شادية و أيضا ليلى فوزى ، حيث جمعها بدرخان مرة أخرى فى فيلم "قبلنيا أبى" عام ١٩٤٧ ، ثم عاد للعمل مرة أخرى أمام صباح فى أول فيلم يخرجه له حسين فوزى بعنوان "صباح الخير".

و بالنظر إلى هذه الأفلام ستجد أن فوزى لم يجسد دور المطرب الذى يسعى إلى المجد ، بل إنه لا يكاد يغنى إلا قليلا مثلما حدث "مجد و دموع" ،و فى أصحاب السعادة" يقوم بدور الابن العائد من بيروت من أجل رؤية أبيه المريض ،و يترك زوجته فى الفندق و عندما يعود إليها لا يجدها ، يبحث عنها فى كل مكان بلا جدوى ،و يلح الأب من أجل رؤية خطيبته ، يتعرف الابن على فتاة أخرى و يطلب منها أن تؤدى دور الخطيبة فتوافق ، يعجب الأب بالعروس التى غيرت وجه حياته. ثم يحدث أن يطردها الابن من حياته فتعود إلى مدينتها ،و عندما يعرف الأب الحقيقة يسافر إليها و يتزوجها ،و تعود الخطيبة الأصلية إلى الابن.

و الموضوع لا يناسب أى كوميديا موسيقية أو غنائية ،و لذا فإن محمد فوزى لم يتميز بعد فى هذه الأدوار،و بدا كأنه لم ينضج بعد و عليه أن ينتظر مخرجا من طراز حلمة رفلة أو حسين فوزى. و من الواضح أن محمد فوزى بدأ يحس بأهمية دخوله السينما كنجم متكامل ، فراح ينتج أفلامه ، فى فيلم "حب و جنون" دا محمد فوزى كأنه قد أملى على حلمى رفلة الصورة التى يجب أن يكون عليها ، فالمطرب الذى هرب من القرية إلى القاهرة هو أقرب إلى محمد فوزى الحو ، الذى جاء إلى القاهرة باحثا عن فرصة للعمل فى الغناء ،و كى يصبح نجكا. هذا الشاب الذى يعمل مع مجموعة من الفنانين الجائلين فى سيرك متنقل ، يتعرف على مجموعة منهم و يتعرض لمتاعب عديدة يلفت نظر الراقصة أنهار بصوته الجميل. تعرض عليه أنهار أن يعمل ملحنا للفرقة و سرعان ما يقع كل منهما فى غرام الآخر ، مما يثير غيظ إحدى النساء فتكلف أحد أعوانها بخطف المطرب حتى لا يتم زواجه و لكن الخطة تفشل.

محمد فوزى هنا هو بطل مطلق يغنى ،و الفيلم قائم عليه أساسا. و قد تكرر نفس الشئ فى فيلم "الروح و الجسد" لحلمى رفلة عام ١٩٤٩ ،و هو يدور حول شابين ، الأول مطرب و الثانى أديب ،و كلاهما سئ الحظ فى حياته. يتعرف الأول على مطربة و يتبادلان الحب دون أن يعرف كل منهما الآخر ، يحبها الأديب أيضا و يرسل لها الخطابات فتظن أنها من المغنى ، ينجح المطرب فى مجاله الفنى و تطارده راقصة ،و على إثر حادثة يفقد المطرب بصره فيختفى عن الأنظار. تضطر حبيبته أن تتزوج من صديقه الأديب ،و بعد مدة يعود اتلبصر إلى المطرب و يمارس الغناء من جديد.

و المطرب هنا هو محمد فوزى ، أما الأديب فقد جسده كمال الشناوى ،و أغنيات بالطبع من ألحان محمد فوزى ،و توزيع فؤاد الظاهرى. و لم يغن المطرب هنا وحده ، بل غنى مع شادية دويتو "متهيألى" ،و غنى مع شادية و إسماعيل يس أوبريت الربيع ، ثم غنى وحدهأغنيات ثلاث هى "غنى" و "قصيدة الذكريات" ، ثم الأغنية الشهيرة "دارى العيون داريها".

و فى فيلم "المجنونة" لحلمى رفلة أيضا وجد نفسه أمام ليلى مراد يغنى أمامها أحيانا ،و وحده فى احيان أخرى. و الفيلم كما نعرف يروى قصة عادل الطبيب النفسى الذى يلتقى أثناء الأجازة بالإسكندرية بزميلته القديمة ليلى التى تعيش مع عمها و زوجته اللذين يدبران خطة لتدمير عقلها ،و نتيجة لذلك فإنها تشك فى كل شئ ،و يتولى عادل علاجها بإحدى المصحات ،و يعلم أن العم يحاول تعذيبها من أجل أن يظل وصيا عليها و على ثروتها الضخمة ، خاصة عندما يكتشف أن هذا العم قد دبر موت أخيه و زوجته. يدير العم خطة لقتل

الطبيب لمنعه من علاجها ، لكن البوليس يحبط هذه المؤامرة ،و يكشف أسرار ليلى التى تشفى و تتزوج من عادل.

و كما نرى ، فإن قصة الفيلم لا تصلح قط أن تكون موضوعا لعمل غنائى ، فقليلة هى الأفلام الغنائية التى تمتزج فيها الحدوتة بالأجواء البوليسية و القتل و الدم ، حيث يتنافى الاثنان تماما ، لكن هذا هو السيناريو الذى كتبه محمد كامل حسن المحامى ،و الذى تخصصفى كتابة و إخراج الأفلام ذات الصبغة البوليسية بصرف النظر عن النوع الذى ينتمى إليه الفيلم و أبطال العمل بشكل عام.

و من الدويتو الشهير فى هذا الفيلم ما تغناه الثنائى فوق البحر "أنا حبيبتك الأول" ،و "فرحانة و خايفة".

ولا شك أن العمل الأكثر تميزا فى أفلام محمد فوزى فى تلك المرحلة هو "فاطمة و ماريكا و راشيل" المأخوذ عن "زواج فيجارو" ، و هو موضوع تكرر أكثر من مرة ، لكن الجزء الأول من الفيلم ليست له أى علاقة بالمسرحية الفرنسية ،و هى التى يرسم الشاب فيها على الفتيات فيسمى نفسه يوسف عندما يوهم ماريكا أنه سوف يتزوجها ، ثم إذا به يدعى أنه يوسف ليشع عندما يتقدم لخطبة راشيل ، حتى يدفع به ابوه إلى منزل فاطمة من أجل أن يتزوجها زواج قائم على المصلحة ، فيدفع صديقه لأن يتظاهر أنه ثرى ،و يتصرف هو على أساس أنه التابع.

و الفيلم يبدأ بأغنية ساخرة ألفها ابو السعود الإبيارى. يردد فيها "كان بدرى عليك عليك بدرى" ،و المقصود بالطبع هنا هو الوقع فى دائرة الزواج ،و يمسك المطرب بالدف ليدق دقات حزينة جنائزية تدعو إلى الرثاء ،و هو يردد تلك العبارة ثم سينتهى الفيلم بنفس الأغنية و نحن نرى الشاب يغنى لنفسه هذه الأغنية بعد أن وقع فى برائن الحب ،و أسر الزواج.

و فى عام ١٩٤٩ أيضا قام عز الدين ذو الفقار ، بتجميع كل من فوزى و كاميليا و شادية ، الذين عملوا فى فيلم "الروح و الجسد" مرة أخرى و ذلك فى فيلم "صاحبة الملاليم" ،و الفيلم أيضا من إنتاج المطرب ، لكن البطولة المطلقة لكاميليا التى قامت بدور إحدى ثلاث أخوات لا يمتلكن سوى خمسمائة جنيه هدفهن أن يتزوجن زيجات من شبان أثرياء ،و لكن المبلغ لو قسم بينهن فلن تسطيع كل منهن أن تتصيد عريسها المنتظر. يتفقن أن تدعى سهام أنها مليونيرة و نبيلة سكرتيرتها و سنية وصيفتها. تقع نبيلة فى غرام المليونير كمال ، أما سنية فتحب عنتر سكرتير هذا المليونير ،و تحدثمواقف عديدة عمادها سوء الفهم بين الأخوات و أحبائهن و تنتهى بزواج كل فتاة من الشاب الذى تحبه.

و كما نرى ، فإننا أمام فيلم كوميدى يمكنه أن يتضمن أغنيات و استعراضات عديدة.

صورة
محمد فوزى و نجمة الغناء ليلى مراد

و فى عام ١٩٥٠ ، كان محمد فوزى قد صار أكثر نضجا كممثل و مطرب يعرف كيف يقدم نفسه للناس،و من المعروف أن الكثيرين من نجوم الطرب فى تلك السنوات كانوا أيضا من نجوم الكوميديا ، أو بتعبير آخر ، فإن المطربين كانوا يلعبون أدوار كوميدية ،و انتشرت أفلام الكوميديا الغنائية فى فيلم "رصاصة فى قلب" مع عبد الوهاب ، ثم تخصص فريد الأطرش فى أداء الأدوار الكوميدية فى أغلب أعماله فى تلك الآونة. وبدا فوزى أكثر خفة و حضورا فى أفلام عديدة فى تلك السنوات ،و لعل من أبرزها "الأنسة ماما" الذى نتحدث عنه فى الفصل الخاص بصباح ، ثم "الزوجة السابعة" ،و الذى تألق فيه فوزى إلى حد كبير ،و هو يقوم بدور الشاب العابث اللاهى الذى تزوج أكثر من مرة و وجد نفسه يقترن بفتاة جادة قررت

أن تلقنه درسا خوفا من أن تصير واحدة من الواقفات فى طابور المطلقات ،و من أجل أن يظل محتفظا بها عندما بدأت تشعر نحوه بالحب.

و فى هذا الفيلم مثل محمد فوزى أكثر مما غنى ،و بدا خفيف الظل و هو يتلقى الضربات و المكائد. يجد نفسه محبوسا فى شرفة أثناء سقوط المطر فيصاب بالبرد و تدفعه امرأته للإحساس بالغيرة من صديقه المخلص و توهمه أنها تحبه.

و فى عام ١٩٥٠ أيضا ، مثل فوزى فيلما جديدا من إنتاجه هو "غرام راقصة" لحلمى رفلة ،و ذلك أمام نور الهدى (زميلته القديمة التى يكتب دائما اسمها قبل اسمه فى الأفشيات) ثم تحية كاريوكا التى يكتب اسمه أيضا قبلها ،و يعد الفيلم نموذجا حيا للسينما الغنائية الجماعية ، فلم يستأثر بالغناء هنا شخص دون آخر فقد غنى محمد البكار ،و نور الهدى ،و أيضا تحية كاريوكا و شكوكو. و اشترك أبطاله الآخرون فى الاتعراضات الضخمة البالغة التكاليف ، التى ملأت الفيلم الذى يروى قصة حب تقليدية نراها كثيرا فى الأفلام الغنائية ، بين مطرب صغير و مطربة ناشئة فى إحدى الفرق الاستعراضية و يتعاهدان على الزواج. تعمل معها راقصة كبيرة تعجب بالمطرب و تحاول الإيقاع بينه و بين حبيبته و إبعادها عنه حتى تنفرد به. يقع سوء تفاهم بين الحبيبين ، إذ تعلم المطربة أنه تزوج من الراقصة ،و كانت هذه الخدعة من تدبير الراقصة مما جعل الاثين ينفصلان مما يؤدى إلى إصابة الشاب بالمرض و العزلة عن الناس ،و بعد شفائه يعود للبحث عن حبيبته و يفهمها حقيقة ما حدث ثم يتزوجان.

و كما أشرنا فإننا أمام نموذج مثال للفيلم الغنائى الاستعراضى ، فهناك أكثر من أربعة مطربين يغنون و راقصة ،و مجموعات من العاملات بالرقص الاستعراضى و ممثلين كوميديين ، بالإضافة إلى طول الاستعراض فى الفيلم ، فالسندباد المصرى الذى ألفه فتحى قورة هو أوبريت يغنى فيه المطرب ، ترد عليه بنات الكورس إما بشكل جماعى أو تقوم بذلك واحدة وراء الثانية ،و قد جاء فيه:

فوزى: حيران و بدارى آلامى من يوم ما فارقنى جمالها
خايف لتفوت أيامى و تروح من غير ما أقابلها
ليه كل ما أقرب منها الاقينى بابعد عنها
و أرجع من غير ما الاقيها
كورس: احكى لنا على أوصافها يمكن نقدر نعرفها
أو نعرف فين أراضيها
كورس: عيونها..
فوزى: عيونها الجنة فى عيونها و فيها كل معنى جميل
كورس: جفونا..
فوزى: بيان السحر فى جفونها يداوى كل قلب عليل
كورس: خدودها..
فوزى: خدودها الورد فى خدودها تبوسه النسمة و تصحيه
كورس: بس خلاص احنا عرفناها دى فى أسبانيا هناك تلقاها
فوزى: ياللا يا بحارة على أسبانيا على أجمل جمالات الدنيا
بنات: إحنا بنات أسبانيا تشوفنا تحب فى ثانية
إحنا الدرجة الأولى و غيرنا الدرجة التانية
نرقص و نرقص عشاقنا و تخاف م النسمة لتسرقنا
و النار فى قلوبنا و شفايفنا كاويانا و كاوية اللى شايفنا
احنا بنات أسبانيا
فوزى: شفتوش يا بنات واحدة جميلة؟
البنات: طب ما احنا كلنا جمالات...

و الاستعراض من جماله يبدو مليئا بمثل هذا الحوار ، حيث تظهر بنات بلدى فيما بعد ،و إذا كان الاستعراض جذابا على الورق ، فهو بلاشك أكثر سحرا على الشاشة ،و الملاحظة أن كافة أغنيات الفليلم طويلة مثل دويتو "عايز اقولك" ،و "فهمت حاجة" ،و فى هذا الفيلم غنت نور الهدى أغنية قروية كتبها مأمون الشناوى باسم "الجواب". أما أطول الاستعراضات على الإطلاق فى فيلم ، فهو الذى كتبه فتحى قورة أيضا بعنوان "ألف ليلة و ليلة" ،و غنى فيه كل من نور الهدى و فوزى و شكوكو ،و حسن فايق بالإضافة إلى بنات الاستعراض.

و قد نوع المخرجون من الأدوار التى يقوم بها فوزى ،و لم يضعوه فى نفس القالب ، فقد نراه مطربا صاعدا أو مشهورا فى أفلام من طراز "الآنسة ماما" ،و "غرام راقصة" ، لكنه ضابط طيار فى "ورد الغرام" ،و رسام فى "بنات حواء" ،و صياد فى "ليلى بنت الشاطئ" ،و يساعد سائق قطار فى "دايما معاك" ،و هو موظف فقير فى "معجزة السماء" ،و قد امتلأت هذه الأفلام و غيرها بالأغنيات و بدت القصص كأنها عامل مساعد أو ديكور خلفى من أجل أن نشاهد و قائع الأغنية. ففى فيلم "الحب فى خطر" نراه يقوم بدور مطرب معروف وضعت له إحدى اللصات عقدا سرقته فى جيبه حتى لا يتم القبض عليها ، ثم راحت إلى منزله و تحاول استرداد العقد ، لكنه يكتشف جمال صوتها و يعطيها الفرصة لأن تصبح نجمة ،و هنا توجد أيضا راقصة تحاول إفساد الحب بين المطرب و اللصة التى صارت مطربة فتكشف ماضى الفتاة و يتعرض الحب للخطر.

و لأن ابطال الفيلم أمام فوزى هما صباح و إسماعيل يس فلابد لهما أن يغنيا معه ،و امتلأ الفيلم بالدويتو بين الثنائى "شاغلته بعينى" ،و "أنت حبيت أيوة.. جد حبيت" ، ثم "استعراض الحب" أما استعراض "جنينة الغرام" فقد جسده كل من الثلاثة أبطال الفيلم. و هنا أيضا لابد لكل من فوزى و صباح أن تغنى كل منهما أغنية فردية بعيدا عن الدويتو.

و قد كان حلمى رفلة دوما لا يترك الفرصة لمطرب أن يستأثر وحده بالغناء ، ففى الأفلام التى لا توجد فيها مطربة فإننا نرى إسماعيل يس هو الذى يشارك فوزى الغناء ، مثل فيلم "نهاية قصة" عام ١٩٥١ ، حيث غنى المطرب العديد من أغنياته الشهيرة و منها "من نظرة عين قلبى نادانى" و "جمالكبيزيد فى عينيه.. كل ما بتطل عليا" ،و "يانور جديد.. فى يوم سعيد.. دا عيد ميلادك أحلى عيد".

و قد خرج فوزى فى بعض الأحيان من جعبة حلمى رفلة ،و كانت بعض أفلامه جيدة أحيانا و البعض الآخر أصابه سوء الحظ ، فرغم أنه عمل مع عز الدين ذو الفقار عام ١٩٤٩ فى "صاحبة الملاليم" إلا الفيلم لا يذكر كثيرا فى تاريخ الاثنين. و قد تباينت تجربة المطرب مع بركات ، فهو فى الفيلم الأول "ورد الغرام" ١٩٥١ أكثر حيوية و أغنياته أكثر خلود من فيلم "دايما معاك" ، رغم أن البطلة هنا هى فاتن حمامة ، كذلك تكرر الأمر بالنسبة للعمل مع نيازى مصطفى حيث كان فيلمهما الأول "من أين لك هذا" ١٩٥٢ عمل متواضعا بينما تعتبر التجربة الثانية فى "بنات حواء" عام ١٩٥٤ من أهم أفلام محمد فوزى الغنائية و الاستعراضية الكوميدية على الإطلاق ، حيث امتلأ الفيلم بالتدفق و خفة الظل من لحظاته الأولى ،و بدا الموضوع الذى كتبه أبو السعود الإبيارى مختلفا كثيرا عن السينما فى تلك الفترة ، خاصة الغنائية فلسنا أمام عزول أو رغبة مطرب فى الصعود الفنى ، أو اكتشاف موهبة جديدة ، بل نحن أمام عملية تحول للإحساس لامرأة تؤمن بالحرية و قيمتها كامرأة عاملة فى المجتمع ، لكنها لا تصدق كثيرا فى الحب ،و تدخل فى رهان مع رسام شاب صدمته بسيارتها و هو متوجه إلى المعرض فتفسد عليه لوحته و يتفقان على أن يرسمها كتعويض عن اللوحة التى أصابها التلف ،و لأن الرسام يحتاج إلى وقت ، فإن المرأة "حكمت" توافق على تعيين الرسام لديها كى يرسمها فى أوقات الفراغ، و يتراهن الاثنان على الحب. هو واثق أنها ستقع فى الحب و هى تبدو صلدة من الخارج لفترة ، حتى تؤمن فى النهاية بالحب.

و هنا ، لم نرى العزول ولا جريمة ،و امتلأ الفيلم بالوردية ،و لذا فإننا أمام فيلم خلال تماما من كل أغنيات البكاء و الحزن ، لذا فكل أغنياته باعثة على البهجة. و قد تضمن الفيلم الذى شاركت فى بطولته مديحة يسرى و غنى فيه كل من شادية و إسماعيل يس أيضا سبع أغنيات ، فريدة و جماعية ،و أيضا الاستعراض الأخير البالغ الجاذبية "الحب له أيام ،و له فصول و مواسم".

من هذه الأغنيات التى شدا بها فوزى هناك "يا جارحة القلب بعيونك ، يصونه المولى و يصونك" و أغنية "الزهور" و "تعب الهوى قلبى و الحلو مش مدارى.. و لأمتى حنخبى على بعض و ندارى" كما غنى موالا، أما شادية فقد غنت بمفردها "لقيته لقيته ،و هويته هويته" ،و "دا انا بنت حلوة و مهرى غالى".

و لذا فهذا يكاد يكون من الأفلام الغنائية القليلة التى تمتلئ بأجواء بهجة و ردية منذ بدايته حتى نهاية ،و هو أيضا ذروة أعمال فوزى فى السينما الغنائية ، ليس لما يتسم بها من جودة و جاذبية ،و لكن أيضا لأن منحنى علاقة المطرب بالسينما بعد ذلك بدأ فى النزول ، سواء من حيث عدد الأفلام أو جودتها و موضوعها،و ليس لهذا الأمر علاقة بالمرض الذى أصاب المطرب فى أواخر حياته ، فقد ابتعد فوزى عن السينما عام ١٩٥٩ ،و رحل عن العالم بعد هذا التاريخ بست سنوات.

الأفلام الخمسة الأخيرة التى مثلها فوزى بعد "بنات حواء" هى "على التوالى" "دايما معاك" لبركات ١٩٥٤ و "ثورة المدينة" لحملى رفلة ١٩٥٥ ، ثم "معجزة السماء" ١٩٥٦ ،و "كل دقة فى قلبى "لأحمد ضياء الدين ١٩٥٩ ، ثم "ليلى بنت الشاطئ" لحسين فوزى فى نفس السنة.

و لو بدأنا بالفيلم الأخير ، سوف نلاحظ أن هناك تشابها بين موضوعه و فيلم آخر لنفس المخرج هو "بحر الغرام" حول الفنان الذى تدفعه الظروف للخروج من مدينته الساحلية كى يصبح نجما مشهورا فى العاصمة تاركا وراءه قصة حب يجب أن يعود من أجلها. هذا الفنان كان فتاة فى الفيلم الأول ، أما فوزى فقد أدى دور الصياد الذى يتحول إلى مطرب فى آخر أفلامه.

و هناك فيلمان من هذه الأفلام يدوران حول مأساة الموت المنتظر ،و القدر الذى يأتى للناس بالمآسى ، ففى "معجزة السماء" هناك الموظف الذى يتعرف على فتاة فى رأس البر و يتزوجها و يعانى معها من الفقر و الإملاق و الحماة المتسلطة ، فيرفض قدره ، فإذا به يحلم أن قدره قد تغير و أنه صار غنيا و قام بقتل الحبيبة و خطيبها و صار مجرما ، لذا فقد صار عليه أن يرضى بما قسم له القدر من الفقر و الزوجة ، أفضل من أن يصير مجرما.

و فى فيلم "ثورة المدينة" ، راحت فكرة الموت تطارد الزوجة منذ طفولتها ، فالأب يموت فى الربع الأول من الفيلم يعرف أن بنات العائلة يمتن عندما يتزوجن ،و فى ليلة الولادة ،و لذا فإننا طيلة أحداث الفيلم ننتظر الموت القادم للزوجة حتى يتجاوزها فى نهاية الأحداث.
و لاشك أنه رغم هذه الأفلام ، فإن الغناء الذى تركه لنا فوزى ، خاصة فى أفلامه يملأنا بالبهجة و الفرحة و الكوميديا.

صورة
محمد فوزى فى "معجزة السماء"
إنتاج عام ١٩٥٦ مع مديحة يسرى

الفصل السابع عشر
شادية

شادية ، هى المطربة الوحيدة فى السينما المصرية التى اكتسبت نفس الجاذبية حين غنت فى الأفلام ،و أيضا حين توقفت عن الغناء و اكتفت بالغناء.

كما أنها المطربة الوحيدة الأطول عمرا فى تاريخ الغناء على الشاشة فى الأفلام التى عملتها بين عامى ١٩٤٧ – ١٩٨٤ ،و هى ممثلة جيدة بقدر ما هى مطربة حية جذابة ، استطاعت أن تتواجد و أن تثبت موهبتها فى كافة الأشكال التى ظهرت عليها. و هى حالة خاصة فى كل الثنائيات التى شكلتها مع كل من كمال الشناوى و عماد حمدى و صلاح ذو الفقار و عبد الحليم حافظ و فريد الأطرش ،و أيضا فى الأفلام التى عملت فيها أمام إسماعيل يس.

و قد تدرجت الأغنيات التى شدت بها فى أفلامها من الأغنيات الخفيفة إلى الدويتو و الأغنية الحزينة. و رغم إن البطولة الأولى فى فيلمها الأول "العقل فى أجازة" لحلمى رفلة كانت لليلى فوزى ، فإن ملامح البطلة القادمة و مطربة المرحلة القادمة تجلت فى هذا الدور. و ظلت الأدوار التى تقدم للمطربة فى السنوات العشر التالية تكاد تكون صورة مكررة من الفتاة الحفيفة الشقية المظلومة أحيانا المطموع فيها أحيانا.

و حلمى رفلة هو المخرج الذى أعطى الفرصة الأولى لشادية فى فيلمها الأول ثم مالبث أن قدمها فى فيلمها الثانى "حمامة السلام" ١٩٤٨ ،و "الروح و الجسد" ١٩٤٩ ،و فى العام التالى قدمها فى أحسن صورة فى "ليلة العيد" ثم فى "البطل" عام ١٩٥٠.

و مع بدايات الخمسينات تنوعت أمام المخرجين الذين عملت معهم المطربة الشابة آنذاك ،و كنت تعود إلى حلمى رفلة بين الوقت و الآخر الذى أخرج لها فى عام ١٩٥١ "حماتى قنبلة ذرية" ،و "قدم الخير" ١٩٥٢ ،و "حظك هذا الأسبوع" ،و "شرف البنت" ١٩٥٤ ،و لو راجعنا قائمة شادية بين أعوام ١٩٤٨ – ١٩٥٤ ، فسوف نجد أنها قد مثلت حتى نهاية العام الأخير المشار إليه ٥٩ فيلما ،و هو رقم ضخم بالنسبة لفنانة. عملت فى المتوسط عشرة أفلام فى العام. و على سبيل المثال فإنها مثلت فى عام ١٩٥١ وحده ثلاثة عشر فيلما ،و فى العام التالى اثنتا عشر فيلم ، ثم عشرة أفلام فى كل من عام ١٩٥٣ ،و ١٩٥٤.

و نحن نشير إلى هذه الأرقام كى نؤكد أن شادية لم يتم استهلاكها سينمائيا رغم أنها مطلوبة بشدة من صناع الأفلام ، فكان عليها أن تنتقل من أستوديو إلى آخر ،و أن تغنى و أن تحفظ الأغنيات كى تؤديها. و تنوع المخرجين الذين تعمل معهم.

و قد تركت شادية من خلال هذه الأفلام ثروة غنائية بالغة الأهمية فى عالم الأغنية الخفيفة ،و سوف نبدأ بالحديث عن فيلمها "ليلة العيد" باعتبارهالأكثر حضورا لدى الناس ، حيث شاهدوه على شاشات التليفزيون مرات كثيرة ،و هو فيلم نموذجى لما يمكن تسميته بالكوميديا الموسيقية ، ففيه الأغنية الفردية و الثائية و الاستعراضية ،و فيه الحكاية الظريفة حول الأخوة الثلاثة ياسمينة و شوشو و سوسو الذين يعملون فى مجال الاستعراض ،و هم مثل أغلب أبطال الاستعراض فى السينما يحاولون أن يجدوا لأنفسهم فرصة فى عالم النجاح ، فيتم طردهم من ملهى إلى آخر ،و العراقيل تطاردهم و يلاحقهم الفقر ،و لكنهم لا يكفون عن العمل والحلم.

و هذا الثالثو يغنى دوما ، إما فيما بينهم ، أو فى الشارع أو حين يذهبون لمقابلة مدير المسرح من أجل البحث عن فرصة عمل ،و هم لا يملكون من الحياة سوى حاشية يحملونها معهم. و فى إحدى المرات يذهبون لمقابلة مدير مسرح من أجل العمل لديه فى الملهى الذى يمتلكه ، يدخلون عن طريق الخطأ شقة أخرى يعرفون أن هناك مؤامرة من فتاة لعوب ضد الشاب عادل ابن أحد الباشوات ، تقرر الأخت ياسمينة إنقاذ عادل منها ، خاصة بعد أن تعجب به.

و فى هذا الفيلم منحت شادية الفرصة الأولى للبطولة ، ففيما قبل كانت تلعب الدور الثانى مع كاميليا و عزيزة أمير ، كما أنها منحت فرصة البطولة الثانية لاحقا فى أفلام من طراز "الزوجة السابعة" ،و "ظلمونى الناس" و "أيام شبابى". و حتى عام ١٩٥٤ كان يمكنها أن تأخذ الدور الثانى مثلما حدث فى فيلم "بنات حواء" حيث جاءت بعد مديحة يسرى.

و فى فيلم "ليلة العيد" غنت شادية مجموعة من الأغنيات منها الفردى و منها أيضا الاستعراضى الذى انتقلت فيه من الفتاة الشامية إلى البنت المصرية التى يفضلها المدير المحلى.

و رغم هذا العدد من الأفلام الذى قدمته شادية عام ١٩٥٤ ،و رغم عدد الأغنيات التى غنتها ، فإنها لم تكن دوما المطربة الباحثة عن الشهرة ، بل إن ذلك قد حدث فى أضيق الحدود. و كانت شادية فى أدوارها السنمائية أقرب إلى شخصية سندريللا ، تلك الفتاة المسكينة المغلوبة على أمرها الوارثة التى يطمع الآخرين فى أموالها و ميراثها. و فى أثناء هذه الطروف المتوحشة فإنها تتعرف على شاب يحبها من أج ذاتها يحاول أن يثبت لها أنه يحبها من أجل ذاتها ،و قد بدا فى فيلم "فى الهوا سوا" ليوسف معلوف ١٩٥١ ، ثم "آمال" لنفس المخرج فى العام التالى ،و بدا أكثر وضوحا فى فيلم "قدم الخير" لحلمى رفلة عام ١٩٥٢.

و هذه السندريللا حزينة دوما ، تبكى من أجل حظها ،و البكاء هنا أغنية. كما أنها حالمة رقيقة ، و يبدو هذا واضحا فى أغنياتها ،و هى فى كل الأحوال تغنى بينها بين نفسها أو أمام حبيبها وسط المروج و بين الزهور ،و كثرا ما يشاركها هذا الحبيب الغناء فى الأفلام الذى يشاركها الطولة مطرب مثل كمال حسنى و عبد الحليم حافظ و فريد الأطرش نو فى بعض الأحوال محمد فوزى و إسماعيل يس و كمال الشناوى.

و هناك سمة بالغة الغرابة فى أفلام شادية فى هذه المرحلة ، حيث بدت هذه الأفلام كأنها نتقاربة الموضوعات و الأغنيات ،و لذا فمن الصعب على المتفرج أن يفرق بين أسماء أفلامها أو موضوعات هذه الأفلام ، بين "الهوا مالوش دوا" و "فى الهوا سوا" و الاثنان ليوسف معلوف ،و بين "آمال" و "الدنيا حلوة" و كلاهما لنفس المخرج.

ولا يرجع ذلك فقط إلى أن شادية قد عملت بشكل متكرر مع نفس المخرج ، بل أيضا مع نفس الممثلين ، حيث عملت أمام كمال الشناوى بين عامى ١٩٤٨ – ١٩٥٤ فقط فى ١٣ فيلما ،و عملت أمام إسماعيل يس فى ١٩ فيلما ،و أمام عماد حمدى فى ستة أفلام و أمام محسن سرحان فى ٨ أفلام ، بالإضافة إلى مشاركات فى أفلام عديدة لكل من شكرى سرحان و محمد فوزى.

و يعطى هذا الإيحاء أن شادية كممثلة مطربة فى تلك الآونة نفس الوجه الواحد ، سندريللا بصورها المتعددة. و قد غنت شادية فى أغلب الأحوال فى هذه الأفلام من كلمات فتحى قورة و ألحان أحمد صدقى ، و إن كانت قد نوعت من فترة لأخرى بين المؤلفين و الملحنين.

ولو توقفنا عند فيلم "الهوا مالوش دوا" فهو عن صديقين يجمع بينهما العمل ، (نفس الشئ فى فيلم "بشرة خير") لحسن رمزى ،و الصديقان هما لطيف و خفيف ، اللذان يفصلان من العمل. يحاول لطيف مضاعفة مكافأة عن طريق سباق الخيل فيفقدها ، إلا أن هناك خطأ فى النتيجة تكون سببه فتاة و يربح و يبحث عن هذه الفتاة التى كانت سببا فى الفوز. يعرف أنها المطربة سمارة. يسعى للتعرف عليها. أما خفيف فيتعرف على الراقصة شعلة وتقع مشاكل للطيف بينه و بين صاحب الصالة الذى يطمع فى سمارة. يخسر كل أمواله. تطاردهم العصابة بشأن الأموال التى كسبوها ،و فى النهاية يتغلبان عليها و يتزوح لطيف و سمارة و خفيف من حبيبته شعلة.

و الأغنيات التى فى الفيلم هى "الحظ نصيب" تأليف عبد العزيز سلام و ألحان أحمد صدقى و "لمين راح أغنى" تأليف صالح جودت و ألحان أحمد صدقى و "الهوا مالوش دوا" تأليف فتحى قورة و ألحان محمود الشريف ،و "ياللا معايا" تأليف فتحى قورة و ألحان عزت الجاهلى ، أما أغنية النينة فقد اشترك فى أدائها أبطال الفليم الأربعة: إسماعيل يس ، ثريا حلمى ، كمال الشناوى ،و شادية ،و سوف نوردها هنا جزءا منها:

إسماعيل: شعليلة يا حلو يا شعاليلو
محبوبك حيموت تعاليلو
و ان قال لك على بوسه اديله
قبل الإسعاف ما تيجى تشيله
ثريا: أديك ازاى هو أنا هبلة
لأكتب كتابا يكون قبله
إسماعيل: لو أزعل منك مش ح أسأل عنك
لو طلعت عينيك على قبله
ثريا: يخى حبك عربية تدوسك
يا بو بق كبير و فظيع
دى الواحدة تيجى تبوسك
تركب موتوسيكل سريع
إسماعيل: آى لف يوو
ثريا: يختى حوشوه
كمال: جرى إيه جرى إيه يا خفيف
إسماعيل: أنا عارف بقى يا لطيف
مش راضية تدينى بوسه
مع أن بقى نضيف
شادية: كل الحبايب كدا و التقل صنعتهم
لولا الدالال فى الهوا ما تبان حلاوتهم
و اكمنه مالوش دوا ح تطول محبتهم

و قد اخترانا أن نتوقف فى المرحلة الأولى عند نهاية عام ١٩٥٤ لأنها الفترة الأكثر نشاطا فى حياةالمطربة سينمائيا ،و هى أيضا الفترة التى تفرغت فيها للسينما فمن المعروف أن شادية لم تغن فى حفلات غنائية أسوة بباقى زميلتها و زملائها من المطربين ،و عاشت لفترة طويلة أسيرة لاستوديوهات السينما.

صورة
صورة

و الغريب أنه مع عام ١٩٥٥ ، بدأت أدوار الممثلة تتغير بشكل ملحوظ ، فرغم أنها جسدت دور الفتاة الخاطئة فى فيلم "ليلة من عمرى" فى نهاية ١٩٥٤ ، فإنها فى هذا الفيلم قد غنت لحبيبها الكثير من الأغانى السعيدة المبهجة ، لكنها فى فيلم "شاطئ الذكريات" ١٩٥٥ كانت أكثر حزنا و خطيئة باعتبار أن الشاب الذى أخطأت معه ظل يلاحقها حين عودته من السفر ،و كانت قد تزوجت أخاه فقلت الأغنيات الخفيفة ، أو بالأحرى لم يكن هناك داع للغناء بعد أن اشتدت المأساة ،و قد غنت شادية فى القسم الأول من الفيلم أغنيات ثلاث هى "شبك حبيبى" و "أحب بكرة" و "ياللا يا ريسو كلها من كلمات فتحى قورة و تلحين منير مراد.

و ابتداء من هذه الفترة اشتهرت شادية بأغنياتها الدويتو ، فغنت أمام عبد الحليم حافظ "تعالى أقول لك" و "أحتار خيال" و "لحن الوفاء" ثم "احنا كنا فين" فى فيلم "دليلة" لمحمد كريم ، ثم "لو سلمتك قلبى" أمام كمال حسنى فى "ربيع الحب" لإبراهيم عمارة. و فى عام ١٩٥٧ غنت "يا سلام على حبى و حبك" أمام فريد

الأطرش فى فيلم "أنت حبيبى" ليوسف شاهين. و هذه الدويتات تعكس بدايات الحب و تولده بين شاب و فتاة قبل أن تتنامى المشاعر العاطفية بينهما.

و الغريب أن قوة أدوار شادية كانت لا تزال تتأرجح بعد أن صارت لها هذه المكانة كممثلة و مطربة ، حيث رأيناها فى دور شبه ثانوى فى فيلم "شباب امرأة" لصلاح أبو سيف ،و غنت أغنيتين.

و رغم أن شادية قد وقفت أمام نجوم طرب ، فإنها فى كل الأفلام التى عملت فيها كان عليها أن تغنى أغيتها الخاصة بها التى تعبر عن مشاعرها ، مثلما حدث فى "إنت حبيبى" ،و "دليلة" و كافة الأفلام المذكورة. و بالطبع فإن هذه المرحلة لم تأت من فراغ ، بل كانت قد غنت دويتات أخرى أمام منير مراد الذى لحن لها فى حياتها كما كبيرا من أغنياتها الخفيفة.

و الفترة الهامة من حياة شاجية كمطربة استمرت حتى عام ١٩٦٢ ،و لكنها منذ منتصف الخمسينات بدأ عدد الأغنيات يقل و تلاشت تدريجيا صورة البنت الدلوعة لتحل محلها الفتاة الخاطئة ، حيث جسدت مثل هذه الشخصية فى أكثر من فيلم منها "وداع فى الفجر" و "لواحظ" ،و "قلوب العذارى" و "الهابرة" ،و "المرأة المجهولة" ، ثم هى تكاد أن تخطئ فى "لوعة الحب" بعد أن وقعت فى غرام زميل زوجها الغائب.

و كما نلاحظ فإن أغلب هذه الأدوار لم تكن لامرأة تعمل فى الطرب ،و لا حتى فى الملاهى الليلية ،و قليلة هى الأفلام التى رأيناها تقوم بدور فنانة ، حتى و إن حدث ذلك فى فيلم "لاتذكرينى" لمحمود ذو الفقار عام ١٩٦١ ، فإنها لا تغنى أمام الناس.

و غالبا ما تكون الفتاة الخاطئة أقل قدرة على الشقاوة ، خاصة بعد الخطيئة حيث تطاردها فعلتها ،و يلاحقها ماضيها ، لكن الغريب أن أدوار الممثلة بدأت تنقلب تماما ، فهى شريرة فى فيلم "أرحم حبى" لبركات ١٩٥٩ ، تحاول أن تستأثر بزوج أختها و تمتلك الرجال و توقع بين الأسر السعيدة ، ثم هى فى النهاية ستدفع الثمن ، بل إنها قامت فى فيلم "لواحظ" لحسن غلإمام ١٩٥٧ لأول مرة بدور بنت ليل ، هذا الدور الذى سيلتصق بها لفترة طويلة خاصة فى الستينات. و لو نظرنا إلى أغنياتها فى هذا الفيلم لوجدنا أن مؤلفها هو فتحى قورة و هى "أنا لواحظ" ،و "ياواد يا حيلة" ،و اسكتش العرايس.

كما أن نوع الأغنيات قد تغير فى فيلم "حب من نار" لحسن الإمام أيضا عام ١٩٥٨ ، مثل أغنية "أحسن لها" التى غنتها مع المجموعة و "يو يو يو" و هنا كانت قد استعانت بمؤلفى أغانى آخرين مثل حسيب غباشى و صالح جودت ، لكنها عملت فقط مع الملحن محمود شريف ،و من الملاحظ أننا هنا أمام أغنيات سينمائية فى المقام الول لم تلفت أنظار الناس إذاعيا و لم تذع على الناس ،و تقد تكررت هذه الظاهرة فى أفلام كثيرة تنتمى إلى هذه المرحلة ، مثل أغنيتها فى فيلم "قلوب العذارى" لحسن الإمام أيضا عام ١٩٥٨ ،و منها "الانتظار" ،و "الحصاد" ،و "هوانا" و هى من تأليف فتحى قورة و ألحان الشريف عدا الأغنية الأخيرة التى لحنها منير مراد.

و لعل بعض الأغنيات كانت تفلت أحيانا إلى غلإذاعة ، مثلما حدث فى فيلم "أرحم حبى" ،و قد عكس هذا شكل الأغانى التى شدت بها المطربة فى الكثثر من أفلامها ،و ما اشرنا فإن أغنياتها فى فيلم "أرحم قلبى" لبركات قد زحفت إلى الإذاعة و هى أغانى باقية فى أذهان الناس ،و منها مثلا "العروسة" التى تقول فى بدايتها:

خطابك كتير و قالو لى تستاهلى الهب و اللولى
من بين الحبايب واحد بتشاورى عليه و تقولى
حبيبى آهواه خطيبى آهواه
ما فيش غيره لى و ما فيش غيرى له

ثم أغنية "إن راح منك يا عين" ،و كل أغنيات الفيلم من تأليف فتحى قورة و تلحين منير مراد. وقد اتخذت الأغنيات أشكالا مختلفة فى أفلام مثل "المرأة المجهولة" حيث غنت سعاد و هى حبيبة زوجها و زوجة سعيدة، ذم اختفى الغناء من حياتها تماما بعد أن بدأت المشاكل تزحف على حياتها ،و فى "لوعة الحب" لصلاح أبو سيف ١٩٦٠ غنت لحبيبها سائق القطار و هى أغنيات لم تتبق مع الزمن سوى فى دائرة الأفلام التى غنت فيها.

ولا يمكن أن نضع قاعدة عامة لأغنيات شادية فى هذه الأفلام ، فبعض الأغنيات كانت تنجح بشكل بارز و تختفى بعض الأغنيات الأخرى ،و صارت تغنى على الأكثر أغنيتين فى بعض أفلامها ، مثلما حدث فى "التلميذة" لحسن الإمام ، حيث غنت "سونة" ،و "فوق يا قلبى" ،و فى فيلم "الزوجة ١٣" غنت "على عش الحب" ،و "حياة عنيك" ، ثم غنت "نو يا جونى" فى فيلم "زقاق المدق" لحسن الإمام ١٩٦٣ ،و كان المفروض أن تغنى بسبوسة لكن زمن الفيلم لم يحتملها ، فتم حذف الأغنية من الفيلم.

و شيئا فشيئا كانت شادية قد تخلصت لبعض الوقت من المطربة ،و صار عليها أن تكون ممثلة فقط ،و بدا هذا واضحا فى شخصية الفتاة الضائعة فى فيلم "المعجزة" لحسن الإمام ،و لم يكن هناك أى داع لإضافة أغنية. و هى الفتاة التى يطاردها خطيبها المتشرد ،و تحاول إحدى الصحيفات إخراجها من عالم القمامة إلى عالم أفضل ،و رغم أن هذه الفتاة أحبت خطيب الصحيفة فإنها لم تغن ، أى أنها لم تشعر ببهجة الحب الذى صار عليها أن تتخلى عنه بسرعة بعد أن عرفت أن الشاب هو خطيب الفتاة صاحبة الفضل عليها.

لذا ، فإن أدوارها التالية التى لم تغن بها لم تكن بمثابة مفاجأة ، بل بدا الأمر ممهدا لمطربة التى صارت امرأة ناضجة و ممثلة يمكنها أن تحمل هذا التغيير بكل تميز و هى بذلك تكون حالة خاصة و فريدة فى السينما المصرية لم يسبق لمطربة أن مرت بها ، سواء من قبل أو من بعد ،و قد حدثت بشكل ضيق فى السينما العالمية لدى فرانك سيناترا فى هوليوود ، ثم لدى جونى هوليداى فى إيطاليا ،و إيضا ادريانة شلنتانو فى إيطاليا.

و لم يكن ذلك قاعدة بالنسبة للفنانة ، فقد ظهرت كمطربة فقط تغنى أمام الجنود العائدين من اليمن فى فيلم "منتهى الفرح" لمحمد سالم عام ١٩٦٣ ، لكنها لم تغن فى "الطريق" ،و "مراتى مدير عام" ،و "كرامة زوجتى". و فى عام ١٩٦٧ عادت للغناء فى دويتو "حاجة غريبة" أمام عبد الحليم حافظ فى "معبودة الجماهير" ،و الغريب أنها تركت زميتها المطرب يستأثر وحده بغناء أربع أغنيات أخرى فى الفيلم ثم غنت فى خلفية المشاهد فى "شئ من الخوف" لحسين كمال.. و غنت أغنيتين فى "نصف ساعة جواز" و هما أغنيتان خفيفتان تعودان بالمطربة إلى بدايتها الأولى فى السينما.

و الأفلام التالية لشادية كانت بمثابة ابتعاد و اقتراب من الغناء. فقد تغنى فى فيلم أغنية أو أغنيتين على أكثر تقدير ، أو قد لا تغنى بالمرة ، فهى تغنى "عالى" فى "لمسة حنان" لحلمى رفلة مكتشفها الأول عام ١٩٧١ ، ثم غنت العديد من الأغنيات فى "أضواء المدينة" لفطين عبد الوهاب.
و فطين هو المخرج الأكثر اقتناعا فى أفلام شادية الأخيرة بموهبتها كمطربة ،و هو الوحيد الذى أتاح لها أن تغنى كل هذه الأغنيات فى أغلب أفلامه ،و فى فيلمه "أضواء المدينة" منحها فرصة الغناء الجماعى لأكثر من ست أغنيات ؛ اشترك فى هذه الأغنيات بالأداء كل من أحمد مظهر و عبد المنعم إبراهيم و جورج سيدهم ،و آخرين ،و منها "سلامة" ، "واللهيابوصة" ،و "عطشان يا صبايا" ،و "صفر يا وابور" و أغنية "الجدة" ، بالإضافة إلى أغنيتين فرديتين هما "حبه بحبه" ،و "الهداوة".

و الغريب أن هذه الأغنيات كانت أيضا سينمائية ، لم نسمعها بعيدا عن شاشة الأفلام ، فى الوقت الذى لمعت فيه شادية كمطربة إذاعية فى المقان الأول من خلال أغنيات من طراز "قوقوا لعين الشمس" ،و "عنب بلدنا" ،و "قاللى الوداع" ،و "آخر ليلة" و "أتعودت عليك" و "رحلة العمر" و غيرها.

و حتى فيلمها الأخير "لاتسألنى من أنا" فإن شادية لم تكف عن الغناء حيث غنت "مين بماله" و هى أغنية قدرية ، بقت أيضا فى تراث الفنانة.

تركت شادية وراءها ١١٠ فيلما ، مثلت أكثر من نصفها تقريبا فى السنوات الست الأولى من حياتها ،و غنت فيها أغلب رصيدها الفنى. و كما نرى فإن الكثير من هذه الأغنيات فردى شدت بها فى الطبيعة أو فى غرف مغلقة.. و قليلا ما كانت تغنى فى استعراضات مثلما حدث فى نهاية فيلم "أنا و حبيبى" و ذلك بالطبع حسب طبيعة الدور.

صورة
صورة
شادية فى لقطة من فيلم "مشغول بغيرى" إنتاج عام ١٩٥١
صورة

الفصل الثامن عشر
عبد العزيز محمود

جاء هذا الجيل بكل ما لديه من موهبة و شهرة على المستوى الشعبى إلى السينما من أجل أن يغنى فى المقام الأول.

و عندما ظهر عبد العزيز محمود فى نهاية أحداث فيلم "قلبى دليلى"لأنور وجدى عام ١٩٤٧ ، ظهر باسمه كمطرب شعبى يغنى فى الأفراح ، ارتدى الجلباب و وقف وسط الفرقة الغنائية و الراقصة يغنى بكل حيوية و شباب و قدم أغنية الأفراح الشهيرة "يا نجف بنور يا زين العرسان".

أى أن عبد العزيز محمود كان فى تلك الفترة معروفا خارج السينما كمطرب شعبى ،و كان قد سبق له الظهور فى أدوار صغيرة فى السينما منها دوره فى أفلام من طراز "عريس الهنا" لإبراهيم لا ما ١٩٤٤،و "أول نظرة" لنيازى مصطفى ١٩٤٦ ،و كان المطرب معروفا لدى الناس على المستوى الشعبى من خلال الإذاعة التى ساعدت فى انتشاره.

و قد ظل عبد العزيز محمود يتنقل من الأدوار الصغيرة فى السينما و يكتفى بالغناء فى أفلام من طراز "فتنة" لمحمود إسماعيل ١٩٤٨ ،و "البوسطجى" لكامل التلمسانى ١٩٤٨ و "الحلقة المفقودة" لإبراهيم لاما و "فوق السحاب" إخراج محمود ذو الفقار ،و كلها من إنتاج عام ١٩٤٨ إلى أن جاء العام التالى كى نراه فى أول بطولة مطلقة ،ولا شك أنه كان فى حاجة إلى مخرج من طراز عباس كامل ليمنحه الفرصة المهمة ،و هو نفس الشئ الذى حدث مع زميله كارم محمود أيضا.

و فيلم "منديل الحلو" لعباس كامل يحمل كافة السمات التى اتسمت بها أفلامه ، فلابد من وجود مطرب وراقصة. و لأن عباس كامل هو المخرج فلابد من وجود سعاد مكاوى ،و الفيلم كما نعرف يحمل اسم أغنية اشتهر بها المطرب فى تاريخ حياته الفنية. و قد نظر عباس كامل إلى مطربه بما يناسبه من أدوار ينظر إليها الناس على أنها قريبة من الحقيقة ، فأسند إليه دور الصانع الشعبى ، نجار ، أو صرماتى. فهو فى هذا الفيلم يؤدى دور صانع شعبى يصلح الأحذية للجيران و يغنى "يا شبشب الهنا ، ياريتنى كنت أنا" ،و هو برتق و إصلاح الشبشب الذى ترتديه الحبيبة. و يعكس هذا النوع من الغناء شكل الطرب فى السينما و المجتمع فى

تلك الآونة ،ولا شك أن ما أنشده عبد العزيز محمود صار فيما بعد من التراث و مقبولا ، فالناس تستمع إليه الآن و تراه على شاشات التليفزيون باعتبار أنه الماضى الجميل.

و الأوسطى عزوز هذا يحب جارته التى تعيش مع والدتها و يتقدم لخطبتها مما يثير حقد نعيم الحلاق الذى يحبها أيضا ، يدبر مكيدة و يخبر عزوز أن عزيزة تعمل بملهى ليلى تحت اسم قطر الندى و هو يعرف أن هناك راقصة تشبه عزيزة تماما هى قطر الندى ،و تنجح المكيدة و يهجر الأوسطى حبيبته. و على جانب آخر فإن المليونير شتا بك يقع فى حب قطر الندى و يهديها جوهرة ثمينة. يدبر مدير المسرح حيلة للاستيلاء على الجوهرة و يستغل الشبه بين القطر الندى و عزيزة و يطلب من هذه أن ترقص بدلا منها ،و ينتهز المدير انشغال قطر الندى بالبحث عن حقيقة عزيزة فيسرق الجوهرة ، ثم تثبت الحقيقة و تتزوج عزيزة من الأوسطى عزوز.

هى إذن نفس الأجواء كبارية ، راقصة (هنا راقصتان) و أغنيات خفيفة ،و مشكلة بوليسية عابرة و أشخاص أشرار يعرقلون مسيرة الحب ،و الغريب أن عبد العزيز محمود قد سار فى نفس المسار الذى مشى فيه كارم محمود ، فحصر أعماله مع مخرجين بأعينهم آمنوا بأن هذا النوع من المطربين مطلوب فاستفادوا منهم وسعوا للتعامل معهم ، مثل حسين فوزى و أحيانا نيازى مصطفى.

و قد غنى عبد العزيز محمود أغنية "منديل الحلو" فى حفل ،و من حوله الراقصة تحية كاريوكا ترقص و تتمايل ،و من حولهما مجموعة من الراقصات المساعدات اللاتى يغنين كورس.

منديل الحلو يا منديله على دقة قلبى باغنى له
آه يا سيد المناديل محلاك يا جميل على خصر نحيل يقطر و يميل
ولا غصن البان يا سلام سلم منديل الحلو
و بقاله زمان و الله ما سلم منديل الحلو
و النبى لاحكى له و أغنى له

و قد دفعت هذه التجربة بالممثل أن يأخذ البطولات المتكررة فى سنوات قليلة لا تتجاوز الخمسو بدت رحلته توأم لرحلة كارم محمود ، نفس المخرج ،و نفس الموضوعات و الأبطال. فى عام ١٩٥٠ قدم ثلاثة أفم هى "أسمر و جميل" لعباس كامل ،و "ساعة لقلبك" لحسن الإمام الذى لم يكن فيه سوى مطرب لا أكثر.

و فى "أسمر و جميل" قام المطرب الشعبى بدور بائع روبابيكيا يحب فتاة تبيع له ملابس جدتها ، يفتح البائع الحقيبة بمنزله و يعثر فى بطانتها على ثروة طائلة مخبأة داخلها تزيد على المائة ألف جنيه ، يصدم البائع حين يرى هذه الثروة و يقع فى حيرة بين أن يسلم الحقيبة لأصحابها أو يحتفظ بها لنفسه ، ثم تأخذه سنة من النوم ليعمل عقله الباطن فيرى أن المال الذى هبط عليه من السماء قد جر عليه الكثير من المشاكل و يستيقظ من حلمه.

و من الواضح أن أسماء الأفلام التى قدمها عباس كامل لمطربيه كانت تحمل أسماء أغنيات فى الفيلم مثل "أسمر و جميل يأبو الخلاخيل.. ما حلاك يا جميل يا بو خصر نحيل".

و قد شجع نجاح هذا الفيلم على المستوى الشعبى أن يدخل عبد العزيز محمود فى العام التالى فى تجربة إنتاج فيلمه الأول الذى يحمل اسما مشابها "خد الجميل" و استعان بنفس البطلة الراقصة أمام سامية جمال،و بدا كأنه يقدم الفيلم بشكل مختلف ،و جاء المخرج عباس كامل بنفس الطاقم الذى يعمل معه من فيلم لآخر ،و مثلهم من سعاد مكاوى و حسن فايق و شكوكو إلى محمد التابعى و سيد بدير و عمر الجيزاوى.

و من الواضح أن عبد العزيز محمود قد استأثر وحده بالغناء فى الفيلم رغم وجود شكوكو و سعاد مكاوى حيث قام بتلحين كل أغنيات الفيلم و غناءها عدا استعراض الطارة الذى كتبه فتحى قورة و فيه ساهم بالغناء مع كل زملائه فى الفيلم بمن فيهم محمد التابعى (كبير الرحيمية) نفسه.

و القصة هنا عن كبير الرحيمية ،و هو رجل ثرى عقدته فى حياته أنه يكره الغناء و يعتبره من المحرمات، له ابن عم يعمل طبيبا بيطريا ، يحب الابن إحدى الراقصات ، تكتشف الراقصة فى حبيبها حلاوة الصوت فتعرض عليه أن يغنى فى الكباريه الذى تعمل فيه ، يرفض بالطبع من منطلق أن والده يكره الغناء و خوفا منه ،و بمرور السنوات يفقد الرجل الثرى جزءا من ثروته و يصبح على وشك الإفلاس و تقوم الراقصة بإنقاذه من هذا الإفلاس و تكون هذه الحادثة نقطة تحول فى حياة هذا الرجل الثرى فتتغير نظرته إلى الغناء و الفنانين ،و يبارك ابنه فى هذا المجال و يوافق على زواج ابنه من الراقصة.

و الثراء هنا لا يعنى رقى المستوى الاجتماعى الذى يعيش فيه بطل الفيلم ، فهو ثرى ريفى لم ترفع أمواله من درجة ثقافته ،و لذا فإن عبد العزيز محمود هنا يرتدى الزى البلدى و الريفى شأنه شأن الأدوار التى قام بالعمل فيها. و كان يتخفى أحيانا فى ملابس أخرى من أجل أن يغنى دون أن يعرف أحد هويته ، مثلما فعل و هو يغنى على رقص سامية جمال واحدة من أجمل أغانيه و أكثرها رشاقة و هى "على رقص جميل" التى كتبها فتحى قورة و فيها يردد:

عبد العزيز محمود: على كل رقص جميل نقوم سوا نغنى
و كل قلب عليل لقى الدوا يغنى
و الحلو لما يميل و يا الهوا نغنى
و المغنى فن جميل ياللا سوا نغنى
كورس: على كل رقص جميل نقوم سوا نغنى
عبد العزيز محمود: ياللى حبيبك راح عنك بعيد غنى
عايز تعيش مرتاح و تكون سعيد غنى
و ف بهجة الأفراح وف كل عيد غنى
دى الدنيا من غير مغنى فاضية و ملهاش معنى
دا المغنى فن جميل ياللا سوا نغنى

و قد رقصت سامية جمال دوما على أنغام و أداء عبد العزيز محمود سواء فى الأغنية السابقة ، أو فى الأغنية التى تحمل اسم الفيلم و الذى كتبه فتحى قورة ،و هو لحن ينتمى إلى السامبا ، لدرجة أنه فى أحد مشاهد الاسكتش ارتدت سامية جمال ملابس هاواى و وضعت الزهور حول صدرها و على شعرها أما هو فلف وسطه بشال يضعه عادة الرجال فى هذه المنطقة و راح يردد مع الكورس:

خد الجميل جمال خده أه منه ده أنا مش قده
خد الجميل

و هنا يدخل لحن السامبا على كلمات الآتية:

الورد غنى فى بستانه على أغصانه اسمك يا جميل
و قال يا نور العين منك يا جميل
و قال يانور العين يا سلام
جبت الجمال ده منين يا سلام
ده مهما يرسم فيه رسام و الله ما يخرج من ايده
خد الجميل يا جمال خده

و فى نفس السنة بد أنور وجدى كمنتج كأنه يقرأ نجاح فيلمه "شباك حبيبى" فارتضى أن ينتجه و من الواضح أن وجدى قد تنازل كثيرا فى هذا الفيلم ، سواء عن الإخراج فتركه لعباس كامل ، ثم البطولة المطلقة فتركها

لعبد العزيز محمود ،و الاتضى هو أن يقوم بدور زوج المرأة الثرية التى أخطأت ،و لكن يتم تبادلها ليلة الدخلة بامرأة أخرى تشبهها.

و قد وجد عبد العزيز محمود نفسه هنا لأول مرة أمام مطربة و ليست راقصة لذا استأثرت نور الهدى بالغناء وحدها كما كان على سعاد مكاوى أن تفعل فى أفلامها مع عباس كامل

صورة

و عبد العزيز محمود هنا نجار شبابيك عليه أن يقوم بإعداد شباك لحبيبته الممرضة التى تسكن قبالته لكن زوج أم الممرضة يقف ضد الزواج لأنه يطنع فى الزواج من أخت النجار مما يولد متاعب باعتبار أن النجار قد أعطى كلمته لشاب آخر (شكوكو) كى يتزوج من الأخت التى يحبها ،و أثناء عمل الممرضة تأتى ابنة ذوات وقعت فى لخطيئة و لها ابنة ثمرة هذه الخطيئة ،و نكتشف أنها تشبه الممرضة ، لذا فإنها تطلب من الممرضة أ، تحل محلها و تتبادلان الموقع لبعض الوقت مما يعرض الممرضة للمشاكل ، حيث يتصور أهلها البسطاء أنها قد أخطأت و يحبسونها فى المنزل و تحاول ابنة الذوات إفهام الأم الحقيقة كما تجد الممرضة نفسها أمام رجل ثرى فى ليلة زفاف و تحاول أن تهرب منه بلا جدوى. و فى اللحظة الحرجة يتم اكتشاف الحقيقة و يعود كل طرف إلى جهته.

و البطولة المطلقة بالطبع هنا لنور الهدى التى غنت أغنيات عديدة بنفسها ،و هى ليست من ألحان عبد العزيز محمود مثلما يحدث عادة فى أفلام أخرى ،و منها أغنية "ليلة خطوبتى" التى كتبها حسن توفيق و لحنها محمود الشريف ،و هما أيضا اللذان اشتركا فى أغنية "ماما" كما أن نور الهدى غنت قصيدة تنسب إلى عمر بن الفارض و من تلحين رياض السنباطى تقول فيها:

غيرى على السلوان قادر و سواى فى العشاق غادر

أما عبد العزيزمحمود فقد غنى لنفسه الأغنية التى تحمل اسم الفيلم و بدا كأنه يتغزل فى الشباك و يمسك بأدوات النجارة و يردد من كلمات حسن توفيق:

شباك حبيبى يا خشب الورد.. و ياللى الورد
يوم ما يلاقيك يضحك سنك
لك درفتين حيضموا لقد.. و ورد الخد
و الورد بكرة يغير منك
شباك حبيبى ح أقوم الفجر.. و أشوف البدر بيفتحه سنه فى سنه
وان مرة شفته و كان مقفول.. ح المح على طول
حبيبى ورا شيش الجنة

و أسوة بكل أفلام عباس كامل الغنائية ، فهناك استعراض رئيسى فى منتصف الأحداث و ليس فى نهايته مثلما يحدث فى أفلام فريد الأطرش ،و يتم هذا الاستعراض فى ملهى ليلى و يشترك فيه أكثر من نجم غناء أو كورس ،و هذا الاستعراض أيضا على شباك الحبيب ، كتبه فتحى قورة فى مقدمته:

شبابيك الحبايب مالها.. سيبانى متيم بيكى
و فتحها الغرام و قفلها.. و ،أنا حاير على شباكى
شبابيك الحبايب

و فى نفس السنة خرج عبد العزيز محمود من عالم المخرج الذى يعمل معه ، فيعمل مع نيازى مصطفى فى "وهيبة ملكة الغجر" و يعمل مع طاقم مختلف فلا راقصة ولا أجواء غناء سوى "كوكا" و جمال فارس،و الفيلم عن مجموعة من الغجر يقيمون فوق قطعة أرض يزرعونها ، إلا أن صاحب الأرض يطردهم ،و تقابل مجموعة الغجر قرار الطرد بأن يخطفوا ابنته الصغيرة ، يبدأ ابن صاحب الأرض و صديقه فى البحث عنها فتتنكر زعيمة جماعة الغجر فى ثوب فتاة حسناء ، تتقابل مع صديق ابن صاحب الأرض فيقع كل منهما فى

حب الآخر و يتفقان على الزواج إلا أن تقاليد جماعة الغجر تقف حائلا أمام إتمام هذا النوع فتضطر زعيمة الغجر إلى أن تمارس الغناء و الرقص فى إحدى الصالات ، تتقابل مع ابن صاحب الأرض فيحبها و يزداد تعلقا بها دون أن يعرف أن فتاته الحسناء هى زعيمة الغجر ،و حين يطلبها للزواج يكتشف الحقيقة و رغم ذلك يتزوجان.

و مثلما فعل حسين فوزى مع كارم محمود حين أحس أنه من الممكن الاستعانة به فاختار فى فيلم "نور عيونى" ، فإنه استعان بعبد العزيز محمود ليقوم بدور البطولة فى فيلم "جنة و نار" عام ١٩٥٢. و قد خلا الفيلم بالطبع من كافة الطاقم الذين يعملون عادة مع عباس كامل و تغير الموضوع بعض الشئ. و هنا يقوم عبد العزيز محمود بدور مطرب مشهور أحب فتاة بادلته نفس المشاعر، يحاول بشتى الطرق أن يسعدها و أن يتيح لها فرصة الحياة الكريمة. يتقدم لخطبتها ولا يتوانى عن التضحية من أجلها ، إلا أن غنيا يتقدم لها ، لذا يقرر أن ينسحب من حياتهم لتنعم بحياة كلها رغد و حب ،و ذلك كى توفر حياة سعيدة لأسرتها البسيطة.

أما التجربة الثانية لبعد العزيز محمود مع مخرج آخر غير عباس كامل فهى "عشان عيونك" ١٩٥٤ لأحمد بدرخان ، الذى لم يقدم من قبل أفلاما غنائية خفيفة. و من الواضح أن المخرج هنا قام بإخراجه من دائرة الجو الشعبى و المهن الحرفية كى يجعله مجددا مطرب يعانى من أنه لا يستطيع استكمال رسالته الفنية، حتى يواجه متاعب مع والد حبيبته العزيزة نوال ، حيث قامت زوجة أبيها بخطبتها لأحد عشاقها ، يجاهد المطرب الشاب فى إفشال هذه الخطبة و الحصول على حبيبته. يحقق المطرب شهرة فى عالم الفن و يصبح أحد نجوم الغناء المرموقين ،و بعد أن يغدو ثريا يطلب من أحد أشهر أطباء العيون إجراء عملية جراحية فى عينى جارته لاستعادة بصرها ، تنجح العملية دون أن تعرف زوجة الأب و تبدأ نوال فى اكتشاف دناءة خطيبها و زوجة الأب. يقوم الأب بتطليق زوجته و يزوج ابنته إلى المطرب الشاب.

و منأغنيات الفيلم "وحياة ما حبيبتك":

وحياة ما حبيتك عنيا.. و فى قلبى خبيته
و حياة الليالى.. و الليل يشهد عليا
فى كل يوم أدارى.. حبك بيغيب شوية
يا سايق الدلال.. حاسب م الهوا
دا كل يوم فى حال.. يا الجرح يا الدوا
علمتنى السهر.. و نسيتنى يا قمر

و هذه الأغنية أنشدها فى بين الحبيبة فى عيد ميلادها و أبدت فيها زوجة الأب اعتراضها ، أما الأب فكان سعيدا.

فى بداية هذا العام كان عبد العزيزمحمود قد اختار نيازى مصطفى ليتقدم له أجمل أفلامه الغنائية على الإطلاق ،و ذلك فى "تاكسى الغرام"الذى قام المطرب بإنتاجه بنفسه ،و أختار مجددا أن تكون شريكته مطربة، تمثل امرأة من حى راق جسدتها هدى سلطان ، هذه الفتاة تتعرف على سائق تاكسى قام بتوصيلها ذات يوم ، تتوطد قصة حب بين الاثنين لكن السائق يحاول كتمان مشاعره لمعرفته للفارق الهائل بينهما اجتماعيا ، لذا يرفض أن يتزوجها ،و تسعى إلى تدبير حيلة ترتدى ملابس فتاة فقيرة تعمل فى أحد الملاهى كمطربة ،و تطلب الفتاة الثرية من سائق التاكسى أن يقابل أختها فى الملهى ، يقع فى غرام المطربة و يشاركها فى أداء النمر الغنائية و يحققان النجاح ، ثم يكتشف الحقيقة فيحاول بعض العوازل إقامة وقيعة بين الطرفين لكنه يفشلون.

و قد غنى عبد العزيز محمود هنا وحده. كما غنى مع هدى سلطان واحدة من أجمل ما التصق لدى الناس من أغنيات ،و هى استعراض تاكسى الغرام الذى صور على المسرح حيث نرى سائق تاكسى يتجه إلى محطة بنزين تديرها بنات محاولا ملء السيارة بالبنزين و أغلب كلمات الأغنية ترددها هدى سلطان:

يا تاكسى الغرام يا مقرب البعيد
و مسابق الحمام و السكة الحديد
لا لك جناحين ولا موتورين

هدى: أنت و هو دور لف على اليمين... كلكم طابور ناحية البنزين
اسألوا الزبون عايز كام جالون

هو: أنا طالب الهوى
هدى: دا الهوا هنا.. لحبايب قبلنا
وسع أنت و هو قوام قوام
و أنت خش جوه خطوة للأمام
افتحوا الطريق لتاكسى الغرام

أما آخر أفلام عبد العزيز محمود فقد عاد فيه إلى عباس كامل و هو "عروسة المولد" ١٩٥٥ ،و الذى عاد فيه إلى نفس العالم و الأشخاص الذين يقدمهم المخرج ،و الفيلم يدور حول عروس من الحلوى تمردت على حالها و ودت لم عاشت كبنات جنسها ،و استجاب القدر لندائها فتحولت من جماد إلى إنسانة ،و فى المجتمع تقابل أبو الفوارس الذى تحبه.

و قد جمع عباس كامل أكبر قدر من نجوم الكوميديا بالإضافة إلى نجوم الطرب و الاستعراض ، مثل راقص الباليه – فى ذلك الوقت – محمود رضا و أبطال فرقة ساعة لقلبك ، أبو لمعة و الخواجة بيجو ،و فصيح بيه ، بالإضافة إلى سعاد مكاوى و شكوكو. و جسدت دور عروسة المولد تحية كاريوكا ،و كتب فتحى قورة الأغنيات أما مرسى جميل عزيز فكتب أغنية حلوين قوى ،و قد لحن كل الأغنيات عبد العزيز محمود و الذى بدا كأنه يودع السينما فى آخر مقطع من أغنية "صبرت قلبى" و هو يردد:

فى البعد مهما بكيت.. مش راح يفيد البكا
ولو بينفع ياريت.. ماكانش حد اشتكا
رايحة و سايبانى.. و الدنيا إيه بعدك
لاقية حبيب تانى.. ولا سلوى فى بعدك

و من الواضح أن هذا العصر قد انتهى بتوقف كل من عباس كامل و حسين فوزى عن العمل فى هذه الأفلام ، بينما اتجه نيازى مصطفى إلى أفلام الحركة و تقلص عصر بأكمله كى يتغير إلى الغناء دون أى استعراض كما نرى فى أفلام قام ببطولتها عبد الحليم حافظ ثم ماهر العطار و محرم فؤاد و غيرهم فيما بعد.

صورة
صورة
مسرح بديعة جمع بين تحية كاريوكا
و كارم محمود ، ثم جمعتهما السينما

الفصل التاسع عشر
كارم محمود

كارم محمود هو أحد المطربين الذين جاءوا إلى السينما من خلال الغناء فى مناسبات سعيدة تتخلل قصص الأفلام ، كالغناء فى الأفراح أو الملاهى الليلية ، ثم بدأ نجمهم فى الصعود شيئا فشيئا حتى صاروا نجوما و أبطالا فى الأفلام الغنائية.

حدث هذا مع أسماء عديدة منها محمد الكحلاوى و عبد العزيز محمود و محمد رشدى ،و الغريب أن كلا منهم كانت علاقته بالبطولات السينمائية فقيرة للغاية ، لكنها لا تتعدى أن تكون بضعة أفلام تواجد المطرب فيها. و الغريب أنهم قد اختفوا تماما بعد ذلك عن السينما و إن ظلوا يغنون فى الحياة العامة كالحفلات و الإذاعة و أيضا فى الأفراح بالنسبة للبعض.

و قد دخلوا جميعا باعتبارهم المطربين الذين يغنون ، لذا فإن الناقد لو نظر إلى هذه الأفلام أو الأدوار باعتبار أهميتها الفنية فسوف يضع كل هذه الأعمال بلا استثناء على الهامش ،و لو نظرنا على سبيل المثال إلى الأفلام الملئة التى اختارها النقاد كأحسن الأفلام فإننا سنجد أن السينما الغنائية تتقهقر بشدة ،و ذلك لأن صناع هذه الأفلام نظروا إلى العمل فيها كأنها فى غالب الأحيان بديل عن الكباريه و الملاهى الليلية ، فأبطال هذه الأفلام يبحوث عن فرص الغناء و المجد ،و أقصر طريق إلى ذلك هو الكباريه.

و قد حبست السينما هؤلاء المطربين فى دور المطرب الشعبى ،و ها المطرب كل ما يحلم به أن يصبح منغيا فى كباريه يرضى عنه جمهور الصالة و صاحبها.. و لذا فإنه لا يغنى وحده ، بل يجب أن تكون هناك راقصة تتبخر على أنغام الموسيقى و هو واقف أمام الميكرفوم يغنى. و وجود الراقصة هنا يعنى أن على العين أن تحملق فى جسدها و يصبح صوت المطرب عاملا مساعدا للمتعة ، أو كأنه آلة إضافية تزيد البهجة للعين الشهوائية التى تراقب الراقصة.

لذا فإن أغلب ما غناه المطربون هو أغنيات خفيفة و لم يتعد أغلبهم الخروج عن حدود الغناء فى الصالة و أمام راقصة. و هناك فرق واضح بين هذا المطرب الشعبى و بين المطرب الجماهيرى الذى يعجب كافة الأذواق و منهم عبد الوهاب و فريد الأطرش و عبد الحليم حافظ ، فكم غنى الأطرش مثلا فى دار الأوبرا مثلما حدث فى "قصة حبى" حيث غنى أمام الملك ،و فى الصالات الرقيقة و أيضا فى "لحن الخلود".

أما كارم محمود ،و عبد العزيز محمود ،و محمد رشدى فإن أغلب الشخصيات التى جسدوها على الشاشة قد غنت فى المقام الأول فى الكباريهات و صالات الرقص و أمام العيون المتطلعة إلى الراقصة أكثر ما هى مستمتعة بالغناء ،و لذا فإن أغلب هذه الأعمال تبدو متشابهة ،و من الصعب على المتخصص أن يذكر اسم فيلم من هذه الأفلام لتكرار الحواديت و القصص و الأغنيات.

و بدايات كارم محمود لم تخرج عن ظهوره كمغن فقط و تكاد تحس به ،و ذلك فى افلام عديدة منها "ملكة الجمال" لنيازى مصطفى ١٩٤٦ فقد بدأ نجم كارم محمود يعلو إلى حد ما ، حيث يروى الفيلم قصة فتاتين من أسرة فقيرة تشتركان فى مسابقة للجمال و تفوزان. تقعان فى غرام شابين و يتم زواجهما على أساس المنظر الخادع الذى يتستر به الجميع ، ثم تنكشف الحقيقة فتثور كل أسرة على الأخرى ،و فى ذلك الحين يعلن أحد المحامين أن شقيق رب الأسرة الثانية توفى و ترك لأخيه ثروة كبيرة و يشترط أن يتزوج الشابان من فتاتين فقيرتين و يتم تنفيذ الوصية.

و فى عام ١٩٥٠ قام ببطولة فيلم "معلش يا زهر" لبركات أمام شادية ،و فيه غنى لجارته التى يحبها ، أما بداية النجم الصاعد فقد برزت فى نفس العام فى فيلم "عينى بترف" لعباس كامل. هذا المخرج الذى تحمس كثيرا لكارم محمود فأخرج لكل منهما أغلب رصيدهما فى السينما.
و فيلم "عينى بترف" نموذج لأفلام عباس كامل التى جمع فيها المطرب (كارم محمود) ،و معه راقصة (هنا هى تحية كاريوكا) بالإضافة إلى عدد كبير من نجوم الكوميديا و الغناء ،منهم سعاد مكاوى و حسن فايق

و إلياس مؤدب و شرفنحط و جمالات زايد ، بالإضافة إلى عنصر الشر النسائى فى لولا صدقى ،و الرجالى فى محمود المليجى. و يروى الفيلم قصة حميدة بائعة الجرجير التى تعمل فى الوقت نفسه لرسام فقير هو الأستاذ و يتقاسم معها ما يبيعه من لوحات نقلها عنها. حتى إذا ما شاهد أحد الأثرياء و هو شعيب بك العجوز الغنى صورة لها فى أحد المعارض أعجب بها وسعى إليها و عرض عليها قلبه و ثروته ،و فى الوقت نفسه يتقدم إليها مدير أحد الكباريهات و يعرض عليها الزواج و الشهرة و المال ،و كانت تظن إذا ما فاتحت أنور الرسام بهذين الرجلين و عرضهما الزواج بها أن يتقدم هو الصفوف و يعوض زواجه بها ، فقد كانت تحبه ولا تعرف هى ما إذا كان يبادلها هذا الحب. و احتارت فى أمرها و أعطت ميعاد للثرى و لمدير الكباريه للرد على طلبهما ،و يحضر الاثنان كما يحضر أنور الرسام كشاهد زواج و راحت تكتحن الثلاثة. و فى النهاية فإنها تتزوج من الثرى الذى تحس أنه يحبها.

و قد حمل الفيلم اسم استعراض "عينى بترف" ، الذى لا يزال باقيا فى أغانى كارم محمود ،و هو من ألحان محمود الشريف و تأليف فتحى قورة ،و أدته سعاد مكاوى مع الكورس و المطرب و فيه يقول:

كارم: عينى بترف يا حبة عينى... ياللى سرقت النوم من عينى
خير إنشا الله دا بعدك و الله... و الله دا بعدك كان على عينى
الكورس: عينى بترف يا حبة عينى... الخ
كارم: ميلى يا حلوة على الجنبين... و الله ما شافت زيك عين
جبتى الحسن دا كله منين... و أعمل إيه لو غاب عن عينى
خد القلب بنظرة عين... يا للى ف بعدك ما نامت عينى
على عينى أجيلك على عينى... على عينى أشيلك على عينى
كورس: عينى بترف.... الخ.
سعاد: صعيدية يا بوى و عجبانى... و شجية يابوى و ماو يانى
فى عينك سيف و أنا أعمل كيف... منك لله يا جاتلانى
كورس: صعيدية يا بوى... الخ
سعاد: خلجات ما عادت على جدى... من يوم ما هويتك يا مدلع
و الدمع يا بوى سال على خدى... و النار فى حشاى عم بتولع
خبرنى يا بوى خبرنى.. و دينى لخلى يا بوى
على نار بعد اللى هاجرنى... كيف أصبر جواى

و من الواضح خفة ظل النص و مفرداته الجديدة مثل أن ملابس الحبيبة لم تعد لها نفس المقاس بعد أن وقعت فى الحب ،و قد تضمن هذا الفيلم مجموعة من أجمل أغنيات كارم محمود ، مثل "أمانة عليم يا ليل طول" التى لحنها لنسه و كتبها فتحى قورة و الغريب أن اسم الأغنية فى الكتاب الدعائى للفيلم هو "البار" و فى بدايتها يترنم قائلا:

أمانة يا ليل طول و هات العمر م الأول
يا حب جديد و قلبى سعيد ياريتنى عشقت عامنول
أمانة عليك يا ليل طول

و هناك أغنيات أخرى خفيفة الظل للغاية غناها كارم محمود أيضا، مثل أغنية "الكرات" التى لحنها محمود الشريف و كتبها قورة أيضا ،و فيها يقول:

حليوة وفات بيتمخطر.. يقول كرات عريض و اخضر
جذبنى إليه و أنا أعمل إيه... حليوة و فات و بيبيع كرات
عريض و اخضر

و لنفس الثالوث أغنية ثالثة هى "زى القمر" ، أما سعاد مكاوى فقد غنت لنفس المؤلف و من ألحان محمد البكار أغنية بعنوان "افرسيه" بها أيضا نفس المفردان خفيفة الظل:

افرسيه و لهليبه دوبيه فى رموش عنيكى
لو يشوفك حبتيه و النبى ينقل عليكى
افرسيه و لهلبيه

و هناك اسكتش بالغ الظرف فى الفيلم شارك فى غنائه كل من شرفطنح و سعاد مكاوى باسم "تقليد الرقصات" جاء فى الكوبليه الثانى منه:

اعرف أرقص و اعرف أغنى ولا فيش بخت يا عينى عليه
بصوا لى و خدوا بالكم منى لما أقلد رقص تحية
يختى عليها و على حلاوتها لما بتسكرنا برقصتها و يغنوا لها و يقولوا لها
منديل الحلو يا منديله على دقة قلبى باغنى له
منديل الحلو يا منديله

و منديل الحلو هو بالطبع اسم أغنية و فيلم جمع فيه عباس كامل بين تحية و عبد العزيز محمود و سوف نتوقف عنده فى مكان آخر من هذه الفصول.

أما الفيلم الثانى من هذه المجموعة فكانت شادية هى التى تقف أمام كارم محمود فى "لسانك حصانك" ١٩٥٣ ،و يعتبر الفيلم بمثابة مجموعة متواصلة من الاستعراضات كتبها كلها فتحى قورة و غنتها شادية (من بعيد لبعيد) ،(لسانك حصانك) ،و(أبو الهول). و غنى كارم محمود من ألحان على فراج "الترام" ، كما غنى مع شادية استعراض "غريبة يا أهل الشام" و غنى كل من شادية و كارم ، و عمر الجيزاوى و زينات صدقى لحن "السفر" ، أما سعاد مكاوى فغنت من تلحين عزت الجاهلى "دقى يا مزيكا" و غنى الجيزاوى من ألحانه "معانا الفكك و الفكوك" و غنى عزيز عثمان "فرفش يا كبير" ألحان أحمد صبرة ،و رقصت كيتى على أنغام بعض الاستعراضات ،و هل هناك مساحة فى فيلم للغناء أكثر من تلك التى شاهدناها ضمن أحداث هذا الفيلم؟ و هى ألحان كلها خفيفة ليس فى أى منها أى أغنية واحدة حزينة ، فنحن أمام عمدة الرحيمية الذى يقرر أن يبنى مدرسة و مستشفى ، فيجمع المال اللازم من الأهالى و يرسل ابنه عبد الموجود و معه الدندراوى لمقابلة حمدى الذى يعمل سائق ترام بشأن هذا الموضوع ، يقع حمدى فى حب جارته حميدة و تعجب خالتها وداد بغندور الموسيقى الذى يفشل فى إقناع حميدة أن تمل مغنية فى فرقته. يطمع فى الزواج منها و لكنها تصده. يسافر إلى القرية. يدبر غندور و مندور لسرقة حقيبة النقود و إلصاق التهمة بحمدى ،و لكن الحقيقة تنكشف و تتزوج حميدة من حمدى.

و الأغنية هنا جديدة فى موضوعها و إن كانت عاطفية مثل الحوار الذى يدور بين سائق الترام و الركاب على الحو التالى:

كورس: سوق ياأسطى على أى جنينة
كارم: ايا خوفى عليكو م العين
كورس: لا يا اسطى ما تخافش علينا
كارم: عقبالى يا قلبى و عقبالك
كورس: طب حاسب بس وخد بالك
كارم: آه ياللى شاغلنى بخيالك ع البعد و وحشانى عنيك
كورس: وصلت حبايب لحبايب ولا حدش وصلها إليك
كارم: كل الأحباب نازلة و طالعة سامعانى و عاملة ماهيش سامعة
أنا بين السيدة و القلعة مكوى بهواك و النار ولعة
نازلين يا حبايب
كورس: نازلين
كارم: مع ألف سلامة و عقبالى.. طالعين يا حبايب

كورس: طالعين
كارم: اتفضلوا واقفوا على شمالى
آه ياللى سهرنى ليالى و ايديه بتتمنى ايديك
و صلت حبايب لحبايب ولا حدش وصلنى إليك

صورة
كارم محمود و ليلى فوزى و هاجر حمدى فى "خبر أبيض"

و لاشك أن استعادة كلمات هذه الأغنية يجعل المرء و هو يقرأها يحس بمعناها ربما أكثر مما يسمعها على الشاشة فى بعض الأحيان.. لذا سنردد أغنيات أخرى من نفس الفيلم بها الروح الخفيفة مثل "معانا الفكك"

معانا الفكك و الفكوك... معانا الكحل و النشوق
معانا الحنة الحجازى... حنى حباييك و اتهنى
الدنيا بحالها ما تجازى... بين الحبايب معنى الشوق
و معانا الفكك و الفكوك

و أغنيات الفيلم تدعو إلى البهجة و الفرفشة ، حيث يقول عزيز عثمان فى أغنية "فرفش يا كبير" موجها كلامه إلى كبير الرحيمية عمدة القرية قائلا:

طول عمرك فى الرحيمية... عايش مسكين محروم
بربش بعينيك... ع الواحدة
رقصت حواليك... ع الواحدة
ازاى تختار العيشة فى نار... و معاك مفتاح الجنة
فرفش يا كبير و اتهنى

و فى كلماته التى كتبها عباس كامل فى مقدمة الكراس الدعائى لفيلم "حضرة المحترم" ١٩٥٢ يقول كلما أقدمت على وضع قصة لإخراجها فى فيلم ، رحت أفكر كيف أنسى المتفرج دنياه التى يكد فيها و يكدح ، رحت أفكر كيف أجعله ينشرح و يبتسم و يضحك ساعتين فأبث فيه روح المرح و الفكاهة و الضحك ،و لكن ضحكا دون موضوع لا معنى له ، فكنت أحرص على أن يكون الموضوع ذا فكرة اجتماعية أعالجها بقالبى الذى اشتهرت به ، قالب الفكاهة و المرح.

و لعل هذا يدفع بالمخرج إلى إسناد أدوار البطولة و الشخصيات إلى نفس الفريق ، صحيح ليس هنا شادية و لكن هناك زهرة العلا و سعاد مكاوبو ثلاث راقصات هن "ليزا ، لين ، كيتى" ،و عبد الرحيم كبير الرحيمية ،و عبد الموجود ، ثم سسليمان و مارى منيب و شكوكو و الجيزاوى و سعيد أبو بكر ، أما الشرير فهو المليجى مجددا. و الفيلم يروى قصة أم عزيزة التى تسكن مع ابنها فى منزل تملكه امرأة غنية تطمع فى رجل يستأجر منها الدكان ،و بالفعل يتقدم لها رجل يباشر العمل به بإخلاص و لكنه لا يشعر ،و ما أن تعرف ذلك حتى تدبر له المقالب. يكون فرقة استعراضية لكنها تحاربه. يتقدم عبد الرحيم بك مع الفرقة ، تصادفه عصابه تحاول سرقة المبلغ لكنها تفشل ،و فى النهاية يتزوج مستأجر الدكان من أم عزيزة و يعيش الجميع فى سعادة.

و الفيلم كسابقه مزحوم بأغنيات كتبها فتحى قورة ،و من الواضح أن الكل اشترك هنا فى الغناء و الاستعراضات مثل الاستعراض الذى لحنه عبد العزيز محمود و غنى فيه كارم محمود و سعاد مكاوى و شكوكو و الكورس.
و هناك أغنية ثالثة باسم "الجو صفا لنا" اشتركت زهرة العلا لأول مرة فى الغناء فيها.

و هناك ملحوظة أنه فى كل فيلم من هذه الأفلام استعراض ضخم ،و سوف يتكرر هذا الاستعراض من عمل لآخر و سوف نتوقف عنده عند الحديث عن فيلم "دستة مناديل" و طالما أننا نتحدث هنا عن كارم محمود ، فلابد أن نقتبس من كلمات أغنيته التى غناها مع زهرة العلا..

الجو صفا لنا صفا لنا الجو
نولنا أملنا و راق واحلو
الجو صفا لنا صفا لنا الجو
الجو صفا لنا ياريت على طول
ما اسهرش ليالى و ابات مشغول
مين بس يصدق و اللا يقول
إنها تبقى لنا رقيب و عزول

تكررت نفس الأجواء من الأشخاص فى فيلم "دستة مناديل"١٩٥٤ ،و هنا راهن عباس كامل على نجاح سلام لتقف أمام كارم محمود و إلى جوارها إسماعيل يس و سميحة توفيق و حسن فايق. و من الواضح أن الأمر يختلف بالنسبة للغناء عندما تكون هناك مطربة فى قامة نجاح سلام ، فقد اقتسم الاثنان الأغنيات بالتساوى ،و غنت أغنيتها الشهيرة "برهوم حاكينى" ،و "صفر يا وابور و أجرى شوية ،و وصلنى قوام لسماعيلية" ،و أغنية "وصبح الصباح محلاه ،و الشمس جايه معاه" ، أما كارم محمود فقد غنى "دستة مناديل" و "الاستعراض" الذى ألفه فتحى قورة و لحنه على فراج ،و "تعيش و تتهنى" بالإضافة إلى أغنية شدت بها نجاح مع إسماعيل يس.

و أغنيات كارم هنا من تأليف قورة ،و ألحانه ،و هو الذى لحن لنجاح "الصباح" و يقول فى الأغنية التى تحمل اسم الفيلم:

دستة مناديل حلوين يا جميل
و حلاوتك غلبت حلاوتهم
سادة و منقوش و النبى لو أطول
لأبوس ايدين اللى باعتهم
دستة مناديل

و الجدير بالذكر أن كارم محمود لم يترك نفسه نماما لعباس كامل ، فقد عمل مع مخرجين آخرين من ابرزهم حسين فوزى فى "نور عيونى" ، أحد آخر أفلامه فى السينما ،و عمل معه أيضا فى نفس العام فى فيلم "حلاق بغداد" و فى نفس السنة أخرج له كامل حفناوى فيلما بعنوان "تحيا الرجالة".

و قصة فيلم "نور عيونى" لا تختلف كثيرا عن القصص التى كان يقدمها عباس كامل و إن كان المستوى الأدائى فى أفلام حسين فوزى أفضل ، لكن هذا الفيلم مصنوع أساسا من أجل نجمته نعيمة عاكف ،و بالتالى فعليها أن تغنى و تقدم الاستعراض و لكن لا يمنع هذا أن يغنى كارم محمود و هو يقوم بدور المطرب الشاب الذى يغنى بنفس المسرح الذى تغنى فيه نور العيون ،وسط المطانة المأمونة فى السينما المصرية ، يبتعد الحبيبان من أجل أن تكون هناك فرصة للغناء ثم يعودان إلى عش الحب ، كى يغنيان أيضا للوئام

و قد توقف كارم محمود تماما عن العمل فى السينما بعد فيلمه "تار بايت" لعباس كامل ١٩٥٥ أى أن سنوات تواجده على الشاشة كانت قليلة للغاية ،و الغريب إنها نفس السنوات التى لمع فيها زميله عبد العزيز محمود ، ثم ابتعد عن السينما ،و الذى لحن له بعض أغنيات أفلامه رغم أن كارم محمود نفسه كان يلحن الكثير من الأغنيات.
و من الواضح أن توقف هذه الأسماء عن العمل قد عجل بنهاية سينما الكوميديا الاستعراضية ، حيث لم نعد نرى أفلاما كثيرة بها هذا المزيج ولا هذا العدد من الأغنيات الخفيفة ، أو نجوم الاستعراض و الغناء الذين

رأيناهم فى الأفلام التى ذكرنا أسماءهم هنا ، كما أن كافة المطربين الذين جاءوا بعد ذلك لم يلحنوا لأنفسم أغنيات و لم يجدوا من يتحمس لهم فى الإخراج ، مثلما تحمس عباس كامل.

الفصل العشرين
هدى سلطان

الأسماء قليلة فى عالم الطرب و السينما ، من هؤلاء الذين استطاعواأن يتفوقةا فى التمثيل بنفس درجة الغناء لدرجة أنهم اعتزلوا الغناء على الشاشة أو عملوا فى التمثيل دون غناء رغم شهرتهم الغنائية.

و من هذه الأسماء شادية ،و هدى سلطان اللتين تنتميان إلى نفس الجيل و دخلتا تجربة التمثيل بدون غناء و نجحت معهن التجربة. و هدى سلطان صاحبة صوت جميل تخصصت فى الأغنية الخفيفة و أدت الكثير من أدوار الدلال و عملت أحيانا فى الإغراء و أدوار البنت البريئة و المرأة الناضجة العامة ؛ و لذا تنوع أداؤها و أيضا الأغنيات التى تؤديها فى السينما.

و قد راهنت السينما على هذى سلطان منذ أن قدمها نيازى مصطفى عام ١٩٥٠ فى فيلم "ست الحسن" ، بطولة ليلى فوزى لكنها فى العام التالى اضطلعت بالبطولة المطلقة أمام محسن سرحان فى فيلم "حكم القوى" لحسن إمام ،و حسب نوع الفيلم فإن أغنيات المطربة الشابة لابد أن تكون حزينة مثل "اللى انقسم و اللى انكتب لابد يجرى لى" ،و "اسقينى الكاس و املاه تانى" و "قلبى انشبك بك".

لكن مع عام ١٩٥٢ بدأت حالة انتشار و تواجد ملحوظة بالنسبة لنجمة الطرب الجديدة ، فعملت فى ثلاثة أفلام فى ذلك العام هى "الأسطى حسن" و "ليلة القدر" و "حبيب قلبى" ، ثم ظهرت فى ستة أفلام عام ١٩٥٣ ،و فى العام التالى ظهرت فى ثمانية أفلام ، من بينها فيلم "الشيخ حسن" الذى يعتبر بمثابة إعادة لفيلم "ليلة القدر" بعد أن تم تغيير عنوانه. و لم تشهد هدى سلطان فى حياتها نفس النشاط من حيث العدد سوى فى عام ١٩٦٠ حيث ظهرت فى سبعة أفلام.

هى إذن ممثلة و مطربة يمكنها القدرة على التنوع ، فهى صاحبة وجه برئ ، مريح. فى أفلام عديدة منها "حكم القوى" و "حبيب القلب"و هى غجرية فى "حميدو" و زوجة منصاعة لأمها فى "بيت الطاعة" و "العائلة الكريمة" ،و مغنية غالبا فى "ابو الدهب" و "جعلونى مجرما" ،و امرأة شعبية فى "فتوات الحسينية" و زوجة مثالية فى "الأطى حسن" و "رصيف نمرة ٥" كما أنها عمياء فى "بورسعيد" ثم هى امرأة شريرة قوية الحدس فى "امرأة فى الطريق" ،و "نساء محرمات" و "قاطع طريق" ،و هى فيما بعد المرأة الناضجة فى أفلام عديدة.

و فى أغلب هذه التجارب لم تكف هدى سلطان عن الغناء باعتبار إنها دخلت السينما كمطربة فى المقام الأول ،و فى عام ١٩٥٣ قامت بدور الغازية التى تحب حميدو ، الغازية التى تمر على المقاهى و تقرأ الطالع و هى تغنى:

أبين زين أبين... و أخط فى الودع
و أخللى الصعب هين... على الحلوة و الجدع

و فى هذا الفيلم كانت ممثلة أكثر منها مطربة ، فهى التى تبحث عن تربة حب صادقة لكن الشاب الذى تحبه يستخدمها كآداة تنقل له النخدرات بعيدا عن أعين الشرطة لأنها بعيدة عن مواطن الشبهات.

و فى نفس العام قدمت أفلاما أخرى منها "تاجر الفضايح" لحسن الإمام و "نساء بلا رجال" ليوسف شاهين و "مكتوب على الجبين" لإبراهيم عمارة و فى فيلم شاهين غنت وسط كوكبة من النجمات و النجوم ، من بينهم مارى كوينى و عماد حمدى و كمال الشناوى. أغنيات لحنها حسن ابو زيد و على فراج و إبراهيم

حجاج. أما فى فيلم إبراهيم عمارة فقد غنت من ألحان محمود الشريف و فؤاد حلمى و حسن أبو زيد ،و لكننا سنتوقف عند فيلم "مكتوب على الجبين" حيث غنت أكثر للمناسبات. فسامية هنا فتاة فقيرة تلجأ إلى خطيبها من أجل اقتراض ثمن الدواء لأمها التى تحتضر إلا أنها تفاجأ بالقبض عليها معه لأنه تاجر مخدرات.

و فى المحكمة ثبتت براءة سامية و عندما تخرج تجد أمها قد ماتت فتلجأ إلى أسرة عمها الثرى ،و يحبها ابن عمها أحمد و يتزوجها. و بعد فترة يخرج أنيس من السجن و يتعرف على زوجها أحمد و يشاركه مشروعاته الهندسية طمعا فى الوصول إليها. تعارض رغبته فيهددها بمحضر الشرطة و صورها التى لا يعلم بها زوجها فتحاول أن تقتله لكن الزوج يأتى و يقتل أنيس.

و أمام المحكمة تضحى الزوجة بموقعها فتخبر المحكمة كذبا أنها كانت على علاقة بالقتيل و أن زوجها قتله دفاعا عن شرفه و بذلك تنقذ زوجها من السجن و يحس بطهارتها و يستأنفان حياتهما الزوجية.

إذن فنحن أمام قصة دامية امتلأت بمثيلاتها قصص الأفلام فى تلك السنوات ،و خاصة من إخراج حسن الإمام الذى عمل أكثر من مرة مع هدى سلطان. و رغم أنه ليس هناك مكانا للغناء فإن المطربة غنت ثلاث أغنيات اثنتان منها كلمات فتحى قورة و تلحين رياض السنباطى هما "عيد الميلاد" و "الخطوبة" ،و كما نرى فإنها أغانى مناسبات أفراح. كما غنت من ألحان أحمد صدقى أغنية "المركب".

و فى عام ١٩٥٤ لمع اسم هدى سلطان فى أفلام تباينت أنواعها ،فمن الفيلم الاستعراضى الكوميدى "تاكسى الغرام" أمام عبد العزيز محمود إلى دور المطربة المعذبة فى "جعلونى مجرما". و قد صنعت ثنائيا أمام فريد شوقى و غنت له كثيرا فى أفلام من طراز "أبو الدهب" و جعلونى مجرما" و "فتوات الحسينية" و "المحتال". و سوف نتوقف هنا عند فيلمين يختلفان تماما فى طبيعتهما ، الأول هو "أبو الدهب" لحلمى رفلة ، ثم "جعلونى مجرما" لعاطف سالم. رغم أنها مطربة فى كلا الفيلمين.

لكن فى الفيلم المطربة إحسان تعيش مع نصاب هو أبوالدهب الذى كان ينافسه عليها العترة ، فيتزوجان و ينجبان طفلا ، يبلغ عنه البوليس بمساعدة صديقته أمينة التى ادعت أنها إحسان زوجة أبو الدهب ، خاصة أنه خان العهد بينهما. يصمم أبو الدهب على الانتقام. يدعى الجنون فينقل إلى المستشفى ، يلاحظ اثناء نقله الشبه بينه و بين المأذون فيستغل هذا الشبه. يذهب العترة و معه صديقته على أنها إحسان لتوقيع الطلاق. يكتشف أبو الدهب الحيلة ،و يقبض على العترة و يفرج عن أبو الدهب الذى يعود لزوجته.

و باعتبار أن إحسان مطربة فلابد للأغانى أن تكون فى الصالة فقد غنت هدى سلطان لملحنين و مؤلفين غير معروفين ، مثل أغنية "حبيته بقالى ٧ أيام" التى كتبها إبراهيم و لحنها أحمد منصور ، لكن هناك أغنيات اشتهرت طويلا كانت من ألحان أسماء مشهورة منها "الآهات" كلمات إبراهيم رجب و الحان عزت الجاهلى، ثم الأغنية الشهيرة "سلمت عليه ولا سلمشى" من تأليف مصطفى عبد الرحمن و تلحين محمود الشريف.

سلمت عليه ولا سلمشى و قالت عينيه ما باكلمشى
مش عارفه ليه سلمت عليه
و قالت لى عينيه ما بكلمشى

أما فيلم "جعلونى مجرما" فرغم أننا أمام مطربة لكنها واقعة فى متاعب أكثر ، متاعب مع أخيها الذى صار مشردا ،و متاعب مع الرل الذى يفرض عليها عواطفه و يحاول إبعادها عن سلطان الذى تحبه ، و أدت كل الأغنيات التى شدت بها فى نفس الصالة التى تعمل بها ، عدا أغنية "التوبة" التى كتبها فتحى قورة و لحنها صدقى و تعلن فيها توبتها:

يارب توبة إليك.. توبة ما بين أياديك

اقبلها سقت عليك.. حبيبك المصطفى

أما الأغنيات التى دخلت سجل هدى سلطان ، فمنها "مكتوب الهوى" من كلمات قورة و ألحان أخيها محمد فوزى:

مكتوب الهوى... و أنا و أنت سوى بندوب
مكتوب الهوى يا حبيبى... من قبل اللقا بسنين

و أجمل هذه الأغنيات و أكثرها بقاء فى ذاكرة الناس عى من ألحان السنباطى ،و كلمات محمد على أحمد:

إن كنت ناسى.. أفكرك
ياما كان غرامى.. بيسهرك
و كان بعادى.. بيحيرك

إذن فقد توجت هدى سلطان نفسها كمطربة و ممثلة بهذه الأدوار ، رغم أن الشخصية النسائية ثانوية تقريبا، خاصة فى الفيلم الأخير ، فنحن أمام قصة سلطان و لم تظهر المطربة سوى فى النصف الثانى من الأحداث بعد أن قام سلطان بإنقاذ أخيها من براثن المرأة التى تقوم بتسريح الأطفال كى يسرقوا فى الشوارع. و قد قام عاطف سالم بتعويض وجودها على الشاشة من خلال الأغنيات

و قد تكرر نفس الأمر فى الفيلمين التقامت ببطولتهما عام ١٩٥٦. الأول هو "رصيف نمرة خمسة" لنيازى مصطفى ،و الثانى "النمرود" لعاطف سالم.. و هى أيضا أفلام تعتمد على بطولة النجم الرجل ، فهو موجود فى أغلب الأحداث ،و لم تدخل المرأة إلى لب الأحداث إلا بعد رحيل زوجة الشاويش خميس ، فصار على المرأة أن تدخل حياته بعد أن تخلصت من عشيقها ، أحد أفراد عصابة التهريب ،و قد غنت هدى سلطان هنا أغنيات اشتهرت بها كثيرا ولا تزال موجودة فى أذهان الناس. منها أغنية فى الحانة فى بداية الفيلم من تلحين عبد العزيز محمود:

من بحرى و بنحبوه
ع الإمة بنستنوه
شبك الجمالات و شبكنى
و إزاى نقدر ننسوه
من بحرى و بنحبوه
سلمت عليه بالإيد
و العين بصت للعين
صدفة و من غير مواعيد
زادوا العشاق اتنين

أما الأغنية الثانية فهى من ألحان محمد فوزى غنتها فى بيت خميس و هى تقوم بترتيبه بعد أن تغرت كثيرا فى سلوكها و حياتها:

عمرى ما دقت الحب.. غير لما حبيبتك
ولا شفت راحت قلبى.. إلا و أنا فى بيتك
تسلم لقلبى.. و تعيش لحبى
جميلك عمرى ما أنساه
ولا أنسى الود و المعروف

و الواضح أن هدى سلطان كانت فى أفضل حالاتها فى الغناء سينمائيا مع أخيها محمد فوزى و أيضا رياض السنباطى.

و فى فيلم "النمرود" أدت هدى سلطان شخصية فتاة حى شعبى تعطف على جارها المحروم ، العاطل ،و تأتى له بالطعام و تسانده ، و هو مديون دوما ، لكن الفتاة تحبه ،و هذا الشاب يعثر مصادفة على ثروة حين يفكر فى أن يشنق نفسه فيسقط عليه السقف و تنهال الأموال من السقف التى خبأها فيه لص متخف. و تدير الأموال رأس الشاب فيغادر المنطقة و يبدأ فى الإنفاق ببذخ شديد على العاهرات و بنات الليل و عندما تأتيع الفتاة يصدها و تخرج من عنده لتغنى أغنية حزينة للغاية:

لامونى و أرتضيت اللوم.. و من بعده اشتهيت النوم

و كان هذا الفيلم بمثابة نقطة التحول للمطربة ، يمكنها أن تغنى أغنية واحدة لكنها ستكون ممثلة من الطراز الأول.و قد كتب الناقد "ابن زيدون" عن الفيلم: **"أنها مثلت و غنت بتوفيق كبير".**

و فى فيلم "المجد" للسيد بدير ١٩٥٧ جسدت هدى سلطان دور مطربة تقف بجانب ممثل فقد ابنه الوحيد نتيجة لإهمال زوجته و تحاول مؤازرته بكل ما لديها ،و لكنه لا يتوقف عن شرب الخمر. و بينما تنهار أسهمه يرتفع اسمها ،و حين تعلم بما حدث له تذهب إليه و تعثر عليه و هو يهم بالانتحار من فوق صخرة و تحاول إعادته إلى عالمها و فنه و تنجح فى ذلك.

و قد كتب عبد الفتاح البارودى بطريقته فى النقد عن هذا الفيلم فى مجلة "الجيل" فى ٢١ اكتوبر ١٩٥٧ قائللا: **"و هدى كانت متناسبة مع أوضاعها ،و أغنياتها معقولة و لكن لماذا تكرر المقاطع؟ الأغانى السينمائية يجب على الأقل أن تتحاشى التكرار فالحق على الملحن طبعا".**

و فى فيلم "بور سعيد" غنت هدى سلطان أغنية وطنية مليئة بالشجن ،و هى تؤدى فتاة فاقدة البصر لكنها لم تفقد البصيرة فتقف فى شرفة منزلها و تغنى بكل قوة "أمم جمال القناة" و تبدو قوية فى أدائها مؤثرة ،و بدا صوتها شجيا فى أغنية لا يمكن نسيانها.

و مع عام ١٩٥٨ بدأت هدى سلطان تدخل أنواعا أخرى من الأدوار ، فدور الغازية فى فيلم "ارمأة فى الطريق" لعز لدين ذو الفقار قد كشف عن مساحات مختلفة من مواهبها. فهى امرأة شقية ، شهوانية ، لا تحاول فقط استمالة شقيق زوجها صابر ، بل لها فى كل مكان رجل تسمح له بمغازلتها ،و لذا فإن الأغنية التى شدت بها و هى تتطلع من ثقب السقف إلى صابر و هو نصف عار بدت مليئة بالشهوة و الإثارة و هى تنشد "يا صابر ياللى صبرك طال" و هى تتلوى بجسدها و قميص نومها اللامع.

و سوف نرى أن هذا النوع من الغناء من الغناء قد بدأ يكتسى بها بعد أن نجحت فيه أفلامها التالية مثل "نساء محرمات" و "صائدة الرجال" و "زوجة من الشارع" و "كهرمان" و غيرها.

صورة

هدى سلطان فى "صائدة الرجال" إخراج حسن الإمام

فى فيلم "كهرمان" من إخراج السيد بدير ١٩٥٨ أدت دور بنت ليل تغنى فى الحانات ،و لها أكثر من عشيق ،و لا تلبث أن ترتبط بطالب يقع فى غرامها و يسكن إلى جوارها ، فيتردد على الحانة و يهمل دراسته،و قد دارت أحداث الفيلم على الشاطئ البحر فغنت للإسكندرية فى "سوق يا أسطى" من ألحان محمد الموجى و كلمات إسماعيل الحبروك و هى تركب مع الطالب عربة الحنطور:

سوق يا أسطى و على مهلك بينا.. فوت ع الأنفوشى و ع المينا
ما توصلناش.. ما ترجعناش

ودينا منين.. ماتودينا

كما غنت فى الحانة أغنية "فاتوا الحلوين" من ألحان محمود الشريف و كلمات فتحى قورة:

فاتوا الحلوين واحد واحد.. و القلب ما حبش غير واحد
من يوم ما لقاك و شغلته معاك.. مش فاكر منهم ولا واحد

و مثلما حرص فتحى قورة أن يكتب لها أغنية "من بحرى و بنحبوه" باللهجة السكندرية حرص أيضا أن يكرر نفس الأمر فى هذه الأغنية و هى تردد:

ع البحر يوماتى بنستنو
نفرجوا بجمالك و نغنو
وحياتك لما يغيب عنه.. ما يفرحنيش ولا ميت واحد

و هذه أيضا من علامات الغناء فى مسيرة هدى سلطان و التى لم تكف عن الغناء فى السينما حتى الآن،حيث كانت تغنى أغنية أو ثلاثة على أكثر تقدير من فيلم لآخر مهما كان الدور. ففى فيلم "نساء محرمات" لمحمود ذو الفقار ١٩٥٩ غنت ثلاث أغنيات ،و الغريب هنا أن المرأة التى تغنى خائنة و خارجة عن ناموس الشرع ،و كان من المعروف أن الغناء فيما قبل صادر عن قلوب تحب و ذوات نفوس صافية باعتبار أن الغناء حالة صدق و صفاء ولا تعبر عن مكنون الخيانة.

هذه الأغنيات هى "حوش عنى عيونك" و "حبيتك ليه" ثم "على بحر الشوق" من كلمات فتحى قورة ، رغم أن هذه الأغنيات لو انتزعناها من أحداث الفيلم فإنها ستكون بشكل عام أغنيات حب عادية مثل ما جاء فى "على بحر الشوق" من الحان عبد العزيز محمود:

انساك ازاى و انت حياتى.. و يوماتى أشتاق لك و ليلاتى
و دموعك معاك و ابتساماتى.. كلها ياحبيبى اتخلقت لك

بدأ ذيوع أغنيات هدى سلطان يقل فى تلك السنوات ، فبعد أغنية "على باب حارتنا الواد القهوجى.. بيجيب سيرتنا الواد القهوجى" ، فى "سوق السلاح" لكمال عطية ، غنت ثلاث أغنيات فى "صائدة الرجال" ١٩٦٠ ، هى "أحمد يا شاغلنى" و "طريق النور" ، ثم "هس هس" ،و فيلم "زوجة من الشارع" لحسن الإمام أيضا فى نفس العام قامت بدور امرأة عاشت فى البارات و رقصت تحت الأضواء و شربت حتى الثمالة ، ثم قابلت فتى أحلامها فكان ابن الأثرياء و راحت تغنى له من ألحان محمد الموجى:

بص و شوف يا قمر مكسوف
رد على أعمل معروف
دا أنت لوحدك بس لوحدك
من ميات يا جميل و ألوف

كما غنت فى البار أيضا من ألحان محمود الشريف أغنية تعكس تعدد علاقتها:

أحب تانى يا قلبى ليه.. ما عرفت آخرة حبى إيه
ماتقولش ده مش زى ده.. دول كلهم بالشكل ده

و بدأت علاقة هدى سلطان بالرقص تقل ، أحسنت أنها لم تعد تناسب أدوار الدلال ، لذا فقد بدأت تكتفى بالتمثيل. و فى فيلم "حياتى هى الثمن" لحسن الإمام ١٩٦١ لم تغن واحدة ،رغم أن الفيلم يتضمن ثلاث أغنيات لثلاثى اضواء المسرح. و الغريب أن علاقة هدى سلطان بالسينما بدأت تنكش فى الستينات و عادت بصورة مختلفة فى أفلام من طراز "السيرك" لعاطف سالم ١٩٦٨ ، ثم "دلال المصرية" لحسن الإمام

١٩٧٠ ،و قد قامت فى الفيلم الأول بدور غانية ترقص مع المجموعة و فى الفيلم الثانى غنت مع بنات الليل ، حيث قامت بدور عاهرة تنتقل بين المواخير و السجون.

و قد جسدت دور العالمة ، سيدة الأفراح الشعبية فى أفلام عديدة، ترقص فى بدلة رقص. ولا مانع أن تغنى فى أفلام عديدة منها "بدور" لنادرجلال ١٩٧٤ ،و فيه غنت مع بناتها العوالم ،و لكن ما غنته لم يلتصق بالذاكرة ، ثم غنت مجددا فى فيلم "شلة الأنس" ليحيى العلمى ١٩٧٦، حيث جسدت أيضا نفس الشخصية التى تسكن فى حى شعبى و تعول أخاها الذى يصبح طبيبا و فيما بعد يشعر بالخزى لمهنة أخته ، فيثور عليها و يترك الحى.

إذن.. فما لبثت هدى سلطان أن تركت الغناء للأبد فى أفلامها التى عملتها فى السيتينيات و السبعينيات ،و أيضا فى الثمانينيات و ارتضت أن تقوم بدور الأم أو الفنانة المعتزلة ،و بدا شكل هدى سلطان فى أفلامها الأخيرة مختلفا تماما. و إذا نظرنا لدورها فى فيلم "صابرين" ،و مدى ما تجسد الشر فى الشخصية الأم ، ثم أيضا هى الأم القاسية فى "بيت بلا حنان" لعلى عبد الخالق ١٩٧٦. و هى مهربة مجوهرات تضحك على فتاة غضة فى "شفاة لا تعرف الكذب" ، ثم هى إحدى المصريات اللاتى عشن زمن الحملة الفرنسية فى "الوداع يا بونابرت" ليوسف شاهين ١٩٨٤ ، ثم هى الفنانة القديمة التى لا تود لابنها الذى يمارس الفن و أن يعمل طبيبا فى فيلمها الأخير "أنغام" لبركات. إذن ؛ فكما اشرنا فى بداية الحديث عن هدى سلطان فهى إحدى القلائل الذين لمعوا فى السينما كمطربة ثم كممثلة لا تعتمد بالمرة على جمال صوتها.. و هى بذلك حالة نادرة.

صورة
هدى سلطان فى "حب و دلع" إنتا ١٩٥٨

الفصل الواحد و العشرون
عبد الحليم حافظ

صورة عبد الحليم حافظ فى السينما كانت هى فى الغالب "شخص منكسر ، هذا الشاب الواهن الضعيف كسرته الحاجة (الفقر) و الصحة و الجرمان من الأسرة ،و مع هذا فإن الشخصيات التى جسدها لم تتوقف عن الغناء ابتهاجا بالحياة ،و لم تضع رأسها تحت متراس اليأس ، بل اجتازت الصعاب و عبرت الأزمات و صعدت إلى قمة أهدافها.

و قد ساعدت هذه الشخصيات فى صناعة الإعجاب بهذا الشاب الوسيم الأسمر النحيل القادم من خطوط الفقر الذى لا يعرف من لغات الحياة سوى الحب و الرومانسية و التضحية و الفداء. و هل هناك شخصية تجمل مثل هذه السمات ولا تدخل بسرعة إلى قلوب الناس؟

و الشخصيات التى جسدها عبد الحليم لم تعرف الرذيلة ولا الوقوع فى الخطيئة ،و هى فى أغلب الأحيان تعمل بالطرب ؛ بل هى مثلنا مجرد أشخاص عادية عليها أن تغنى فى أى وضع تعيش فيه ،و لذا فإن هذه الشخصيات لم تضطر إلى العمل بالكباريهات أو النوادى الليلية ، حتى الشخصيات التى مارست الفن منها ، فإنها غنت فى الأوبرا القديمة و فى الحفلات العامة المذاعة أمام الناس ، فاكتسب فناؤها شرعية مجدية.

كل هذا و هى لم تتخلص من الانكسار بعد ، فهذه الشخصيات تعيش مع انكسارها و أحزانها ، حتى و هى فى قمة التألق الاجتماعى و الفنى و كأنها لا تهنأ بما يهنأ به الآخرون ، خاصة البسطاء من سعادة و نجاح.

و ساعد الأمر هذه الشخصيات أن تقترب من الناس و أن يحبوها رغم قلة الأفلام التى جسدها عبد الحليم قياسا إلى ما قدمه فريد الأطرش و محمد فوزى من الرجال ،و ليلى مراد و شادية و صباح من النساء.

و كما أشرنا فإن هذه الشخصيات كانت مجرد مطرب ، فعبد الحليم حافظ لم يكن المطرب الشامل الذى يرقص و يؤدى الاستعراض مثل ألفيس بريسلى فى السينما الأمريكية ،و هو المطرب الأكثر قربا له إذا تناولنا الاثنين فى ميزان المقارنة.

و لو توقفنا عند سمة الانكسار عند هذه الشخصية ، فإننا سنبدأ بالفقير المحتاج ، حيث هناك سبعة أفلالام جسد فيهم دور الشخص الفقير ،و الفقير هنا ليس المقصود به الساكن فى حى شعبى يحتاج إلى المال و الغناء،و أسباب الحياة ، بل هو أيضا الذى يجد نفسه واقعا فى غرام فتاة أخرى أكثر ثراء و بالتالى فإن الفارق الاجتماعى بين الاثنين يقف حائلا بين الطرفين. و سوف نجد أن الحرمان فى أفلام أخرى معادلا للفقر ، مثلما حدث فى الوسادة الخالية ، لكن علينا أن نتوقف أولا عند المنكسر فى دائرة الفقر ، حيث بدا هذا واضحا فى الأفلام الأتية:

- شارع الحب لعز الدين ذو الفقار ١٩٥٨
- أيامنا الحلوة لحلمى حليم ١٩٥٥
- حكاية حب لحلمى حليم ١٩٥٩
- ليالى الحب لحلمى رفلة١٩٥٥
- معبودة الجماهير لحلمى رفلة ١٩٦٧
- دليلة لمحمد كريم ١٩٥٥

و كما نرى فإن مخرجين بأعينهم قد وضعوا المطرب الشاب فى هذا الإطار و هم حلمى رفلة و حلمى حليم و كرروا ظهوره فى هذا الإطار بعد أن تفحصوا سماته و درسوها و أحسوا أنه الأنسب فى هذا النوع من الأدوار ، بينما وضعه آخرون فى دائرة البرجوازى ، الموظف البسيط كما سنرى فيما بعد.

و فى هذه الأفلام التى كان فيها عبد الحليم حافظ فقيرا فإنه حاول الصعود من فقره ، لكنه عانى داخل الفقر طويلا ،و لو توقفنا عند بدايته و نهاية ما وصل إليه فى فيلم "شارع الحب" ، فإن المشهد الأول الذى ظهر فيه كان لشاب يرتدى بيجامة قديمة و خامتها بسيطة ،و بدت عليه كل ملامح العوز مما دفع بأبناء الحارة إلى الرثاء له.

و الغريب أن هذا الشخص لم يفقد القدرة على الغناء ، فهو ينفخ فى البوق على السطح و يغنى ما يدفع بأهل الحارة إلى الوقوف وراء عبد المنعم صبرى كى يدرس فى معهد الموسيقى ،و هو لا يغنى جهارا إلا عندما يعود و وسط جمهرة من أبناء شارع محمدعلى ،و كأنه بأغنية "قولوا لو" يدشن حياته كمطرب و يدخل محفل الحياة الغنائية ،و رغم تخرج عبد المنعم من المعهد فإن هذا لم يشكل بالنسبة له أى انتقال اجتماعى ، فهو لا يزال فى حاجة إلى وظيفة يقتات بها قبل أن يحاول رد الجميل لأهل شارع محمد على الذين تكاتفوا فى جمع مصاريف تعليمه.

لذا فإن عبد المنعم صبرى يقبل القيام بوظيفة مدرس عجوز فى بيت أثرياء ،و يتخفى فى زى العجوز لأن طبيعة الوظيفة تتطلب هذا. لكن يسقط أداة للسخرية من بنات الأسر الموسرة ،و يتوقف عن الغناء حتى يعرف الحب.

و الغناء فى هذا الفيلم يتبادل بين صباح و عبد الحليم حافظ ، فهى تغنى له فى صورة الأستاذ العجوز أغنية علمنى الحب ،و هو يحاول مقاومة إغرائها بكل ما لديه من مشاعر الشاب المحروم ، ثم ما تلبث الحقيقة أن هو يغنى فى حفل عام أغنيته التى دشنته فى سلم المجد و هى أغنية "نعم يا حبيبى نعم".

و باعتبار أن عبد المنعم صبرى مطرب فى هذا الفيلم ، فإنه يغنى الأغنيات الثلاث أمام جمهور من المستمعين استحسنوا غناءه ،و ذلك بعكس أفلام أخرى على الشخصية أن تغنى فيها بينها و بين نفسها. أما الأغنيات غير العلنية فقد أدتها الحبيبة سواء "علمنى الحب" أو "لأ..".

نفس الأمر يتكرر فى فيلم "معبدة الجماهير" مع وجود المزيد من المتغيرات الشكلية ، فإبراهيم ممثل صغير فى فرقة مسرحية ، يقع فى حب نجمة الفرقة الرئيسية ثم يكتشف أنها تفضله على كل من يحيطونها من معجبين و فنانين.

و الفارق الاجتماعى بين الحبيبين واسع للغاية ، لدرجة أن هناك مشهدا يعكس مدى ما يمتلكه الشاب من فقر حين ينزل لقياس قميص جديد فإذا بالقميص عبارة عن قصاصات لا أكثر من الداخل ، حتى إذا ارتدى السترة بدا كل شئ طبيعيا.

و إبراهيم يسكن فى حى فقير ،و هو فى أشد الحاجة إلى المال لدرجة تدفع بالجزار أن يعترض طريقه ،و أن يدفعه للعمل بالجزارة مقابل ما استدان به من ثمن اللحم ،و لا ينقذه سوى حضور سهير المطربة ،و إبراهيم فى هذا الفيلم مثل أغلب الشخصيات التى جسدها المطرب ، بلا أسرة ولا أهل ، يعيش فى غرفة صغيرة فى أعلى المنزل ،و هو رغم ذلك لا يملك من الدنيا سوى قدرته على الحب.

و إذا كانت المصادفة قد جعلت من سهير عاشقة متيمة به و هو أمر غير مقنع ، فإن الانكسار ظل سمة إبراهيم ، سواء حين صدمته سهير ليلة عقد قرانهما و أخبرته أن عليهما أن ينفصلا لأنه اجتماعيا غير جدير بها و أنها كانت تمثل عليه بعد أن دست امرأة فيما بينهما.

و قد ظل إبراهي منكسرا إلا فى لحظة واحدة بدت فيها قوته الخاصة ،و هى التى تصدى فيها للجماهير التى سخرت منه قبل أن يغنى "جبار" ، فبدا ذلك فى ملامح عينيه ثم أدائه الغنائى ،و رغم صعوده الاجتماعى و الفنى ، فإنه ظل حزينا ، لا يجد امرأة تسد عليه فراغ حياته الذى تركته سهير ،و انعكس ذلك فى حواره مع صديقه و سكرتيره و عانى من الفراغ.

أى أن الانكسار هنا غير مرتبط بالفقر المادى ، بل أيضا بالحرمان العاطفى و الاجتماعى ، حيث يتخذ له من أهل الحارة أسرة ، لكن هذا لا يسد حاجته ولا يصلح من انكساره إلا قليلا.

و قد عبر إبراهيم عن حالته من خلال أغنيات عديدة تخلو تماما من الانكسار ، بل تعكس رجلا قوى الإرادة ، لا يجرؤ على الذهاب لامرأة طردته على الملأ فغنى "لست قلبى" ، التى نظمها كامل الشناوى و التى يعترف فى نهايتها بأن قلبه الذى يملكه بين جنباته ليس له ، بل هو ملك لمن أحبها. كما أن إبراهيم يبدو بالغ القسوة و هو يغنى لفتاته حين جاءت أغنية "بلاش العتاب".

هذه الأغنية التى أنشدها فى الفيلم قد أداها باعتباره مطربا ، سواء أمام الجماهير "جبار" أو فى الأستوديو "لست قلبى" ، ثم فى حفل خاص حين جاءت سهير محاولة التصالح معه.

و فى ذا الفيلم بدت العيون البالغة الحزن الشديدة الانكسار على ملامح وجه عبد الحليم حافظ الذى غنى أغنيتين مبهجتين و ثلاث أغانى حزينة.

نفس الحكاية سبق للناس أن مشاهدة نجمهم فى إطارها من خلال مطرب شاب مبتدئ يحاول أن يجد لنفسه فرصة فيلاحقه الفشل و سوء الحظ ،و ذلك فى "حكاية حب" ،و سيظل هناك سبب للانكسار و المستحيل بين الطرفين ، الأول هو الفقر ؛ فالشاب من حى كرموز بالإسكندرية يسكن مع أم و أخ ،و هما دائما غير

متواجدين فى حياته ، خاصة بعد أن صار مشهورا ،و الشاب حين يذهب للغناء أمام الناس فى حفل ، فإن أحد السكارى يفسد عليه فرصته فى الغناء ،و لولا الصدفة ما غنى أمام الفتاة الثرية التى استوقفت سيارتها و طلبت منه أن يغنى لها و هما على الشاطئ.

أما سبب الانكسار الثانى فهو المرض الذى يلحق بالمطرب ، فما أن تلاحق الشهرة أحمد سامى حتى يسقط من الإعياء أمام جماهيره و هو يغنى "نار يا جحبيبى" ،و يتحول المرض إلى حائل بين العاشقين ،و قد بدا الانكسار لدى المطرب و هو ينتظر الموت و يغنى "فى يوم فى شهر فى سنة" باعتبار أن جرح قلبه أطول من الأيام ،و الغريب أن النسخة المعروضة من الفيلم لم تتضمن "اسبقنى يا قلبى" و هى أغنية مليئة بالأمل تم حذفها رغم أن إعلانات الفيلم و عناوينه الداخلية قد اشارت إلى وجود الأغنية ضمن مجموع الأغانى فى الفيلم.

صورة
عبد الحليم و مريم فخر الدين و "حكاية حب"
صورة
عبد الحليم و زبيدة ثروت و "يوم من عمرى"

و كان فيلم "ليالى الحب" هو أول أفلام المطرب التى قامت على أساس قصة حب بين طرفين. المسافة الاجتماعية بينهما كبيرة للغاية ، فهو الموظف الفقير أحمد الذى اخترع منسوجا يمكنه أن يوفر الكثير من الأموال ، لكن كل مدير ينسب إلى نفسه أنه المخترع حتى ضاعت الحقيقة ،و وجد أحمد نفسه يذهب إلى بيت المدير كى يخبره بالحقيقة ،و من هنا تأتى التناقضات ، فيتصور أهل البيت أن الموظف هو رجل الأعمال الثرى الذى يحمل نفس الاسم ،و تتولد المتاعب إلى أن تنكشف الحقائق.

و قد أخرنا الحديث عن هذا الفيلم لأن أجواءه الكوميدية قد قللت الكثير من حدة الانكسار لدى الموظف ، كما حدث نفس الشئ فى فيلم "أيامنا الحلوة" فالشباب الفقراء الثلاثة الذين يعيشون فوق سطح أحد المنازل الشعبية القديمة ، لم يعانوا من الفقر ،و هم مبتهجون يتمتعون بخفة روح ، لكن تنعكس فى الأغنيات التى يؤديها أحدهم "هى دى هيه" ،و يقومون بمشاكسة جارتهم الجديدة التى هى فى الحقيقة رمز الانكسار الحاد.

لكن لا يلبث الانكسار أن يدخل دائرة الأصدقاء ، ليس عندما يكتشفون أن الفتاة تحب أحدهم فقد ،و لكن حينما يعجز الثلاثة عن تدبير مصاريف العلاج ، فيحاول كل واحد منهم التضحية بشئ ما عزيز عليه ؛ كأن يقبل حبيبها أن يتزوج من ابنة عمه الثرية.

إذا كان هذا الانكسار المرتبط بالحاجة إلى المال و الهوة الواسعة بين عالم تعيش فيه الشخصية التى يجسدها و بين الفتاة التى يحبها ، فإن هناك أسباب أخرى للانكسار رأيناها فى شكل الحرمان الأسرى ،و على غرار قصص الأفلام المصرية فإن أبطالها غالبا ما يكونون بلا عائلات يعيشون فى وحدة ، مثل خال فى "بنات اليوم" ، فحن لا نعرف لماذا يعيش أعزب مع زميل له فى شقة بسيطة أمام إحدى المدارس ،و هو هنا ليس شخصا فقيرا ،و لكن أخته علية تتمتع بمكانة اجتماعية ولا شك أنه ليس هناك أى فارق اجتماعى بين مستوى خالد الاجتماعى و مستوى طبيب يسكن فى فيلا فخمة ، حيث قبل الأب على الفور طلب خالد للزواج من ابنته.

و نحن هنا لا نتحدث عن الانكسار ،و لكن خالد يعيش بلا أسرة مثلما رأيناه فى افلام أخرى منها "معبودة الجماهير" و "دليلة" و "يوم من عمرى" و "موعد غرام".

و لكن بعض الأفلام التى جسدها المطرب داخل إطار أسرة ، كانت الحياة فى هذه الأسرة سببا مؤكدا للانكسار ، فهو يعيش فى كنف رجل غير أبيه ، هو زوج الأم فى فيلمين هما "أيام و ليالى" لبركات ١٩٥٥ ،

ثم "الخطايا" ١٩٦٢. و هو فى فيلم "لحن الوفاء" لإبراهيم عمارة ١٩٥٥ يعيش ربيبا لفنان جاء من الحضيض بعد أن تولى تربيته عقب وفاة والد جلال الموسيقار الشعبى.

و فى "أيام و ليالى" بدا الانكسار من خلال وقوف زوج أمه مع ابنه ، حين صدم هذا الابن ضحية و هو يقود سيارته مخمورا ،و كان صديق الشاب هو الضحية حيث تم القبض عليه ،و كان على الشاب أن يقف فى مواجهة زوج الأم من أجل إنقاذ صديقه حتى لو أدى ذلك إلى حبس ابن زوج أمه "أخوه تجاوزا".

و قد بدا الانكسار واضحا من خلال المواجهة بين الشاب و زوج أمه ، فالشاب لا يود أن يخون مبادءه ،و هو حين يحس أنه بلا أجنحة يسأل عن مكان أبيه الحقيقى و هوية هذا الأب ،و يذهب إليه و يجده رجلا سكيرا يعيش على هامش الحياة و يحدثه بأنه فى حاجة ماسة إليه. و من خلال هذا اللقاء نكتشف أن الابن ليس هو الوحيد الذى يمر بمرحلة انكسار ، بل الأب قد سبق له أن تهشم بعد أن هجرته زوجته ،و لذا فإن الأب و الابن يستعيدان توازنهما و يتماسكان ، ثم يواجهان الموقف معا.

و حسين فى فيلم "الخطايا" هو نموذج آخر من طالب منكسر ، لأنه يعيش مع زوج أمه. و هو يظل ذلك الشاب المرح السعيد الذى لدبه قدرة على الحب و على القبول على الحياة طالما أحس أنه فى أجواء أسرة ، لكن ما تلبث ملامح الانكسار و الهزيمة أن تكسوه بعد أن يعرف أن الرجل الذى يعيش معه ليس أباه ،و أن المرأة ليست أمه ، (هى فى الواقع أمه).

و قد ارتبطت الأغنية هنا بالموقف أكثر من فيلم "أيام و ليالى" ، بدا ذلك من خلال الأغنية التى شدا بها و هو فى الطريق ،و هى "طلاسم" إليا أبو ماضى "التى يتحدث فيها عن جذوره الضائعة و توهانه و نسبه. و من الواضح أن مثل هذا الدور قد التصق بعبد الحليم حافظ فبدا الانكسار على ملامحه و انعكس فى علاقته بأخيه و أمه و حبيبته سهير ،و ظل فى هذه الحالة فترة طويلة يعيش وحيدا يعانى كثيرا ، إلى أن اعترفت له أمه بالحقيقة ، فعاد إلى البيت.

و الانكسار هنا حالة خاصة أصابت حسين ،و قد بدت من خلال المواجهة التى دارت بينه و بين ضابط الشرطة فى القسم الذى سيق إليه فى المساء ، فحين سأله الضابط عن اسمه أجابه بأنه لا يعرف ،و فى البداية تصور الضابط أنه أمام شخص مازح أو مخمور ، فإذا به أمام حالة خاصة ، لذا فسرعان ما وقف الضابط إلى جواره و مد له يد المساعدة.

و هذا الانكسار ارتبط بقطع علاقاته كافة إلا واحاً من اقربائه و زملائه و حبيبته التى قررت الوقوف بجانبه ، فكانت بمثابة الوتد الذى يتكئ عليه و يخرج من خلالها عن حالته المتهشمة. و الجدير بالذكر هنا أن الشخص المنكسر يعيش فى وسط اجتماعى موسر ، فزوج الأم فى "أيام و ليالى" رجل مرموق المكانة عقلانى ،و له ثقافته الراقية ،و قد تم حسم الأمور كلها من خلال جمل قصيرة باترة حين قال الرجل لامرأته إنها بوقوفها إلى جوار ابنها و ليس ابنه يمزق ما بينهما.

كما أن حسين يعيش فى بيت فى حى كبير "الخطايا" يمتلك الأراضى و الأطيان ،و له مكانته ،و هذا المحامى حين يفكر فى زواج ابنه فإنه يختار له فتاة ثرية هى ابنة صديق قديم ثرى مثله ، أى أن الانكسار فى كلا الفيلمين غير مرتبط بالعوز المادى بقدر ما هو العوز الخاص للدفء الإنسانى ،و للأجواء الأسرية ،و للأب الحقيقى.

و لقد رأينا نفس الأجواء فى فيلم "لحن الوفاء" مع الكثير من التعبيرات فالملحن الكبير علام أصابته عقدة خاصة من النساء و قرر أن يعيش بدون زواج ،و هو يربى جلال ابن أستاذه الذى تركه له حين عاش فى منطقة الأنفوشى الفقيرة ،و الحقيقة أن علام لم يعامل ربيبه أى معاملة تدعو إلى الإحساس بالإنكسار ، بل

كان بالنسبة له الأب الحنون الذى يعوضه عن أجواء أسرية افتقدها ،و قد تولى تعليمه و قام بتشجيعه كى يصير مطربا. و صار جلال الابن المدلل فى الفرقة ، تحاول الفتيات التقرب منه من أجل أن يكن قريبات أيضا من الأستاذ علام.

لكن الانكسار بدا فى صورة مختلفة حين وقع علام فى غرام نفس الفتاة التى أحبها جلال ،و لم ينتبه إلى مشاعر الشاب تجاه الفتاة ،و فى حفل خطبته إلى الفتاة تختفى الفتاة و يسمع الموسيقار إشاعة الآخرين أن خطيبته هربت مع جلال ، مما يؤدى به أن ينفى نفسه إلى عالمه القديم و أن يختفى لمدة طويلة. هذه المواقف تجعل جلال يشعر أنه مسئول عما لحق بأستاذه من انكسار و حزن ز هزيمة ، فيحاول أن يستعيده إلى مجده و يستكمل اللحن الذى كان عليه أن يقوم بتلحينه من أجل الفرقة ،و يطلق عليه "لحن الوفاء"؟

و الانكسار مرتبط هنا بما اصاب الاستاذ علام أكثر مما ألتصق بجلال نفسه. و هناك انكسار خاص بالمرض باعتبار أن العليل هو أكثر البشر إحساسا بالهزيمة الجسدية و الوحية و أنه مغادر الحياة ،و الغريب أن هذا الأمر لم يحدث كثيرا فى أفلام قام ببطولتها المطرب سوى مرة واحدة هى فى "حكاية حب" ، باعتبار أن كافة الشخصيات التى جسدها مقبلة على الحياة محية لها ، إذا فإنها غير مصابة بمرض.

و المرض الذى أصاب صلاح فى "الوسادة الخالية" عابر ،و هو مرتبط بحالة الهزيمة التى أصابته عقب أن انفصلت عنه سميحة و لم يجد بديلا عنها ، فارتبط بإحدى بنات الليل ،و عندما أصابته الزائدة كان الطبيب المعالج هو زوج سميحة فتولدت صداقة ،و لم يكن المرض سوى حالة عابرة أو هو صلة موصول مع زوج الحبيبة الضائعة.

لكن مرض القلب الذى اصاب أحمد فى "حكاية حب" قد هدد حياة الشاب بشكل حاسم ، خاصة أن خال الفتاة طبيب كبير و هو الذى قام بالمساعدة فى تشخيص الحالة ،و أحس أحمد أنه أقرب إلى الموت بقوس صغير ،و راح يغنى على الشاطئ أغنية بالغة الحزن و الشجن ، هى "فى يوم فى شهر فى سنة" ،و لو ربطنا كلمات الأغنية بحالة أحمد فإن سماعها يثير المشاعر بشكل حاد.

و عمر جرحى أنا
أطول من الأيام
وداع يا دنيا الهنا
وداع يا حب.. يا أحلام

ولا شك أن المطرب و هو يجسد هذه الأغنية كان يغنى من أعماقه ،و انعكس ذلك لدى الناس بما عرفوه فيما بعد عن مرض الفنان الذى أنهك كبده ،و أودى به و هو دون التاسعة و الأربعين من العمر.

و هناك أسباب أخرى فرعية سببت بعض الانكسار للشخصيات التى جسدها عبد الحليم حافظ فى أفلامه ، فلاشك أن هناك أجواء قريبة من أدائه أغنية "فى يوم فى شهر" سبق للفنان أن أداها فى أجواء صحراوية فى فيلم "الوسادة الخالية" ، حين راح يتذكر حبيبته الضائعة سميحة فى نفس الصحراء التى جمعتها من قبل ، صحراء مصر الجديدة.

و فى كلا الموقفين غنى المطرب أمام الأفق. فى "حكاية حب" غنى أمام البحر و هو بالغ الحزن ،و فى الوسادة الخالية غنى أمام بساط الصحراء ،و الغريب أن المطرب غنى فى الليل ، فبدا الأفق قائما يعكس حالة الحزن التى استبدت بالشاب المنكسر.

و الانكسار فى "الوسادة الخالية" سببه فى المقام الأول أ، سميحة هجرته و رضت بالاقتران من رجل مرموق ، طبيب ناجح ، صحيح أنها قاومت فى البداية لكنها ما لبثت أن رضخت و تركت صلاح يعانى وحده

،و كان عليه أن يتفوق فى دراسته ،و كان عليه أيضا أن يرتاد أماكن اللهو و يتعرف على بنات الليل ،و كان الموقف سببا لأن يغنى ، مثلما غنى "تخونوه" فى أحد الملاهى الليلية.

و قد طالت حالة الحزن المرتبطة بالانكسار لدى صلاح ، سواء بعد أن صار مهندسا ، أو بعد أن تزوج ، فها هى سميحة تظهر فى حياته و يصبح زوجها صديقا له ،و يتبادلان الزيارات ، ثم ها هى زوجة صلاح تحس أن مشاعر زوجها متجهة إلى غيرها و أنه قد نسى الدبلة ذات يوم.

و هذا الإحساس بالهزيمة و الانكسار قد ساعد صلاح أن يحقق انتصاراته المهنية و الاجتماعية ، لكنه لم ينس قط حبه المفقود ،و لم ياتئم الجرح الذى صنعته سميحة حين هجرته فى مكان حبهما.

و حالات الانكسار قد جعلت المطرب يشدو الكثير من الأغانى الحزينة فى كافة أفلامه ،و غالبا ما تكون هى الأغنية الأخيرة فى الفيلم ،و هى مرتبطة بفراق الحبيبة ، مثلما حدث حين غنى "راح" فى البنات و الصيف حين شاهد محمد حبيبته تذهب مع الشاب الذى اختارته فى سيارته ،و فى نهاية فيلم "أبى فوق الشجرة" غنى حزينا لأحضان الحبايب حين ابتعد عنه الأصدقاء بعد أن صار عشيقا لابنة ليل ،و فى "يوم من عمرى" شدا بأغنية لها نفس الاسم عقب أن قام بتوصيل حبيبته إلى أبيها ،و فى فيلم "أيام و ليالى" غنى "إيه ذنبى إيه" حين هجرته حبيبته..

و فى كل هذه الأغنيات كان على المطرب أن يحتضن الطبيعة و هو يغنى أغنيته الحزينة التى تعكس حالة الانكسار ، فعلى شاطئ النيل غنى فى "أيام و ليالى" باعتبار أن الأحداث تدور فى القاهرة ،و على شاطئ الإسكندرية غنى حزينا فى "حكاية حب" و البنات و الصيف" و "أبى فوق الشجرة" ،و فى الطرق العام غنى "لست أدرى" فى "الخطايا".

ولا شك أنه كان يغنى كل هذه الأغنيات من خلال جانبه الإنسانى ليعبر عن حزنه و آلامه و مشاعر الانكسار التى تنتابه ،و فى هذه الأفلام لم يكن المطرب الذى يغنى ، بل العاشق الذى يحترق و يتألم من أجل نفسه و بسبب حبيبته ،و قليلة هى الأغانى التى شدا لتعبر عن حزن بعيدا عن آفاق الطبيعة ، مثل "لست قلبى" فى "معبودة الجماهير".

و قد خلت أفلام الفنان الكوميدية تماما من هذه الأجواء ، فبدا فيها أكثر إشراقا ، مثلما حدث فى "فتى أحلامى" و "ليالى الحب" و "شارع الحب".

الفصل الثانى و العشرون
نجاة الصغيرة

لذا أطلقوا عليها اسم الصغيرة ، إنها نجاة محمد محمود حسنى. كانت التسمية لعدة أسباب ، منها أنه كانت هناك نجاة على ، المولودة عام ١٩١٣ ، أما نجاة الطفلة التى راحت تغنى لأم كلثوم "نهج البردة" و هى فى التاسعة من العمر ، فقد لفتت إليها الأنظار و صارت مطربة يستمع الناس إليها.

و قد نجحت نجاة عندما صارت أكبر سنا فى أن تحتل مكانها وسط الكبار ، فذاع اسمها فى الخمسينات ،و كانت من نجمات الغناء فى الستينات ،و لابد لمثل هذه الموهبة أن تجتذبها السينما أكثر من عشر مرات ، رغم موهبتها المحدودة فى التمثيل ، لكن لم لا؟ واسمها يسبقها و أغنياتها تذاع فى كل مكان.

و نجاة الصغيرة مثلت و هى طفلة فى الحادية عشرة من عمرها حين مثلت عام ١٩٤٧ فى فيلم "هدية" لمحمود ذو الفقار ،و تقوم بدور ابنة لعزيزة أمير ،و قد غنت فى هذا الفيلم أغنياتها التى اشتهرت بها ،و ليس لدينا مرجع يشير إلى هذه الأغنيات ، لكن الأفيش الذى لدينا يشير إلى أن نجاة الصغيرة تشترك هنا بالغناء.

أما الفيلم الثانى "محسوب العائلة" فكانت لاتزال صبية ،و لم تأخذ دور البطولة ، لكن فيلمها الثالث هو "بنت البلد" من إخراج حسن الصيفى أمام إسماعيل يس ،و كانت قد صارت شابة فى الثامنة عشرة من عمرها يمكنها أن تصدح بأغنيات الحب ،و أن تكون فتاة يافعة ، يطلب من أب ابنه الذى يعيش فى باريس أن يتزوج منها ، الأب هو كبير الرحيمية ، الذى يرسل ابنه إسماعيل إلى فرنسا لتلقى علومه ،و هناك يصادفه محتال و بوقعه فى شباك راقصة تبتز أمواله و تطالبه بالزواج ، يرسل إسماعيل لأبيه خطابا يطالبه فيه بمبلغ كبير كى يتزوج ، إلا أن الأب يثور و يستفسر إلى باريس ترافقه ابنة أخيه التى تحب إسماعيل ،و ينجح الجميع فى الكشف عن ألا عيب المتال و شريكته الراقصة و يتزوج إسماعيل من ابنة عمه.

و من الواضح حتى الآن ـن السينما لم تخدم حتى الآن المطربة الصغيرة ، فالفيلم ساذج و رغم أننا فى باريس فنحن محبوسين داخل غرف توحى بأنها ديكور لشقق مصرية ،و يحس المتفرج أن باريس هنا مجرد اسم ، فضلا عن أن عاصمة فرنسا تحولت مثل القاهرة إلى كباريهات و راقصات شرقيات ، أما بنت البلد فلم تتكلم فى الفيلم كله عدة جمل متكاملة.

و كعادتها فى أن تغنى فى هذه الفترة لآخرين ، غنت وحدها أغنية "ع الحلوة و المرة مش كنا متعاهدين.. ليه تنسى بالمرة عشرة بقالها سنين" ،و هى أغنية عبد الغنى السيد لحنها محمود الشريف و من كلمات سيد مرسى. كما غنت أغنية "مع السلامة يا نور العين".

و من الواضح أننا أمام فيلم غنائى قائم على الغناء الجماعى ، لذا غنت نجاة مع محمد التابعى و السيد بدير من كلمات فتحى قورة أغنية "باركولهم" ، من ألحان عزت الجاهلى. و من ألحان منير مراد غنت مع إسماعيل يس "أنتى درتى" ،و مع إسماعيل أيضا غنت من ألحان محمود الشريف "دورت عليه و لفيت" ،و من ألحان عبد العزيز محمود أغنية "جالك إيه".

و قد جاءت البداية الحقيقية للمطربة فى السينما من خلال فيلم "غريبة" لأحمد بدرخان ١٩٥٨ ،و هو فيلم شبابى ملئ بالكآبة و الحزن ،و قد بدت فيه المطربة الممثلة غير جذابة بالمرة ، خاصة أن الدور يتطلب هذا و سوف يحدث ذلك فى فيلمها التالى "الشموع السوداء".

و قد اشتهرت نجاة قبل عرض هذا الفيلم بأغنيتين شهيريتن فيهما كلمة "غريبة" الأولى هى:

قريبة منسية.. بعيدة منسية
من يومى مظلومة.. من يومى محرومة
من كل حنية

و الثانية:

بتقول حبيبة حبية.. و أنا غريبة غريبة
وان جيت تعاتب.. تقول حبيبة
أما غريبة أما غريبة

و الأغنية الأولى هى التى تضمها الفيلم و ان حاول الفيلم الاستفادة من ذيوع الأغنيتين معا اللتين كانتا تترددان دوما فى غلإذاعات فى تلك الفترة.

إذن ، فقد حاول بدرخان الرهان على نجاة ،و كعادة أفيشات الأفلام التى تراهن على نجم جديد ، فلا يظهر على الأفيش سواه ،و كانت أفيشات الشوارع لا تكشف سوى وجه بطلة الفيلم رغم وجود نجوم من طراز عقيلة راتب و عماد حمدى و أحمد مظهر و أحمد رمزى. و واكبت عرض الفيلم حملة دعائية ضخمة ، منها مقالات مدفوعة الأجر فى بعض المجلات ، مثلما مشر فى مجلة الكواكب جاء فيها: "**هذه القصة**

صادقة لما يقع فى المجتمع من مشاكل تتطور مع الزمن حتى تصبح من الأمور التى تخلق المتعب فى حياة الناس".

و من أجل العزف على العنوان الذى يرمز إلى اسم الفيلم و الأغنية ، جاءت نهاية المقالعلى النمط التالى:
"فقد ظهر فى حياة الشاب الذى أحبته خطيبة له لم يخبرها بشئ عنها ،و شعرت أنها أصبحت غريبة..
أصبحت غريبة فى بيت والدها..
".. و أصبحت غريبة فى بيت أمها..
".. و أصبحت غريبة عن الرجل الذى أحبته و كان عليها أن تختار طريقها لياتها.

فهل تعيش مع أمها و هى تشعر أنها "غريبة" رغم الحب و الحنان الذى يحطيهما بها زوج أمها؟
أم تعود إلى زالدها الذى يحبها من أعماقه و لكنها ستصبح "غريبة مع زوجة أبيها؟
"أم تتزوج من الشاب الذى أحبته بع أن يهجر خطيبته؟
"إنها مشكلة غريبة.. ستجد حلها فى فيلم "غريبة".

و من الواضح أنه تم إعداد الفيلم بسرعة كى تتم الاستفادة من نجاح الأغنية ، فالفيلم مقتبس من فيلم أمريكى عرض قبل عدة أشهر فقط على الشاشة اسمه "المراهقة الصغيرة" ،و بدا الفيلم المصرى كأنه نسخة من العمل الأمريكى ، كما جاء على لسان محرر جريدة الشعب فى ١٢ مارس ١٩٥٨ فى العمود المعنون "فيلم اليوم" حيث يقول: "**إنها نفس قصة فيلم "الابنة المراهقة" الأمريكى الذى عرض هنا فى الموسم الماضى بدون تصرف"** أما عثمان العنتبلى فيكتب فى جريدة الأهرام (٢٥ مارس):

تذكرنى قصة فيلم "غريبة" بقصة الفيلم الأمريكى "المراهقة الصغيرة". فالفيلم الأمريكى يروى لنا كيف استطاعت أم متزوجة من غير والد فتاتها أن تخرج ابنتها من عزلتها لتقبل على الحياة ،و أوعز زوج الأم إلى جار شاب أن يستهوى قلب الابنة ،و ينشأ حب فى قلب هذه الابنة ،و تصدم حين تعرف أن من تحبه يحب غيرها ،و تدور حوادث القصة بعد ذلك و تنتهى بزواج الابنة من الشاب الذى تحبه و التشابه واضح بين القصتين المصرية و الأمريكية".

و المؤكد أن الفيلم الأمريكى ليس بالطبع ،و لكنه فيلم شبابى عاطفى ،و المفروض أن تكون الأغنيات هنا سببا للبهجة ، لكن ما شدت به نجاة لم يكن مبهجا بالمرة هنا ، مثل أغنية "غريبة منسية" "و أغنية"عيد ميلادك يامنى".

و لكمات أغنيات الفيلم كتبها أحمد رامى و مرسى جميل عزيز و صلاح جاهين ، أما الألحان فهى لرياض السنباطى ،و كمال الطويل ،و الغريب أن عبد الوهاب لم يقدم لحنا للموهبة الجديدة فى هذا الفيلم ،و كان عليه أن ينتظر ليقدم لها لحن "لا تكذبى" فى فيلمها التالى.

و قد كتب العنتبلى عن نجاة أنها **"صالحة تماما كمطربة صلاحية لا تتوازن مع صرحيتها كسينمائية ،و خاصة من ناحية صورها السينمائية. و بدرخان – كعادته – المخرج الممتاز للأفلام الغنائية ،و هو يثبت دائما شاعريته الغنائية فى إخراجه للأغانى ،و جملة أن فيلم "غريبة" فيها جهود واضحة يعوزها التدعيم".**

و من فيلم "الشموع السوداء" ١٩٦٣ يتضح أن كل تجارب نجاة فى السينما كانت فى أجواء كئيبة ، يغلب عليها الحزن و الكآبة ، فنحن فى عزبة قريبة من قرية أبو حمص ، تذهب إليها ممرضة قادمة من ملجأ ، من أجل رعاية شاب معقد من النساء ، يعيش فى غرفة مظلمة و هو فاقد البصر ،و هناك جرائم تحاط من حولها،

جرائم قتل ،و خيانة ،و تدفع الفتاة من ثمن براءتها أن تدخل السجن فى جريمة لم ترتكبها ، أى أن أجواء الفيلم لا تصلح قط أن يكون فيلما غنائيا بالمرة.

و قد ظلم عز الدين ذو الفقار نجاة كثيرا ، فالفيلم مدته أكثر من ١٣٠ دقيقة ،و هى موجودة عليها أن تمثل طوال الأحداث ،و الغريب أنها لم تغن سوى ثلاث أغنيات لا أكثر ، مما كشف مواهبها التمثيلية. و من الواضح أن عز الدين ذو الفقار قد قلب الآية تماما بالنسبة للفيلم الغنائى ، سواء من حيث الموضوع أو من حيث عدد الأغنيات ، أو الاستعانة بنجمة غناء لها شهرتها ،و قد راهن ذو الفقار هنا على نجاة كمطربة ،و على لاعب الكرة صالح سليم – كابتن النادى الأهلى وقتها – فكان التمثيل زاعقا من طرف الممثل ، مضطرب من طرف الممثلة.

كما أنه من الواضح أ، المخرج قد حاول الاستفادة من نجاح الأغنية التى ذاعت فى تلك الفترة بقوة و غناها كل من نجاة و عبد الوهاب و عبد الحليم ، فجاءت كمحور الفيلم ،و بدت دخيلة على الحدث ، لكن المخرج أراد أن يضيفها ،و مدة الأغنيات الثلاث طويلة مما خلق الملل. الأغنية الأولى هى "اشمعنى ده" تأليف جميل عزيز و ألحان الموجى و فيها تغنى المطربة متسائلة عن السبب الذى دفعها أن تحب مثل هذا الرجل المصاب بالعقد النفسية و قد غنتها فى جو ليلى خال من البهجة تماما:

إيه هو ده و اشمعنى ده ارتحت له و فتحت له
لما نده
إيه هو ده و اشمعنى ده سهرت له و احترت له
قوام كده

أما الأغنية الثانية فهى شديدة الحزن ، كان عليها أ، تغنيها بعد أن صار عليها أن تغادر لبضيعة ،و أن تنتهى مثل تلك العلاقة ،و قد شدت بهذه الأغنية فى أجواء مظلمة و حزينة كئيبة و هى أغنية "كل شئ راح و انقضى" من كلمات إسماعيل الحبروك و ألحان بليغ حمدى:

كل شى راح و انقضى
و اللى بينا خلاص مضى
بس و حياة اللى فات
و اللى أصبح ذكريات
عمرى ما حبيت ولا اتمنيت
غيرك انت يا حبيبى

أما الأغنية الثالثة المشهورة فهى قصيدة "لاتكذبى" التى نظمها كامل الشناوى و لحنها محمد عبد الوهاب ،و قد جاء فى أحداث الفيلم أن صاحب الضيعة قد نظمها عن خيانة حبيبته أو زوجته ،و لذا فهو لابد أن يتألم بشدة و هى جالسة أمام البيانو نعزف و تغنى على لسان الشاب مرددة:

لا تكذبى إنى رأيتكما معا
ودعى البكاء فقد كرهت الأدمعا
ما أهون الدمع الجسور إذا جرى
من عين كاذبة فأنكر واعدى
أنى {ايتكما
أنى سمعتكما
عيناك فى عينيه
فى شفتيه
فى كفيه
فى قدميه

ويداك ضارعتان ترتعشان من لهف عليه
تتحديان الشوق بالقبلات تلذعنى بسوط من لهيب
بالهمس ، باللمس ، بالآهات
بالنظرات ، باللفتات ، بالصمت الرهيب

و من الواضح أن نجاح هذا الفيلم لم يجعل نجاة تحبس نفسها فى هذا النوع من الأدوار المنكسرة ، خاصة أن أختها سعاد حسنى قد تملكت عرش سينما تلك الفترة كسندريللا خفيفة الظل و الروح ، فكان الفيلمان التاليانينتميان إلى الكوميديا و سينما الشباب فى المقام الأول ، هو "شاطئ المرح" لحسام الدين مصطفى ١٩٦٧ ،و الثانى "أيام الجنة" لفطين عبد الوهاب ؛ أبرز من صنع الكوميديا فى السينما المصرية.

فى الفيلم الأو ،و جدت نجاة نفسها فى أجواء شبابية مرحة عمادها مجموعة من الشباب فى طريقهم إلى الإسماعيلية فى رحلة ، حيث يكلف منصور الشاب حسام ابن أحد أصدقائه بمراقبة و رعاية ابنته نور أثناء قيامه برحلة إلى الإسماعيلية ، تقع نورا فى حب حسام و يبادلها نفس المشاعر ، إلا إنها تعلم بمهمته و أن ما بينهما كان وظيفة يؤديها بأمانة. توافق على خطبتها لشاب عاطل بالوراثة كى تنتقم من حسام ،و لكنها لا تستطيع مقاومة مشاعرها. فى نفس الوقت لا يكف حسام عن محاولاته فى إقناعها بحبه الصادق ، فيعود الوصال و الوفاق بينهما.

صورة
إبنتى العزيزة
بالألوان الطبيعية

إذن فنحن أمام قصة تصلح لفيلم غنائى و كوميدى ،و هناك صناع بهجة مثل حسن يوسف ،و ثلاثى أضواء المسرح و عبد المنعم مدبولى ، فضلا عن أجواء الرحلات. و قد بدا محمد عبد الوهاب و قد تأكد من رهانه القديم على نجاة فلحن لها كل أغنيات الفيلم الثلاثة،و هى من تأليف حسن السيد ،و ليس من بينها أغنية واحدة حزينة ،و هى "القريب منك بعيد" ،و "آه لو تعرف يا حبيب قلبى" ، ثم الأغنية التى تغنيها مع الابنات "عاليادى".

و أغنيات الفيلم إذاعية أكثر منها سينمائية كأن يسنعها المرء فى الإذاعة ، مثل المقدمة الموسيقية العذبة لأغنية "آه لو تعرف" التى صارت مقدمة لبرنامج شعر و موسيقى لأكثر من ١٥ سنة فى إذاعة الشرق الأوسط و التى فيها تردد الفتاة:

آه لو تعرف يا حبيب قلبى
و أنت معايا بأحس بإيه
خللى شوية لبكرة يا قلبى
الحب ده نا أقدرش عليه
بص فى قلبى يا عيون قلبى
شوف كام حاجة بتستناك
باحبك حب خلانى
بخاف من فرحتى جنبك
يشوفها حد يحسدها
و يحسدنى على حبك

و رغم أجواء البهجة التى أشيعت فى الفيلم ، فإن موهبة الممثلة لم تنضج بالقدر الكافى ،و لكن رغم ذلك فإن فطين عبد الوهاب قد قدم لها فيلمها التالى و جاء بنفس المجموعة لتعمل من جديد ، حسن يوسف ،و يوسف فخر الدين ،و رحل أمين الهنيدى محل مدبولى ، أما عادل إمام فقام بدور صديق البطل الذى يولد

الكوميديا ،و قصة الفيلم سبق للسينما المصرية أن قدمتها فى الأربعينات ، حول بائع الفل و ابنة أخته اللذين يبيعان الفل فى الشوارع يرتديان الملابس الرثة و تمشى لتغنى أغنياتها الشهيرة "دوارين فى الشوارع ، دوارين فى الحارات" ، من ألحان الأخوين رحبانى ، إلى أن يتعرفا على الصحفى شكرى ،و الذى يقرر تطبيق ما يجول فى داخل النفس البشرية من نفاق و رياء ، يحول الفتاة كروان إلى هدى ابنة المليونير الطنبشاوى المهاجر ،و يعلن عن وصولهما لمدة سبعة أيام و رغبتهما فى التعرف على أفراد الأسرة ، ينهال على القصر أهل النفاق ، كل يدعى أنه من أفراد الأسرة و تقوم قصة حب بين شاب و بين الفتاة ،و ينافسه على قلبها أحد أصدقائه.

و قد غنت نجاة هنا أربع أغنيات فقط منها "إلا أنت" التى تنشدها حين تحس أن عليها الاختيار بين حبيبها و صديقه:

إلا إنت...
فيها إيه الدنيا إلا أنت

كما غنت نجاة فى الفيلم أغنية الحلم الملونة ، التى تخيلت فيها أنها قريبة من حبيبها و أنها فى جو وردى جميل ،و يقول الناقد عبد الفتاح الفيشاوى عن الفيلم أن حصيلته "إذا استثنيا ابتعاد الفكرة الأصلية ، فيلم كوميدى ،و حصيلته طيبة من ألحان عبد الوهاب و الرحبانية و سيد كامل التى تتوهج بنار المأساة".

و كتب نفس الناقد فى مجلة "الكواكل" عن نجاة لا أعرف السبب الذى من أجله تخاف من الكاميرا ، مع أنها تمتاز بقابلية مع الجمهور و كلامى هذا عن صورتها و صوتها له مكانته. و الأمر يحتاج إلى دراسة لاختيار الأدوار التى تصلح لها ،و أعتقد أن الدور الذى يليق لها هو دور الفتاة المغلوبة على أمرها.

و قد صدق كلام الناقد تماما مع فيلمها القادم "ابنتى العزيزة" لحلمى رفلة ،و هى فتاة مغلوبة على أمرها و منكسرة أكثر من فتاة ملجأ للبنات يأتى إليه رجل أعمال حيث تلفت نظرة الفتاة اليتيمة فاطمة التى ترعى الأطفال ، يعلم من مديرة المدرسة ظروفها التى لم تمكنها من استكمال دراستها بالجامعة فيتكفل بها دون أن تعرف ،و يطلق على نفسه اسم "على" ، تدعوه لصحضور الاحتفال السنوى بالكلية ، ينمو الحب بينهما و يتزوجان.

و قد غنت فى هذا الفيلم أغنيات على طريقة الإذاعة ،و من هذه الأغنيات:

أما براوة ، براوة ، أما براوة
دوار حبيبى يا عينى أخر طراوة

أما الأغنية الثانية فهى:

آه لو تعرف يا حبيب قلبى
و أنت نعايا بأحس بإيه
خللى شوية لبكرة يا قلبى
الحب ده ما أقدرش عليه

أما التجربة الأخيرة فكانت فى "جفت الدموع" ١٩٧٥ ،المأخوذ عم رواية ليوسف السباعى كتبها أثناء الوحدة بين مصر و سوريا ، قامت على قصة حب تولت بين فنانة و بين صحفى عضو فى مجلس الشعب السورى و رئيس تحرير جريدة حزبية سورية. و قد تم تغيير الحوادث تبعا لظروف السياسية المختلفة التى تم أثناءها تصقير الفيلم.

و القصة تدور حول حب بين صحفى و فنانة كحفوف بالمخاطر، باعتبار أن كل منهما شخصية عامة ،و هو رجل متزوج من امرأة لكنه غير سعيد معها ، فزوجته امرأة شديدة القسوة ،و الصحفى سامى كرم يستعد

لخوض معركة على مقعد نقابة الصحفيين ، لذا فإن منافسه فى الانتخابات يحاول استخدام علاقته مع المطربة ،و راحت كافة الأطراف تسعى إلى هدم تلك العلاقة ، فقررت المطربة هدى أن تزيح نفسها عن طريق سامى كى ينجح حتى و إن تألم عاطفيا.

و قد عاد حلمى رفلة مجددا إلى السينما الغنائية فى هذا الفيلم ،و لكنه لم يقدم عملا استرعاضيا مثلما مان فيما قل ، بل اكتفى أن قدم غنائيا أسوة بفيلمه السابق مع نجاة ،و لكن لاشك أن الصراع السياسى و الحزبى يقلل من الفرص المتاحة للاستعراض ،وقد غنت نجاة على صوت فى الخلفية لمحمود يس أغنية "حمد لله ع السلامة":

حمد لله ع السلامة يا أبو أجمل ابتسامة
ياما دقيت فى بعدك على باب الصبر ياما
يا ما استنيت وحيدة مغيرناش ملامة

و هما عادت نجاة مرة أخرى و أخيرة لغناء قصيدة من كلمات نزار قبانى ، هى "متى ستعرف كم أهواك"، من ألحان محمد عبد الوهاب فتقول:

متلا ستعرف كم أهواك يا أملا
أبيع من أجله الدنيا و ما فيها
لو تطلب البحر فى عينيك أسكبه
لة تطلب الشمس فى كفيك أرميها
أنا أحبك فوق الغيم أكتبها
و للعصافير و الأشجار أحكيها
أنا أحبك حاول أن تساعدنى
فإن من بدأ المأساة ينهيها
و أن من فتح الأبواب يغلقها
و من أشعل النيران بطفيها

و حول نجاة الصغيرة فى هذا الفيلم كتب مجدى فهمى فى مجلة "الشبكة":
نجاة أنثى ، أنثى رغم حجمها الدقيق الرقيق. لذا كادت أنوثتها تطغى حتى على صوتها الجميل ،و ساعدتها كثيرا فى أدائها" ، كما كتب فى مقاله: **"فهذا واحد من أنظف أفلام حلمى رفلة.. إذ يقدم فيه لونا من الفطر العاطفى الذى يبكيه العزال بقدر ما يمتع الأبطال".**

صورة

الفصل الثالث و العشرون
الجيل العربى
فايزة أحمد
وردة الجزائرية

هناك علاقة منافسة و تقارب ربطت بين كل من فايزة أحمد القادمة من سوريا ،و وردة الجزائرية التى مرت بمحطات غنائية عديدة منها سوريا قبل أن تأتى إلى مصر.

فما أن لمع نجم كل منهما غنائيا ، حتى أسرعت السينما باجتذاب كل منهما ،و فى سنوات متقاربة عملت فايزة أحمد فى سبعة أفلام بين عامى ١٩٥٨ ، ١٩٦٣ ، منها فيلمان غنت فيهما فقط ، بالإضافة إلى أشتراكها بالغناء بصوتها فقط فى فيلم "الوسادة الخالية" لصلاح أبو سيف عام ١٩٥٧ ، أى أن حصيلتها خمسة أفلام.

و ما أن استمع إلى وردة فى الإذاعة ، حتى فوجئوا بها على شاشات السينما فى فيلمها الأول "ألمظ و عبده الحمولى" ١٩٦٢ ، ثم ظهرت فى العام التالى أمام رشدى أباظة فى "أميرة العرب" من إخراج نيازى مصطفى ، قبل أن تعتزل الغناء و السينما بسبب عودتها إلى الجزائر و زواجها ،و ما أن عادت للفن مرة أخرى فى أوائل السبعينات حتى عادت للعمل بشكل مكثف ، فقامت ببطولة ثلاث أفلام ،و توقفت عن العمل فى السينما إلى أن عادت فى عام ١٩٩٤ بفيلم لم يكتب له أى نجاح.

و وسط هذا الابتعاد و الاقتراب من السينما ، شهدت الساحة الغنائية منافسة قوية بين المطربتين لتزعم عرش الغناء بعد رحيل أم كلثوم.

لكن من المهم أن نتوقف عند الأفلام التى عملت كل منهما فيها ،و هى أفلام تنتمى فى المقام الأول إلى الغناء أكثر من الاستعراض ، فكلتاهما مطربة فقط ،و ليست نجمة استعراضية ،و لم تكن فايزة أحمد ممثلة جيدة و لم تمتلك من الجمال قدرا تتمتع به نجمات طرب من طراز ليلى مراد مثلا ، لذا فإن أدوارها جاءت فى أفلام غير ذات أهمية ، كما أنها لم تقم بالبطولة المطلقة سوى فى فيلم واحد هو "المليونير الفقير" لحسن الصيفى عام ١٩٥٩. أما بقية أعمالها فكانت البطلة الثانية ، سواء فى "أمسك حرامى" لفطين عبد الوهاب ١٩٧٨ ، حيث كانت البطلة الأولى هى أمال فريد ، أو فى "تمر حنة" حيث كانت البطلة الرئيسية هى نعيمة عاكف ،و فى "ليلى بين الشاطئ" لحسين فوزى ١٩٥٩ كانت البطلة الأولى هى ليلى فوزى ،و فى فيلم "أنا و بناتى" لحسين حلمى المهندس ١٩٦١ كانت بطلة مشاركة مع كل من زهرة العلا و أمال فريد و ناهد شريف.

و قد أشرنا أن صلاح أبو سيف أول من استخدم صوتها للغناء ، فجعلها تنشد "أسمر يا أسمرانى" فى إحدى الحفلات بديلا عن عبد الحليم حافظ فى فيلم "الوسادة الخالية" ،و لم يظهر فى الفيلم سوى صوتها ،و كانت فايزة قد حققت مجدها فى هذه الفترة من خلال أغنيتها الجميلة "أنا قلبى إليك ميال".

و رغم أن الشخصية التى جسدتها فى فيلم "أمسك حرامى" هامشية ، فإن الأغنيات التى صدحت بها كانت جميلة ،و ذات قبول لدى الناس ،و تقبل الناس وجودها كصاحبة صوت جميل ،و قد كتبت مجلة "الفن" فى عدد مارس ١٩٥٨ عن الفيلم "**أن المطربة فايزة أحمد لم يكن لها دور رئيسى فى الفيلم ،و لكن الشركة منتجة الفيلم جعلتها ضيفة شرف ، استغلال لاسمها و لشهرتها الفنية ليس إلا!**"

و قد غنت فايزة – ضيفة الشرف – ثلاث أغنيات من ألحان عبد الوهاب "بريئة"كلمات على مهدى ،و "حمال الأسية" كلمات حسين السيد:

حمال الأسية يا قلبى
ظالمينك حبايبى
و تنسى الأسية
طول عمرك يا قلبى
حمال الأسية
ينسوك الحبايب
و لو طال الغياب
تروح تسأل عليهم
ولا يردوش جواب

أما التجربة التالية ، فكانت أيضا أمام إسماعيل يس فى "المليونير الفقير" ،و فيها أدت الدور الرئيسى ، فهى موظفة التليفون التى تكتشف أن أحد النزلاء فى الفندق الذى تعمل به مفلس ، لذا تبلغ عنه ،و فيما بعد تتعاطف معه و تقع فى غرامه ، خاصة أن هذا المفلس قد ورث فجأة ثروة ،و فيما بعد تجد نفسها فى وضع منافسة مع راقصة ترمى شباكها حول حبيبها.

و فى هذا الفيلم غنت فايزة أحمد أيضا اثنين من أغنياتها الشهيرة هما: "ياحلاوتك يا جمالك خلليت للحلوين إيه" من ألحان فريد الأطرش ،و كلمات فتحى قورة ، ثم أغنية العذوبة باسم "عشان بأحبك أنا حرمت عينى النوم" ألحان بليغ حمدى ،و كلمات فتحى قورة.

كما غنت فى الفيلم أغنية مع إسماعيل يس هى "الأسانسير" لحنها عبد العزيز محمود ،و كلمات فتحى قورة ،و غنت أيضا مع نجوى فؤاد أغنية الحلم "أنا ح اتجنن أنا محتارة ، عين فى الجة و عين فى النار" و هى من ألحان منير مراد.

و من المهم هنا أن نسترجع من كلمات أغنيتها "عشان بحبك" ،و هى واحدة من أرق ما غنت:

علشان بحبك أنا حرمت عينى النوم
و اللى بنيته فى سنة راح من إيديه فى يوم
فات اللى فات و انقضى معرفش فات ازاى
مهما مليت الفضا بشكوتى ع النـاى
لا حأرجع اللى مضى ولا ح أعرف اللى جاى
و عشان بحبك أنا

و فى فيلم "تمر حنة" غنت كممثلة مساعدة أغنيتين احداهما ذاع صيتها بقوة فى الشارع العربى آنذاك ،و هى "يا امه القمر ع البـاب" ، مما دفع بحسين فوزى نفس المخرج أن يقدمها فى فيلم آخر هو "ليلى بنت الشاطئ" و فيه قامت بدور المطربة التى تقع فى حب زميلها (محمد فوزى) بينما قبله معلق بحب قريته التى كان يعمل فيها صيادا ،و قد غنت هنا أغنيتين منها أغنية "ليه يا قلبى ليه" من ألحان محمد فوزى.

و قد بلغت قمة تألق فايزة أحمد الغنائية فى فيلم "أنا و بناتى" من إخراج حسين حلمى المهندس ،و رجاء فى الإعلانات أن: "البطولة الغنائية لفايزة أحمد". و الفيلم حول أبو البنات الذى يحمل فوق كاهله عبء تدبير المستقبل الآمن لأربع بنات كلهن فى سن الزواج ، حيث يحال إلى المعاش ولا يجد بين يديه سوى مكافأته ليؤمن مستقبل بناته ،و ليشق طريقا مليئا بالأشواك. لكنه يخسر ماله على غير إرادته مما يدفع بالبنات إلى مواجهة الحياة بلا خبرة و بلا استعداد منهم. واحدة تسقط ثم هناك الابنة التى تغنى فى الملاهى.

و نحن الذين شاهدنا الفيلم عند عروضه الأولى فى أوائل الستينات ، أثرت فينا كثيرا أغنياته التى شدت بها فايزة أحمد ،و هى أغنيات كتبها مرسى جميل عزيز و ألحان محمد الموجى ،و أكدت المطربة أنها صارت مطربة الأسرة ، ثم غنت للأم و الأخ و هى هنا تغنى للأب أغنية "يا به تعالالى" التى تقول فيها و هى تناشد اباها الذى هجر المنزل:

حاسة إنى وحيدة وف دنيا بعيدة
ولا حدش جنبى من كل حبايبى
يا به تعالالى

كما أكدت أنها مطربة الأسرة بأغنية "بيت العز" الذى اشترك فى الغناء فيها ككورس أفراد الأسرة فى الفيلم من زكى رستم إلى ناهد شريف و أمال فريد و زهرة العلا:

بيت العز يا بيتنا ، على بابك عنبتنا
ليها خضرة و ضليلة ، بترفرف ع العيلة
و تضلل يا حليلة من أول عتبتنا
يا بيت العز ، يا بيت السعد ، يا بيت الفرح
يا بيتنا

و من أغنيات الفيلم أيضا "على البساط السندسى" لكن أغنية حيران كانت مؤثرة للغاية و هى تشدو بها لأختها التى سقطت فى الرذيلة:

حيران كده ليه يا حبيبى
زعلان من إيه يا حبيبى
ولا تزعل ولا تحتار
وحياتك ليل و نهار
حبك اقوى من النار
صدقنى صدقنى صدقنى

و هنا كانت رحلة فايزة أحمد مع السينما قد انتهت ، لكنها غنت كمطربة فقط أغنية واحدة فى فيلمين من إخراج محمد سالم ، الأول هو "القاهرة فى الليل" و الثانى هو "منتهى الفرح" ،و فى الفيلم الأول غنت صباح "ملحق ملحق" و شادية "أنا عندى مشكلة" و محمد قنديل "فلاحة بلدنا" و غنت صباح مع فؤاد المهندس "الراجل ده ح يجننى" أما فايزة أحمد فغنت "أتحسدنا ولا إيه":

كل يوم هجر و أسية
يا حبيبى قوللى ليه
بأسألك فكر شوية
اتحسدنا ولا إيه
كنا فى دنيا الهوى أجمل أحبه
كل يوم فى قلوبنا بتزيد المحبة

فى تلك الفترة كان نجم "وردة" قد صعد بشكل ملحوظ فى الغناء و السينما ،و تم الرهان عليها و أنتج لها المنتجون فيلمين من الأعمال الضخمة الإنتاج ، الأول تاريخى و هو "ألمظ و عبده الحامولى" ١٩٦٢ ،و الثانى من فانتازيا ألف ليلة هو "أميرة العرب".

صورة
وردة الجزائرية فى "أميرة العرب" إنتاج ١٩٦٣
صورة
فايزة أحمد مع رشدى أباظة فى "تمر حنة"

و كانت وردة قد ظهرت فى السينما كمطربة بأفضل صورة فى فيلمها "ألمظ و عبده الحامولى" و وضعها حلمى رفلة فى صورة المغنية التى يمكنها أن تواصل المسيرة فى السينما الغنائية ، فغنت من ألحان عبد الوهاب و فريد الأطرش و بليغ حمدى ،و استمع الناس إلى أغنية "يا نخلتينفى العلالى" و هى ترتدى زى المطربة ألمظ ، كما تركت صدى أفضل و هى تردد أغنية "روحى و روحك حبايب":

أنا فؤادى ميتم من قبل يوم التلاقى
و ربى هو اللى يعلم محبنى و اشتياقى
اكتب لى فى الحب نايب و طل على العشاق طله
روحى و روحك حبايب
من قبل جا العالم و الله

أما فيلمها الثانى المصاغ فى إطار حكاية فانتازية حول الأمير محبوب الذى طلب منه عمه الملك أن يبحث له عن صاحبة الشعرة الجميلة الطويلة ، فراح يفتش عنها ،و عندما عثر عليها أحبها و لكنه ضحى بحبه من أجل عمه ، لكنه عرف أن العم يدبر له مؤامرة للتخلص منه.

و الفيلم مستوحى من الأسطورة العالمية الشهيرة ترستيان دايزولت ،و لكنها محكاة هنا على طريقة قصص ألف ليلة و ليلة ،و فى أجواء عربية. و قد صور الأميرة التى عاشت فى أحضان الترف و النعيم يحبطها والدها بكل ألوان البهجة و السعادة ، لكنها كانت تحس بوحدتها و بالفراغ الذى تعيش فيه. كانت تحس بلدغة الحرمان فى قلبها ،و كان يضنيها و يقلقها أنها و هى الأميرة الفاتنة النضرة الشباب ، لا تجد من تحبه.

و قد غنت وردة فى هذا الفيلم أغنيات أخرى من ألحان كمال الطويل و عبد الوهاب و بليغ حمدى ، ساهمت فى رفع اسهمها السينمائية ، لكنها كانت على موعد مع الاعتزال المؤقت.

و قد كان حلمى رفلة وراءها دوما فى هذه الأفلام فهو الذى أنتج لها فيلم "أميرة العرب" ،و هو الثرى الذى استقبلها عند عودتها ،و قدمها فى فيلم "صوت الحب" ،و اختار لها قصة قديمة سبق للسينما المصرية أن قدمتها مرارا فى أفلام غنائية منها "ما أقدرشى" ،و "قمر ١٤" ، حول الزوجة التى يرد الابن أن يتزوجها لكن الأب يقف ضد زواجها لوضعها الاجتماعى المتدنى ، فتدخل المنزل من الباب الخلفى كممرضة أو سيدة منزل و تثبت أنها جديرة بالزواج من الابن.

و شتان بين خفة كاميليا و تحية كاريوكا فى الفيلمين المذكورين و بين جمود وردة فى فيلم "صوت الحب" ١٩٧٣ التى جسدت دور الممرضة من ،و التى تنجح فى حل مشاكل الأسرة فيحبونها ،و قد غنت وردة فى هذا الفيلم أغنيات العودة.

أما الفيلم الذى كان تتويجا لنجاح وردة الجزائرية ، فهو "حكايتى مع الزمان" لحسن الإمام ١٩٧٣ ، حيث اجتمعت فيه أسباب عديدة للنجاح الجماهيرى ، فضم الاستعراض و الأغنية الفردية ،و التصوير خارج الحدود ، بالإضافة إلى القصة الإنسانية ، حول المطربة المشهورة. إذن فنحن هنا فى عالم الغناء و لسنا أمام ممرضة تغنى ، بل هى مطربة. هذه المرأة تتزوج من رجل أعمال و تنجب منه ثم يحدث اختلاف بين الاثنين فينفصلان دون طلاق ،و تعود إلى الحياة الفنية مرة أخرى. عليها أن تسافر إلى لبنان مع الفرقة التى تعمل فيها فيتم تهريبها فى أحد الصناديق بالمركب التى تقلهم إلى هناك و تقع فى غرام مخرج الفرقة ، لكن ابنتها تنجح فى لم شمل أبيها و أمها من جديد فى واحدة من أجمل الأغنيات السينمائية التى غنتها وردة فى حياتها،و هى أغنية تحمل عنوان الفيلم ، لحنها بليغ حمدى و فيها تقول:

كان... ده كان
كان اسمه حبيبى
كتبنا ع السنابل
كلمة و فيها الهنا
و قلنا تحلو السنين
ودارت الأيام
و صحينا فى الآلام

و كان من الواضح أن حسن الإمام لا يزال فى الجو الإبداعى لفيلمه "خللى بالك من زوزو" فلم يشأ أن يقدم عملا عن راقصة تهز بطنها و تحب ابن البشاوات ، بل أن المطربة هنا تعمل فى فرقة استعراضية و نحن نرى البروفات التى تتم من أجل حفل كبير ، كما أن الأغنية من طراز "وحشتونى" بدت متناسقة مع حدث عودة المطربة إلى الفرقة عقب انفصالها عن زوجها حيث تردد بصوتها القوى

المطربة: وحشتونى.. وحشتونى
الفرقة: أهلا.. أهلا بأعز الحبايب
أهلا.. أهلا بالقمر اللى غايب
يا قمرة وحشتينا.. نورتى ليالينا

ثم تردد المطربة أنها قد افتقدتهم و اشتاقت لهم ،و تم إخراج الأغنية فى أجواء تعكس قدرة حسن الإمام على تحويل مثل هذه المواقف إلى استعراض ، حيث ترقص لبلبة و نبيلة السيد ، أما الأب الروحى للفرقة يوسف وهبى فيبدو بالغ السعادة لأن واحدة من بنات الفرقة قد عادت إلى فنها.

و قد امتلأ الفيلم بأغنيات شدت بها وردة ولقت نجاحا فى تلك الفترة ولا تزال جميعها فى أذهان الناس ، منها "لولا الملامة" كلمات مرسى جميل عزيز ،و ألحان عبد الوهاب:

لولا الملامة يا هو لولا الملامة
لأفرد جناحى ع الهوى زى اليمامة
و أطير و ارفرف فى الفضاء
و أهرب من الدنيا الفضا

و أغلب أغنيات الفيلم تنتمى إلى النوع الخفيف ، الخالى من الحزن ، عدا أغنية الشجن الأخيرة التى تحمل عنوان الفيلم ، من هذه الأغنيات "بكرة يا حبيبى" تأليف عبد الرحيم منصور و ألحان كمال الطويل:

بكرة يا حبيبى يحلو القمر
بكرة يا حبيبى يحلو السهر
و أن و أنت يا حبيبى نعيش يا حبيبى
حبايب حبايب الحب فيها غايب
غايب يا حبيبى

كما غنت لحن محمد الموجى "عيونى عطشانة" التى تقول فيها:

"يا عيونى ليه تنامى.. ليه تنامى يا عيونى

و قد ترك الفيلم صدى طيبا لدى الجمهور و النقاد ، حيث حصل الفيلم على ست جوائز من عدة مؤسسات حسبما جاء فى كتاب "حسن الإمام" ، الذى كتبه محمد عبد الفتاح ،و فى هذا الكتاب يقول المؤلف: "**إن أغنيات الفيلم تقدم بصورة تنم عن جمال الإحساس بالنغم و الصورة ،و يستخدم حسن الإمام كل مهاراته الحرفية و يقدم أغنية"بكرة يا حبيبى يحلو السهر" مستغلا كل إمكانيات السينما من المونتاج فى اختزال الوقت ،و القطع ليدل على تغيير الزمن ،و استغلال المشاهد المختلفة ، الشوارع ، المحلات ،مناظر لبنان ، ليدل على تغير المكان و تغير الظروف ، فالأغنية تبدأ و حقائب السفر يحملها الخدم على السلالم ثم تقطع على مناظر لبنانية ليشعرنا بالانتقال الزمنى و المكانى".**

و عن وردة يقول: "**يقدم الفيلم صورة جيدة للفنانة وردة لا تملك إلا احترامها و تقديرها و التعاطف معها خلال مواقفها المتعددة ، فهى قوية قادرة تستطيع أن تحقق نجاحها بموهبتها ،و أن تطالب بحقوقها فى ندية كاملة من زوجها".**

و جاءت التجربة التالية لوردة الجزائرية بعد أربع سنوات من خلال على رضا الذى قدم العديد من الأفلام الاستعراضية و الغنائية ،و ذلك فى "آه يل ليل يا زمن" ، حيث نجد أنفسنا أمام قصة سياسية فى المقام الأول ، لكن فاتن البلتاجونى حاضرة طيلة الأحداث ، منذ أن كانت ابنة باشا ، إلى أن طفعت ثمن مواقفها ، فتمت مصادرة أموال أسرتها بعد وفاة ابيها و رفضت أن تسلم جسدها لرجال الحراسة مقابل استعادة أموالها ،و هاجرت من مصر إلى باريس ،و هناك غنت لباريس و هى مع حبيبها الذى ركبت معه عبارة فوق نهر السين ،و إلى جوار برج إيفل ، ثم تعرفت هناك على عدة نماذج من البشر. صدمت فى حبها بعد أن غنت له ، ثم غنت من الصدمة ،و فوجئت بضابط كانت قد وقفت يوما إلى جواره يطلب منها أن تعود إلى مصر. و تنمو بين الاثنين قصو حب رغم أن الضابط متزوج ،و يقنعها بالعودة إلى بلادها.

و قد شدت وردة على حرف الباء و هى تغنى لباريس. كما غنت أغنية فرنسية شهيرة فى تلك الآونة "غنى ، فالحياة تغنى" ، بكلماتها الفرنسية و التى تقول:

غنى تغنى لك الحياة
و كأنك سوف تموت غدا

و كا ألحان الفيلم من وضع بليغ حمدى الذى كان مرتبطا حياتيا و فنيا بالفنانة فى تلك الفترة ، فكان لها كل أعمالها سواء فى السينما أو خارجها ،و قام بتأليف هذه الأغنيات كل من عبد الوهاب محمد و محمد حمزة و سيد مرسى و عبد الرحيم منصور.

و قد ابتعدت وردة فيما بعد عن السينما تمام لمدة سبعة عشر عاما انفصلت خلالها عن بليغ حمدى فنيا و زوجيا و بدأت فى تنويع حياتها الفنية ،و وجدت نفسها خالية من المنافسة الساخنة بعد وفاة فايزة أحمد ،و فى عام ١٩٩٤ قدمت تجربة سينمائية لم تحسب كثيرا لها ،و هى "اليه يا دنيا" لهانى لاشين و يهمنا هنا أن تقتطع ما كتبه الناقد كمال رمزى عن الغناء فى الفيلم: **"نعم حاول هانى لاشين أن يتجنب الأمراض المزمنة للأغنية فى الأفلام العربية ،و فى مقدمتها متابعة البطل "المطرب" أو "البطلة" "المطربة" و هى تطلق عقيرتها بالغناء. بينما شريكها يتابعها مبتسما بلا معنى ،و لكنه – لاشين – لم يفع أكثر من ترجمة كلمات الأغنية إلى صور و لقطات مباشرة على الشاشة فإذا تعرضت الأغنية إلى موجات البحر تقدم الكاميرا موجات البحر ،و إذا تحدثت الأغنية عن السفر ، ظهر سفينة على الشاشة ،و لعل مشكلة أغانى "اليه يا دنيا" تكمن فى طولها المسرف من ناحية ،و الألحان التطريبية التى وضعها كل من محمد سلطان و صلاح الشرنوبى و إبراهيم رأفت و إبراهين فهمى من ناحية أخرى".**

صورة
وردة الجزائرية فى أول فيلم لها
"ألمظ و عبده الحامولى" من إنتاج الستينيات

الفصل الرابع و العشرون
عائلات غنائية
اسمهان
سعد عبد الوهاب
منير مراد

هل هناك علاقة بين نجاح مطرب ما و اسمه العائلى؟

أو بصياغة أخرى ، هل يمكن أن يكون لأبناء نفس العائلة ، قوة الصوت و جاذبية الشخص ،و تادفق الموهبة؟

ليست هناك إجابة محددة بالطبع ، لأن كل الحالات التى أمامنا لا تحتوى قاعدة يمكن الوقوف عندها ، فأبناء محمد عبد الوهاب لم يحترفوا الغناء سواء فى حياته ، أو مماته بينما لمع اسم ابن أخيه سعد فى الغناء و السينما ،و قد ندر أن نجد مطربا شهيرا ، خاصة من الذين لمعوا فى السينما و قد حظى أحد أبنائه بنفس الشهرة ، أو عمل فى مجال الغناء ،و الأمثلة أمامنا كثيرة من محمد فوزى ،و إسماعيل و محمود شكوكو و ليلى مراد و نجاة الصغيرة و نجاح سلام و هدى و عبد العزيز محمود و كارم محمود و غيرهم.

لكن هذا لا يعنى أننا أمام ظاهرة تختلف ، فكثيرا ما ظهر فى نفس العائلة اثنان لمعا بنفس القدر أو بدرجات متقاربة ،و ربما أكثر من نفس العدد ،و سوف نتوقف فى حديثنا هنا عند أبرز ثلاث حالات عملت بين الغناء و السينما الغنائية ،و ذلك لبروزها ، الأولى هى أسمهان شقيقة فريد الأطرش ،و الثانية منير مراد

شقيق ليلى مراد ،و الثالثة حالة سعد عبد الوهاب ،و ذلك باعتبار أننا توقفنا عند كل من الشقيقين محمد فوزى و هدى سلطان فى فصول أخرى من هذه الدراسة.

أسمهان مثلا بدأت مع أخيها فى نفس الفترة ، جاءت معه من جبال الدروز ،و غنيا معا فى الصالات ،و قاما ببطولة نفس الفيلم الأول لهما "انتصار الشباب" لأحمد بدرخان ١٩٤١ ،و جسدا شخصيتى شقيقين يعملان فى الفن و غنيا معا ،و أيضا غنى كل منهما وحده ، ثم غنت أسمهان أجمل أغنياتها التى بقت حتى يومنا هذا فى فيلمها الثانى "غرام و انتقام" ليوسف وهبى ١٩٤٤.

يقول سامى السلامونى فى مقال له عن الفيلم الأول "واضح أن أحمد بدرخان عندما أراد أن يقدم أسمهان و فريد الأطرش فى "انتصار الشباب" كان يفكر فى تقديم قصتهما الفعلية كمغن و مغنية شقيقين جاءا من بلدهما سوريا فى ظروف صعبة ليبحثا عن فرصة لموهبتهما فى القاهرة.

و المعروف قصته ، هو حالة من الغنائية السينمائية بين الأخوين ، فالأخزان يأتيان من الشام ينتظرهما مستقبل غامض و هما ليسا من الأثرياء ،و عليهما الكفاح من أجل أن يكون لهما مكان فى عالم الأغنية. و كما كتب السلامونى فى مجلة "فن" يلجأ الفيلم إلى حيلة ساذجة للكشف عن موهبة فريد و أسمهان فى الغناء التى تصبح محوره كله بعد ذلك ففريد يغنى موالا جميلا فى حجرته:

صون الخدود فى شبابك عن دموع العين
يوم انتصار الشباب للصابرين موعود
بكره دموع الفرح تمحى دموع البين

"أنه موال يلخصص موضوع الفيلم كله ، بل و يتضمن عنوانه نفسه و يؤكد على ضرورة انتصار الشباب على الرغم من أى معاناة ،و لكن لا يتورع الفيلم و بجرأة كانت عادية جدا فى مثل هذه الأفلام عن حشد أهالى الحارة كلهم الذين تركوا أشغالهم و وقفوا تحت نافذة فريد الأطرش ليسمعوا بإعجاب و يطلقوا الآهات. و بهذا يكون الفيلم قد أكد للجميع و من البداية أن بطله صوته جميل جدا. و يبقى دور البطلة ،و هنا تجد أسمهان تغنى أيضا فى حجرتها و بصوتها الجميل الحزين:

يا ليالى البشر يا أحلى الأمانى
أين أنت الآن من هول هوانى

و قد بدا هنا أن أسمهان قد بدأت سينمائيا بغناء القصائد ،و هى التى غنت فى أوبريت "مجنون ليلى" سينمائيا فقط بصوتها قبل ذلك بعامين. و سط صعود الآخرين فى عالم الغناء ،و وقوع الفتاة فى حب شاب ثرى سوف يعترض أهله على اقترانه بها ، فإن أسمهان سوف تغنى بين وقت و آخر مجموعة من أغنياتها الشهيرة ،و منها:

يا بدع الورد يا جمال الورد
من سحر الورد قالوه ع الخد

ثم هى تغنى فى موضع ثالث من الأحداث:

الشمس غابت أنوارها
و الكون بقى فى ظلام الليل
و الدنيا سكتت أطيارها
و كان غناها شجى و جميل

و قد شاركت أسمهان الغناء مع أخيها فى مواضع أخرى من الفيلم مثل أغنيتهما:

إيدى فى ايدك تسير و المولى راعيها
ليه تشتكى أرضنا و النيل ساجيها

و الملاحظ على كلمات الأغنية أنها تمزج بين اللغة العامية ، فى كلمات قليلة ،و الفصحى فى أغلب مفرداتها اللغوية.

و قد توقفت أسمهان قرابة عامين عن العمل بالسينما كى تعود فى فيلمها الثانى و الآخير ،و الذى قامت بدور المطربة سهير ،و لذا فمن حقها أن تغنى كل هذه الأغنيات الكثيرة التى بلغ عددها الست كللت كلها بنجاح سينمائى ،و إذاعى ، جعل من أسمهان منافسة قوية لكل الجيل الذى كان يغنى سينمائيا فى تلك السنوات،و لو نظرنا إلى أغلب أغنيات أسمهان الست هنا ، فسوف نرى أنها أشبه بورقة اللعب التى تكسب الرهان على المائدة ،و نحن نقصد هنا المقام الأول الأغنية السينمائية ،و مدى نجاحها عند خروجها من صالات العرض كى يغنيها الناس فى حيواتهم الخاصة ،و مدى ذيوعها فى الإذاعة.

ولا شك أن الأغنيات الست باقية فى أذهان الناس حتى الآن ،و هى "أيها النائم" من تأليف إيليا أبو ماضى ،و ألحان رياض السنباطى ، ثم "ليالى الأنس فى فيينا" تأليف أحمد رامى و ألحان فريد الأطرش ، ثم "أنا اللى أستاهل كل اللى يجرى لى" كلمات بيرم التونسى ،و ألحان محمد القصبجى ، "ويامين يقول لى أهوى أسقيه بإيدى قهوة" كلمات الشناوى و ألحان فريد الأطرش. هذا بالإضافة إلى أغنية سياسية عن "مواكب النصر" تم حذفها بعد الثورة لأنها تمجد أسرة محمد على ،و قد تحدثنا عنها بالتفصيل فى مكان آخر من هذه الفصول.

و الفيلم رغم غنائيته فإنه قائم حزين ، يدور فى أجواء الموت و محاولة الانتقام ،و دفع العاشق القاتل إلى الاعتراف بأنه قتل وحيد ، الثرى الذى تزوج من سهير المطربة ليلة زفافهما ،و ذلك لأن القاتل الموسيقار جمال حمدى انتقم لشرفه من العريس الذى غرر بأخت جمال. إذن فنحن هنا أمام أشخاص يكسر الألم و الحزن ظهورهم ، من العروسة المطربة إلى جمال حمدى الصامت دوما ، إلى الأخت التى تحمل عارها فى جسدها ، ثم نهاية الفيلم التى تغيرت بموت البطلة ،و جنون الموسيقار بعد أن ماتت أسمهان فى نهاية تصوير الفيلم.

و حتى لو لم تمت أسمهان ، فإن موضوع الفيلم ملئ بالأجواء السوداء مثل مشهد اعتراف جمال حمدى لسهير بما ارتكبه ،و حين عرف بخطيئته أخته ،و غيرها ،و رغم ذلك فإن أسمهان قد أعطت جوا ملحوظا من البهجة للفيلم عندما غنت فى إحدى الحفلات و كان جمال هناك و إلى جواره زميله:

أمتى ح تعرف اكتى أنى باحبك امتى

فيروح صديقه ينبه إلى "سامع يا أخى" كى يجعله يشعر بمدى الحب الذى تكنه له سهير. كما بدت أسمهان أيضا مليئة بالبهجة و هى تغنى "أنا أهوى.. يا مين يقول لى أهوى.. أسقيه بايدى قهوة" ، ثم الاستعراض البالغ الفخامة:

متع شبابك فى فيينا دى فيينا روضة من الجنة
نغم فى الجو له رنه سمعها الطير بكى و غنى

و أغلب أغنيات الفيلم شدت بها سهير فى حفلات عامة و أجواء احتفالية ، مثل "مواكب النصر" ،و "ليالى الأنس" ،و "أمتى ح تعرف" ،و "يامين يقوللى أهوى" و لكنها غنت لنفسها فقط كإنسانة جرت الأهوال إلى طريقها ،و هى تردد: "أنا اللى استاهل كل اللى يجرى للا".

كا نت أسمهان أبرز وجوه الطرب الذى جاء إلى السينما من خلال أجواء عائلية خلال الأربعينات.

و فى نهاية هذا العقد ، ظهر سعد عبد الوهاب ، من عائلة محمد عبد الوهاب ،و فى الوقت الذى استمر فيه فريد الأطرش فى السينما بعد رحيل أخته ، فإن محمد عبد الوهاب كان قد توقف عن العمل فى الأفلام عندما بدأ ابن أخيه رحلته مع الطرب و السينما ،و كأنه يستكمل المسيرة.

و حسب ما جاء عن سعد عبد الوهاب فى موسوعة "الغناء المصرى" لمحمد قابيل "أنه عاش طفولته و شبابه مع عمه محمد عبد الوهاب فى بيت العائلة مع جده ،و شهد إنتاج الموسيقار الكبير و عمل البروفات على أعماله.

و عندما ظهر سعد عبد الوهاب على الشاشة عام ١٩٤٩ فى "العيش و الملح" ، كان عليه أن يكتسى ببعض سمات عمه ، مثل الطربوش ،و نفس النظارة فيما بعد ،و لكن مع اختلاف الأدوار ، فقد كان عليه أن يقف أمام وجه جديد تم الرهان عليه من قبل المخرج حسين فوزى هى الممثلة الاستعراضية نعيمة عاكف.

و من البداية يبدو سعد عبد الوهاب كأنه ليس المطرب الأوحد فى الفيلم ، فهناك مجموعة كبيرة من الشخصيات تشارك فى البطولة و الاستعراضات ،و هناك أجواء شعبية مثال مبهج.

صورة

إعلان فيلم "علمونى الحب" إخراج عاطف سالم

و الفيلم حول حارة باسم "العيش و الملح" يعيش فيها الناس بسطاء ،و هناك قصة حب تربطه مع واحدة من بنات الحارة ، هو يعمل عند أحد الأثرياء ، فجأة تتغير الفتاة و تعرض عن حبه ،و تسلك طريقا شائكا لا يتفق مع طبائع حارة العيش و الملح. يبدأ الشاب فى انقاذ تصرفاتها ، لكن يتضح أنها تتعرض لظروف خاصة بأسرتها ،و هنا يتضامن أهل الحارة معا فى سبيل التغلب على مصاعب الحياة التى تتعرض لها الفتاة ،و لكنهم لا يستطيعون معها سبيلا ، فتهرب الفتاة من الحارة كى تعمل فى ملهى ليلى. يتعرض الشاب لضغوط فى عمله بشركة الرجل الثرى الذى يثق به ثقة عمياء و يحاول البعض الإيقاع بينه و بين صاحب الشركة. يتضمن أهل الحارة من جديد لإثبات نزاهة الشاب ،و تعود الفتاة لتقف إلى جواره ، تتحسن الأمور مرة أخرى و يعود الشاب إلى عمله نظيفا كما كان و تتحسن الأمور الخاصة بعائلة الفتاة ليتزوجا فى النهاية.

الموضوع إذن يناسب السينما الغنائية ،و قد مزج حسين فوزى فيلمه بين الاستعراض و الغناء و الكوميديا ،و قد غنى سعد عبد الوهاب هنا من ألحان عمه أغنيات مثل "العيش و الملح" و هى أغنية جماعية أشترك فى أدائها أهل الحارة بالإضافة إلى أغنيات أخرى مثل "أحبك" و "ماكنتش فاكر يجى يوم أقول باحبك" ،و الجدير بالذكر أن السينما أعادت إخراج هذا الفيلم عام ١٩٧٧ باسم "المزيكا فى خطر".

و قد أسرع حسين فوزى بالاستعانى بسعد عبد الوهاب ليقدمه فى فيلمه الثانى و أشترك معه صباح ،و وضع أبطاله فى أجواء الموسيقى ، فصباح هنا فى توتة التى تعشق الموسيقى و الغناء ، تأتى من لبنان مع زميلتها هند عاشقة الأدب و الفلسفة ،و تلتحق كل منهما بالمعهد الذى توده ، لكن تبعا لأوامر العائلة فإن كل منهما تحل مكان الأخرى فى المعهد الذى يختاره الأهل ،و بذا تصبح مغنية ،و هند أدبية. و تقع توتة فى غرام موسيقار إلى أن يتم اكتشاف الحقيقة فيقتنع الأهل بما أنجزته كل فتاة.

و فى نفس السنة قدم حسين فوزى فيلمه الثانى الذى جمع فيه كل من صباح و سعد عبد الوهاب باسم "أختى ستيتة" ، كما جمع أيضا أبطاله المألوفين من نجوم الصف الثانى مثل حسن فايق ،و نحن هنا فى أجواء غنائية حول نبيل المطرب الذى تعشقه الحسان. زميلته أنوار تحبه بينما يكرهه سكرتيره هدهد ، تعمل أنوار مع زميل له يدعى كمبوشة بمسرح متواضع فى روض الفرج ، تحب نبيل و تصمم أن تفوز به كزوج.

تتقابل مع أم ستيتة التى تخبرها أن نبيل هو ابنها فى الرضاعة مع ابنتها ستيتة. يكتشف نبيل خدعتها و يطلب منها أن ترحل. تحدث لها حادثة فى الطريق. يذهب نبيل إلى المستشفى فلا يجدها ، يبحث عنها ،و مع العديد من المواقف تتضح الحقيقة و تنشأ بين أنوار و نبيل علاقة حب تنتهى بالزواج.

فى مثل هذه الأفلام فى تلك السنوات ، لم يكن المهم هو القصة ، بل أن القصص يجب أن تكون ساذجة و خالية من الصراعات الحادة ، مليئة بأجواء البهجة ، حتى يجد المتفرج نفسه فى أجواء تناسب الضحك و البهجة التى يصنعها الغناء. و قد حدث هذا بشكل واضح فى الأفلام التى قام ببطولتها سعد عبد الوهاب ، فهى تدور فى أجواء شعبية ،و الغناء فى أغلبها جماعى ،و يبدو هو شخصا بسيطا مليئا و قادر على الغناء.

و لذا فإن حسين فوزى ظل يراهن عليه لفترة ، حتى أحس أنه قد استهلك منه ما يوده و فى نفس العام ١٩٥٠ جمع بين و بين نعمية عاكف ثم أبطال آخرين يعمل معهم غالبا ، منهم عباس فارس و لولا صدقى فى "بلدى و خفة" ،و كانت نعيمة عاكف هى البطلة للمرة الثانية أمامه.

و الفيلم يدور أيضا فى أجواء شعبية من خلال حارة شعبية ،و هناك قصة متشابهة للعيش و الملح ، فالشاب محروس موسيقار قنوع ، أما حبيبته هنومة فثائرة متمردة ، يبتسم الحظ لمحروس عندما تدعوه حبايب لإحياء حفل خاص ، تقدمه لعشيقها خالد بك فيتفق معه على تلحين أوبريت و فى نفس الوقت يسعى لإغراء هنومة للمجد و المال فتهرب من الحارة ،و يظن أهل الحارة أن وراء هذا محروس فتقلب ضده ، ثم تظهر الحقيقة.

هى إذن نفس الأجواء و الأغنيات ، فهو يغنى مع صباح "قطعنى حتت" و "بنات البدر" من ألحان السنباطى و "اليومين دول" ،و كان على سعد عبد الوهاب أن يغير من إيقاعه و عالم الحارة التى مثل فيها أربعة أفلام فتلقفه حلمى رفلة عام ١٩٥١ ليقدمه فى فيلم "بلد المحبوب" أما تحية كاريوكا ،و هو هنا يقوم بدور فتى ريفى يملك أبوه مئات الأفدنة ، تصل رسالة إلى الأب من صديق مقيم فى القاهرة يذكره باتفاقهما بأن تتزوج ابنته من ابنه ، ترفض الفتاة الزواج من الفتى الفلاح و يعترف الأب بغرضه من هذا الزواج لحاجته إلى المال ، فتبوح له أنها تحب ابن عمها المفلس ، يتعرف الفتى الريفى على راقصة لتعلمه أصول الحياة العصرية ، ثم يتزوج من ابنة صديق والده. تراه زوجته و هو ينزلق إلى الهاوية و يعطيها مبلغا كبيرا و يهجر المنزل للراقصة ، يحضر الأب من الريف و تعلن الزوجة أنها تحبه فتضحى الراقصة من أجل سعادة الحبيبين.

و القصة كما نرى فيها تشابه واضح بين فيلم غنائى آخر أخرجه رفلة لمحمد فوزى قبل ذلك بعام واحد هو "فاطمة و ماريكا و راشيل" ،و قد غنى سعد عبد الوهاب هنا من ألحان عبد الوهاب و كلمات الإبيارى العديد من الأغنيات منها "حلوين كده ليه ، طعمين كده ليه" مع إسماعيل يس ،و "قالوا البياض أحلى" ، ثم استعراض "هن هن" الذى جسده كل من إسماعيل يس و شريفة ماهر و سعاد مكاوى و سعد عبد الوهاب.

و قد سار سعد فى درب عمه من خلال الشخصيات التى يجسدها ، فهو الموظف الأنيق الذى يرتدى البدلة، الطموح صاحب الكبرياء حتى و إن كان فقيرا و يسكن حيا شعبيا. و بعد أن توقف عن التمثيل لمدة أربع سنوات عاد عام ١٩٥٥ فى فيلم "أمانى العمر" من إخراج سيف الدين شوكت ليقوم بدور رجل أعمال يخسر أمواله فيقرر أن يمتهن المحاماة. و يقع بين طرفى امرأتين ، الأولى هى التى أحبها ففضلت عليه رجلا ثريا،و الثانية أحبته و وقفت إلى جانبه فى محنته و ساعدته دوما.

و لعل أهم أفلام سعد عبد الوهاب و أكثرهم نجاحا هو فيلمه الأخير "علمونى الحب" لعاطف سالم ١٩٥٧، فنحن أمام قصة حب كثرت مرات إنتاجها فى السينما ، حول أصل الحب ، هل نحب الأشخاص من خلال ما يكتبون لنا من خطابات ، أم ما يتسمون به من سمات ،و نحن هنا أمام علاقة بين تلميذة و أستاذها. و سامى

الأستاذ هنا يعيش فى الريف ثم ينتقل إلى مدرسة للبنات فى القاهرة ،و يعيش فى منزل صديق له يعيش مع زميل ثالث و يبدأ سامى عامه الدراسى باستقبال حافل يذوق المر على أيدى تلميذاته ، ثم يحب إحدى تلميذاته.

و فى الفيلم غنى سعد عبد الوهاب أكثر أغنياته بهجة و أشهرها ،و هى من ألحان عمه و منها "من خطوة لخطوة يا قلبى ، جانا الأمل مغلوب ، فيه قلوب بتبعد و تخبى ، كدبت على المكتوب" و أغنية "قلبى القاسى.. يحب و يصبح ناسى.. يشغل روحه ليه" و "الدنيا ريشة فى هوا.. طايرة من غير جناحين" ،و "على فين واخدانى عنيك.. يا سقينى الشوق بايديك.. دانا قلبك يا ما قسيت من الناس.. يبقى أنت و هم عليا".

و قد اختفى سعد عبد الوهاب تماما من السينما بعد هذا الفيلم رغم أن نجاح هذا الفيلم و جمال أغنياته كان يمكن اعتباره بمثابة قفزة لم يسبق له أن حققها ،و خاصة أن كلا ملابسات الفيلم تؤكد أ،ه المستقبل ، فها هو عبد السلام النابلسى صديق البطل فى أفلام فريد الأطرش و عبد الحليم حافظ و أيضا أحمد رمزى صديق عبد الحليم فى أفلامه ؛ يقومان معا بدورى صديقيه ،و تقف أمامه إيمان التى وقفت أمام فريد الأطرش و عبد الحليم فى أفلام سابقة..

المطرب الآخر الذى ينتمى لعائلة فنية هو منير مراد ،و هى ابن الملحن المشهور زكى مراد شقيق ليلى مراد ،و قد بدأت علاقته بالسينما من خلال عمله كمساعد مخرج و عامل كلاكيت ، ثم اتجه إلى التلحين و التقليد ،و الغناء ،و لحن عشرات الأغنيات السينمائية. و قد عمل فى ثلاثة أفلام ، منها فيلمان كبطولة مطلقة هما "أنا و حبيبى" لكامل التلمسانى ١٩٥٩ ،و "نهارك سعيد" لفطين عبد الوهاب ١٩٥٥ كما اشترك فى بطولة فيلم "موعد مع إبليس" للتلمسانى ١٩٥٥ ،و عاد للظهور مرة أخرى فى فيلم "بنت الحتة" عام ١٩٦٤ من إخراج حسن الصيفى.

و فى فيلمه "أنا و حبيبى" حاول منير مراد أن يكشف كل مواهبه فى عالم الغناء و كان هو البطل المطلق طيلة الأحداث لدرجة أن شادية لم تظهر فى الأحداث إلا فيما بعد دقائق طويلة ،و هو هنا اسمه منير ، فنان شاب يحاول استغلال مواهبه و الصعود إلى سلم المجد ، تصادفه الكثير من المتاعب ،و يتعرف على فنانة شادية تلحقه معها بالعمل فى الملهى الذى تعمل به ، يتدخل مدير الملهى لإفساد هذه العلاقة لأنه يطمع فى الزواج منها و للستولى على أموالها و تكاد تنجح خطته إلا أن ضميره يستيقظ و يعود الحب إلى الحبيبين.

ولا شك أن أجواء الفيلم تناسب الغناء ، ففى أيام الفقر يغنى منير مع صديقه و الحصان أغنية "احنا التلاتة.. تمللى تلاتة.. نزعل قوى لو نبقى اتنين" ،و عندما يغنى منير على المسرح فإنه يقوم بقليد غناء العديد من المطربين و هى ظاهرة انتشرت فى تلك الآونة برعت فيها فيروز و لبلبة و أيضا منير مراد ثم سيد الملاح بعد ذلك بعشر سنوات. و قد قلد منير هنا كل من فريد الأطرش و عبد الوهاب و محمد عبد المطلب تحت عنوان "حدش شاف".

كما غنى الأغنية الشهيرة التى تحمل اسم الفيلم مع شادية:

أنا و حبيبى ماحدش قدى
و الدنيا دى على قده و قدى
كل اللى فيها أنا و حبيبى
أشوفه فين حبيبى
و أجيبه منين حبيبى
أنا و حبيبى

بالإضافة إلى ألحانه الشهيرة لشادية فى هذا الفيلم ، مثل "يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا ،و نبنى طوبة طوبة فى عش حبنا".

و فى عام ١٩٦٤ ظهر منير مراد كضيف شرف و قام بتلحين أغنيات الفيلم و غنى أغنية فرانكوا آراب باسم "أكلك منين يا بطة" على تنويعة أغنية بنفس التلحين غنتها صباح:

هاتى واحدة لماما عشان ماما عيونها الاتنين
عايزين ياكلوكى و مش عارفة ياكلوكى منين
البنت خلاص كبرت و الله و لبست فستان
و بقى لها ضفاير و شرايط أشكال و ألوان
و بتعرف تزعل و تكشر مع ماما كمان
و يا ويلى لو أخرج ولا كونشى واخدة استتئذان
افرح بشبابها و أقول يا ختى.. ياختى.. يا ختى.

صورة
منير مراد فى "موعد مع أبليس"
صورة

الفصل الخامس و العشرون
من علامات السينما الغنائية فى الخمسينات
الأغنية الدينية

رغم قلة الأفلام الدينية فى السينما المصرية و العربية فإن الغناء الدينى فى عذع السينما موجود بشكل يمكن أن نفرد له دراسة متكاملة عنه ، فقد غنى الناس لمناسباتهم الدينية و لعقيديتهم فى الحياة ، مثلما غنوا فى الأفلام.

وقد تباين الغناء من فيلم لآخر و من جيل لآخر. و لكن المعانى السامية ظلت بنفس سماتها فى هذه الأغنيات ، حيث غنى أبطال هذه الأفلام لربهم سبحانه و تعالى ،وتناغموا بحبهم له من فيلم لآخر ،و عبروا عن لجوئهم إليه فى السراء و الضراء ،و تعبدول فى محرابه ،و مدحوا فى صفاته ، كما غنوا من أجل الصلاة على رسوله ،و أحبوا نبى الله عليه الصلاة و السلام ،و آل بيته و صحبه ،و غنوا فى المقام الأول للمناسباتالدينية و للفروض الخمس ،و كان للحج مكانته و حظه من الغناء. كما غنوا لشهر رمضان و شعائره و الاجتماعية.

ولا شك أن أغنيات أمكلثوم فى أفلامها التاريخية ، كانت من أولى الأغنيات الدينية التى غنيت فى الأفلام المصرية حيث ارتبطت "سلامة" فى عشقها برجل تقى صالح ،و هى التى كانت أمة فى بيوت الماجنين و منهم "ابن سهيل" ، فلما أحبت الشيخ عبد الرحمن القس ، توقفت عن الغناء الدنيوى ،و صار عليها أن تغنى أغنيات ، وزادت صدمتها بعد أن اشتراها الشيخ و أعتقها ، ثم انتقل إلى جوار ربه.

و قد كانت أغلب أغنيات أم كلثوم فى هذه الأفلام من القصائد ، لكن لاشك أن أكبر مساحة من الإنشاد كان على لسان رابعة العدوية ، حيث غنت بصوتها فى الفيلم الذى أخرجه نيازى مصطفى عام ١٩٦٣.

و إذا توقفنا عند أغنيات أم كلثوم الدينية فى فيلم "رابعة العدوية" ،و التى غنتها فى الأساس للسهرة الإذاعية الدينية ، فسوف نرى أنها تعكس تصوف المرأة التى تركت عالم الملذات الحياتية و سارت فى طريق الروح و الزهد ، حيث تناجى ربها سبحانه و تعالى باعتباره الحب الأول فى هذا الكون ،و ذلك فى قصيدة "عرفت الهوى" من كلمات طاهر أبو فاشا و ألحان السنباطى:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك
و أغلقت قلبى عمن عداك
و قمت أناجيك يا من ترى

خفايا القلوب و لسنا نراك
أحبك حبين حب الهوى
و حبا لأنك أهل لذاك
فإما الذى هو حب الهوى
فشغلنى بذكرك عمن سواك
و أما الذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أراك

و قدم نفس الثنائى فى الفيلم أغنيات و قصائد أخرى منها "على عينى بكت عينى" و "أوقدوا الشموع" و "حانة الأقدار" و "يا صحبة" ،و لعل أبرزها بالطلع هو "أوقدوا الشموع" التى رددت حول روح رابعة العدوية و هى صاعدة إلى السماء:

كورس: أو قدوا الشموع انقروا الدفوف
موكب العروس فى السما يطوف
و المنى قطوف انقروا الدفوف
رابعة: الرضا و النور و الصبايا الحور
و الهوى يدور
آن للغريب أن يرى حماه
يومه القريب شاطئ الحياة
و المنى قطوف
فى السما تطوف
انقروا الدفوف

و قد اهتم أنور وجدى بالغناء الدينى فى أفلامه ،و ذلك منذ فيلمه الأول كمخرج "ليلى بنت الفقراء" ،و ذلك من خلال تواشيح أقرب إلى الابتهال باسم "المولد" و هو من تأليف بيرم التونسى ،و ألحان زكريا أحمد ، حيث أدى مجموعة من الذكيرة أغنية المولد فى مدح الرسول (صلى الله عليه و سلم) و حفيدته السيدة زينب:

الذكيرة: الله أحد الله.. الله أحد الله
منشد الذكيرة: سبحانه الفرد الصمد
و فى مكان آخر من الأغنية يردد المشايخ:
يا نبينا سمت بك العلياء
و أضاءت بنورك الظلماء
كيف يرقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء
ثم يرددون:
يا ست نظرة
نظرة يا ست
يا ست زينب نظرة
أبلغ بيها آمالى
احنا هنا فى الحضرة
حول المقام العالى

و للنبى عليه الصلاة و السلام و موسم الحج ، غنت ليلى مراد فى فيلم "بنت الأكابر" لأنور وجدى أيضا ١٩٥٢ ، من كلمات أبو السعود الإبيارى ،و ألحان رياض السنباطى:

يا رايحين للنبى الغالى

هنيالكم و عقبالى
يا ريتنى كنت وياكم
و أروح للهادى و أزوره
و أبوس من شوقى شباكه
و قلبى يتهدى بنوره
و أحج و أطوف سبع مرات
و ألبى و اشوف منى و عرفات
و أقول ربى كتبها لى
يا رايحين للنبى الغالى

و مثل هذه الأغنيات فى فيلم يدور حول قصص حب تتعرض لبعض المتاعب ،و ما تلبث أن تحل و يتنصر المحبون.. و فى الأفلام العصرية فإن مسألة التوكل على الله و الاتجاه إليه موجود فى أفلام عديدة، ففريد الأطرش يردد فى فيلم "حبيب العمر" لبركات ١٩٤٦ و هو برفقة زملائه المتجهين إلى القاهرة بحثا عن فرصة عمل:

ياللا توكلنا على الله ياللا
و اللى نصر عبده ما ينساه
اللى اتكاله على الخلاق يعيش سعيد
و يكون مرتاح

و هناك أغنية قريبة فى كلماتها رددها محمد الكحلاوى فى فيلم يحمل اسمها و هى "خليك مع الله" الذى أخرجه حلمى رفلة عام ١٩٥٤ ،و هى من ألحانه و كلمات حيرم الغمراوى:

خليك مع الله و أعمل الطيب
سلمها لله تلقى البعيد قريب
خليك مع اللع و أرضى بنصيبك

و أغنيات التوبة موجودة فى السينما المصرية بدرجات مختلفة ،و قد غنت هدى سلطان العديد من هذه الأغنيات ، منها أغنية "التوبة" فى فيلم "جعلونى مجرما" لعاطف سالم ١٩٥٥ ، كما غنت أغنية مشابهة فى فيلم "كهرمان" للسيد بدير ١٩٥٩. و التوبة هنا تأتى لامرأة أحست أنها قد أخطأت ،و هى هنا مغنية تعمل فى بار و تعشق رجلا يكبرها فى السن،و تعيش معه بدون زواج ، حتى إذا التقت بسلطان فإن سلوكها يتغير ،و تضع الإيشارب على رأسها و تردد من كلمات فتحى قورة و ألحان أحمد صدقى:

يا رب توبة إليك توبة ما بين إيديك
إقبلها سقت عليك حبيبك المصطفى
يا رب
يا رب أنا زليت و الذنب مش ذنبى
و ندمت تأنى و جيت سامحنى يا ربى
مش من عيونى بكيت دا البكا من قلبى
و قلت توبة ياريت تقبلها منى يا ربى

و الأغنية الابتهالية هنا بمثابة تحول من حياة إلى أخرى ، بالطبع هى الأفضل ،و لعلنا نلاحظ هنا أن أغلب الأغنيات الدينية مرتبط بالطربات أكثر من الرجال ، خاصة فى السينما ، فالمرأة هى الأسرع توبة و تحولا من الرجل ،و قد غنت سعاد محمد فى فيلم "أنا وحدى" لبركات ١٩٥٢ أنشودة دينية لمناجاة و مدح الرسول (صلى الله عليه و سلم) ،و ذلك فى حفل دينى من كلمات صالح جودت و ألحان زكريا أحمد ،و فى

المشهد الغنائى رأينا المطربة ترتدى الخمار الإسلامى. و قد غطت شعرها تماما ،و من حولها وقفت عشر منشدات ككورس يرددن الابتهالات:

يا حبيبى يا رسول الله يا أغلى طموحى
يا شفيعى يوم ترتد إلى الديان روحى
دينك السمح على الأيام مرفوع فوق الصروح
ينشر الرحمة و النور على الشرق الفسيح
بلسان عربى طاهر الذكر فصيح
أنا فى حبك أهوى الموت ان طهرت روحى
أسعد الناس الذى مات على حب صحيح
يا حبيبى يا رسول الله يا أغلى طموحى

و من المطربات اللاتى غنين أيضا فى تلك السنوات أغنيات دينية فى أفلام مصرية شادية فى فيلم "أشهدوا يا ناس" لحسن الصيفى ، الذى تتعرض فيه الفتاة فاطمة للمزيد من المتاعب فتغنى "قل أدعوا لله" من كلمات فتحى قورة و ألحان محمود الشريف ،و هى قصيدة كما نلاحظ من كلماتها:

قل أدعوا الله أن يمسسك ضر
و وجه ناظريك إلى الأعالى

و على العكس ما يتصور البعض فرغم أن الأفلام الدينية (التاريخية) قليلة فى تاريخ السينما المصرية ، فإن الأغنيات الدينية أو أغنيات المناسبات الدينية موجودة بشكل مكثف فى الكثير من الأفلام ،و لو وقفنا عند مخرج مثل حسن الإمام ، فسوف نرى أنه قدم الكثير من هذه الأغنيات فى أفلامه ،و ذلك من خلال ما رصده الباحث محمد عبد الفتاح فى فيلموجرافيا حسن الإمام ، ففى فيلم "حكم القوى" ١٩٥١ يغنى شكوكو و ثريا حلمى "يا صلاة الزين ، يا صلاة الزين" و تغنى هدى سلطان "اللى انقسم و اللى انكتي لابد يجرى لى" ،و فى فيلم "أسرار الناس" فى نفس السنة يغنى عبد الغنى السيد "عودة الحجاج" من كلمات فتحى قورة. و هناك فى فيلم "بنات الليل" مشهد المولد حيث تنشد المجموعة فى مولد السيدة زينب الذى نراه من الشرفة و نرى زوجين تقدم بهما السن و هما يتأملان المولد و إلى جوارهما فتاة سوف يخطبها الابن الوحيد ،و يتصور الأبوان أن الابنة فتاة فاضلة بينما هى ابنة ليل ، لكن هذه الأغنية سوف تكون سببا فى تحولها إلى الأفضل و التوبة. و هذه الأغنية من كلمات فتحى قورة ،و ألحان محمود الشريف.

صورة
غلاف الكراس الدعائى لفيلم "الشيماء"
إنتاج المؤسسة المصرية العامة للسينما

كما أن هدى سلطان قد غنت لـ "طريق النور" فى فيلم أخرجه لها حسن الإمام باسم "صائدة الرجال" عام ١٩٦٠.

و قد تكرر هذا مع محمود ذو الفقار خاصة فى الأفلام التى أخرجها لزوجته عزيزة أمير مثل "فوق السحاب" حيث غنى محمود شكوكو من ألحانه و كلمات جليل البندارى و أغنية باسم "يا خالق الكون":

يا خالق الكون و مبدل نهارنا ليل
الشمس تغرب و يحلا لنا السهر بالليل
يطلع علينا القمر يطرد ظلام الليل

كما تضمن فيلم "آمنت بالله" ١٩٥٢ (آخر أفلام عزيزة أمير) لحن المولد الذى ألفه بيرم التونسى و لحنه أحمد صدقى و أداه عباس البليدى. و فى فيلم "أفراح" الذى قام ببطولته محمود ذو الفقار مع ليلى فوزى و نور الهدى غنت هذه الأخيرة لحج مرددة:

مبروك يا حاج و عقبالنا نجحها و يرتاح بالنا
مبروك يا حاج و عقبالنا
يا مسعدك زرت الكعبة و طفت بالصفا و المروة
يا ريتنا كنا معاك صحبة و من عيون زمزم تروى
وقفت فوق عرفات يا حاج بيت الله
ظفرت بالربكات يا حاج بيت الله
و احنا رضى الله راسمالنا مبروك يا حاج و عقبالنا

و قد تعددت أغنيات الحج فى أفلام السينما باعتبار أن الحج هو وسيلة أكيدة لإعلان التوبة و الرجوع إلى الله ، فالحاج يتطهر مما أرتكب من ذنوب قبل هذا الحدث الجليل ، لذا فأننا من فيلم لآخر نجد أغنيات عن الحج ،و لأن الكثير من الأفلام لا يعرض على الشاشة الصغيرة ، فإن الذاكرة قد نسيت الكثير من هذه الأغنيات ، مثلما ردد الكحلاوى فى فيلم "الصبر جميل" لنيازى مصطفى ١٩٥١ فى أغنية الحج التى كتبها كمال محمد:

الأولة آه يا فرحكم يا هناكم
و التانية آه نور النبى دعاكم
و الثالثة آه بروحى أنا معاكم
أشوف حبيب الله و أقول لعينى آه
حولك صفوف و ألوف يابو المقام عالى
و قلبهم ملهوف يارب عقبالى

و قد أزدهر الغناء الدينى فى السينما المصرية إبان ازدهار السينما الغنائية كما نلاحظ ، لكن هناك نوعا آخر من هذا الغناء موجود بشكل مكثف فى الأفلام التاريخية الدينية ،و الجدير بالإشارة أن ليست كل أغنيات هذه الأفلام من النوع الدينى ،و إن كان يغلب عليها جميعا أنها قصائد شعرية مكتوبة باللغة العربية الفصحى ،و قد خلا فيلم "ظهور الإسلام" من الأغنيات الدينية ، لكن فيلم "مغامرات عنتر و عبلة" الذى يمكن إدراجه فى السينما الدينية و هو من إنتاج عام ١٩٤٨ ضخم بعض الأغنيات الصحراوية و الدينية ،و سوف نتوقف هنا عند فيلم "انتصار الإسلام" لأحمد الطوخى ١٩٥١ ، حيث ضم العديد من الغناء الدينى منها ، "أغنية الرسول" من تأليف عبد العزيز أحمد و تلحين حسين جنيد و فيها تردد المجموعة:

يا رسول الله يا حبيب الله
يا نبى الله يا بن عبد الله
محمد اسمك الطاهر حروف من نور
كتبها ربنا بفضله صلاة و سلام
و رحنا بقلنا العامر كله نزور
نبى الله و تشهد له عل الإسلام

و لم تكن هذه الأفلام غنائية بطبعها ، لكنها مرت بنفس المرحلة التى مرت بها السينما فى سنوات إنتاجها ، فلأفلام الأولى منها تم إنتاجها فى سنوات إزدهار السينما الغنائية ،و بالتالى كانت الأغنية ضرورة يراها صناع هذه الأفلام مثلما حدث فى "السيد أحمد البدوى" ، ثم بعد انحسار هذه الموجة ، فإن الأفلام الدينية قلت بها الأغنيات عدا فيلم "الشيماء" باعتبار أن هذه الأخيرة عرفت بالغناء فى حياتها. أو شادية الإسلام ، ففى فيلم "السيد البدوى" أنشد الشيخ فريد السنديونى مع الذاكرين لحن الذكر الذى يردد فيه:

المنشد: سألت إلهى فى حياتى نظرة.. إلى طيبة الفيحاء و القبة الخضراء
الذاكرون: لا إله إلا الله
المنشد: و أدخل من باب السلام.. مسلما على المصطفى الهادى و أفرح بالبشرى
الذاكرون: لا إله إلا الله
المنشد: و أقول يا رسول الله جئتك قاصدا.. فكن لى شفيعا يا أجل الورى قدرا

و فى فيلم "بيت الله الحرام" لأحمد الطوخى عام ١٩٥٧ غنت المجموعة لحنا لعبد العظيم عبد الحق كتبه عبد البديع ربيع باسم "وداع البيت" ردد فيه:

أيها البيت سلاما.. لك ما عشنا دواما
قد قضينا فيك عهدا.. لم يكن إلا ابتساما
تكرم الضيف و ترعى.. بين واديك اليتامى
فرمتنا يد طاغ.. لم يرد إلا إنتقاما

و هذا الفيلم كما نعرف يروى قصة محاولة هدم الكعبة المشرفة قبل ظهور الإسلام على يد رجال أبرهة الحبشى كما جاء فى سورة "الفيل".

و ضم فيلم "الله أكبر" لإبراهيم السيد ١٩٥٩ مجموعة من الأغنيات منها نشيد "اللخ اكبر" الذى لحنه حسين جنيد:

الله اكبر الله اكبر.. صلى و سلم و بارك و كبر
على محمد.. على محمد
يا منصف المظلوم من زلامه.. يا منقذ المحكوم من حكامه
ساويت بين الناس لا عبد.. ولا سيد ولا عهد طغى بظلامه
و لكن برضاك.. نسير نحو هداك

و كما نلاحظ هنا فالأغنية الدينية إما أن تنشدها المجموعة أو يغنيها منشد معروف ،و لم نر أيا من أبطال الفيلم يغنون ،و قد غنى شقيق جلال فى فيلم "بلال مؤذن الرسول" كما أن سعاد محمد غنت بصوتها فقط فى فيلم "شهيدة الحب الإلهى" لعباس كامل ١٩٦٢ ، حول حياة رابعة العدوية ،و أشرنا من قبل أن أم كلثوم غنت أيضا بصوتها (على لسان نبيلة عبيد) فى فيلم "رابعة العدوية" ،و قد خلا فيلم "هجرة الرسول" لإبراهيم عمارة من الأغنيات و كذلك فيلم "فجر الإسلام" ، لكن الأمر تغير بالطبع مع فيلم "الشيماء" لحسام مصطفى.

و الشيماء تعيش فى بنى سعد بين أمها حلمية السعدية و أبيها الحارث بن عبد العزى و أخيها عبد الله ، يكونون أسرة تعترف للنبى الكريم بالخير و البركة التى حلت على ديارهم منذ جاءهم رضيعا ، إلا بيجاد زوج الشيماء العنيد ، الذى يكره محمد و يرفض الإيمان به فيتواطأ مع صديقه عكرمة بن أبى جهل و يؤلبان بكر للتمثيل بأصحاب الرسول ،و يخزن عهدا قطعه مع الرسول ، لذا ، فالنبى صلى الله عليه و سلم يأمر بإهدار دمه بعد أ، فتح مكة. لكن الشيماء تلجأ إلى أخيها فى الرضاعة الرسول – صلى اله عليه و سلم – فيعفو و ينطلق بيجاد فى الصحراء و امرأته تغنى على الجانب الآخر:

إنك لاتهدى من أحببت.. لكن الله يهدى من يشاء

و ها هى سعاد محمد تعود للغناء الدينى فى السينما للمرة الثالثة بعد "أنا وحدى" و "شهيدة الحب الإلهى"،و قد ألف الأغانى عبد الفتاح مصطفى ،و لحنها كل من بليغ حمدى و محمد الموجى و عبد العظيم محمد. و كما نلاحظ ، فإن الغناء الدينى قد ارتبط بمجد الفيلم التاريخى الدينى ،و فى الثلاثين عاما الماضية قل هذا الغناء تمام فى السينما ، سواء فى الأفلام التاريخية أو فى الأفلام العصرية. و ذلك رغم ارتفاع و سمو

الشعور الدينى فى المجتمع الإسلامى.. و بدت الأغنية الدينية مزدهرة فى الإذاعة و التليفزيون أكثر مما حدث فى السينما.

صورة
يحيى شاهين فى مشهد من "فجر الإسلام"
صورة
غلاف الكراس الدعائى لفيلم "فجر الإسلام"

الفصل السادس و العشرون
سعاد حسنى

سعاد حسنى حالة خاصة و استثناء من كل القواعد فى السينما المصرية ، خاصة الغنائية منها. فأنت كمتفرج يمكنك أن تتقبلها فى أعلى درجات القبول إذا قامت بالتمثيل فى فيلم ، فما بالك لو رقصت و غنت ، مثلما رأينا فى الكثير من الأفلام التى قامت ببطولتها!!

و رغم كل ما تركته سعاد حسنى وراءها من تراث غنائى فى السينما المصرية ، فلاشك من أن هذه الموهبة الفريدة ظلمت كثيرا لأنها ظهرت بعد انحسار موجة الأفلام الغنائية و الكوميديا الموسيقية ،و لاشك أنها لو ظهرت إبان ازدهار هذه الظاهرة لتركت أثرا يضاعف ما عرفناه بكثير.

و فى السينما الغنائية تأخر اكتشاف سعاد حسنى كثيرا ، ليس فقط بالنسبة لعدد السنين التى عملت خلالها فى أفلام جسدت فى أغلبها دور البنت المغلوبة على أمرها ،و لكن أيضا فيما يتعلق بعدد الأفلام التى قامت ببطولتها بين عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦٦ قامت ببطولة فيلم "صغيرة على الحب" لنيازى مصطفى ، حيث بلغ عدد الأفلام التى لم يتم اكتشاف موهبتها الغنائية ة الاستعراضية فيها ثلاثين فيلما.

صحيح أن سعاد قامت فى بعض هذه الأفلام بأدوار البنت الشقية التى يمكنها أن ترقص التويست و رقصات الشباب ، مثلما حدث فى "الساحرة الصغيرة" ،و "لعبة الحب و الجواز" و كلها لنيازى مصطفى الذى اكتشف هذه المواهب فيها دون غيرها ، لكن أدوار البنت المصرية المنكسرة ، كان بارزا فى عدد كبير من الأفلام التى قامت ببطولتها مثل "مفيش تفاهم" لعاطف سالم ،و "السبع بنات" لنفس المخرج ،و "أعز الحبايب" ليوسف معلوف و "غصن الزيتون" للسيد بدير ،و "السفيرة عزيزة" لسيف الدين شوكت و "سر الهاربة" لحسام الدين مصطفى ،و "حكاية جواز" و غيرها.

لذا.. جاء فيلم صغيرة على الحب اكتشاف ليس فقط لقدرة الممثلة على الأداء البالغ التميز خاصة فى مجال الكوميديا ، بل أيضا لأدائها الاستعراضى المتميز. و نحن هنا أمام فيلم غنائى استعراضى فى المقام الأول لم يعتمد فقط على أداء الشابة التى تود أن تصبح ممثلة ، فنجد أن الفرصة المتاحة فقط ،و عليها أن ترتدى ثوب الطفلة و تغنى ، بل الأداء هنا جماعى فى أغلب أحداث الفيلم حيث غنى ثنائى بدر أغنية باسم "عارفينك" من كلمات زين العابدين عبد الله ،و غنى ثلاثى النغم "التليفون" ،و هى من كلمات عبد العزيز سلام ،و هذان اللحان من وضع عبد العظيم محمد.

كما أن الفيلم انتهى بالاستعراض الجماعى الذى تحلم فيه الفتاة الصغيرة بالحب و تردد المجموعة "الحلوة لسة صغيرة" ،و رقصت سعاد مع المجموعة و ارتدت ملابس الطفلة الصغيرة.

إلا أن الأكثر رسوخا فى ذهن المتفرج على هذا الفيلم هو غناؤها "أنا لسة صغيرة" ،و هى من كلمات حسين السيد و ألحان محمد الموجى،و فيه تغنى سعاد حسنى ربما لأول مرة أغنية فردية على الشاشة و تثبت أن عائلة حسنى موهوبة تماما فى الغناء ، فتقف أمام المخرج الباحث عن طفلة موهوبة و تردد:

ما أنتش قد الحب يا قلبى.. ولا قد حكاياته
ليه عايزنى من دلوقتى.. أحكى لك رواياته
مش كل كتاب يا قلبى.. فى الحب يتقرا
و قلت لك ميت مرة.. أنا لسة صغيرة

و الغناء الفردى هنا يختلف عن الأداء الجماعى الذى أدته سعاد حسنى فى استعراض "البنت لسه صغيرة.. ع الحب لسه صغيرة" و فيها يظهر حارس الحب كى يجعلها فى عمر مختلف من أجل أن تجرب الحب و ناره.

و نيازى مصطفى هو الذى أسرع مرة أخرى و دفعها إلى الغناء فى العام التالى ١٩٦٧ ، فى فيلم "شباب مجنون جدا" وراحت تردد و هى تضع لحية صناعية و تمسك جيتارا:

"مج مجم مجانين.."

و فى هذا الفيلم نرى مديحة التى تتخفى فى شخصية شاب لتعمل ضمن الفرقة الموسيقية المكونة من أخواتها الثلاث ، يطلب يوسف من مديحة التى تعيش بالشخصيتين أن تمثل دور زوجته ليثير غيرة زوجته المتعالية ،و توافق من أجل الانتقام من حمدى ابن يوسف الذى سخر من قبل من عواطفها.

نحن إذن أمام فتاة تتخفلا فى هوية أخرى ،و إذا كانت سميحة قد تنكرت فى زى طفلة و تتقدم لمسابقة لاختبار طفلة تجيد الغناء ، فإن مديحة هنا تفعل نفس الشئ ،و لكن هناك فارقا كبيرا بين الفتاتين.

و قد غنت مديحة مع فرقة ثلاثى أضواء المسرح هنا ،و رقصت على إيقاع الموسيقى الغربية الحديثة رقصا هو أقرب إلى الجنون و الشقاوة ،و هذه التجربة فتحت الأبواب للمثلة أن ينظر إليها بمنظور مختلف تمام ، فصار كل مخرج يحاول التعامل معها ، يسعى إلى أ، يدفعها إلى الغناء ،و كان محمود ذو الفقار هو الأكثر استفادة من هذا الاكتشاف فى أكثر من فيلم ، منها "حكاية ٣ بنات" و "فتاة الاستعراض".

ففى "حكاية ٣ بنات" هى واحدة من ثلاث آنسات لكل منهن قصة واحدة تحب مديرها المسن المتزوج ،و الثانية تحب شابا لاهيا ، فتغيره،و هذا الشاب رمى شباكه أولا على زميلتها الثالثة أمل ،و هى التى تنتقل بين أكثر من رجل بحثا عن المال ، حيث يحاول الثرى صاحب فرقة الفنون الشعبية التى تعمل بها الارتباط بها رغم زوجاته الأربع.

ولا بد لفتاة من طراز أمل أن تبحث عن فرصة لإثبات مواهبها أن تغنى ،و بالفعل ، فإن الفيلم يتضمن "اسكتش" من كلمات حسين السيد و ألحان منير مراد ، أدته سعاد مع المجموعة ، نسوق هنا بعضا منه:

كورس: يا حسن يا خولى الجنينة يا حسن
يا سايق دلالك علينا يا حسن
هى: يا أولاد الحلال.. فيه جدع اسمه حسن
كورس: اسمه حسن
هى: شغل الروح و البال.. بس دلونى أين حسن
كورس: أين حسن
كورس: يا حرام يا حرام.. بتحبه دى بتحبه
هى: يا سلام يا سلام.. على حبه و نار حبه
كورس: و الله صعبت علينا يا شابة
هى: طيب ما تدلونى عليه
كورس: روحى باريس.. بسلامته ساكن جنب الشانزليزيه

هى: طيب ما تدلونى عليه

و حمود ذو الفقار هو الذى أسرع بالاستفادة من هذا النجاح و هذه الموهبة ، فأسرع بإخراج فيلم "فتاة الاستعراض" عام ١٩٦٩ ، المقتبس عن فيلم "دعنا نحب" من إخراج جورج كيوكر ،و الذى قامت ببطولته مارلين مونرو ،و نحن نذكر هذه المعلومة هنا من أجل التأكيد على وجهى التشابه بين سعاد و مارلين ، فكلتاهما لم تكن ممثلة استعراضية فى السينما،و لكن المخرجين كانوا يستعينون بكل منهما فى بعض الأحيان من الاستعراض و الغناء ،و قد بدت مارين مونرو دوما فى أحسن حالاتها و هى ترقص بتلقائية مثلما فعلت فى القطار فى فيلم "البعض يفضلونها ساخنى" لبيلى وايلدر ١٩٥٨ ، ثم فى "دعنا نحب".

ولأن قصة الفيلم تعتمد على ما تواجهه فرقة شبابية فنية مهددة بالطرد من المسرح الذى يملكه شاب مستهتر ورث المسرح كعقار من أملاك عديدة ورثها. و كان على الفرقة أن تقدم بروفاتها و عروضها فى المسرح ، لكن الفرقة تفاجأ بإنذار من محامى الشاب لدفع إيجار سنة مقدم للمسرح و إلا تعرضوا للطرد. و ذلك دون علم أحمد الذى يقرر أن يذهب بنفسه متخفيا إلى هناك ، فيطلب منه أن يمثل دورا يسجد فيه شخصية أحمد نفسه ،و هنا تتولد قصة حب بين تالراقصة الأولى فى الفرقة و بين أحمد إلى أن تكتشف الحقيقة فى النهاية.

إذن.. فنحن أمام عمل يصلح للغناء و الرقص ،و لا تظهر الممثلة هنا و هى تغنى كأنها أقحمت على الغناء ،و تلك ميزة فى نوع الفن السينمائى فى مثل هذه الأفلام ، فإذا قام الممثل بالغناء مهما كانت قوتهفى ذلك ، فإن هذا عمله ،و تلك وظيفته ،و لكن يأتى الاختيار لممثلة يمكن أن يكون صوتها مقبولا و قد حدث هذا كثيرا خاصة فى تلك السنوات و ما بعدها حيث غنت سهير رمزى و مديحة كامل فى بعض الأفلام.

فى نفس الفترة غنت سعاد حسنى أيضا فى أفلام عديدة و لكنها لم تتفرغ قط للغناء ، بل أن مجموع الأفلام التى غنت فيها كانت قليلة للغاية قياسا إلى الأدوار الخالية من الطرب ، فمن بين الأفلام الأربعة التى قامت ببطولتها عام ١٩٦٩ ،و هى "بئر الحرمان" و "شئ من العذاب" و "نادية" ، فإنها لم تغنى سوى فى "فتاة الاستعرض" ، كما توقفت تماما عن الغناء إلى أن فعلت ذلك فى عام ١٩٧٢ من خلال "خللى بالك من زوزو" و كان لابد أن تفعل ذلك طالما أن حسن الإمام هناك ،و هو الذى عمل دوما لأن ترقص بطلاته و يغنين فى أفلامه.

و كانت سعاد حسنى قد غنت فى فيلم "الزواج على الطريقة الحديثة" عام ١٩٦٨ الفيلم الذى أخرجه زوجها آنذاك صلاح كريم ،و هى تجربة أقرب فى شكل طاقم العاملين فيها من "شابا مجنون جدا" حيث غنت سعاد مع ثلاثى أضواء المسرح من تأليف فتحى قورة و ألحانمحمد الموجى أغنية "خدنا أجازة" التى راح الشاب يرددها على شاطئ البحر.

صورة
سعاد حسنى و فؤاد المهندس فى "صغيرة على الحب"
من إخراج نيازى مصطفى و إنتاج ١٩٦٦
صورة
سعاد و حسن فهمى فى "خللى بالك من زوزو"
إخراج حسن الإمام

و قدبدت تجربة سعاد حسنى فى فيلم "خللى بالك من زوزو" كأنها تعتمد كمطربة سينمائية من نوع خاص، رغم ثراء تجربتها السابقة فى "صغيرة على الحب" و أهميتها الشديدة ، ففى الفيلم الأول كانت تغنى و ترقص رقصا إيقاعيا غير شرقى ، أما هنا فسوف ترقص هز البطن و سوف تغنى بمفردها دون أن تكون مطربة تفعل ذلك فى أى مكان.

و زوزو هنا طالبة جامعية ، لكنها تعيش فى شارع محمد على بين الفرق الغنائية و العوالم ،و تواجه المشاكل من بين بعض زميلاتها و زوملائها حول الوسط الذى تربت و تعيش فيه ، كما أنها تقع فى حب أستاذها فى الجامعة ،و هناك فرق اجتماعى هائل بين الاثنين ، كما أن هناك العزول التقليدى فى هذا النوع من الأفلام ،و يمثل فى فتاة تود الزواج من سعيد الأستاذ ، فتدبر مكيدة من أجل أن ترقص فى حفل يقام فى منزل سعيد تحضره الابنة دون أن تعرف سعيد شيئا ،و يكتشف الأمر فتقرر زوزو أن ترقص بدلا من أمها.

و حسب ما كتبه مجدى فهى فى مقال عن الفيلم ، نشرته مجلة الشبكة و هو مقال مهم للغاية فإن "سعاد حسنى سبق لها أن غنت على الشاشة فى فيلم "هـ٣" الذى أخرجه عباس كامل منذ اثنى عشر عاما تقريبا (آى عام ١٩٦١) ،و سبق لها أيضا أن قامت بمحاولة شبه مكتملة للاضطلاع ببطولة فيلم استعراضى و ذلك فى "صغيرة على الحب" الذى أخرجه نيازى مصطفى.

و إذا كانت تجربة سعاد الغنائية مع عباس كامل ليست حاضرة كثيرا فى الأذهان ، فإننا نتوقف عند ما أثاره مجدى فهمى حول عذا الفيلم:

هل القصة أستعراضية؟

و الإجابة:

"ليس تماما ، فلن يكفى أن يجتمع عدد من الطلبة و الطالبات فى تكوينات راقصة (من وضع كمال نعيم) كى يكتسب الفيلم هذه الصفة. الفيلم الاستعراضى هو الذى تكون الرقصات و الأغنيات الخيط الذى يشد أحداثه المهمة ، أو أن تكون جزءا من بنائه. أما أن تكون شيئا كماليا أو زائدا فهذه مسألة فيها نظر..

ولا يكفى أن تكون سعاد حسنى راقصة حتى يصبح الفيلم استعراضيا ، حتى لو أضافت أغنية أو أغنيتين بصوتها يؤدى بإتقان أكثر مما يطرب".

و يقول الناقد فى مكان آخر من المقال المكتوب إبان عرض الفيلم و أثناء نجاحه الجماهيرى: "**أما (خللى بالك من زوزو) فهو خطوة إلى بعث الفيلم الاسترعاضى ،و عيب المسميات فى السينما المصرية أنها كثيرا ما تضل الطريق إلى الأسماء الحقيقية. و لك أن تتخيل فيلما عالميا لمجرد أن بطله اسمه جونى و بطلته اسمها فيفى".**

و قد غنت سعاد حسنى فى الفيلم أغنيتين هما: "يا واد يا تقيل" الذى عاد فيه كمال الطويل إلى التلحين و من كلمات صلاح جاهين ، كما تضمن الفيلم اسكتش "خللى بالك من زوزو" من ألحان سيد مكاوى ، بلإضافة إلى أغنية "استنى" التى لحنها إبراهيم رجب.

و هناك رأى آخر إضافى كتبه محمد عبد الفتاح حول نفس الفيلم فى كتابه عن حسن الإمام الذى رأى أنه اهتم اهتمام كبيرا بالأغنيات "**فهو يستخدم المجاميع و الموسيقى و الحركات الإيقاعية و التشكيلات الجمالية و حركة الكاميرا و زوايا التصوير المختلفة ،و الكاميرا تتحرك تلاحق المغنية و المجموعات و الجو المحيط بالمجاميع و المؤدية ،و هو يستخدم الكاميرا لتكون لصيقة بالمؤدية – سعاد حسنى – و لصيقة بحركاتها.**

"ففى رقصة و أغنية"خللى بالك من زوزو" يستغل الفرح و العروسين و خشبة المسرح الذى ترقص و تغنى زوزو و يقطع على المعازيم و يقدم لقطات زوزو بين الجماهير ، ثم يقدم لقطات مكبرة لوجه زوزو أو لقطات متوسطة كبيرة و هى ترقص. و زوزو دائما فى مركز الصدارة ،و هو يقطع أثناء رقصها على الجمهور لقطات متنوعة و مختلفة الأحجام ،و تبرز اللقطات أحد الجالسين و هو يرسل قبلاته إلى زوزو بهيام، ثم نراه و هو يشرب من زجاجة خمر ، ثم يقطع عليه وحده تقريبا لنرى نظرة الاشتهاء و الرغبة فى عينيه و حركات يديه".

ولأول مرة من خلال هذا الفيلم تنتقل أغنيات فيلم من أداء سعاد حسنى من السينما إلى الإذاعة ، صحيح أن استعراض "صغيرة على الحب" كانت تؤخذ منه موسيقاه كمقدمات برامج ، لكن ما لبث الناس كلهم أن سمعوا أغنية "يا واد يا تقيل" من خلال الميكروفون ،و الكثيرون من الناس سمعوا الأغنية قبل مشاهدتها ،و علع اقبال بعض الناس على الفيلم هو رغبتهم فى مشاهدة تلك الأغنية الناجحة سينمائيا ،و أن يروا سعاد حسنى و هى تردد بكل خفة و حيوية:

يا.. يا.. يا واد يا تقيل.. يا مجننى
يا.ز يا.. يا.. واد يا تقيل
أنا بالى طويل.. و انت عاجبنى
بس با ابنى عمرك ما ح تغلبنى

و من الواضح أن هذه التجربة لم توقع سعاد حنى فى أسرها ، فواصلت مسيرتها بعيدا بعيدا عن الغناء فى عدد من الأفلام ، منها "غرباء" لسعد عرفة و "الحب الذى كان" لعلى بدرخان ،و "أين عقلى" لعاطف سالم ،و هى كلها عبارة عن تجارب نفسية لامرأة تواجه المزيد من المتاعب ، لكن الإمام كان فى ذهنه الاستفادة مرة أخرى من نجاح التجربة ، فراح يعد بسرعة فيلمه التالى معها و جمع أبطال الفيلم الأول، سعاد حسنى و حسين فهمى من جديد فى "أميرة حبى أنا" ١٩٧٤ ،و هو مأخوذ عن إحدى قصص نجيب محفوظ فى روايته "المرايا" ،و من الواضح أن الإمام قد وضع عينيه لتكرار نفس التجربة الغنائية ، فستعان بصلاح جاهين مؤلفا للأغنيات ،و كمال الطويل ملحنا لها.

و الفيلم لايدور فى كواليس الفن مثل سابقه ، بل أروقة الوظائف من خلال شركة اقتصادية ، رئيس مجلس إدارتها له سلطاته فى تعيين و رفع درجات الموظفين و فصلهم كما يشاء ، يزوج ابنته من موظف صغير ،و وسيم ، ثم يمنحه درجة وظيفية عالية ، أما أميرة فهى موظفه جديدة تأتى إلى الشركة و هى تملك كل آمال الشباب ، فتبث فى القلوب بهجة و تدعو إلى رحلة و تجمع ثمن الرحلة ،و تتعرف أثناء ذلك على عادل المدير العام الغاضب دوما ، العابس ، كأنه الواد التقيل بشكل آخر ، فتسعى إلى أن تجعله يبتسم ،و فى الرحلة إلى القناطر فى يوم شم النسيم تغنى مع المجموعة فى استعراض تم تصويره فى حدائق القناطر الخيرية، ليشارك فى الأغنية أكثر الموظفين المشتركين فى الرحلة و منهم (كممثلين) سمير غانم ،و شكوكو و خيرية أحمد و غيرهم.

و سوف تبقى الأغنية "الدنيا ربيع" هى الأكثر التصاقا فى أذهان الناس حيث انتقلت بسرعة إلى الإذاعة و التليفزيون ،و صارت من أغنيات المناسبات خاصة فى الربيع:

الدنيا ربيع و الجو بديع
قفل لى على كل المواضيع
ما فيناش كانى ما فيناش مانى
كانى مانى إيه الدنيا ربيع

و قد كان حسن الإمام موقفا فى تصوير و إخراج هذه الأغنية أكثر مما فعل مع "الواد التقيل" التى صورت على سلالم المنزل ،و فى غرفة زوزو. أما هنا فقد رأينا أجواء الرحلات ، من ركوب حمير و درجات و استخدام الجماهير المزدمحة بالقناطر ،و مشاركة الجميع بالرقص ، عدا عادل الذى سوف يتحلل من جموده بعد هذا اللقاء ، فسيقع فى حب أميرة و يتزوجها و يذهبان إلى فندق بالإسكندرية لتغنى له أغنية أخرى اكتسبت شهرة هى "بمبى بمبى":

بمبى بمبى
الحياة بقى لونها بمبى
و أنا جنبك و أنت جنبى يا حبيبى

و فى هذا الفيلم أقحم الإمام أغنية أدتها سعاد حسنى لسيد درويش من خلال بروفات مسرحية ستقوم بها الشركة ،و هى أغنية "يا رب اللى له حبيب ما يتحرمش منه".

و بعد هذا الفيلم عادت سعاد حسنى مرة أخرى إلى أدوار المرأة المنكسرة ، التى تحوطها الهزائم الشديدة،و أحبها الناس فى هذه الأدوار مثلما حدث فى "الكرنك" لعلى بدرخان الذى جعلها تغنى فيما بعد فى "شفيقة و متولى" ، ثم أدت دور المرأة المنكسرة فى "على من نطلق الرصاص" لكمال الشيخ ١٩٧٥.

و الجدير بالذكر قبل أن نستطرد فى الحديث أن سعاد حسنى ، قد انتقلت بشكل محدود من الغناء فى الأفلام إلى الأغانى الإذاعية ، فقد اشتهرت أغنياتها عن العسكر المصريين أثناء حرب أطتوبر ١٩٧٣ باسم "دولا مين و دولا مين.. دولا عساكر مصريين".

أما فيلم "شفيقة و متولى" ، فإنه يعتمد فى المقام الأول على قصة فتاة صعيدية سوف تسقط فى الرذيلة و تتحول إلى راقصة و خليلة ، تغنى و ترقص ،و قد سعى بدرخان إلى الاستعانة بكل من كمل الطويل و إبراهيم رجب اللذين لحنا لسعاد فى أفلامها السابقة ،و برزت أغنية أدتها شفيقة، فبعد علاقتها مع الطرابيشى بك اكتشفت طبيعة عمله فى تجارة العبيد التى يشترك معه أفندينا فيها ،و أمام أفندينا غنت له:

بانو بانو على أصلكوا بانو

أما الفيلم التال الذى غنت فيه سعاد حسنى فهو "المتوحشة" لسمير سيف ،و الفيلم كما نعرف مأخوذ عن مسرحية فرنسية تحولت فى أحيان كثيرة إلى عمل استعراضى ،و قد دفع سمير الممثلة أن تغمى لحبيبها الثرى أغنية "حبيبى أنت يا فيلسوف" التى راحت تؤديها بهية و هى تحوم حول حبيبها أشرف ، حيث أن بهية هنا تعمل فى فرقة استعراضية ،و بعد أن وقعت فى الحب تترك الفرقة من أجل العمل فى أحد المصانع.

و قد سعى سمير سيف أيضا إلى الاستفادة من مواهب سعاد حسنى كراقصة إلى أن يجعلها تفعل ذلك فى فيلم "المشبوه" ، حيث اضطرت الزوجة إلى أن ترقص فى إحدى الحانات بعد أن ضاق بها السبيل خاصة أن زوجها فى السجن ،و كان جزاؤها علقة ساخنة من زوجها الذى قام بجرها من الحانة أمام الجميع.

فى تلك السنوات كانت علاقة سعاد حسنى بالسينما قد قل معدلها عما سبق ،و عملت فى أدوار المرأة الفقيرة فى أفلام عديدة منها "حب فى الزنزانة" ،و "أهل القمة" ،و "غريب فى بيتى" ، ثم عادت إلى الغناء الجاعى فى فيلمها "الدرجة الثالثة" لكن هناك فرق بين كل الاستعراضات التى قدمها شريف عرفة فى أفلامه و بين ما قدمه صناع الغناء السينمائى من قبل.

صورة
سعاد حسنى فى فيلم "الدرجة الثالثة"
صورة
سعاد حسنى لم تكن ممثلة استعراضية فقط بل
كانت ممثلة جيدة أيضا
غلاف الكراس الدعائى لفيلم
"زوجتى و الكلب" إخراج سعيد مرزوق

الفصل السابع و العشرون
الغناء السينائى فى الستينيات
محرم فؤاد
ماهر العطار

فو جئ الناس فى عام ١٩٥٩ بأفيشات فيلم ريفى جديد يحمل اسم "حسن و نعيمة" من إخراج بركات و كانت الدهشة أن بطليه اللذين يملأ اسماهما الأفيش من العاملين لأول مرة بالسينما ، حيث لم يسبق لسعاد حسنى ، أو لمحرم فؤاد أن عملا فى السينما فى أى أدوار كانت.

و هذه الظاهرة لا تتكرر كثيرا فى السينما المصرية ، فليس الرهان هنا على ممثل جديد واحد بل على الاثنين معا ،و لاشك أن وجود هذا الرهان مع فيلم ريفى يزيد من صعوبة المغامرة ، فليس هناك إغراء ، أو جنس أو رقص ،و إن كان هناك غناء من نجم طرب جديد.

و تجئ صعوبة المغامرة فى أن محرم فؤاد هو المطرب الذى يظهر مباشرة بعد اخفاق تجربة كمال حسنى السينمائية ، أى أنه يمكن أن يدخل فى دائرة الفشل المحتوم. لكن لا شك أن بركات الذى قدم عبد الحليم حافظ فى إحدى أولى تجاربه "أيام و ليالى" عام ١٩٥٥ ، إلى جوار نجمة جديدة نسبيا ؛ كان دافعا لتكرار التجربة.

وامتلأت شوارع البلاد بأغنيات المطرب الجديد التى غناها فى الفيلم ، خاصة "رمش عينه اللى جرحنى رمش عينه" و "الحلوة دايرة شباكها" ،و لكنه لاشك أن دخول محمد عبد الوهاب دائرة المغامرة قد أعطى لها قوتها ، فهو منتج كما أنه ملحن بعض الأغنيات إلى جوار محمد الموجى.

و قد قوبل الفيلم بنجاح لأنهكان لايزال فى أذهان الناس التى استمعت إليها تمثيلية من تأليف عبد الرحمن الخميسى ،و قد كتب أحمد حمروش حول هذا الفيلم: **"أن ميزته الكبرى أنه يعتمد على قصة مصرية صميمة نسجت من عواطف شعبنا العريق الذى يعرف الحب من إقبال الفتاة على الشاب فى حياء ،و يعرف الشرف من سلوك الشاب مع الفتاة و محافظته عليها طاهرة بريئة ، حتى بعد أن هربت من ضرب والدها و قسوته".**

و حسن فى هذا الفيلم مغنواتى ريفى يرتزق من الغناء التجوالى ،و لهذا السبب يقف والد حبيبته نعيمة ضد مصاهرته. و هذا النوع من المغنواتية ليسوا منتشرين فى السينما المصرية ، حتى ولو رأيناه يتوق إلى السفر للعاصمة كى يغنى هناك ، لكن حسن لا ينتقل بعيدا عن المنطقة الجغرافية التى يعيش و يحب فيها و يغنى فى الأفراح الريفية:

الحلوة دايرة شباكها.. شجرة فاكهة
ولا فى البساتين
و الحلوة الشباك طالة.. يحرسها الله
ست الحلوين
الحوة

و قد أستقبل محرم فؤاد و سعاد حسنى استقالا طيبا من النقاد و الجمهور ،و كتب حمروش أن بركات قدم لنا عملا فنيا ناجحا أظهر فيه جوا رائعا لحياة ريفيا و خلق من سعاد حسنى و محرم فؤاد أبطالا جددا فى ميدان السينما ،و انتقل بنا نقلات بارعة مع أبطال الفيلم فى نسيج واحد من الحوادث و الحوار.. و اتخذ زوايا بارعة للتصوير تظهر العواطف الكامنة بلا حديث.

و هكذا بدأت رحلة محرم السينمائية ،و كان عليه أن يكون قصير العمر فى هذه السينما أسوة بكثير من المطربين الذين لمعوا فى ثلاثة أفلام أو أربعة فقط ، ثم تبدأ أضواء الاستوديوهات فى الانحسار عنهم ،و قد

حدث هذا بالفعل للمطرب الذى وجد أن عليه الذهاب إلى لبنان عام ١٩٦٢ ليستمر فى العمل هناك لمدة أكثر من ثلاثة عشر عاما لم يعد خلالها إلى مصر ليقدم أفلاما سوى مرة واحدة فقط هى "عشاق الحياة" لحلمى حليم عام ١٩٧١ ،و كان يمكن لمحرم فؤاد أن يستمر سينمائيا فى لبنان لو لم تندلع الحرب الأهلية هناك.

ففى العام التالى ظهر فيلمه الأول ، ظهر محرم فؤاد فى فيلمين ، و بدا كأن الرهان عليه يزداد ،و هذان الفيلمان هما "لحن السعادة" لحلمى رفلة ،و "وداعا يا حب" لحسام الدين مصطفى.

و سوف نرى أن زميله ماهر العطار قد سار معه فى نفس المسيرة ، ففى نهاية عام ١٩٥٩ قدم حسن الصيفى أول فيلم للعاطار باسم "احترسى من الحب" ،و فى العام التالى ١٩٦٠ ، كانت هناك منافسة واضحة بين المطربين الشابين الجديدين فى دور عرض متقابلة فبينما عرض "لحن السعادة" فى ١٥ فبراير بسينما ميامى فإن "النغم الحزن" لحسن الصيفى أيضا من بطولة ماهر العطار قد عرض فى سينما قريبة ،و بعد أن انتهى العرض "لحن السعادة" مباشرة ، عرض الفيلم الثالث من بطولة العطار باسم "حب و حرمان" لإبراهيم عمارة ،و فى ٢٥ إبريل عرض فيلم "وداعا يا حب" ثم عرض فيلم "بنات بحرى" لحسن الصيفى فى نهاية نفس العام من بطولة العطار.

و بينما بدأ ماهر العطار كمطرب عليه أن يقف إلى جوار نجوم آخرين فى أفلامه مثل محسن سرحان و رشدى أباظة و عبد السلام النابلسى ، فإن لمحرم فؤاد بطولاته المطلقة مام نفس النجمات اللاتى مثلن أمام عبد الحليم حافظ مثل إيمان و مريم فخر الدين ، كما أمام نفس النجمات اللاتى مثلن أمام عبد الحليم حافظ مثل إيمان و مريم فخر الدين ، كما أن الأدوار التى جسدها هى لشاب من طبقة متوسطة ، قد يكون مهندسا أو موظفا أو ابن أكابر ،و ذلك باستثناء فيلمه الأول ،و كأنه يكرر نفس الشخصيات التى جسدها عبد الحليم من خلال شخصية الحالم الرقيق.

ففى "لحن السعادة" يقف إحسان فوق جسر خشبى صغير يرقب فتاة من نفس المكان كل يوم و غنى لها و هو يركب زورقا صغيرا.

شفت بعيينى ما حدش قاللى.. شفت الحب و دقت الحب
شفت عيون حلاوتها تخللى.. حتى اللى ما لومش قلب يحب
شفت بعينى

ثم هو حين يلتاع فى حبه و تهجره حبيبته بسبب المتاعب التى تتولد بين أبيها و عمه الثرى يسير هائما فى الشوارع:

و انت عنى بعيد قلبى عنى بعيد
كل يوم يا حبيبى كل يوم بتألم
حتى يوم العيد

و نحن أمام قصة بسيطة تصلح لفيلم غنائى ، حول الباشا المتسلط الذى يحب جمع المال ، يعامل وريثه الوحيد ابن أخيه إحسان كخادم ، يذهب إحسان للحياة فى الريف فى صحبة صديقة فتحى ، لكن الظروف المالية الصعبة تحوطهما ،و هناك يلتقى بفتاة و يحبها دون أن يعرف أنها ابنة غريم عمه. و فى ليلة الزفاف يفاجأ العم بأن صهره هو خصمه فيقف ضد الزواج ، يفشل المشروع و لكن الحبيبين لا يلبثان أن يتغلبا على المتاعب.

و جاءت تجربة المطرب التالية فى السينما غريبة من خلال حسام الدين مصطفى الذى ليس له باع طويل فى السينما الغنائية ، لذا فإننا نرى المطرب هنا يدخل صراعا دوما مع غريم له على قلب المرأة التى يحبها و

يموت بطلق نارى من الغريم الذى يعرب ،و لم يحدث هذا من قبل فى أى فيلم غنائى ، حيثانتهت أحداث الفيلم بالحبيبة أمانى و هى تتذكر حبيبها حين كان يسير فى الحقول يغنى أغنية "أوعى تكون بتحب يا قلبى":

أوع تكون بتحب يا قلبى أو عى تكون بتحب
مالنا و مال الحب يا قلبى مالنا و مال الحب
مالنا و ماله النار تكويك أوعى تحب الله خليك

و تدور أحداث الفيلم من خلال المطرب الشاب شريف الذى لم يستكمل دراسته الجامعية ، يعثر يوما على سلسلة ذهبية تخص أمانى أمام الأوبرا ، يذهب لتسليمها بعد أن يقرأ خبرا عن ضياع السلسلة ، تقابله أمانى و تدعوه على عيد ميلادها و يأتى كى يغنى لها:

من كام ليلة من كام يوم واحنا بنستنى دا اليوم

تطلب منه أمانى إدارة مزرعتها مما يثير ضيق رمزى الذى يود الاستيلاء على أموال أمانى. تتغير الأمور إلى الأفضل فى المزرعة و تدر عائدا مما يزيد من غيظ رمزى الذى يحاول تدبير المقالب لشريف ،و يوهم أمانى أن امرأة تأتى إليه بالمزرعة. تنمو مشاعر حب بين شريف و أمانى و تطلب من عمها مساعدة شريف فى أن يغنى بالأبرا ،و بعد مكيدة تفرق بينهما يغنى لها:

يا حبيبى قوللى آخرة جرحى إيه
قلبى مجروح من زمان و احترت فيه
الطبيب شافنى بكى بدموع عينه
قاللى جرحك ده مش قادر عليه
يا حبيبى و أعمل إيه

و بدأ أن المخرجين يضعون من وقت لآخر مطربهم فى شخصيات غير مناسبة ، ففى فيلم "نصف عذراء" للسيد بدير ١٩٦١ نحن أمام فيلم نفسى حول طبيب معقد ، يحاول استغلال حالته المرضية و يسيطر عليها عاطفيا ،و يغتصب واحدة منهن هى زينب المخطوبة لجلال ،و تتعقد أحداث الفيلم لدرجة أن الشاب يجد نفسه متهما باغتصاب خطيبته مما يعرضه للمحاكمة ،و على المحامى إثبات براءته.. و كما نرى فإن مثل هذه الأجواء غير صالحة تماما لفيلم غنائى ، بل أن الغناء هنا يبدو كئيبا فى غير مكانه ،و لم نجد أى مطرب فى السينما المصرية فيما قبل داخل قفص الاتهام حتى و ان كان بريئا ،و يكتفى أن نراجع موقف الشاب الذى عليه الشهادة الصحيحة فى فيلم "أيام و ليالى" لبركات.

أى أن السيد بدير الذى عمل كويلا كممثل فى أفلام غنائية كوميدية أخرجها عباس كامل لم يستفد من تجربته ،و عندما استعان فى بعض أعماله بطربين أو مطربات فإنهم كانتا بمثابة ديكورات للغناء إذا لزم الأمر ،و هكذا رأينا محرم فؤاد فى فيلم "نصف عذراء"

ولا شك أن مثل هذه الأدوار قد لعبت ضد المطرب الذى ابتعد لفترة تزيد عن العام عن السينما ، إلى أن عاد مرة أخرى إلى بركات فى نهاية عام ١٩٦٢ ليقدم باسم "سلاسل من حرير" شاركته البطولة مديحة يسرى ،و عماد حمدى ،و و زيزى البدراوى ،و هو هنا مطرب شاب تخرج من معهد الموسيقى العربية ، يحب ليلى التى يموت أبوها و تقرر الأم أن تزوج ابنتها إلى ابن خالها أنور. ترفض ليلى هذه الزيجة ،و تقف إلى جوار حمدى. على جانب آخر فإن الثرى أحمد يدعو حمدى إلى حفل زفافه فى منزله. تسمعه فايزة هانم و تعجب به و تنمو بينهما صداقة و حب من طرفها و تحاول إفساد ما بين حمدى و ليلى إلا أنه لا يلبث أن يعود إلى حبيبته.

و من أغنيات الأفلام التى غناها محرم فؤاد فى هذه الفترة ولاقت نجاحا رفع من أسهمه:

تعرف لما بقابلك يومها بحس بإيه
زى ما أكون عطشان و شربت
زى ما أكون زعلان و فرحت
زى ما أكون تعبان و ارتحت
دا اللى أنا باشعر بيه يا حبيبى

و قد عرض فيلم "سلاسل من حرير" قبل الفيلم الأفضل فيلم آخر لمحرم فؤاد باسبوعين تقريبا ،و هو "من غير ميعاد" لأحمد ضياء الدين ،و الذى اجتمع فيه كل من محمد سلطان و سعاد حسنى و نادية لطفى ،و فيه جسد دور المطرب كمال صديق الرسام وحيد الذى يؤجر غرفة فى شاليه تملكه أرملة تسكن فى المصيف مع ابنتيها سلوى و نادية فتعطلان هاتف الشاليه حتى يأتى ليتكلم من عندهما ، يتم التعارف بشكل أعمق و يأتى كمال لزيارة صديقه فيقع فى حب نادية ،و أمام مجموعة من المواقف يتقرب وحيد من سلوى و تعلن خطبتها بعد فسخ خطبة نادية و وحيد. يعرف كمال بالخبر و يعود إلى الإسكندرية التى سبق أن غادرها من أجل زواج الحبيبة. و من الواضح أن الشخصية الرئيسية هنا محمد سلطان ،و أن محرم فؤاد كان مجرد مطرب لا أكثر ،و قد غنى مجموعة من الأغنيات الخفيفة منها "خمسة سياحة" التى غناها فى حفل خطبة حبيبته على صديقه:

بعد ما أهنى و بعد ما أغنى
حاخد بعضى و أطلع أطير
الدنيا سياحة خمسة سياحة

أما الفيلم الأخير فى مرحلة السيتينيات لمحرم فؤاد فهو "شاب طائش" ١٩٦٣ للسيد زيادة ،و هو فيلم هامشى بلا أى قيمة ، ساهم بلا شك فى أن يدخل محرم فؤاد مرحلة الأفلام اللبنانية التى بدأت بفيلم "حكاية غرام" لمحمد سلمان الذى قدمه فى أغلب أفلامه ،و فى هذا الفيلم أدى دور شخصيتين ، أحدهما وجيه شقيق مها القادم من الولايات المتحدة إلى بيروت كى يهتم بأمورها ، مما يضايق النصاب شريف ، فيقوم بخطف الأخ و يأتى بأخ شبيه به ،و هو مطرب ،و تمضى معه مها أوقاتا جميلة على أنه أخوها ، إلا أن سمير المطرب يحب الفتاة و يغنى من أجلها "محروم":

محروم مش قادر أقول لك انى باحبك
محروم مش قادر أقول لك أوهب لى قلبك
و أنت هلالى ،ولا أنت دارى باللى جرى لى

ولا شك أن أغنيات محرم فؤاد قد أعطت لهذه الأفلامجماهيرية ، خاصة فى مصر باعتبار أن السينما اللبنانية قد صبغت فى هذه الفترة بصيغة مصرية واضحة ،و تواجدت فى دور العرض كأنها صناعة مصرية.

و قد تكرر نفس الشئ فى فيلم "الصبا و الجمال" لمحمد سلمان أيضا ،و ذلك من خلال أغنية: "ماتلونيش خدودك" و تدور قصة الفيلم حول مطرب شاب يعرف أن أباه مغرم بمطربة تبتز أمواله ، فيقرر الانتقام منها بإلقاء شباكه عليها ،و تحبه بالفعل ، ثم ينجح فى إبعادها عن أبيه بعد أن يعرف أنها كانت تفعل ذلك بضغط من أحد القباضيات الذين يطاردونها.

و قبل أن يتعرف المطرب على الفتاة راح يغنى مع أصدقائه على رقصات من ناديا جمال:

ما تلونيش خدودك ما تلبسيش حلق
دانتى كده بطبيعتك من أجمل ما خلق

و قد خلا الغناء هنا من أى بهجة ، عدا أن تكون هناك راقصة تحوم حول المطرب و هو يغنى ، أما هنا فقد غنى مع صباح أغنية باسم "روحى يا سنارة" بدأت بكلمات من المطربة التى أخذت تفخر بسنارتها التى تصطاد ما تشاء من رجال ، فراح يردد عليها و هو الجالس فوق مقعده:

مش كل السمك سمك انتى فهمانى
مش كل الشبك شبك النتى فهمانى
فيه سمك من غير حسك
ما تقدريش تصطادينى
ما تقدريش توقعينى

و قد كان أغلب الأفلام اللبنانية ملونة على غير أفلامه السابقة فى مصر ، منها "عتاب" ١٩٦٤ أمام سميرة توفيق ،و "ولدت من جديد" ١٩٦٥ ، ثم عاد إلى مصر ليعمل فى فيلمه المصرى الملون الأول "عشاق الحياة" لحلمى حليم عام ١٩٧١ ،و هو المخرج الذى سبق أن قدم لعبد الحليم حافظ واحد من أشهر أفلامه و هو "حكاية حب" ،و من الواضح أن هناك تشابها ما بين قصة الفيلمين ، فالبطل هنا اسمه أحمد فى الفيلمين ، هو مطرب يحب فتاة من مستوى اجتماعى أعلى ،و ليس الحبيب هنا هو الذى يصاب بالمرض بل إنها منى التى يصيبها الشلل فى ليلة زفافها على رجل آخر اختاره لها أبوها بعد أن رفض زواج منى من أحمد ،و فى هذا الفيلم غنى محرم فؤاد أغنياته التى أشتهر بها فى أوائل السبعينات و منها:

و النبى لنكيد العزال

أما آخر فيلم سينمائى عمل فيه محرم فؤاد فهو فى رأيى من أحسن أفلامه ،و هو "الملكة و أنا" لعاطف سالم ١٩٧٥ ، كتب له القصة على الزرقانى ، لكنه أفلت كسيناريو من يدى على سالم ،و الملكة هنا جورجينا رزق ملكة جمال العالم فى تلك الحقبة ،و عادل هنا هو شاب يعمل مرشدا سياحيا من منطقة الأهرامات ، يحب فتاة لبنانية جاءت مع فوج سياحى و أستهواها جوها ، تزوجت رجلا ثريا فصدمته ثم تعود إلى حبيبها.

و قد غنى محرم فؤاد هنا أغنيتين هما:

دارى جمالك دا العيون بصاصة..
دارى جمالك لا الرجال قماصة..
دارى جمالك كل نظرة رصاصة..

و "مراسيل و بعتنا المراسيل" ،و عن هذا الفيلم كتب مجدى فهمى فى مجلة الشبكة:

"الحان محرم – و كلها له - باهتة ،و شعره منفوش كأنه يضع على رأسه الماسك من الذى يستعمله ركاب الدراجات البخارية.. أما مهمته الكبرى فهى تقبيل البطلة.. لقد طبع شفتيها عددا من القبلات يزيد على عدد الليرات فى آجرها".

صورة
إعلان فيلم "النغم الحزين" إخراج حسن الصيفى

المطرب الثانى الذى ظهر فى نفس المرحلة و سار على نفس الدرب و سبق أن أشرنا اه هو ماهر العطار، الذى عمل فى أربع سنوات فى ستة أفلام و بدا إقبال المنتجين عليه بشدة انعكاسات لما تمتع به من جماهيرية، فعبد الأفلام التى أشرنا إليها قام عام ١٩٦١ بالمشاركة فى البطولة فى فيلم "أنا و أمى" ، كما أنه حاول أن يعمل فى السينما اللبنانية ، فلم يظهر سوى فى فيلم واحد و هو "لقاء الغرباء" بالمشاركة مع مريم فخر الدين و أحمد مظهر.

و قد بدا الرهان على ماهر العطار فى فيلمه الأول "احترسى من الحب" لحسن الصيفى ،و فيه يقوم بدور حسن الذى ورث عن أبيه ثروة ، فيبددها و يخطب ليلى التى يغرر بها و تحمل منه ، تخفى الأمر عن شقيقها،

يرفض حسن الزواج منها و يغادر البلاد فتضطر ليلى قبول الزواج من صديق شقيقها. و لكنها تترك المنزل، يلحق بها أحمد و يحاول قتلها و لكنها تنقذ و تنقل إلى المستشفى و يتقدم حسن و يعود كى يصلح خطأه.

و من الواضح أن دور المطرب الذى يقع فى خطيئة مع حبيبته لم يكن منتشرا فى السينما المصرية فيما قبل ، أى أن صورة المطرب الطائش الخارج عن اتلناموس قد وفدت مع الجيل الجديد لذا لم يترك المطرب الجديد أثرا عند متفرجيه.

و لعل "النغم الحزين" لحسن الصيفى هو الفيلم الوحي الذى سنتدت فيه البطولة بأكملها إلى ماهر العطار،و لذا امتلأ الفيلم با لأغانى التى أداها المطرب أو التى أدتها لبلبة ،و هنا يلعب العطار دور مطرب شاب مغمور تعجب به الراقصة سامية و تعمل على ضمه إلى الفرقة التى تعمل بها ، أما هو فيحبها كإنسانة عطفت عليه. يسافر عادل فى رحلة فنية ، يتسلل اليأس إلى سامية أثناء غيابه فتقبل على الخمر حتى تسقط على المسرح و تصاب بشلل فى ساقيها ، يلتقى عادل بالفتاة ليلى فيحبها ثم يعلن خطوبتهما ، يعود عادل و يعلم ما حدث فيضحى بحبه لليلى من أجل إنقاذ سامية ، يعود الأمل لها فتشفى و تعود لعملها كراقصة على أغنيات عادل ، تعلم سامية بعلاقة عادل بليلى فتبارك زواجهما و تهب حياتها للفن.

و من الأغنيات التى غناها العطار فى الفليم "قلبى سألته عليك قال أيوة أهواه و أعبده" و هى من ألحان بليغ حمدى و كلمات مأمون الشناوى ،و من المعروف أنها تنتمى إلى فايزة أحمد أكثر مما تنتمى إلى ماهر العطار الذى غنى أيضا لكل من الشناوى و بليغ أغنية "كتير على":

كتير على انى أحبك و انتى غنية و أنا فقير
كتير على انى أحبك و انتى جميلة و أنا مش جميل

كما غنى "الفرح" من كلمات فتحى قورة و ألحان محمد الموجى الذى لحن أيضا أغنيته الأكثر شهرة فى كل تاريخه الغنائى و هى "بلغوه" من كلمات عبد العزيز سلام:

بلغوه شوقى و سلامى بلغوه
طمنوه وان سألكم عنى ابقوا طمنوه
ما تقولوش انى بكيت
فى غيابه و اشتكيت
ما تقولوش عنى كده لتزعلوه
بلغوه
بلغوه انى أنا لسه بحبه
و اسألوه امتى حيسعدنى بقربه
و ان لقيتوا حبى لسه جوه قلبه
ما تقولوش انى بكيت
فى غيابه و اشتكيت
ما تقولوش عنى كده لتزعلوه
بلغوه

و قد لعب ماهر العطار بعض الأدوار الكوميدية التى انعكست على أغانيه مثل "مش والا إيه" فى فيلم "حلوة و كدابة" و مجموعة أغنيات فى فيلم "بنات بحرى" ،و لاشك أن رحلة العطار القصيرة مع السينما ليست غريبة ، فقد تكررت من قبله كثيرا و أيضا من بعده أسماء بارزة ، منها هانى شاكر و عماد عبد الحليم على سبيل المثال.

صورة
عبد اللطيف التلبانى فى فيلم "بنات بحرى" إنتاج ١٩٦٠

الفصل الثامن و العشرون
منتصف الستينيات
شريفة فاضل
محمد رشدى

يدل احتضان المخرج و المنتج كمال صلاح الدين لاثنين من نجوم الطرب فى الستينيات هما شريفة فاضل و محمد رشدى على الحال السئ الذى وصل إليه حال الغناء فى السينما فى تلك الفترة ، خاصة أن بدايات شريفة السينمائية كانت على يدى مل من السيد بدير و حسين فوزى بصرف النظر عن قيمة هذه الأفلام.

أما رشدى فإنه ظل يمارس الغناء فى السينما كمطرب أفراح لفترة طويلة حتى تلقفه كمال صلاح الدين بعد نجاح أغنية "عدوية" ليقدمه فى فيلم يحمل نفس العنوان.

و فى هذه الفترة ، كانت أعمار المطربين الجدد السينمائية قصية للغاية ، مثلما حدث مع عادل مأمون الذى قام ببطولة مطلقة فى فيلمين هما "ألمظ و عبده الحامولى" ١٩٦٢ ،و "العزاب الثلاثة" لمحمود فريد ١٩٦٤ ثم اختفى سينمائيا.

و هكذا أيضا كانت تجربة الكثير من المطربين فى تلك السنوات ولا شك أن بدايات شريفة فاضل و محمد رشدى قد بدت متشابهة حتى غنيا بشكل هامشى و عابر فى السينما ،و قد ظهرت شريفة فى أفلام عديدة كمطربة فقط قبل أن تسند إليها البطولة ،و كانت تجربتها فى فيلم "الأب" عام ١٩٤٧ ،و كانت صبية صغيرة فى الرابعة عشر من عمرها و الفيلم من إخراج عمر جميعى ، ثم فيلم "اللعب بالنار" عام ١٩٤٨ من إخراج جميعى أيضا ،و "وداعا يا غرامى" لنفس المخرج عام ١٩٥١ ،و "أولادى" عام ١٩٥٢ لجميعى كذلك.

و قد غنت شريفة فاضل فى "اللعب بالنار" ثلاث أغنيات من ألحان محمد فوزى و محمود الشريف و التحقت بمعهد الفنون المسرحية و ابتعدت عن السينما ، إلى أن التفت بأستاذها السيد بدير فتزوجت منه كى يسند إليها البطولة المطلقة عام ١٩٥٧ فى فيلم "ليلة رهيبة" ، من إخراج زوجها و تأليف محمد كامل حسن المحامى ،و هو المؤلف الذى كتب الكثير من القصص البوليسية فى السينما المصرية.

فنحن هنا أمام موضوع بوليسى لا يصلح ابدا أن يكون فيلما غنائيا و سوف يتكرر هذا مرة ثانية فى الفيلم الثانى لشريفة فاضل ،و الفيلم حول تبديل طفلين لعملية ولادتهما ، فتصبح الفتاة ابنة لرجب عجوز طيب ، أما الابن فيتربى فى بيت امرأة ثرية ،و يتعارف الاثنان على بعضهما عندما يكبران و لكن الماضى يطاردهما و يكتشف مجدى أن حبيبته ليست سوى أخته فى الوقت الذى عليه امرأة أخرى شباكها إلى أن يعرف أنهما لم يرضعا من نفس المصدر فيتزوجان.و قد غنت شريفة فاضل فى هذا الفيلم كمطربة فقط ، عليها أن تقف أمام نافذة كى تردد "أمانة ما تسهرنى يا بكرة" أو عليها أن تمشى فى شوارع مظلمة لتردد أغنية حزينة.

و من الفيلم ظلت أغنية "أمانة ما تسهرنى يا بكرة" حيث حققت نجحا جماهيريا ساعدت على تجاهل الموهبة المتواضعة للمطربة التى تجذبها السينما مجددا. و الأغنية من كلمات إسماعيل الحبروك و ألحان محمد الموجى:

أمانة ما تسهرنى يا بكرة أمانة ما تحيرنى
أمانة ما تحيرنى أمانة لتفرحنى
أمانة يا بكرة
خايفة اللى بنيته فى ايام يتهد فى يوم
و تروح من عينى الأحلام و يروح النوم
و أبات من الحب أشكى لا طايلة أحكى ولا أبكى
أمانة يا بكرة

و قد أدت شريفة فاضل فى فيلميها هذين دور المرأة المنكسرة الهادئة ، الت تنطق أقل عدد من الكلمات تغنى أكثر مما تتكلم. فهى هنا فتاة ريفية تعيش حاملة خطيئتها و ابنها من رجل زئر نساء ، ارتكب جريمة قتل و طارده مفتش مباحث ،و كان عليه أن يعود إلى القرية من أجل إصلاح خطأه و الزواج من الفتاة الريفية و يساعد فى تلك مفتش المباحث كواجب إنسانى.

و الأغنيات الثلاث التى غنتها شريفة فى هذا الفيلم من النوع الحزين عدا أغنية "الله على الدنيا" تأليف المخرج السيد زيادة و ألحان بليغ حمدى و التى تردد فيها:

مطرح ما تبص العين بتلاقى حياة و جمال
و الأجمل م الاتنين فى الدنيا راحة البال
و أنا مالى سعيد متهنى من كتر الحب بغنى
و القلب يقول الله الله الله

أما الأغنية الثانية "اللى ع الجبين" من ألحان سيد مكاوى و تأليف محمود فهمى إبراهيم الذى كتب الأغنية الثالثة المشهورة "يا بنى يا ضنايا" من ألحان بليغ حمدى:

يحرسك ربى يا بنى يا ضنايا
يا حتة من قلبى عايشة و يايا
لما بتقولى ماما من قلبك
بنسى دنيايا و افتكر حبك
يا حبيب قلبى يا بنى يا ضنايا

و قد قامت شريفة فاضل بدور صغير فى فيلم "سلوى فى مهب الريح" عام ١٩٦٢ ،و فى العام التالى نجحت أغنيتها "حارة السقايين" على المستوى الشعبى نجاحا ملحوظا ، فأسرع كمال صلاح الدين كمنتج و السيد زيادة كمخرج بالاستفادة من هذا النجاح ،و قدما فيلما يحمل نفس الاسم. و كما نلاحظ المخرج هنا هو الذى سبق أن ألف لها بعض الأغانى.

و بطلة الفيلم هنا "فكيهة" التى تعيش مع خالها الملحن المغمور ،و التى تذهب مع الخال كى تغنى أحد الألحان. و تتم الاستعانة بها بديلة عن مطربة ترفض غناء اللحن ، يعارض "سالم" خطيبها قيامها بالغناء و لكنها لا تهتم و تؤجر مع خالها شقة مفروشة فى حى راقى ،و تكون المفاجأة فى ظهور الفيلم بدون فكيهة بعد أن استغنى عنها المخرج فتعود إلى سالم نادمة.

و قد تميز لحن الأغنية التى حملت اسم الفيلم بالبساطة ،و تضمن الفيلم عدة أغنيات ،و منها اسكتش باسم "أنا حابقى عريس" اشتركت فى أداؤه أمام محمد رشدى ،و أمين الهنيدى ،و محمد عوض ، كتب كلماته عاطف رزق ،و لحنه حسن نشأت ، كما غنت شريفة فاضل أغنيتين هما "ألعاب غيرها" ،و "ياواد أنت" من ألحان محمد ضياء ،و تقول مرددة فى الأغنية الأخيرة:

بعدين معاك يا واد أنت كتر الكلام فى الحتة
اخواتى بدل الواحد عقبال أملتك ستة
لو كلمونى أجارك و لو كلموك يا نهارك
ح يقطعوك ميت حتة يا واد أنت

و فى هذا الفيلم غنى محمد رشدى كعادته إحدى أغنيات الأفراح و هى هنا من ألحان باسم "و الله فرحنا لك" التى يقول فيها:

و الله فرحنا لك يا و له و الهه فرحنا لم
و السعد جالك يا وله و الحظ ادا لك

حتة عروسة أبهة مشغول و متعلق بها

ولا شك أن الفيلم نجح على المستوى الشعبى ، مما دفع بنفس المنتج كمال صلاح الدين و السيد زيادة إلى تقديم فيلم ثان فى نفس السنة باسم "غازية من سنباط" به نفس التوليفة ، فإلى جانب شريفة فاضل و محمد عوض و عبد اللطيف التلبانى و أمين الهنيدى و كوثر رمز أبطال الفيلم السابق ، تمت الاستعانة بشقيق جلال و سعاد مكاوى و سيد الملاح و كلهم من أرباب الطرب ، لذا فإن الفيلم عن عالم الغوازى و الأفراح ، لابد أن يمتلئ بالأغنيات التى كتب بعضها المخرج نفسه. إذن فأمام هذا العدد من المطربين فلابد أن يمتلئ الفيلم بست أغنيات على الأقل بالإضافة إلى استعراض "شارع الصايمين" الذى اشترك فيه جميع مطربى الفيلم.

غنت شريفة فاضل هنا أغنيتين هما "يابو المدهب يا قصب" من ألحان محمد عبد العليم ،و كلمات محمد حمزة ، ثم "بنات سنباط" تأليف السيد زيادة ،و ألحان حسن نشأت و فيه تردد:

إرخى جفونك و أنا فايته يا واد لا تصيبك من عينى شرارة
و ان كنت يا واد عامل صياد أنا رمشى غابة و سنارة
مشهورة من إسنا لدمياط علشان أنا حلوة و من سنباط
مش بس أنا
كورس: كلنا حلوين يا بنات سنباط

أما عبد اللطيف التلبانى فقد غنى "دوبنى يا حب" و "الليلة فرح" ،و غنى سيد الملاح من ألحانه اسكتش "الهلالم" ،و غنت سعاد مكاوى من ألحان حسن نشأت أغنية "الحنةالسويسى".

و بعد هذا النجاح ، تعثرت التجربة كثيرا بالنسبة لشريفة فاضل ، فعملت فى دور صغير عام ١٩٧٠ فى فيلم "الحب و الثمن" ، ثم سافرت إلى سوريا لتعمل فى فيلم "الراعية الحسناء" عام ١٩٧٢ ،و فى عام ١٩٧٨ أخرج لها حسن الإمام فيلما عن منيرة المهدية "سلطانة الطرب" و غنت بعض أغانيها ،و كان لابد لشريفة أن تعود إلى السينما من خلال إنتاجها ،و تكررت التجربة فى عام ١٩٨٥ من خلال فيلم "تل العقارب" الذى يدور فى حى شعبى.

أما محمد رشدى كما أشرنا فقد عليه أن يظهر فى الأفلام ليغنى فى الأفراح مثل "يا أم الطرحة معطرة" و "القمر قمرين" و "من العيد دى حبة و العين دى حبة" ،و من هذه الأغنيات ما ردده فى فيلم "المارد" ١٩٦٤ للمخرج سيد عيسى "قولوا لمأذون البلد":

قولوا لمأذون البلد ييجى و يتمم فرحتى
و يهنى قلبى الى انسعد و يا الجميل فى غربتى

صورة
صورة

و قد ظل رشدى يغنى للأفرتح فى أفلام عديدة رفم بزوغ نجمه فى أغنيات شعبية عديدة ،و فى فيلم "حارة السقايين" شارك بالغناء لكنه لم يكن بطلا ، بل أن السيد زيادة لم يستعن به ثانية فى فيلمه التالى مع نفس المجموعة و استعان بعيد اللطيف التلبانى الذى كان بمثابة ضيف شرف فى "حارة السقايين" ،و فى عام ١٩٦٦ غنى رشدى فى فيلمين ، هما "الزوج العازب" ، ثم "نورا" و هو من إخراج محمود ذة الفقار حيث غنى أغنيته المشهورة "ع الرملة".

و قد شارك محمد رشدى فى بطولة فيلم "ست بنات و عريس" للسيد زيادة عام ١٩٦٨ ، لكن ذلك بعد نجاح فيلمه "عدوية" ،و قد حدث نفس الشئ الذى سبق أن حدث لأغنية "حارة السقايين" ، فما أن نجحت

أغنية "عدوية" على المستوى الشعبى حتى فكر نفس المنتج المخرج كمال صلاح الدين فى أن يقوم فيلم يحمل عنوان الأغنية و جعل البطولة المطلقة لمحمد رشدى و بدا كأنه يراهن عليه.

كان يكفى أن يكون محمد رشدى هو المطرب الأوحد فى الفيلم ،و أن يقوم بدور صبرى الذى يحب عدوية، غير أن والدها يرفض زواجهما. يلتحق صبرى بمركز للتدريب المهنى و يوجهه المدير لدراسة الموسيقى لما يتمتع به من موهبة للغناء ، يتعرف بالراقصة سميرة و يسطع نجمه فى عالم الغناء ، تهرب عدوية إليه و يتزوجان و يضطر الأب لأن يبارك زواجها و يعيشان فى سعادة رغم محاولات سميرة للإيقاع بينهما.

و تضمن الفيلم مجموعة من الأغنيات منها "عدوية" و "ياللى الهوى رماك" و "يا عزيزى عينى" ،و هاتان الأغنيتان من كلمات صلاح أبو سالم و ألحان حلمى بكر ،و من الواضح هنا أن رشدى قد ترك غيره يلحن له و هو الذى نجح كثيرا من خلال أغنيات لحنها له بليغ حمدى.

و هعذه الأغنيات كانت علامة متميزة فى مسيرو محمد رشدى ، حيث يردد فى أغنية "ياللى الهوى رماك":

إن كنت مسافر خدنى معاك
او خد تباريح الشوق وياك
ح تقوللى الصبر دا عمر الصبر ما وصلنا
من هنا لهناك
يا معدى هدى الخطوة استنى و خدنى معاك
و صعيدى ولا بحيرى والا الهوى رماك
يالى الهوى رماك

أما أغنية "يا عزيز عينى" فهى مأخوذة من الفلوكلور الشعبى و قد سبق لمطربين آخرين أن رددوا نفس الكلمات

يا عزيز عينى د أنا بدى أروح بلدى
بلدى يا بلدى و أنا بدى أروح بلدى
يا عزيز عينى

و قد أحس السيد زيادة بأن أسهم محمد رشدى ترتفع ، فأسند إليه بطولة فيلم "ست بنات و عريس" ،و هو ضم نجوم الكوميديا فى تلك الفترة ، مثل محمد عوض و أمين الهنيدى ،و يدور حول إحدى العصابات التى قامت بخطف الطفل مسعود ، يعثر عليه أحد الفلاحين و يقوم بتربيته حتى يصبح مدرسا ، يربط الحب بينه و بين زميلته و ينافسه فى حبها زميلهما زكى ،و لكنها تميل لمسعود و تتم خطبتهما. تفاجأ والدة الفتاة يوم الزفاف بأن مسعود أخوها ،و ذلك من خلال حجاب يحتفظ به منذ غيابه و هو طفل و تغمرها الفرحة لعودته و بذلك توافق الفتاة على الزواج من زكى.

و من الواضح أن الأدوار التى جسدها رشدى فى أفلامه كانت لشخصيات شعبية مثلما جسد من قبل محمد الكحلاوى و عبد العزيز محمود. و فى فيلم "السيرك" لعب رشدى دور بطولة مشترك ، لمجموعة من الشباب يعملون فى السيرك ،و يعانون المتاعب المالية ثم يتغلبون على هذه الظروف و ينجحون فى عملهم.

و قد راهن فطين عبد الوهاب على محمد رشدى فى واحد من أفلامه الأخيرة ،و هو "فرقة المرح" عام ١٩٧٠ و هو الفيلم الوحيد فى السينما المصرية الذى يقوم فيه ضابط مباحث بالغناء. فمن المعروف أن الذين يقومون بالغناء فى السينما ، إما مطربين أو شباب موظفين ،و لكن محمد رشدى يقوم بدور لطفى ضابط

المباحث الذى عليه حماية الفتاة منى التى تحب جارها عادل ،و يعمل مختار ابن أخت منى ضمن عصابة تهريب يتزعمها سليم.

تعرف منى من الضابط أن سليم يعتقد أن مختار يفضى لها بأسرارهم قبل مصرعه على أيدى رجال الشرطة ، يتردد سليم على منى و يدعى له لطفى أنه أخوها الذى انتهت مدة عقوبته فى السجن ، يطمئن له سليم و يضمه إلى العصابة و بذلك يتمكن لطفى من إيقاع سليم و أعوانه فى قبضته.

و للقارئ أن يتصور ضابط شرطة يمسك المسدس و يطارد العصابات ثم يقف فى ملهى ليلى كى يغنى ،و قد حدث أم كنت أقوم بتسجيل تليفزيونى لأحد البرام و كان معى محمد رشدى فتذكر هذا الفيلم و أبيدى دهشته أيضا قائلا: **"لدرجة أنهم جعلونى أقوم بدور ضابط شرطة فى أحد الأفلام".**

كان على محمد رشدى أن يعود إلى السينما مرة أخرى بنفس الشكل الذى راهن عليه كمال صلاح الدين فجمعه مرة ثانية مع بطلة فيلم "عدوية" فى فيلم جديد هو "ورد و شوك" سيكون بثابة العلاقة الأخيرة للمطرب مع السينما.

و يروى الفيلم قصة حسن و بسيمة اللذان يتورطان فى علاقتهما و يستعدان للزواج ، يتعرض حسن لسرقة حافظة نقوده ، تشاء الصدف أن يلقى السارق مصرعه فيعتقد رجال الشرطة أنه حسن لوجود بطاقته الشخصية فى حلفظته و يبلغون أسرته.

تنهار بسيمة و تهرب بعد أن تكتشف أنها حامل ، تتعرف على سائق تاكسى و يتفقان على الزواج ، يتوصل حسن بعد بحث عن مكانها و يتفهم سائق التاكسى الموف و يتركها كى تتزوج من حسن.

و قد شهد هذا الفيلم تحولا ملحوظا فى السينما الغنائية ، فمن قبل كانت قصص الحب شفافة رقيقة ،و كانت الرومانسية تغلف قصص الحب و تكسوها الأغانى ،و إذا كانت ناهد شريف قد جسدت دور فلاحة رقيقة فى فيلم "عدوية" فإنها فى فيلم "ورد و شوك" ١٩٧٢ كانت قد صارت نجمة إغراء يمكنها أن تكشف ما لديها من فتنة ،و تبارت بطلات الفيلم فى هذا المضمار ، من نوال أبو الفتوح إلى نجوى فؤاد و سعيدة جلال.

و فى هذا الفيلم غنى رشدى أغنيتين الأولى من كلمات محمد كمال بدر ،و ألحان إبراهيم رأفت باسم "آه يا هوى":

آه يا هوى يا ويلى من جرح الهوى
آه يا هوى مالك طبيب مالك دوا
يا قلبى كنا اتنين هنا و الحب كان تالت لنا
ولا دنيته راحت لنا ولا القدر سابنا سوا

أما الأغنية الثانية "الواد من بورسعيد" فمن كلمات عاطف رزق و ألحان محمد رشدى نفسه ،و هى تنتمى إلى أغنيات الأفراح التى اشتهر بها المطرب فى بداية حياته:

الواد من بورسعيد و علشان حظه السعيد
جابه النصيب و جانا من مشواره البعيد
و حتة زفة يا واد و النور فى الحى انقاد
و غنوا بورسعيدى على مزمار صعيدى
يا غنوة بورسعيدى
اسم الله عليه الخير فى ايديه
و شطارته ملهاش حد

و كما هو واضح فإن السينما بهذا النوع من الأغانى و الأدوار كتبت نهاية علاقة محمد رشدى بالسينما ،و ذلك بعد رحلة قصيرة نسبيا ،و لاشطك أنها أطول قليلا من رحلة مطرب ظهر فى نفس المرحلة هو عادل مأمون ، الذى تم الرهان عليه فى النصف الأول من الستينيات ،و خاصة فى فيلمه الأول "ألمظ و عبده الحامولى" لكن المواهب التمثيلية لم تسعفه ،و عندما قدمه محمود فريد فى فيلم "العزاب الثلاثة" عام ١٩٦٤ كان المخرج قد راهن على فيلم "ليلة الجمعة" الذى سبق إخراجه فى السينما من بطوة أنور وجدى و إبراهيم حمودة.

و فى هذا الفيلم الجديد أدى عادل مأمون دور مطرب و شاركه فى البطولة عبد المنعم إبراهيم و حسن يوسف فى دور ثلاثة شباب تدفعهم الظروف إلى كراهية النساء ، فيعزلون فى مكان بعيد و يقررون الابتعاد عن كل ما هو أنثوى حتى تدفع خطيبات الشباب بواحدة من أصدقائهن للدخول للفريق المعزول و تنجح فى إخراج الشباب من عالمهم الوهمى.

و قد غنى عادل مأمون فى هذا الفيلم أغنيات خفيفة تتناسب مع روح الفكاهة فى الفيلم منها أغنية "ايوة.. حلوة عزيزة" ، ثم أغنية "ابعد عن الحب و غنى له":

ابعد عن الحب و غنى له
و ان فات عليك اياك تنادى له
خليك زينا فى حياتنا هنا

و بعد هذا الفيلم ابتعد عادل مأمون تماما عن الأفلام ،و بدا كأنه يتيح الفرصة لجيل جديد من أجل أن يغنى ، مثل عبد اللطيف التلبانى و محمد رشدى ،و هو الجيل الأقصر عمرا و الذى ترك الفرصة لهانى شاكر و هكذا تعاقبت الأجيال.

صورة
أفيش فيلم "درب اللبانة" بطولة عبد اللطيف التلبانى
صورة
لقطة من فيلم "غرام فى الكرنك" من إنتاج الستينيات
صورة
لقطة من فيلم "اجازة نص السنة" من إنتاج الستينيات

الفصل التاسع و العشرون
الغناء السنمائى فى السبعينيات
هانى شاكر
عماد عبد الحليم

قليلا ما ينظر الناس إلى الأطفال المطربين باعتبارهم نجوم الغناء فى المستقبل ، فكثير من هؤلاء الصغار سرعان ما ذابوا فى الحياة عندما صاروا أكبر سنا و شبابا.

و لم يتصور أحد أن ذلك الطفل قام بدور سيد درويش فى صباه فى الفيلم الذى أخرجه أحمد بدرخان عام ١٩٦٦ سيكون له شأنا كبيرا فى عالم الغناء ، لقد غنى هانة شاكر بصوته أغنيات ترجع إلى أوائل القرن ، أما كرم مطاوع نفسه فقد غنى فى هذا الفيلم بصوت محمد شبانة.

و لم يترك هانى شاكر أثرا لدى الناس ،و لم يتساءلون من يكون الطفل لدرجة أنه فى فيلم تالى قام بالتمثيل فيه كطفل هو "من أجل حفنة أولاد" لإبراهيم عمارة لم تغن ،و كان مجرد طفل ممثل من بين أطفال عديدين.

لكن السينما سرعان ماراحت تستجلبه إلى استوديوهات ، بمجرد ذيوع صيته فى الغناء ،و انتشار أغنانيه التى أعطت للناس الإحساس أنناأمام عبد الحليم حافظ جديد ، فغنى "حلوة يا دنيا" و "كده برضوا يا قمر" ،و "سيبونى أحب" ،و كان اسم فيلمه الأول كنجم غناء هو نفس اسم أغنيته بعد تحويلها إلى لغة غريبة و هى مطلع أغنية "لما يغنى الحب يا قلبى".

و كان نيازى مصطفى هو الذى وقف بكل قوته وراء هانى شاكر سينمائيا ، فقدمه فى "عندما يغنى الحب" عام ١٩٧٣ ،و ذلك فى قصة مكرر سبق أن جسدها شكرى سرحان أمام المطربة مها صبرى فى بدايتها عام ١٩٥٩ فى "أحلام البنات" من إخراج يوسف معلوف ، حول صاحب المتجر الكبير الذى يود أن يعلم ابنه المسؤلية فيدفع به إلى أن يعمل موظفا فى المحل دون أن يدرى أحد هويته ،و يتصرف كعامل كى يستكشف الحياة و الناس ،و هناك يتعرف على فتاة فقيرة غير طموحة تحبه لذاته.

و لذا فإنه لا يتردد أن يتزوجها بعد أن بادلها الحب.

و من التجربة الأولى لهانى شاكر نكتشف أن المخرجين الذين عملوا معه راهنوا فقط على اسمه ،و أنه فى الأفلام التى قام بالعمل فيها لم يقف أمام نجمات بل أمام ممثلات جدد ،و كان الرهان على الأغنية و المطرب، فالفيلم الأول "عندما يغنى الحب" وقف أمام ليلى حمادة ، ثم أمام نيللى فى "عايشين للحب" ،و فى الفيلم الثالث كان الأبطال الثلاثة من الشباب ، مثل "نورا" و حمدى حافظ فى "هذا أحبه و هذا أريده".

و الذى يذكر أفيش فيلم "عندما يغنى الحب" سوف يلاحظ الصورة الضخمة التى تملأ مساحة للنثل المطرب الذى يراهن عليه الفيلم المهم هو أن يأتى الناس من أجل سماع و مشاهدة هانى شاكر. و قد جاء بعد ذلك أسماء من طراز ناهد يسرى و صفاء ابو السعود ثم ليلى حمادة و حمدىغيث و يوسف فخر الدين. و قد تضمن الفيلم ست أغنيات و استعراضات منها ثلاثة لبليغ حمدى هى "يا عاشقين" و "عومتى فى بحر عنيك" و"لما يغنى الحب" ، أما محمد الموجى فقد قام بتلحين "حلوة و خفة" و قام منير مراد بتلحين استعراض "البحارة" و قدم عمر خورشيد ألحان استعراض التليفزيون.

و كما أشرنا فإن الرهان قد جاء لصالح هانى شاكر الذى عليه أن يغنى وحده و أن يشارك فى كل هذه الأغنيات ، رغم أن هذه الأغنيات ليست أفضل ما لدى المطرب حتى تلك الفترة ، لكن من الواضح أن المطرب يدخل بكل قوة من خلال نيازى مصطفى ، الذى غنى فى أفلامه أغلب نجوم الطرب من قبل كما أشرنا فى مكان آخر من هذه الدارسة ،و لكن يبدو أن الطبخة لم تأت مكتملة ، لذا فإن التجربة لم تنجح ربما للموضوع ، أو لأن هناك شيئا ما ناقصا.

و قد غنى هانى شاكر لحبيبته فى الفيلم أكثر هذه الأغنيات:

يا عاشقين يا مغرمين.. يا مدوبين قلب الحجر
حبيبى غاب ما أعرفش ليه.. من غير ما يبعت لى خبر
و حياة غرامكو و حبكو.. روحوا قولوله
و حياة حلاوة قلبكو.. روحو قولوله
يبعت لى كلمة ويا القمر

و يغنى لحبيبته فى مكان آخر من الفيلم:

لما يغنى الحب يا قلبى.. كل الدنيا تقول الله
لما ينادى الضوق لحبايبى.. يلقى الدنيا تغنى معاه

و من الواضح أن رصيد هانى شاكر من الغناء فى تلك الفترة كان دافعا قويا للاستفادة منه فى فيلم آخر هو "عايشين للحب" لأحمد ضياءالدين عام ١٩٧٤ ،و الذى يدور فى أجواء موسيقية ، حول زكى الفنان

المعروف الذى يتبنى إحدى الفرق الاستعراضية فنيا ، يربط الحب بين عضوى الفرقة و يسمونه هنا هانى الذى يحب نيللى ، يطلب منهما زكى أن يوهما زوجته أنه خطب نيللى كى يلقنها درسا و تكف عن إيمانها بالسحر ، يعتقد هانى أن نيللى على علاقة بزكى بالفعل لكى يوصلها للشهرة و المجد ،ز لكنه يتراجع عن شكه. تنجح خطة الزوج و تستعد الفرقة لتقديم استعراض من تلحين زكى ، ثم يتزوج هانى من حبيبته.

ولا شك أن تسمية البطل هنا باسم الشهرة للمطرب يعنى الإيحاء للناس بأن تذهب للفيلم من أجل رؤية و سماع المطرب ،و قد غنى هانى فى هذا الفيلم خمس أغنيات من أغانيه ، منها أغنية "سيبونى أحب" و "قسمة و نصيب" و غيرها ،و هى أغنيات ساهمت فى زيادة أسهم المطرب لكن أداءه على الشاشة لم يجذب الناس إلى مشاهدته:

قسمة و نصيب و الحب رمانى
سلمت أنا و برمشه نادانى
و أعمل إيه و الفرح معاه
و اعمل إيه و الشوق وياه
و اقول يا بكرة تعالى قوام
و هات معاك ورد و أحلام
و أنا نفسى ادوب ولا انى اتوب

و الغريب أن حسن الإمام فى قمة تألقه بعد كل من "خللى بالك من زوزو" ثم "أميرة حبى أنا" ، قد بدأ يراهن على هانى شاكر فقدمه فى فيلمه الثالث و هو "هذا أحبه و هذا أريده" الذى كتب له السيناريو فى نص أدبى إحسان عبد القدوس ، حيث كان المؤلف قد نشر السيناريو كاملا فى مجلة "صباح الخير" قبل أن يتم تحويله إلى فيلم. و السيناريو نفسه عبارة عن اقتباس بين لفكرة "سيرانو دى برجاك" حول الصديقين اللذين يحبان نفس الفتاة ، أحدهما بليغ ، يكتب خطابات الغرام الملتهبة فيأخذ صديقه الرسائل من أجل أن يقدمها إلى حبيبته.

و الجديد فى موسيقى و أغانى هذا الفيلم هو دخول إلياس رحبانى كصانع الموسيقى ثم ملحن الأغنيات ،و كان الأخوان رحبانى قد دخلا فى هذه الفترة لصناعة موسيقى الأفلام ،و تركا بصمات قوية لدى المستمع فة موسيقى "حبيبتى "و "هذا أحبه و هذا أريده" ، لكن الغريب أن لا الموسيقى ولا الأغنيات التى قدمها إلياس هنا كانت بذات أهمية أو صدى ،مثل أغنيات هانى شاكر الأخرى.

و هانى شاكر فى هذا الفيلم مطرب ، الذى يذهب إلى سلوى و يخبرها أنه صاحب الرسائل التى وصلتها مكتوبة باسم أشرف مما يوقع سلوى فى حيرة ، فهى تحب أشرف من خلال خطاباته و تعجب بشخصية أحمد، يتزوجها أحمد بعد أن ظل أشرف سلبيا إزاء مصارحته لها بالحب ،و عقب الزواج يتسرب الشك فى قلب الزوج إلى أن يكتشف خطأ شكوكه.

و على مستوى حسن الإمام فقد سارع بتكرار تجربة تجديد أغنيات سيد درويش عقب أن لجأ إلى هذه الطريقة فى فيلم "أميرة حبى أنا" حيث دفع سعاد حسنى أن تغنى من استعراض "شهرزاد" لسيد درويش ،و غنت وردة أغنيات منها "كيكى" تأليف بديع خيرى و "والله تستاهل يا قلبى" من كلمات أمين صدقى.

فى "هذا أحبه و هذا أريده" غنى هانى شاكر ضمن استعراضات الفيلم أكثر من لحن لسيد درويش منها "يا عشاق لنبى صلوا على جماله.. يا عروسة الزين تعالوا بنا نزينها لك" ، ثم "يا ورد على فل و ياسمين الله عليك يا تمر حنة ، قرب هنا ، شوف عندنا ، آدى وردة يا بيه آدى فلة يا هانم" ، كما غنى هانى شاكر من ألحان إلياس رحبانى و كلمات محمد حمزة أغنية "حلو الحب" ،و غنى لمحمد الموجى من كلمات حسين

السيد "سوق الهوى" ،و من كلمات سيد مرسى و ألحان حلمى بكر غنى "اتحرك يل قلبى" و يقول فى حلو الحب:

لف يا قلبى و قول للدنيا كله يحب
و الله زمانه لقى أحبابه كله يحب
راح يتنسم عطر الحب
راح يتعلم حب فى حب

ولا شك أن عمر هانى شاكر كان قصيرا للغاية فى السينما ، رغم وقوف ثلاثة من كبار المخرجين معه ، لكن هانى هو فى المقام الأول مطرب لا يرقص ولا يقدم عملا استعراضيا ،و لعل عدم نجاح مثل هذا الجيل فى السينما أن الناس فيما سبق كان يهمها رؤية صورة المطرب على الشاشة ،و خاصة و هو فى حالة حب ، أما فى عصر التليفزيون فصار الناس يشاهدون مطربهم يغنى فى الحفلات و فى الحفلات و فى التليفزيون ،و لأن الطرب فى الأساس هو رؤية المطرب و سماعه ، فإن هذا الجيل كن قصير العمر و لم نرى استثناء واحدا طوال الثلاثين عام الماضية.

و فى تلك السنوات كان نجم عماد عبد الليم قد بدأ فى السطوع ،و تم اكتشافه كمطرب و هو فى الرابعة عشرة من عمره ،و جاء به عبد الحليم حافظ من الإسكندرية و دفع به ،و قام ببطولة مسلسل "الضباب" الذى غنى فيه أغنيته الشهيرة التى تحمل عنوان المسلسل ،و عندما بدأت علاقة السينما بعماد فكر مخرج من طراز على رضا أن يعيد إلى الأذهان صورة عبد الحليم حافظ ، كان هذا الأخير قد رحل عن عالمنا ،و أثيرت الأحاديث عن علاقة المطرب الراحل بعماد الذى حمل اسمه ،و كان على السينما أن تعيد إخراج واحد من الأفلام الشهيرة لعبد الحليم و هو "الخطايا" لحسين الإمام ١٩٦٢ ،و هو فيلم ميلودرامى بارز فى تاريخ السينما الغنائية.

إذن.. فلماذا لا يتم استعارة صورة عبد الحليم فى شكل مطرب شاب له نفس الملامح و القامة ،و الوجه الضامر و الصوت الجميل. إذن فما قدمه الفيلم ليس بمثابة تقديم للمطرب الشاب بقدر ما هو اختبار له ،و من هنا جاءت حساسية تقديم فيلم "عذاب الحب" عام ١٩٧٩ الذى أريد به إعادة إحياء عبد الحليم حافظ.

أنه نفس السيناريو القديم لفيلم الخطايا كما كتبه محمد عثمان و أيضا اسم البطل حسين الذى يحب جارته منى ،و هناك أيضا أخزه أحمد ،و الاثنان هما نجلا المهندس عبد الحميد و زوجته درية ، أما منى فهى ابنة السيد شعبان الثرى الكبير ،و الحب يجمع بين الاثنين ،و فى ليلة اللقاء الحسام بين حسين و منى يقف الأب موقفا حازما من الزواج حيث يقرر أن الزوج هو الأخ الصغير أحمد و ليس الأكبر حسين.

و نحن نعرف القصة بالطبع ،و سبق أن رأيناها فى فيلم غنائى ،و الغناء فيها فردى ، كأن يناجى شخص حبيبته على قارعة الطريق ، أو ينعى حظه فى مكان ما ،و كان الأحرى أن يعيد عماد عبد الحيم غناء إحدى أغنيات عبد الحليم حافظ فى فيلم الخطايا ، مثلما فعل هذا الأخير نفسه حين ردد فى الشوارع تساؤلات الطلاسم التى سبق لعبد الوهاب أن غناها فى فيلم "يوم سعيد"

و لم يحقق الفيلم أى نجاح ، رغم عناصر التمثيل فهند رستم مكان مديحة يسرى و عادل أدهم مكان عماد حمدى و عمر الحريرى مكان فاخر فاخر و حسين الشربينى مكان كمال حسين ،و بالطبع فإن نورا لايمكن أن تحل مكان نادية لطفى.

صورة
هانى شاكر و حمدى حافظ فى لقطة من
فيلم "هذا أحبه و هذا أريده"

صورة
عماد عبد الحليم و نورا فى لقطة من
فيلم "الأخوة الغرباء"

ولا شك أن أغنية بكائية من طراز "حظى معاكى يا دنيا كدا" تناسب أجواء الفيلم و كأنها بديل عن "الطلاسم" أو "لست أدرى" ،و هى أغنية ذات حظها من النجاح.

و قد أتيح لعماد عبد الحليم أن يعمل مع مخرجين بارزين. خاصة فى المجال الغنائى ، فعلى رضا سبق أن قدم أعمالا استعراضية و غنائية فريدة عديدة فى أفلامه السابقة ،و هو هنا يراهن على اسم يعمل لأول مرة فى السينما ،و بشكل عام فإن علاقة الناس بالمطرب أشبه بمن يتناول قطعة من اللبان ، تبدو فى بدايتها حلوة المذاق جميلة الطعم ،و يروح يلوكها ، ثم يلفظها بعد أن تفقد سكرها فى الفم.

و بالنسبة لعماد عبد الحليم ، فقد كان عمره السينمائى عامين لا أكثر ففى عام ١٩٧٩ عرض له أيضا فيلم "كرامتى" من إخراج أشرف فهى و أمام نجوى إبراهيم ،و قد كانت هناك محاوت لعمل أفلام استعراضية أو غنائية للمخرج لكنها لم تنجح ابتداء من "بص شوف سكر بتعمل إيه" إلى "ميعاد مع سوسو" ،و فى "كرامتى" حاول أشرف من جديد ، لكن خبرته لم تكن قوية فى صناعة مثل هذا النوع من الأفلام،و كذلك فإن موهبة المطرب لم تسعفه.

ولا شك أن سمات عماد عبد الحليم كانت يمكن أن تكسبه جاذبية ،و خاصة تكوينه الجسمانى و طريقته فى نطق الكلمات ،و اللدغة و ملامح وجهه ،و انكساره ،و إذا كما أشرنا فى دراستنا عن عبد الحليم حافظ ، أن سبب نجاح شخصياته السينمائية انكسارها ، مما يزيد من تعاطف الناس معها ،و يقف إلى جانبها ، لكن من الواضح أن الزمن قد تغير ، فهو فى فيلم "كرامتى" يؤدى دور طالب صغير السن ، يقوم بإنقاذ امرأة من الانتحار الذى حاولت به أن تتخلص من خيانة زوجها ، هى امرأة ناضجة محطمة ،و هو شاب مقبل على الحياة ، يأخذها معه إلى غرفة صغيرة يقيم بها ،و يحرسها حارس يقف إلى جانبه ،و المرأة ترفض قبول الحياة لكنها تلحظ اهتمام الشاب بها.

و طارق هذا يذهب للبحث من أمل بعد أن تذهب بشكل مفاجئ عن الغرفة ،و هو لا يعرف أنها متزوجة ، ثم تشرح لها ظروفها و يتجولان فى دروب الإسكندرية ،و يجربان لذة الحب الشفاف ، لكن الزوج لا يلبث أن يعرف. يحاول ملاحقتهما ،و عندما ينصرف غاضبا بعد أن شاهدهما ، تحاول أمل اللحاق به ، فتصدمها سيارة و تنقل إلى المستشفى ، يشرح طارق للزوج الموقف و يسرع الجميع إلى المستشفى و يقرر الشاب أن يضحى بحبه كى تعود أمل إلى زوجها الذى أعلن ندمه.

أنها نفس النهاية التى رأيناها فى "أيامنا الحلوة" لحلمى حليم ، حين لم يتمكن الحبيب من الحصول على الحبيبة و ضحى بها من أجل سعادتها ، لكن مع اختلاف أن المرأة هنا ظلت حية و عادت إلى زوجها ،و لاشك أن الشاب هنا لا يصلح للزواج ، فهو تلميذ صغير يحب و لكنه لا يستطيع أن يكون حياة زوجية ،و لذا فأن السيناريو الذى كتبه أحمد عبد الوهاب بدا منطقيا للغاية.

و إذا كان فيلم "حياتى عذاب" بمثابة إعادة لفيلم "الخصايا" ، فإن فيلم "الأخوة الغرباء" لحسن الصيفى هو إعادة جديدة لفيلم "الشقيقان" الذى أخرجه الصيفى أيضا عام ١٩٦٥ ، لكن الإعادة هنا لمسها بعض التغيير فى أسماء الأبطال دون أنيمس الأمر النص الأساسى.

الفيلم القديم لم يكن غنائيا بالمرة ، فهو به بعض العنف و بطلاه أحمد رمزى و حسن يوسف من أبطال الحركة ،و فى الفيلمين هناك دائما صراع بين اثنين من الأخوة ، لم يلتقيا قط من قبل ،و لا يعرفان بعضهما،و

الأب واحد ولا يزال على قيد الحياة ، الأول تربى فى أحضان أمه التى هجرها زوجها ،و عاشا فى فقر مدقع، فربته حتى واصل دراسته إلى الجامعة ،و كان الأب قد هجر زوجته هذه بعد أن صارت أكبر سنا و عجزت عن الإنجاب ، لكنها عندما انفصلت عن زوجها اكتشفت أنها حامل فأنجبت "وحيد".

أما الثانى عمر فهو من زوجته الثانية الثرية ،و قد عاش الأب سنوات طويلة دون أن يدرى أنه له ابنا ثانيا من زوجته السابقة عزيزة،و لذا فإن لقاء الأخوين فى الجامعة لا يولد بينهما الصداقة ، فما كما يقول عنوان الفيلم غريبان ، بل و متنافسان ، يحبان نفس الزميلة فى الدراسة ،و هى ذات مكانة اتماعية عالية ،و رغم ذلك فإن ألفت تحب الفقير "وحيد" ،و يحس الثانى بذلك فيحاول أن ينال من خصمه و غريمه من خلال مباراة كاراتيه.

و فى الفيلم الأول كانت المباراة فى الملاكمة و قد تربص الأخ الثرى بالثانى و قرر أن يقتله أثناء المباراة عن طريق ما يسمى بضربة خاطئة من أجل أن يتخلص منه كمنافس ،و تعلم الأم بذلك و تعرف الحقيقة ، فتسرع إلى زوجها القديم من أجل أن يلحق المذبحة قبل حدوثها.

"مذبحة.. فى فيلم غنائى حتى و ان لم تتم".

لاشك أن ذلك يعكس أسلوب تفكير السينما فى تلك الفترة ،و من حق حسن الصيفى إعادة إخراج فيلم من أعماله القديمة ، لكنه لم يلق نجاحا مذكورا فى منتصف الثمانينيات.. إذن فعندما تم إخراج فيلم ميلودرامى مثل "حياتى عذاب" لم تكن النتيجة مقبولة بنفس درجة قبولها الأول ،و كانت المسافات واسعة للغاية بين الحالتين. أما التجربة لفيلم به بعض الحركة و الكثير من الميلودرامية ،و القليل من العاطفة الشفافة ، فإن المسافة هنا كانت قريبة ،و ذهب الناس لمشاهدة عماد عبد الحليم و سماع بعض أغانية ، لكن الفيلم لم يترك أثره فى أذهان الناس.

و قد يتساءل الباحث: ترى ماذا غنى عماد عبد الحليم فى هذا الفيلم مثلا ،و سوف تأتى الأجابة ، أن الأغنيات متشابهة و متداخلة ،و لذا فمن الصعب أن نتذكر ماذا غنى هنا أو هناك بنفس درجة و ذكر أسماء أغنيات عبد الحليم مثلا فى الخطايا التى لا يزال الناس يخفظونها عن ظهر قلب.

و سوف نلاحظ أنه رغم تعدد المخرجين الأربعة الذين عملوا مع عماد عبد الحليم فى السينما ، فإن جميعهم وضعه فى قالب الميلودراما المفجعة ،و أظهره بنفس شكل عبد الحليم حافظ ، شخصية المنكسر الفقير ، الذى يثير التعاطف ،و قد تكرر هذا المجددا فى "عذاب الحب" لعلى عبد الخالق عام ١٩٨٠.

إذن.. فهو اختلاف العصر و أيضا اختلاف السمات التى يتمتع بها الممثل أو الكاريزما الغنائية ،و من الواضح أن المخرجين الأربعة نظروا إلى الماضى و حاولوا إحياءه دون أن يدركوا أنه من الصعب أن يحدث ذلك ،و أن الناس قد تحب مطربا ، لكنها لن تحب ظله ، مثل تجربة عبد الوهاب ،و عادل مأمون من قبل و ها هى تتكرر بين عبد الحليم و عماد.

و عماد فى فيلم "عذاب الحب" هو أ؛مد ، ابن إسماعيل الذى اكتشف خيانة صديقه سالم مع زوجته بتهمة الزنا فتنتحر الزوجة و يتم القبض على سالم.. و الآن ها هى السنون قد مرت ،و فى الجامعة مجددا يتعرف أحمد على زميلته مديحة ابنة سالم ، إذن فنحن أما قصة حب مرتبطة أيضا بالماضى ،و هذا الماضى الذى سيشكل إرثا ثقيلا على الحبيبين الصغيرين وهو نفس الماضى الذى طارد دوما كافة الشخصيات التى جسدها عماد عبد الحليم م قبل فى أفلامه.

و بالطبع فإن إسماعيل يرفض هذه العلاقة عندما يعلم بها ، فالماضى يحاصره و يمكنه أن يأتى إلى بيته و معه روائح الخيانة و الزنا و الدم ،و أمام هذا الرفض فإن والد مديحة ، سالم بعد خروجه من السجن بالطبع ، يضغط على ابنته كى توافق على خطبيتها من رفعت ، لكنها تهرب و تتزوج من أحمد.

أى أن الفتاة هنا قد تزوجت من غير رغبة أبيها مثلما حدث فى "حياتى عذاب" (لاحظ تكرار كلمة العذاب فى الفيلمين). يعمل أحمد فى أحد الملاهى و يصبح مطربا مشهورا و بعد بحث طويل يعثر كل منسالم و إسماعيل على وليده و وليدته ، يحاول رفعت قتل أحمد ،و فى محاولتهما الدفاع عنه تصاب مديحة برصاصة قاتلة.

إذن.. فنحن من جديد أمام نهاية درامية و رصاصات و قتل و حب يائس ، انها صورة مختصرة سريعة جديدة لوضع المطرب فى نفس الأيقونة لا يغير من أدائه أو أداواره ،و لم يكن عماد بالممثل الموهوب و لم يكن مطلوب منه سوى أن يغنى ،و من الواضح أن أذواق الناس كانت قد تغيرت فعلا و كان النظام الموسيقى الغربى قد بدأ يزحف بسماته على السينما فى مصر ،و هو أن الإعجاب بالمطرب ينحسر إلى الدرجة الثانية بالمقارنة بالإعجاب بما يغنيه المطرب ، أى سمة الأغنية قبل المغنى ، فإذا كانت الأغنية جميلة فهى تصنع النجاح المؤقت للمطرب ،و عليه أن يغنى أغنيته التالية بنفس القوة أو أكثر ،و إلا فقد أهميته ،و ذلك مع ازدهار عصر الشرائط الكاسيت و وجودها فى كل مكان فى السيارات و البيوت و عربات الأجرة ،و لذا فإن عماد عبد الحليم لم يصبح المطرب الذى تذهب الناس إليه مثل غيره ، إلا إذا غنى الأغنية التى تفجر أشياء خاصة لدى الناس ،و لكن هذا لم يحدث ،و لذا كان حظه من الأفلام أربعة فقط فى عامين ، توقفت علاقته تماما بالسينما بعدها ،و لكنه سيكون أسعد حظا من كافة الجيل الذى ظهر معه فى الثمانينات مثل على الحجار و محمد ثروت و عمر فتحى و محمد الحلو و غيرهم.

الفصل الثلاثون
السينما الغنائية فى الثمانينيات

فى الثمانينيات كان ظل عبد الحليم لايزال قويا ،و لم تكن هناك موهبة غنائية تتمتع بنفس القوة ،و كانت هناك أشياء قد حدثت فى المجتمع و انتشرت أفلام انفتاح و العنف ،و توارت سينما الميلودراما ،و اختفى الجيل القديم من المخرجين الذين تحمسوا دوما للسينما الغنائية.

لكن من المعروف أن نجوم الطرب دوما فى كل العصور ، لهم بريقهم الخاص و قوة تأثيرهم لدى الناس. و لذا فكان على السينما أن تستعين بهم دوما ،و أن تقدمهم فى تجارب أولى حيث تسبق أسماءهم الأفلام و يأتى الناس من أجل مشاهدة مطربهم المفضل.

و تتسم سنوات الثمانينيات بأن السينما الغنائية فيها ، قصيرة العمر ،و هى سينما هامشية فى المقام الأول ، هى سينما تعتمد على نجومية عدال إمام ، ثم نادية الجندى التى لم تكف عن الغناء فى أفلامها مصاحبة غنائهابرقص ، رغم أحدا لم يعتمدها لا راقصة ،ولا مغنية. لذا فإن أغنياتها لم تخرج من صالات السينما ،و لا يمكن أن نقول أن أغنياتها شكل من أشكال السينما الغنائية رغم كثرة أعمالها فى هذا المجال.

و نحن نتوقف هنا عند المطربين فى المقام الأول الذين غنوا للناس فى الحفلات و شرائط الكاسيت و فى الأفلام. و من الملاحظ أن أعمار هؤلاء المطربين على الشاشة كانت قصيرة و هامشية ،و كانت التجارب ضعيفة و لم يتوقف أحد عندها ، لا النقاد ولا الجمهور ،و لعب الكاسيت دورا فنتجيم مطربين من طراز أحمد عدوية الذى لمع فى نهاية السبعينيات.

إذن ، لقد تغير العصر و صارت الأغانى فى كل مكان ،و على سائقى التاكسيات و الميكروباص أن يفرضوا أذواقهم على الناس ،و لمعت أسماء جديدة ، لم تعرف بالطبع طريقها إلى السينما ، لكن بعض

هذهالأسماء دخلت السينما بدرجات مختلفة ، أولى هذه الأسماء هى محمد ثروت الذى لمع فى نهاية السبعينيات من خلال أغنيات الأطفال ،و مها "جبيبة بابا رشا" ،و "طيور النورس" ،و أغنيات أخرى مثل "حلوين من يومنا و الله" ،و قد بدا المطرب لطيفا وسيما جذابا ،و لذا ما لبث حسن الإمام أن غامر و قدمه فى فيلمه "ابن مين فى المجتمع" ،و الذى ينتمى إلى سينما حسن الإمام الميلودرامية القديمة.

و أهم ما فى هذا الفيلم – بما يناسب دراستنا – هو ذلك الحوار الذى يدور بين سعاد و حبيبها حمادة ، فالفتاة لاحظت أن حبيبها يقلد عبد الحليم حافظ و يردد أغنياته بين زملائه فى المعهد الذين يبدون إعجابهم الشديد بصوته و بأدائه ، فتسأله:

- **لماذا عبد الحليم حافظ؟ لماذا لا تكون لك شخصية فنية مستقلة؟**
- **لماذا لا ترسم لنفسك لونا جديدا يعرفك الناس به كما عرفوه؟**

فيسمعونك كما سمعوه ، فأنت بتقليدك له تصبح كظله. و لن يترك أحد الأصل و يهتم بالظل.

و مثل هذا الحوار يعكس رؤية الجيل الجديد ،و هى أو محاولة سينمائية للتمرد على جيل عبد الحليم ، كما أن بهما هجوما ضمنيا على من قلدوا عبد الحليم حافظ ،و خاصة عماد عبد الحليم. و لكن ، هل نجح هذا الجيل فى أن يخرج من دائرة العندليب الأسمر؟ و هل صنع لنفسه أسلوبا غنائيا خاصا به؟

الإجابة بالطبع أنه جيل كان يشكل حالات غنائية ، تصعد لفترة و تهبط لفترة أيضا ،و قد تعادو الصعود و الهبوط. فقد قام حمادة هنا بالغناء ،و بدأ فى ترديد أغنيات جديدة خاصة به هو ، لها طابع جديد يحمل بصماته الذاتيه.

و حسب حكاية الفيلم ، فإن حمادة يواصل دراسته بالمعهد مع سعاد ،و رغم ما تردد على ألسنة أبطاله من البحث عن أسلوب خاص فإن سيناريو الفيلم قد سار على نفس النمط التقليدى لأفلام حسن الإمام ،فنحن أمام شخص يتيم ، أو كما تردد أم سعاد ؛ حين يذهب إليها لخطبة ابنتها ، فتكتشف له كل عيوبه كبطل سينمائى فى فيلم غنائى.

"لو أنك فقير يتيم فحسب ، لما أبديت اعتراضنا ،و لكنى لا يمكننى أن أزوج ابنتى شخصا مجهول الأم و الأب و تربى فى ملجأ".

ولا شك أن هذا سيدفع به إلى أن يحاول البحث عن أصله ،و فى نفس الوقت فإنه يحاول الصعود اجتماعيا من خلال الموسيقى ،و تقول له سعاد: **"لم يبق سوى يوم واحد و تتخرج ،و يصبح لك شأن فى عالم الموسيقى ، كل أم فى البلد ستكون أمك ،و كل أب سيكون أباك و كل شاب و فتاة أهلك و عائلتك ، فلا تتسائل قائلا ، أنا ابن مين فى المجتمع؟ لأن هذه هى لغة الشخص الضعيف عديم الإرادة".**

و تدفعه سعاد إلى الاشتراك فى الحفل و يقدم استعراضا كما يحدث عادة فى أغلب الأفلام الغنائية القديمة. و ما أن ينتهى الاستعراض حتى يهبط حمادة إلى قاعة المسرح و يلتقى مع أمه بعد كل تلك السنوات الطويلة.

الغريب أن محمد ثروت نفسه بعيدا عن السينما قد قام بالغناء لكل من محمد عبد الوهاب و عبد الحليم و فريد الأطرش.

المطرب الثانى هو على الحجار ، الذى كان أسعد حظافى السينما من زميله ، بل و من كل أبناء جيله ،و لكنه نجاح نسبى ، و حين راهن عليه سيد عيسى فى فيلم "المغنواتى" ١٩٨١ ، كانت أمام المطرب فرصة مساوية لفرصة محرم فؤاد حين قدم شخصية حسن فى فيلمه الأول "حسن و نعيمة" ، فنحن أمام نفس القصة

و الأجوار الريفية ،و لكن سيد عيسى كسا فيلمه بسوداوية و قتامة ،و هو يجعل خصوم المغنواتى – أهل نعيمة – يقتلونه فى إحدى طرقات القرية.

و الفيلم هنا أرض خصبة لغنائية سينمائية ، فنحن أمام حسن المغنواتى ،وظيفته هى الطرب ،و لذا فلابد أن يكون بالفيلم أغنيات ،و المطرب هنا جديد على السينما و شاب صغير فى مقتبل العمر. و قد أعطى المخرج لبطله هنا بعدا سياسيا بالإضافة إلى القصة العاطفية التى تربط بين حسن و نعيمة ، فالشاب الذى ارتبط بالغازية التى يعمل فى فرقتها لا ينسى علاقته بفنه ،و هو يقاوم الإنجليز ، باعتبار أن القصة تدور أحداثها هنا فى زمن الاحتلال الإنجليزى. و من الواضح أن مسألة التغيا كانت تسيطر على هذا الجيل ، على الأقل من خلال الشخصيات المحورة التيجسدونها ، ليس فقط بالنسبة لحسن ، بل أيضا نعيمة التى رأيناها من قبل مستكينة و مغلوبة على أمرها.

و قد كتب محمد زهدى فى مجلة "الشبكة" أنه "**من خلال هذا الارتباط النفسى العاطفى و الفكرى و البيولوجى بين حسن المغنواتى و نعيمة ، يحس أن لديه القدرة على أن يغنى ،و يجوب القرى و الكفور و النجوع و المدن و البلدان.. فالحب الجيد منحه الأمل و القدرة و الإرادة على التغيير و السيطرة على كافة الصعاب من أجل أن تكون الحياة أكثر جمالا و حبا و رحابة.. لذلك ينطلق حسن يغنى ،و يبث غناءه لكل الظامئين للغناء ،و لكن الظروف المحيطة به لم تكن سهلة ، إنها تبدو أقور منه و أعتى**".

و نحن نسوق هذه الفقرة للاستدلال على ما أستقبل به بعض النقاد الفيلم ، باعتبار أن صانع الفيلم له رؤيته السياسية و الأيدولوجية. و فى مكان آخر من المقال أشار الناقد أن سيد عيسى يحاول أن يترجم إحساسه بالملحمة بشكل عصرى بما يكسبها حداثة و واقع الثمانينيات. فالحكاية تتسم بالرومانسية ،و هى جزء من وجدان مصر تتناقلها شفاة الرواة و المغنين الشعبيين. و رأى الناقد أن الفيلم بمثابة بداية للسينما الملحمية التى بدأها من خلال كتابته لقصة "شفيقة و متولى".

و فى الفيلم غنى على الحجار أربع أغنيات من ألحان عبد العظيم عويضة و تأليف فؤاد حداد و هى كما نرى ذات معنى سيايى واضح.

و قد بدا الفيلم منفصلا عن الناس ، أسوة بالكثير من أفلام سيد عيسى نفسه ،و منها "جفت الأمطار" ،و لاشك أن شعبية المطرب لم تشفع للفيلم أن ينجح جماهيريا ،و كما سبقت الإشارة فإن الكاسيت لم يوصل أغنيات الفيلم إلى الناس ،و لم يستغل منتج الفيلم هذا الوسيط ،و هو وسيط رائع قامبتوصيل أغنيات عديدة إلى الناس فذهبوا إلى الأفلام مثلما حدث فى نهاية الثمانينيات ، عندما غنى نجاح الموجى "سلم لى بقى على الترومای" فى فيلمه "أيام الغضب".

أما التجربةالتالية لعلى الحجار فى السينما فكانت فى فيلم "أنياب" لمحمد شبل. و هو أيضا فيلم له بعده السياسى الواضح من خلال أسطورة دراكيولا التى استهلكتها السينما العالمية كثيرا ، لكنها لم تقدم بشكلها الغنائى أو السايسى إلا فى مصر. و قد ضم الفيلم أكثر من مطرب ينتمى إلى تلك المرحلة ، منهم أحمد عدوية الذى قام بدور مصاص الدماء. ولابد أن تحس فى إطار الفيلم الغنائى عن دراكيولا أن هذه الأنياب صناعية،و أن الغناء ليس سوى وسيلة للسخرية من مصاصى دماء الشعب.

و نحن هنا لن نتحدث عن أسلوب الإخراج الذى حاول شبل أن يستخدمه فى فيلمه ،و لكن أن نتوقف عند الغناء ، فهناك شابان تخرجا من كلية الآداب مخطوبان يحاولان أن يبدءا حياتهما ،و على يسعى مع حبيبته (منى جبر) للعثورعلى شقة. إلا أن الاثنين يجدان نفسيهما أمام مصاصى الدماء فى كل مناحى الحياة.

و الغناء موجود من اللحظات الأولى عند نزول العماوين حيث يردد المطرب مع الكورال:

الخوف.. الرعب.. خايف مش عارف ليه..؟
فكر شوية تلاقى أسباب.. اسباب كتيرة..
أسباب.. أنياب.. أسباب.. أنياب.. أنياب

و الفيلم بمثابة حالة غنائية فالجميع تقريبا يغنون ، ابتداء من على و خطيبته ، حتى دراكيولا الذى يدخلان إلى قصره. يقيم دراكيولا مأدبة للاثنين ثم لا يلبث أن يحاول امتصاص دماء كل منهما و وضعها فى قيد من أجل الضغط عليها. حيث يؤديان دور الضحايا. و يقول على أبو شادى فى مقال عن الفيلم أن: **"مص الدماء كناية واضحة عن سلب أموال المواطنين و استغلالهم و استنزاف مواردهم لمصلحة فئة مستغلة استفادت بغير حق من الظروف و المتغيرات الى سادت تلك الفترة و تسببت فى اختلال منظومة القيم و نمو فئات طفيلية فاسدة و يقيم نماذج منها ، مثل السباك و الميكانيكى و سائق التاكسى و مدرسى الدروس الخصوصية و أصحاب العمارات الذين يطلبون الخلوات و الأطباء الجشعين و الجزارين و غيرهم".**

ولا شك أن ما اتسم به الفيلم من تجريبية لم يكن فى خدمة المطرب و هو الذى لم يغن كثيرا بمفرده مثلما فعل فى فيلمه الآخر ،و كان الغناء فى أغلب أحداثه جماعيا ،و لذا ضاع صوت المطرب القوى وسط أحداث متشابكة يصعب على المتفرج العادى أن يستوعبها ،و ذلك المتفرج الذى يذهب إلى الفيلم الغنائى من أجل مشاهدة أحداث بسيطة ،و مطربه يغنى له عن الحب و اللوعة و اللقاء و الفراق.

و لهذا السبب فإن على الحجار لم يستكمل التجربة سينمائيا و سرعان ما ابتعد عن الأفلام كممثل ،و خاصة كمطرب ،و الغريب أنه عاود الظهور مرة أخرى فى أحد أفلام الحركة و العنف هو "الفتى الشرير" لمحمد عبد العزيز عام ١٩٨٩. و لم يغن فيه أغنية واحدة ،و راح يمارسمع زميله فى الفيلم أعمال العنف و بدا على الحجار بذلك كأنه كتب لنفسه مرحلة جديدة لم تستمر أيضا فى السينما ، فالناس لا تريد الحجار ممثلا و لكنها تريده مطربا ،و لذا توقفت عن التعامل معه و إن كان قد أدى بعض الأدوار فى أفلامه تليفزيونية بعيدة أيضا عن الغناء.

صورة
أفيش حكاية فى كلمتين إخراج حسن إبراهيم
بطولة إيمان البحر درويش

ولا شك أن أكثر المطربين نجاحا فى منتصف الثمانينيات هو إيمان البحر درويش ، الذى ذاع صيته فى أول الأمر بأداء أغنيات سيد درويش ،و سرعان ما جذبته السينما فى فيلم حقق إيرادات ضخمة ، جعلت المنتجين يلهثون وراءه ، هو "حكاية فى كلمتين" لحسن إبراهين ١٩٨٥ ، الذى أضطلع بالبطولة وحده أمام ليلى علوى ،و نعكس وجوده على الشاشة فى دور الشاب المنكسر ، البرئ ، الذى يذهب إلى السجن ظلما ، لكن هذا لا يمنع من وجوده فى أجواء مبهجة فزملاء الزنزانة هم الذين سيساعدونه على إثبات براءته ،و الايقاع بالفاعل الحقيقى ،و أيضا سيشاركوهه نجاحا فى الصعود الفنى فى عالم الطرب.

و قد غنى إيمان البحر درويش هنا مجموعة من أغنيات جده سيد درويش ،و كرر أدائها فى أفلامه التالية، خاصة "تزوير فى أوراق رسمية" ليحيى العلمى ١٩٨٤ ، الذى كان أو لظهوره على الشاشة حيث أدى دور واحد من طالبين تعانى أمهما فى معرفة أيهما ابنها الحقيقى ،و أيهما ابن زوجها من امرأة أخرى ،و قد أضفى وجود أيمان و هشام سليم أجواء شبابية لطالبين يعيشان فى عالم الجامعة مما أتاح لإيمان أن يغنى.

و هذا الفيلمان هما الأكثر نجاحا لإيمان فى السينما ،و فيما بعد جاءت أفلام أخرى مثل "لقاء شهر العسل" لناجى أنجلو ، الذى تدور أحداثه فى أجواء بوليسية. حول الشخص الذى يستغل وجود شبه كبير بين زوجته و بين زوجة ممثل كبير ، فيخطط لقتل زوجته ليرث بوليصة التأمين ،و مثل هذه الأجواء لا تصلح لصنع فيلم غنائى مهما كان جمال الأغنيات.

و قد انحسرت كافة أفلام إيمان البحر درويش فى منتصف الثمانينيات ،و لعل أبرزها هو "طير فى السماء" لحسام الدين مصطفى عام ١٩٨٤ ،و هو مخرج ليس له باع فى الأفلام الغنائية ،و إن كان الفيلم هنا قد وضع المطرب فى إطار أنه فنان فقير يهوى الموسيقى و الغناء ، يوافق على التبرع بكليته لجينا ، فيوافق و يسافر إلى الولايات المتحدة لإجراء العملية ،و هنا يقترب منها و يتحابان.

أما المطرب الرابع الذى ظهر فى تلك السنوات فهو حسن الأسمر ،و الذين شاهدونه لأول مرة يغنى فى فيلم "طابونة حمزة" لأحمد ياسين ، أحسوا أنه الصورة البديلة لأحمد عدوية ، إنه يغنى الأسلوب ،و له نفس الملامح و يستخدم التعبيرات ذاتها التى أشتهر بها عدوية. و فى الفيلم غنى الأسمر أغنياته فى مناسبات ، تصحبه راقصة.

و قد كان ظهور حسن الأسمر فى السينما أشبه بكافة المطربين الشعبيين مثل محمد عبد المطلب و محمد الكحلاوى و محمد رشدى و أحمد عدوية ، يظهر فى البداية كمغن فى الأفراح و من حوله راقصة ، يتغنى بكلمات و ألحان تعجب البسطاء من الناس ، لذا فلابد من وجود المغنى و الراقصة ،و لذا فإن الكاميرا تلف حول الراقصة و يأتى صوت المغنى من الخلفية.

و رغم أن أكثر من سبعة عشر عاما قد مرت على علاقة حسن الأسمر بالسينما فإنه لم يحظ بدور بطولة مطلقة ، صحيح أن مساحة أدواره قد اتسعت فى بعض الأفلام لكنه لم ينفرد قط بدور رئيسى فى أى من هذه الأفلام ،و لاشك أن هذا أفضل بكثير بالنسبة له فى زمن بدا الغناء فى السينما أشبه بفقاعات بالونات تبدو جذابة ثم لا تلبث أن تتلاشى مع الهواء.

و قد تلازم وجود حسن بشكل مكثف عقب نجاح بعض أغنياته على شرائط كاسيت عام ١٩٩٠ كان أحد أبطال ثلاثة حاموا حول امرأة هاربة من القاهرة فى فيلم "درب الرهبة" لعلى عبد الخالق و ذلك بعد نجاح أغنيته "كتاب حياتى" ،و لاشك أن المطرب حين ينشد هذه الأغنية على شاطئ النيل و فى لحظة غروب الشمس ،و إلى جواره امرأة بريئة مجروحة ، هاربة من العدالة ، يوقظ فى نفسها الكثير من الشجن و الحزن،و لابد أنه سوف يثير الكثير من أشجان المتفرجين أنفسهم الذين سيجدون فى مثل هذه الكلمات تعبيرا عما يعانوه:

كتاب حياتى يا عين
ما شفت زيه كتاب
الفرح فيه سطرين
و الباقى كله عذاب

و هذه هى دائما الكلمات التى يحاول المطربون الشعبيون العزف بها على مشاعر الناس ، فيلازم سماعها مصمصات الشفاة و الأنين ،و لذا فإن الكثير من هؤلاء المطربين يتمتعون بمكانة خاصة لدى البسطاء ،و هم أكثر الفئات معاناة و تحملا للهموم و إحساسا بها.

و قد شارك حسن الأسمر فيما بعد بالتمثيل فى أفلام دون أن يكون فى حاجة إلى الغناء بها ، لكنه يعزف فى أغانيه على المعانى السابق الإشارة إليها ،و من هذه الأفلام "فتحية و المرسيدس" و "عيون الصقر" و "الراقصة و الحانوتى" ١٩٩٢ ، ثم "صراع الحسنوات" و "بوابة إبليس" عام ١٩٩٣ ،و فى عام ١٩٩٤ أدى دور الخباز المتمرد الذى يقبض عليه لأنه وقف ضد ممثلوا الحكومة فى مدينة من مدن محافظة البحيرة فى فيلم "زيارة السيد الرئيس" إخراج منير راضى ، ثم قام بدور بلطجى فى فيلم "ليلة ساخنة" لعاطف الطيب ١٩٩٦ ،و قام بدور رجل قوى الحس فى فيلم "امرأة و خمسة رجال" لعلاء كريم ،و فى أحد المشاهد غنى على إيقاع راقص لفيفى عبده التى راحت تتمايل بجسدها من حوله.

و نحن نعتبر حسن الأسمر من جيل الثمانينيات الغنائية ، ليس فقط لأنه ظهر فيها ، فلاشك أنه عمل بكثرة فى عقد التسعينيات ،و ذلك بالطبع لأنه غنى فى العقد الأسبق أكثر مما فعل فى العقد الأخير من القرن العشرين حيث اكتفى كثيرا بالتمثيل ،و لاشك أن هذا ساعد فى بقائه لمدة أطول كممثل يؤدى أحيانا دور الشرير أو دور القهوجى أو المتمرد ،و قد كان هذا من ذكاء الممثل الذى بدا كأنه قد قرأ خريطة و تاريخ الغناء فى المرحلة التى ينتمى إليها و التى سبقته بشكل جيد و اكتشف أنه كى تبقى فى السينما فعليك أن تكون ممثلا ولا مانع من الغناء.

من هؤلاء المطربين الذين عملوا فى السينما بشكل عابر كان هناك محمد الحلو و هو أسوأهم عطاء ، فعلى الأقل ، فإن محمد ثروت قد ارتبط اسمه بحسن الإمام ، أما الحلو فقد ارتبط اسمه بمخرج ازدهر فى علمه بالسينما فى أيام أفلام المقاولات و هو ناصر حسين. و رغم الأفلام التى عمل بها الحلو الذى أشتهر بأغياته فى عالم الكاسيت مثل "عراف" و "آه آه" و "ميلى" و "جت م الغريب" ، فإنه حتى من الصعب على الباحث أن يتذكر أسماء الأفلام التى قام ببطولتها أو بالعمل بها ،و ذلك ببساطة لقيمتها السطحية ،و قد جاءت فى فترة كان الناس يتفرجون على الأفلام فى شرائط الفيديو بدافع "قضاء الوقت" ،و لذا تاهت هذه الأفلام ،و خاصة عمله الأول الذى دخل با السينما ،و هو "ابتسامة فى عيون حزينة" لناصر حسين عام ١٩٨٧ ،و الذى يروى قصة مشابهة لفيلم "لحن الوفاء" الذى أخرجه إبراهيم عمارة لعبد الحليم حافظ عام ١٩٥٥. و هو يحكى قصة الموسيقار الكبير جلال حافظ المصاب بعقدة من النساء بسبب خيانة زوجته له و التى يطلقها و يكرس حياته لتربية ابنه عماد ، تمر السنوات و يلتحق عماد بمعهد الموسيقى و يربط الحب بينه و بين جارته منى و يعارض أبوه زواجهما بسبب عقدته التى تلازمه مما يثير غضب عماد فيهمل دراسته و تدريباته و تكاد فرصة اشتراكه فى بطولة فيلم سينمائى أن تضيع منه إلى أن يغير الأب موقفه.

لم يكن عقد الثمانينيات غنائيا بالمرة فى السينما المصرية ،و بالنسبة للنساء المطربات فإن الأمر بدا بالغ الفقر ،و فى الوقت الذى لم تقترب فيه مطربات تلك الفترة من السينما فإن مطربة أفراح و مناسبات من السبعينيات بدأت تقوم بالبطولات فى هذا العقد.

فمن المعروف أن نادية مصطفى و أنوشكا لم تقترب قط من السينما ولا تعرف هل عرضت عليهما التجربة فرفضتا أم لا ،و لاشك أن هذا انعكس على كل المطربات القادمات إلى مصر من الدول العربية مثل سميرة سعيد التى عملت و هى طفلة فقط فى فيلم مغربى هو "سأكتب اسمك على الرمال" و عزيزة جلال و ميادة الحناوى و غيرهن.

أما فاتن فريد ظهرت منذ بداية السبعينيات فى أفلام تغنى فى الملاهى الليلية ،و فى منتصف الثمانينيات قررت أن تقوم ببطولة فيلم أنتجته بنفسها هو "وحوش الميناء" و هو بمثابة تكملة لفيلم "رصيف نمرة ٥" لنيازى مصطفى ١٩٥٥ ،و رغم أن البطولة اضطلع بها فريد شوقى و فاروق الفيشاوى و بوسى ، إلا أن ظهولا المطربة كان مرتبكا فى أغلب أحداث الفيلم بالغناء ، فهى مغنية فى إحدى الحانات بالإسكندرية تغنى بصوت قوى و تعطى الإيحاء شكلا أنها أقرب إلى وردة الجزائرية ،و قد تركت إحدى أغنياتها فى الفيلم صدى طيبا ، لكن التجربة لم تستكمل ، إلا عام ١٩٩٣ من خلال فيلم آخر قامت بإنتاجه هو "امرأة تدفع الثمن" لحسن إبراهيم ،و فيه اضطلعت بالبطولة المطلقة أمام فريد شوقى و محمود يس و هشام عبد الحميد،و الفيلم فى غالبه أشبه بفيلم "حكايتى من الزمن" حول الفنانة التى تتزوج من رجل أعمال فيحاول منعها من الغناء و ضم ابنتها إلى حضانة ،و الاختلاف هو أن الزوج شرير و لن تعود إليه المرأة لأنها أحبت رجلا آخر،و رغم أن هذا الخط مشترك مع فيلم حسن الإمام فإن الفرق فى النهاية إن الحبيب سيقف إلى جوار حبيبته التى ستفصل عن زوجها.

و قد غنت الزوجة الفنانة هنا لزوجها و للسعادة الأسرية و هى فى السيارة ، ثم غنت تنب حظها فى باقى أحداث الفيلم. و فى عام ١٩٩٧ عادت فاتن فريد بفيلم جديد هو "الخطيئة السابعة" لم يكتب له أى نجاح.

فى هذه السنوات جاء وليد توفيق من لبنان من أجل العمل فى اسينما المصرية ،و كان قد سبق أن قدم أفلاما سينمائية غنى فيها فى لبنان ، منها فيلم "عروس البحر" و "سمك بلا حسك" و قدمه محمد سلمان فى فيلم "من يطفئ النار" أمام رغدة ،و آثار الحكيم ،و استطاع أن يلفت إليه الأنظار فى أدائه الأغنيات المصرية و اللبناينة و نجحت أغنية "عيد ميلاد سعيد" أو "هابى بيرث داى تو يو" و ردد فى الحفل الذى أقيم فى عيد ميلاد حبيبته:

اظهر يا جميل فى الساحة
و امايل كده براحة

و قد بدا محمد سلمان من الجيل القديم الذى لا يزال مؤمنا بالسينما الغنائية ، فأعطى لوليد فرصا أفضل بكثير مما حصل عليه المصريون فى بلدهم ،و نجح الفيلم جماهيريا ، خاصة أنه حاول إدخال الحرب الأهلية اللبنانية فى أحداثه ،و نحن هنا أمام طالب بمعهد الموسيقى ، وسيم جذاب ،و يحاول أن يصعد سلم الفن، تحبه زميلته و هو فى نفس الوقت مرتبط بقصة حب قديمة لفتاته التى ماتت فى الحرب ،و التى عثر على صحفية شبيهة لها فى مصر فيحبها كظل لحبيبته الراحلة.

و فى الفيلم يقف فنان عجوز عاش على هامش المجتمع إلى جوار المطرب الشاب و يدفعه إلى النجاح ،و نكتشف أنه والد حبيبته المصرية التى تدفعه إلى الأمام فيساعد فى لم شمل أسرتها ،و قد بدا وليد فى هذا الفيلم فى أحسن حالاته مما دفع بمخرجين كبار مثل بركات إلى إخراج أفلام أخرى له و منها "أنغام" ، ثم "أنا و العذاب و هواك" ١٩٨٨ ،و فى عام ١٩٩٦ قدم باسم "وداعا للعزوبية" ولا يزال يعمل فى السينما بين وقت و آخر.

الفصل الحادى و الثلاثون
جيل التسعينيات
فى السينما الغنائية
الكاش كادر فى الالولو.. كامننا
حب نادية و حب لولو.. كامننا

هذا هو مطلع أشهر أغنية سينمائية فى تسعينيات القرن العشرين ،و هى أغنية سمعها الناس بشكل واسع الانتشار من شرائط الكاسيت ،و عقدت حولها الندوات و اللقاءات التليفزيونية ،و أسكر نجاحها من شاركوا فيها ، لدرجة أن أحدهم تحدث فى برنامج لمحطة فضائية قال فيه أنها تعنى فلسفة عميقة سيفهمها الناس فيما بعد.

و أغرب ما فى هذه الأغنية أن كلماتها غير المألوفة ليست الأولى فى السينما الغنائية ، فلو راجعنا كلمات أغنيات عديدة فى تاريخ السينما المصرية فسوف نجد كلمات و معانى كثيرة موجودة فى الغنائيات الكوميدية مثل التى قام بتأليفها أبو السعود الإبيارى ، على سبيل ذكر حالات و ليس التعميم.

لكن هناك فارقا واضحا فى هذا الأمر ، أن أغنية "كامننا" قد ذاع انتشارها من خلال الكاسيت ، بينما الكثير من كلمات أكثر غرابة فى أفلام قديمة لم تخرج من صالات العرض ، لذا فقد نساها الناس بمجرد خروجهم من مشاهدة الأفلام.

و من أجل الحديث عن السينما الغنائية فى التسعينيات ، فلابد أن تقرن نجاح أى مطرب ، أو أغنية حتى و أن لم تكن لمطرب لانتشار الكاسيت ، الذى أصبح مثل النيران فى الهشيم ، تنتشر بسرعة ثم تنطفئ أضا بمنتهى السرعة. كأن يقبل الناس بجنون على سماع أغنية "سلم لى بقى على الترومای" ، التى غناها نجاح الموجى فى فيلم "أيام الغضب" لمنير راضى ١٩٨٩ ،و مثل أغنيات فيلم "كابوريا" لخيرى بشارة ،و هناك

أمثلة عديدة فى هذا المجال ،و مثل هذه الكلمات أيضا ليست جديدة على مستمع أغنيات الأفلام ، لكن انتشار الكاسيت ساعد على ازدهار هذه الأغنيات ، فى وقت تضاءل فيه دور المطرب فى السينما ،و لم يعد يذهب الناس إلى الأفلام من أجل المغنى ، إلا قليلا ،و سوف نرى أن عمرو دياب (ابرز ابناء جيله) لم يذهب الناس لمشاهدته فى "ضحك و لعب و جد و حب" الذى يغن فيه ، كما حدث نفس الشئ مع محمد فؤاد فى "يوم حار جدا" لمحمد خان.

إذن فليس لدينا قاعدة توقف عندها ، بل هناك حالات استثنائية يمكن الوقوف عندها ، هناك مطربون محترفون ،و هناك ممثلون يغنون ،و هناك أغنيات تزدهر و تتضاءل ،و هناك نجوم طرب يعزفون تماما عن العمل فى السينما.

صورة
عمرو دياب "أيس كريم فى جليم"
صورة
أحمد زكى و رغدة فى "استكاوزا"

عمرو دياب هو المطرب الأكثر تواجدا فى السينما فى النصف الأول من التسعينيات ، أما محمد فؤاد فهو الأكثر تواجدا فى النصف الثانى. و قد ظهر فى دور صغير فى فيلم "السجينتان" ثم ظهر باسمه كمطرب مشهور فى فيلم "العفاريت" لحسام الدين مصطفى عام ١٩٩٠ ، أى أنه حسب القصة فإن المذيعة الذى تتعرف عليه من أجل البحث عن ابنتها ، تعرفه كمطرب شاب اسنه عمرو دياب ،و قد تصرف المطرب فى داخل الفيلم على هذا الأساس ،و غنى من أغنياته التى يحبها الشباب و شارك ف البحث عن الابنة المخطوفة من قبل إحدى عصابات خطف الأطفال.

و فى فيلم "أيس كريم فى جليم" لخيرى بشارة ، بدا عمرد و كأنه يدخل السينما الغنائية و يحاول أن يضع قدميه فيها بشكل راسخ ، لأنه عن مطرب و جيله من صناع الأغنية ، المؤل و الملحن و الفرقة من أجل إثبات الموهبة و الصعود إلى الشهرة ،و سيف هنا يحاول إثبات موهبته و بتلقفه عالم الأغنياء المبهر.

و هذه المجموعة من الشباب تعيش بأسلوبها الخاص فى الحياة فالفتى سيف ممثلا ، قد يكون متفرنجا فى مظهره ، لكنه يحلم أن يكون مطربا عربيا ، قد يعجب بألفيس بريسلى لكنه أيضا يحب عبد الحليم حافظ ، يحيا فى جراج قام يتحويله إلى مكان للمعيشة ،و هو يعمل فى توزيع شرائط الفيديو من خلال ناد يملكه زيكو. يرتبط بقصة حب مع فتاة تعمل فى محل فاخر ،و لا تلبث أن تتركه كى تتزوج من أحد الأثرياء.

و من أصدقاء سيف هناك شاب يسارى يؤلف الأغنيات ، يبحث الاثنان عن ملحن يحول أغنياته إلى لحن،و يقابلان على زرياب الموسيقار المتجول الذى تحاول ابنته آيه إعادته إلى رشده لكنها نفشل ،و عندما يقوم الملحن بالحين الأغنية ، لا تعجب المطرب الشاب الذى يرفض هذا النوع من الموسيقى و الكلمات ،و بعد معاناة يغنى أمام الناس على شاطئ جليم مرددا:

أيس كريم فى ديسمبر
أيس كريم فى جليم
الناس حاسين بالبرد
و فى قلبنا شم نسيم

و قدغنى عمرو هنا العديد من الأغنيات ، منها "أنا حر و طظ فى الفلوس" ،و قد كتبت ماجدة خير الله فى جريدة الوفد – ١٣ أغسطس ١٩٩٢ – أن آداء عمرو دياب يتطور بشكل واضح ليؤكد أنه يصلح كوجه سينمائى له مميزات خاصة و ينعم بقبول جماهيرى شديد.

و كانت أهمية الفيلم أنه اعتمد على مجموعة من الشباب الذين تتاح لهم فرصة العمل فى مساحة أكبر مثل سيمون ،و جيهان فاضل ،و أشرف عبد الباقى ،و لكن الغناء هنا فردى يخص المطرب الذى يتصرف بحرية و ثقة فى النفس ،و إيمان أنه سوف ينجح. و قد ساعدت العضلات المفتولة و الكتفين العريضتين للمطرب أن يبدو مليئا بالقوة ، مما يعنى إقباله على الحياة ،و ذلك عكس الشخصيات التى جسدها عماد عبد الحليم من قبل ،و التى ارتبطت بشخصية التلميذ المنكسر ،و قد غنى فى الفيلم أغنيات شهيرة مثل "رصيف نمرة ٥" و "أنا حر".

و الغريب أن تجربة البطولة الثانية و الأخيرة حتى الآن بالنسبة لعمرو دياب قد خلت تماما من الأغنيات و هى "ضحك و لعب و جد و حب" لطارق التلمسانى. و قد بدا هنا أدهم الشاب المفتول العضلات طالب الثانوى الذى تأخر فى الدراسة ،و الذى يحب أش أش التى تسكن فى منزل يطل بنافذته مباشرة على المدرسة، يراها التلاميذ بقمصان النوم فى طابور الصباح ، ثم يتم التعارف عليها،و يسعى للزواج منها ، لكن أباه الذى يعمل فى الاستخبارات يحاول أن يهددها فلا يمتثل الاثنان له و تستكمل العلاقة خيوطها.

و نحن هنا أمام فيلم شبابى ، من خلال أربعة نماذج ، لكل منهم قصته و معاناته ، فهناك واحد تخطئ معه فتاه و عليه أن يتزوج منها نو القصص هنا تنسج معا ، فلا تنفصل أحداها عن الأخرى ،و لا تعرف لماذا لم يغن عمرو دياب فى الفيلم ،و رغم الإقبال فإنه لم يحقق نفس إيرادات الفيلم السابق ،و ذلك بالطبع لأن المتفرج قادم من أجل سماع مطربه يغنى له مهما كلنت محاولاته الجيدة فى التمثيل.

الحالة الثانية فى السينما الغنائية فى التسعينيات ترتبط بممثب ، لم يقف أمام ميكروفون و لم يغنى سوى فى الاستوديوهات ، هو بالطبع أحمد زكى ،و رغم أن ظهوره كمغن قد بدأ فى الثمانينيات ، فإن ما غناه فى التسعينيات قد جعل منه حالة فى سوق الكاسيت ،و دفع المخرجين دوما إلى الاستعانة به من أجل أن يغنى.

و الغريب أن أحمد زكى قد غنى فى بدايات بطولاته السينمائية عام ١٩٨٣ فى فيلم "الاحتياط واجب" و قام بدور طبال فى "الراقصة و الطبال" عام ١٩٨٤ ، ثم اشترك فى اسكتش غنائى فى فيلم "البداية" لصلاح أبو سيف عام ١٩٨٦. لكنه غنى بشكل مكثف فى فيلمين تم عرضهما عام ١٩٨٧ ، هما "أربعة فى مهمة رسمية" لعلى عبد الخالق،و "البيه البواب" لحسن إبراهيم ، حيث تضمن الأول أغيتان ، أما الفيلم الثانى ، فقد غنى فيه أكثر من أغنية ، ظلت منها فى أذهان المتفرج أغنية بالغة الجاذبية جيدة فى إخراجها هى "أنا بيه":

الناس كتيرة ليه.. هو النهاردة إيه
يوم التلات كان بكرة.. يبقى الخميس كان إيه
يا ست الهام هانم.. هو انتى اسمك إيه
الكورس: يا سعادة البيه يا سعادة البيه
أنا بيه أنا بيه.. أنا بيه أنا بيه

و قد نظر المتفرج إلى أحمد زكى على أنه ممثل ، قد يغنى ، لكنه ليس مطربا ،و قد كسا الممثل أغنياته بخفة ظل واضحة و أدى أغنية "أنا بيه" فى أجواء مبهجة ،و فى حفل جماعى أقامته إحدى السيدات الحسناوات فى العمارة التى يعمل بها بوابا.

و منذ ذلك الحين لم يكن يمر عام تقريبا دون أن يغنى أحمد زكى فى فيلم على الأقل ، مثلما فعل عام ١٩٨٨ فى فيلم "الدرجة الثالثة" لشريف عرفة ، ثم جاءت انطلاقته كمطرب سينمائى فى فيلمه "كابوريا" لخيرى بشارة. و فى هذا الفيلم ، تم تعميد الكلمات الغريبة التى تخلو من كل المعانى ، لكنها تبدو ذات إيقاع يمكن قزقزته فى الأفواه ،و يتخذه الشباب كطرفة.

و قد ظهر أحمد زكى فى هذا الفيلم فى أحسن حالاته كنموذج للشباب ليس كممثل ،و لكنه كنموذج ، فهو يقص شعره بطريقة تجعل الشباب يقلدونه و يطلقون على نفس التسريحة اسم الأغنية و الفيلم.

و أحمد زكى هنا ليس مطربا ،و لم يكن مكربا فى أى من أفلامه ، سوى أنه سيهوى الغناء و يمارسه فى الأفراح فى فيلمه "هيستيريا" ،و حسن هدهد شاب يهوى الملاكمة ، يتم الرهان عليه من قبل الأثرياء كأنهثور فى حلبة مصارعة ،و فى وسط أجواء شبابية لأسخاص لا يؤمنون بما هو أبعد من تحت أقدامهم ، فإنه لا مانع أن يقومون بالغناء:

أزأز كابوريا الالاأبا ايه
لو تسألونى يا بيه الا با ابا ايه صياد كابوريا
الابا ابا ايه احب البوريا
ابويا قاللى ارمى الشباكبك
و أمى قالت لى لا البحر ياخدك
الشرطبجر بنجر ناو

و قد صنعت هذه الأغنية من خلال الفيلم حالة سينمائية ،و هو العمل الأول فى سينما خيرى بشارة ، الذى قرر بعده أن يشترك فى أفلامه التالية مطربين بدرجات مختلفة ، حيث أحس أن الناس تذهب إلى السينما بشكل مكثف من أجل سماع الأغنيات ،و لم لا يجعلها تسمع أغنيات خاصة به هو ،و سوف يفعل ذلك فى فيلم "أيس كريم فى جليم" و "أمريكا شيكا بيكا" و "قشر البندق" و "إشارة مرور".

و الغريب أنه رغم هذا النجاح ، فإن بشارة لم يراهن على أحمد زكى و تركه ليعمل بين وقت و آخر مع مخرجين غيره فى الغناء ، مثل محمد خان الذى جعله يغنى فى فيلم "كاراتيه" عام ١٩٩٣ ،و كما نرى فإننا أمام كلمات غريبة ،و أغنيات قد لاتكون لها أى علاقة بالفيلم "فالشباب الذى يتمنى أن يكون بطلا فى الكاراتيه عليه فقط أن يتخيل أنه يغنى فوق كوبرى مايو للكاراتيه:

ايوة يا دنيا يا بنت الإيه
كده ولا كده فى الأوكيه
أى نضورجى ح بص عليه
ح اديله و اعقله من رجليه
وح أبص و أبص و ابص
و أرقص كده على وحدة و نص

صورة
أحمد زكى و رغدة و حسين الإمام فى "كابوريا"
صورة
عمرو دياب و سيمون فى "أيس كريم فى جليم"

و قد تباينت علاقة أحمد زكى بالغناء السينمائى ، فهو لم يغن فى أفلام بوليسية من طراز "الرجل الثالث" الذى يقوم فيه بدور ضابط سابق يحبط محاولة تهريب مخدرات عبر سيناء ،و "أبو الدهب" عن عالم المهربين ، بالإضافة إلى أفلام من طراز "نزوة" لعلى بدرخان ١٩٩٦ ،و "ناصر ٥٦" لمحمد فاضل ، إلا أنه عاد للغناء بشكل مكثف فى فيلمه "هيستريا" لعادل أديب ١٩٩٨ ،و هو أساسا فى هذا الفيلم شاب يهوى الغناء فى الأفراح ،و أيضا فى محطات مترو الأنفاق ، ياتم الناس عليه و تعجب به فتاة تدخل حياته فيما بعد ،و فى أحد مشاهد الفيلم ، يغنى بصوت قبيح فى أحد الأفراح ، فوق عوامة على ظهر النيل ، فيكون جزاؤه هة إلقائه مع زميلع إلى الماء كى يسبح إلى الشاطئ.

و هذه الأفلام جميعها لم ترق إلى مستوى الغناء فى فيلمه "كابوريا" ،و "اليه البواب" ،و بشك عام فإن الكثير من أغنيات أحمد زكى فى هذه الأفلام لم تخرج فى زمن الكاسيت من دور العرض إلى الناس ،و من أجل سماعها فعلى المشاهد دخول الفيلم ،و أغنيات "هيستريا" على سبيل المثال رغم حلاوة بعضها و خفته ، فإنها لم تلتصق بأذهان الناس.

و لم تتكرر ظاهرة الممثل المطرب كثيرا فى السينما خلال هذا العقد. صحيح أن البعض قد غنى بشكل عابر مثل نجاح الموجى و محمد عبد العزيز فى "الكيت كات" ، كما غنت ليلى علوى فى فيلمين هما "سمع هس" و "مهلبية" لشريف عرفة ،و ممدوح عبد العليم ، ثم يسرا التى غنت فى نهاية التسعينيات فى فيلم "دنتيلا" حيث غنت أغنية تحمل عنوان الفيلم ، خرجت إلى الناس و رددتها خارج الصالات. لكن الأغنيات الأكثر شهرة هى التى رددها محمد هنيدى فى "صعيدى فى الجامعة الأمريكية" لسعيد حامد ١٩٩٨ ، حيث غنى مع الآخرين و جميعهم من غير المطربين ،و ذلك على خلاف تجربته السابقة بالغناء فى فيلم "إسماعيلية رايح جاى" ،و من هذه الأغنيات مثلا ، أغنية "كاجولوه" ،و هى تصريف الفعل لكمة كاجوال التى تعنى الاتساع فى عالم الملابس و فيها يقول:

كاجولوه.. هيئوه..
لبسوه.. و روحوه
مش عايز ابقى جاكسون
ولا عايز ابوس مادونا
أنا عاوز بس أرقص و اتهنى و اخش دنيا

و الغريبن أن كل الأغنيات فى هذا الفيلم قد اشتهرت مثل شيكولاتة التى رددها فى بيت الهوى:

شيكولاته.. الواد ده يا ناس شيكولاته
زفوا الورد على الشيكولاته
احمرت.. و اخضرت.. و اتحرقت بس بطاطا
آه يا عيون حلوة بدنجانى
آه يا بكاكا دسه و عاجبانى
من بوركينا فاسو و نادانى
سبت النيكى و ح لبس باتا

أما لو عدنا إلى المطربين فإننا سنجد الحال متغير تماما مع أهل الغناء أنفسهم ، فمحمد منير الذى مثل فى الكثير من الأفلام فى الثمانينيات ،و هى التى لمع فيها ، فإنه لم يغن فى هذه الأفلام سواء التى عمل فيها مع يوسف شاهين ، أو خيرى بشارة ، المعروف أنه أبرز من صنع السينما الغنائية فى التسعينيات فهو لم يغن فى "الطوق و الأسورة" ولا "يوم مر و يوم حلو" و "أشتباه" و "ليه يا هرم" ، لكنه قد غنى أغنية شهيرة فى أو أفلامه مع يوسف شاهين عام ١٩٨٢ و هو "حدوتة مصرية". و عاد مرة أخرى فى عام ١٩٩٧ ليغنى أغنية تمتعت بنفس الشهرة هى "على صوتك" فى فيلم "المصير":

على صوتك بالغنا
لسة الأمانى ممكنة

و لم تنجح التجربة السينمائية الت خضها مدحت صالح عام ١٩٩٦ باسم "الحب فى ظروف صعبة" ، لكن حميد الشاعرى تحدث يوما فى إحدى القنوات الفضائية و أشار بشكل متواضع عن تجربته السينمائية الوحيدة فى فيلم "قشر البندق" لخيرى بشارة ، عام ١٩٩٥ و هو فيلم شبابى استطاع وجود عدد من الشباب أن يكسوا الفيلم بأجواء البهجة ، رغم قتامة الفيلم و مصير هؤلاء الشباب الذين جاءوا للاشتراك فى مباراة للأكل بأحد الفنادق الشهيرة و لغم حديث الشاعرى عن تلك التجربة ، إلا أنها ستحسب له حيث بدا بسيطا فى أدائه ،

مقبولا ،و هو نفس الشئ الذى حدث فيما بعد لزميله مصطفى قمر فى فيلمه الأول "البطل" لمجدى على عام ١٩٩٨.

و قد وضع الشاعرى موسيقى فيلم "قشر البندق" بالإضافة إلى أغنية تحمل اسم الفيلم ،و أخرى (إذا اعتبرناها كذلك) عبارة عن سعال بتنغيمات مختلفة ،و هى مصنوعة على وزن أغنية اشتهرت قبل ذلك بقليل عبارة عن نباح كلب. و ذلك دون أى كلمة واحدة ،و قد اعتبرت الأغنية بمثابة حدث أثار انتباه الناس لم تلبث أن اختفت.

و يردد حميد فى الأغنية التى تحمل اسم الفيلم:

لا قشر البندق لا
آه قلب البندق آه
قشر البندق يرموه
قلب البندق ياكلوه
ها ها هأ وا أووو

صورة
محمد فؤاد لقطة من فيلم "أمريكا شيكا بيكا"
صورة
لوسى و ماجد المصرى فى لقطة من فيلم "سارق الفرح"

أما مصطفى قمر ، فكان بمثابة المفاجأة التمثيلية فى فيلم "البطل" ، حيث جسد دور الشاب الإيطالى الام بترو الذى يعيش مع أبيهفى الإسكندرية ،و يعيش مجموعة من الحكايات مع أصدقائه ،و يغنى على الشاطئ مثل "بنلف" من كلمات و ألحان بليغ حمدى ،و فيها يقول:

" بنلف لف و السنين بتلف ،و ألم بيزيد و الجرح ينزف ، حبيبى بنودع ربيع و نستقبل ربيع ، يأمرنا القدر ينطفى الشموع و يغيب القمر".

أما المطرب الأكثر تواجد فى سينما التسعينيات ، فهو بلا شك محمد فؤاد الذى غنى أغنية تحمل عنوان الفيلم فى "أمريكا شيكا بيكا" لخيرى بشارة ١٩٩٣ ، حول مجموعة من المصريين يقررون الهجرة إلى الولايات المتحدة ، عبر رحلة سياحية إلى بولندا ، منهم مجموعة شباب ،و لكل منهم أسبابه الخاصة للرحيل ،و يفشلون جميعا بسبب المشرف على الرحلة الذى نصب على أموالهم. و فى الفيلم غنى محمد فؤاد:

أمريكا شيكا بيكا
تلعبك ع الشناكل
و تجيب عاليك وطيكا

و الغريب فى تجربة محمد فؤاد أنه لم يغنى فى كافة أفلامه التالية عدا فيلما واحدا مثل "يوم حار جدا" لمحمد بدرخان ١٩٩٥ ،و "إشارة مرور" لخيرى بشارة ، الذى أدى فيه دور لاعب كرة تواجهه الحياة بالكثير من المتاعبر،و "القلب و ما يعشق" عام ١٩٩٦. و فى عام ١٩٩٧ قدم قصة رحيل أسرته من الإسماعيلية أثناء حرب عام ١٩٦٧ و ما بعدها ، إلى المخرج كريم ضياء الدين ليقدمها فى فيلم كوميدى غنائى فاق طافة التوقعات فى النجاح ،و صار ظاهرة أولى فى عالم السينما من حيث الإيرادات و تفريخ جيل جديد من النجوم.

و الجدير بالذكر أن محمد فؤاد منذ الفيلم الأول و هو يؤكد قبوله لدىالناس كممثل ، لذا تقبله الناس كممثل دون أن يغنى ،و كان سئ الحظ لأن مستوى فيلم "يوم حار جدا" أقل بكثير من أفلامه مع خيرى بشارة ، لكن

الحظ عاد للوقوف إلى جانبه فى فيلم "إسناعيلية رايح جاى" حول شاب يهوى الغناء و يحاول أن يحقق طموحاته ،و أن يعوض أسرته عن أحزانها التى غرقت فيها بعد أن فقدت ابنها فى حرب يونيه ١٩٦٧.

و قد حير نجاح الفيلم النقاد ، فمستواه الفنى متوسط ، لكن جمال الأغنيات و تلقائية محمد هنيدى فى إلقاء التعليقات النضحكة ،و قد غنى محمد فؤاج هنا أربع أغنيات ، هى "حيران كده ليه" التى شدا بها إلى حبيبته التى هجرته فجأة دون أن يعلم أن أخاه قد وشى عندها ضده ، ثم غنى "باحلو و يحلا لى" و "نحلم على كيفنا" أما الأغنية التى لاقت شهرة بكلماتها الغريبة و وزعت ملايين الاسطوانات ، فهى التى تحمل اسم كامننا الت يردد فيها مع زميله ، بعد أن نال هذا الأخير علقة ساخنة على يد أحد الشباب:

يا دنيا نفسى ألقى نفسى.. واد حبيب و بيه
و معايا فلوس كتير .. ستين تلاف جنيه
و أشرب كازوزة فى العجوزة.. مع استاكوزا إيه
و اجيب لى دش مع الموبايل.. و الحتة الكوبيه

و قد صنعت هذه الأغنية ظاهرة تستمر لعدة سنوات فى الأغنية السينمائية بصفة خاصة ،و الأغنية بشكل عام فى مصر و البلاد العربية. و صارت الأغنيات خفيفة ليست فقط بلا معنى ، بل تدخل على حيواتنا الكثير من الألفاظ الغريبة التى تناسب عصر الانفتاح و الخصخصة.

صورة
إعلان دعائى لفيلم ظهور الإسلام عن
قصة طه حسين باشا

الفصل الثانى و الثلاثون
العابرون فى السينما الغنائية

السينما كائن غنائى

و من الصعب حصر أسماء كل من غنوا فى هذه السينما ، كل فى فصل وحده ،و ذلك لكثرة هذا العدد من المطربين الذين مروا بالسينما و تقصد بهم المطربين الذين عملوا بالغناء لفترة محدودة عابرة أى أنهم غنوا فقط بشكل غير طويل المدى.

و سوف نطلق على هؤلاء تعبير "العابرون" على الغناء بالسينما ،و ليست هناك قاعدة تربط فيما بينهم فهم حالات لكل منهم سماته الخاصة و تكوينه فحورية حسن تختلف تجربتها بالطبع عن مها صبرى و لبلبة ،و محمد نوح ظهر فى فترة جاءت بعد عبد اللطيف التلبانى فى عالم الغناء السينمائى ،و لأحمد عدوية كمطرب شعبى ظروفه التى ظهر فيها على الشاشة ثم أختفى.

و هؤلاء العابرون ظهروا فى أجيال و عقود مختلفة ، مثل "نادرة" و "فايدة كامل" فى بداية عصر السينما. ظهرت فايدة كامل فى نهاية الأربعينيات فى أفلام متعددة كمغنية ، مما يجعلها تمثل حسب الطلب ،و فى فيلم "على أد لحافك" لفؤاد شبل غنت أغنيتين ، الأولى زى القمر من كلمات مصطفة عبد الرحمن ،و ألحان فريد غصن ،و الثانية "يا أم الخدود" من ألحان يوسف صالح التى تقول فيها:

يا أم الخدود القوطة ياعروسة يا نوسة يا نفوسة
اتهنى يابطة يا قطقوطة و من عيوننا محروسة
الخصر ما شاء الله الحافظ الله كحلة و ملفوفة
و بياضك بوظ على الفة خلاها مكسوفة

و لكننا سنبدأ الحديث من خلال حورية حسن و لبلبة اللتين ظهرتا فى نفس السنوات كانت الأولى فتاة ناضجة ،و الثانية طفلة صغيرة ، خفيفة الظل تقوم بالتقليد ولا تعد مطربة ، لكنها تغنى من فيلم لآخر و يجمع بين الاثنين أنهما بدأتا الغناء و هما طفلتين.

لكن حورية حسن بدأت الغناء فى الإذاعة فى بداية الخمسينات حيث أجادت الأغنية الشعبية و الموال حيث من كلمات الأغانى ألفاظ شعبية مثل "يا ناعمة يا غريبة" و هو اسم إحدى أغنياتها الشهيرة و "يا أهل حتتنا". و لذا فإن محمد الكحلاوى قد استعان بها و قدمها فى بعض أفلامه منها "الصبر جميل" إخراج نيازى مصطفى ،و قد ظهرت فى العديد من الأفلام كفتاة تسكن فى الأحياء الشعبية تغنى من الشرفة و يسمعها الجيران و لم نرها قط تقوم بدور مطربة محترفة و قد قامت ببطولة سينمائية واحدة فى فيلم "شمشون و لبلب" لسيف شوكت عام ١٩٥٢.

و قد كتب سامى السلامونى عن حورية فى هذا الفيلم أنها: "**لوزة ، حسناء الحارة التقليدية التى تدور حولها المعارك عادة بين البطل و الشرير ،و هى فى هذا الفيلم المطربة حورية حسن التى كانت لها بعض المحاولات السينمائية عندما كان الغناء جواز المرور المضمون إلى التمثيل. ثم ابنة عبد الوارث عسر صانع الأحذية الجشع و محرك الشر فى هذا الفيلم**".

و فى فيلم "الصبر جميل" لنيازى مصطفى ١٩٥١ غنت حورية مع محمد الكحلاوى أغنيات عديدة منها "لاتصيبك عين" من ألحانه و كلمات كمال محمد:

لا تصيبك عين لا تصيبك عين أنا قلبى عليك من حسد العين
دارى هواك من كل عزول دا اللى عشق عمره ما بيقول

كما غنت أغنية قصيرة باسم "سيب الدموع" لنفس المؤلف و ألحان الكحلاوى:

سيب الدموع يا عين ع الخدود تجرى و اللى جرى يا عين كان عليه بدرى
يارب يا مطلع الغيب و أسرارى انت اللى عالم بحالى و بلوتى و نارى

و فى فيلم "حياة امرأة" لزهير بكير ١٩٥٨ غنت حورية أغنيات قليلة باعتبارنا لسنا فى فيلم غنائى مثل "يا حلو مالك" من ألحان بليغ حمدى تقول فيها:

يا حلو مالك ظلمت حالك ولا خدت بالك
ياحلو طيرك لايف بغيرك وخد بالك
يا حلو مالك

و فى هذا الفيلم غنى أيضا شقيق جلال أحد اشهر العابرين بالغناء فى.. السينما المصرية و الذى غنى فى الكثير من الأفلام الأولى دون أن يؤدى مشهدا تمثيليا واحدا ،و منها على سبيل المثال "انتصار الإسلام" ١٩٥١. و رغم أن شقيق جلال قد غنى فى ٦٩ فيلما إلى ذلك محمد قابيل فى موسوعة الغناء المصرى ، فإن أغنياته الشهيرة الأولى قد لمعت أكثر فى الإذاعة مثل "شيخ البلد" لكنه اشتهر فقط كمغنى سينمائى من خلال أفلامه التى عملها فى السبعينيات مثل "حكايتى مع الزمان" و "خلى بالك من زوزو" و "بمبة كشر" و "بالوالدين إحسانا" و هى كلها مع حسن الإمام.

أما فى فيلم "حياة امرأة السابق الإشارة إليه فهو يغنى من ألحان إبراهيم حسين "علشان خدك":

علشان خدك يا جميل غلو علينا التفاح
و نميل و انت ما بتميل ولا حد معاك مرتاح
غلو علينا التفاح
فيه بيننا كلام وحديت و أنا فاكر و انت نسيت
و ظلمنى هواك و رضيت بغرامه ولا فى الحواديت

و فى "خلى بالك من زوزو" لم يغن بمفرده كالعادة و إنما أدى استعراض يحمل نفس العنوان. كما تكرر نفس الأمر فى فيلم بمبة كشر ١٩٧٤.

و العابرون فى السينما الغنائية كثيرو العدد و سوف نتوقف هنا عند مطربة قامت بفيلم واحد ولا أكاد أذكر أن أحدا يعرف اسمها و هى "عالية" فى فيلم "حبيبتى سوسو" لنيازى مصطفى ١٩٧١. و رغم أنها لم تغن وحدها فى الفيلم إذ كان هناك عزيز عثمان و لبلبة لكن اسمها كان بارزا فى الأفيشات إلى جوار أبطال الفيلم مثل إسماعيل يس و محسن سرحان و ليلى فوزى ،و فى هذا الفيلم غنت عالية أربع أغنيات هى "آه من الآه" كلمات حسن توفيق و ألحان عبد الغنى الشيخ و "مين قدك" كلمات و ألحان عبد الغنى الشيخ و "أروح لمين" كلمات و ألحان يوسف صالح ،و الغريب أن زكريا أحمد قد لحن لها أغنية "حبيتك" من تأليف جليل البندارى التى تقول فيها:

حبيتك قبل ما أشوفك وح أجرب حظى وياك
و منايا فى يوم ألمح طيفك و اتهمنى و لو لحظة معاك
حبيتك
حبيتك من قلبى و خايفة ما تردش على اللى ح اقولهولك
و ان كنت أكتب مش عارفة على فين يا حبيبى أبعتهولك

فى هذا الفيلم ظهر عازف الكمان عزيز الشوا كممثل لأول مرة كما ظهرت لبلبة أيضا لأول مرة و قد توجدت برعاية ضخمة كطفلة معجزة و قد جاء فى ملخص الفيلم الذى وزع مع كراسة الدعاية: **"لبلبة طفلة لها من اسمها أكبر نصيب فهى لبلبة فى الكلام و الحركة برغم صغر سنها و إنها ابنة حازم بك و شقيقتها سوسو الفتاة الساحرة الجمال و لها عم يعمل خبيرا فى اذاعة"** و ذد امتلأ هذا الكراس بكلمات تقريز فى لبلبة مثل "طفلة عجيبة ترقص و تغنى" "و تدهشك لبلبة بتمثيلها العجيب" و بالفعل فإن الفتاة الصغيرة غنت لنفسها أغنية باسم "لبلب" من كلمات أبو السعود الإبيارى و ألحان على فراج و رددت فيها:

لبلب لباليبو لبلوبة سنة أولى و لكن لهلوبة
لبلب لباليبو لبلوبة
أنا بنت حدقة و جنية معجونة بمية عفاريت
و أنا اسة بوأوأ بأغنية راضعة ياواد عصير ديناميت
كانت ماما تقولى هوه
أقول يا ندامة نوه نوه نوه

و من الواضح أن الناس نظروا إلى لبلبة باعتبارها صورة مشابهة لفيروز التى لمعت كطفلة فى "ياسمين" مع "أنور وجدى" لكن لبلبة لم تجد فة طفولتها طريقا للبطولة السينمائية حتى مع أنور وجدى نفسه الذى عملت معه فى "أربع بنات و ضابط" فراحت تغنى مع كل من نعيمة عاكف و رجاء و عواطف أغنيات مثل "يارب يندلق العدس و ينكب" كما قدمت فقرة بالغة الطرافة قلدت فيها المطربين و التى سبقتها إلى ذلك فيروز فى دهب لكن لبلبة كانت أطول عمرا من قرينتها و منافستها و عملت لأكثر من ثمانية و أربعين عام فى السينما ، كانت تغنى أحيانا فى الأفلام مثلما حدث و هى شابة فى مقتبل العمر فى "النغم الحزين" لحسن الصيفى ١٩٦٠ و "قاضى الغرام" لنفس النخرج ١٩٦٢ و "بنت بديعة" لحسن الإمام" ١٩٧٢ و قد تباين الغناء فى الأفلام التى عملت بها لدرجة أنها توقفت تمام عن الغناء فى أفلامها اخيرة طوال الثمانينيات و التسعينيات و لكن هذا لم يحدث فى حياتنها الفنية حيث غنت "يا بتاع القزقزة" و "جدا جدا" و "جوزى بسلامته" كما غنت للأطفال.

و فى فيلم "النغم الحزين" غنت لبلبة بمفردها فى فيلم "النغم الحزين" أغنية ظلمته مرة واحدة التى تقول فيها:

ظلمته مرة واحدة هجرنى نوبة واحدة
عايزنى أروح أحايله بيقول إنه حبيبى

صورة
محمد قنديل أحد العابرين فى السينما
الغنائية فلم يؤدى أى بطولة سينمائية

كم اقدمت استعراضا قلدت فيه أهل الفن فى تلك الفترة و منهم ماجدة ، عبد الحليم حافظ ، صباح ، شادية ، محمد عبد المطلب ، فريد الأطرش حيث تقلد ماجدة مرددة:

ألو عبد الحليم.. تأخرت كده ليه.. طول النهار فى الاستوديو
و الليل كما؟ حرام عليك.. دا انت عيان يا عبده...
و العشا حضرته ميت مرة.. ولا انت عايز تعبرنى و تيجى..
علشان نتعشى.. عيشتى مرار.

تقول لبلبة فى بداية هذا الاستعراض "أهل الفن" الذى كتبه إبراهيم عاكف و لحنه على اسماعيل:

أهل الفن اللى انت عاوزهم أصحاب الشهرة الفنية
لو يتجوزوا يوم بعضيهم تبقى حياتهم حلوة هنية
أو يتفرقوا فى احال و حياتهم تبقى محال
أهل الفن
لو شفنا يوم مثلا ماجدة عبد الحليم متجوزها
و فى شقة واحدة اتوجدوا يسعدها ولا ينزفزها
ما تيجوا تتمشوا و تشوفوا حالهم ويايا

و فى الخمسينيات لمع اسم محمد قنديل كمطرب خارج الأفلام و كانت السينما تستعين به من وقت لآخر للغناء فقط فى الأفلام و فى عام ١٩٥٢ غنى فقط فى فيلم "من عرق جبينى" إخراج فرنتشيو كما غنى فى "عبيد المال" لفطين عبد الوهاب و "عزيزة" لحسين فوزى و لكنه راح يمثل و ظهر فى أغلب أحداث فيلم "صراع فى النيل" لعاطف سالم ١٩٥٩ و هو المخرج الذى قدمه أكثر من مرة حيث غنى إحدى أشهر أغنياته "يا حلو صبح" فى فيلمه "شاطئ الأسرار" ١٩٥٨:

يا حلو صبح يا حلو طل
يا حلو صبح نهارنا فل
من أد إيه أنا باستناك
و عينى ع الباب و الشباك
عشان أقولك و اترجاك
يا حلو صبح يا حلو طل

و لم يكن محمد قنديل ممثلا ،و هو فى هذه الأفلام رغم أن يغنى أغانى عاطفية فإنه فى فيلمى عاطف سالم بدور مراكبى يغنى كلما طلب منه الكخرج أن يفعل ذلك.

و فى نهاية الخمسينيات لمعت مها صبرى كمغنية إذاعية من خلال أغنيات "أد إيه حبيتك أنت أد إيه" و هى أطول المطربات حياة فى السينما فى الستينيات حيث عملت فى أفلام خفيفة كثيرة لكن الغريب أنها توقفت عن الغناء فى السبعينيات و فى قائمتها التى أمامنا واحد و عشرين فيلما بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٨٣ و من هذه الأفلام التى غنت فيها "أحلام البنات" ليوسف معلوف ،و "عودة الحياة" لزهير بكير و "حسن و ماريكا" لحسن الصيفى و كلها عام ١٩٥٩ ، ثم "حب و حرمان" لحسين فوزى "لقمة العيش" لنيازى مصطفى عام ١٩٦٩ و "حب و عذاب" و "أنا العدالة" لحسين صدقى عام ١٩٦١ و "حلوة و كدابة" لحسين فوزى عام ١٩٦٢ كما غنت أمام محرم فؤاد فى الفيلم اللبنانى "حكاية غرام" لمحمد سلمان ١٩٦٣ و قامت بدور العروس فى فيلم "منتهى الفرح" لمحمد سالم عام ١٩٦٣ و غنت أشهر أغنياتها "ما تزوقينى يا ماما" ثم بدأت

تقلل من أغنياتها فى أفلام "العمر أيام" و "بين القصرين" و بقية أفلامها فى السبعينات مثل "دنيا" و "السكرية" و غيرها.

صورة
مها صبرى و يحيى شاهين فى لقطة من فيلم "بين القصرين"
صورة
أسمهان و صوت صداح فقدناه مبكرا

و يعتبر حسن الصيفى هو أبرز من استفاد من أول قطفة نجاح لمها صبرى فقدمها فى العديد من الأفلام هى "حب و عذاب" و "اسماعيل يس فى السجن" و "حسن و ماريكا" و قد اتسمت مها صبرى بجمال أخاذ و خفة دم و شكل مقبول جعل السينما تقبل عليها لكنها أعطت ظهرها للسينما فى فترة تألقها بسبب زواجها من اللواء على شفيق أحد ضباط ثورة ٢٣ يوليو.

كما نلاحظ فإن أغلب الأدوار التى لعبتها اتسمت بالكوميديا رغم أنها لم تكن كوميديانة مثل سعاد مكاوى فإذن وجودها كان يكسب النشهد بهجة و قد اتعكس ذلك على أغانيها فى الأفلام فهى لاتغنى هنا فى حفلات أو أمام ميكروفون بل فى أجواء مبهجة يستدعى أن تمثل و تتدلل مثلما فعلت فى فيلم "حسن و ماريكا" حيث تغنى من ألحان سيد مكاوى:

أوعى ياللا سيبنى ياللا
قد إيه حيرنى حبك يعلم الله

و أيضا فى أغنية "شبك القلب" من نفس الفيلم و هى من ألحان منير مراد:

شبك القلب و شغل العين و اللى بحبه فداه الاتنين
بس عزولى أمانة قولولى ماله و مالنا و جالنا منين

و قد قامت فى هذا الفيلم بدور الفتاة الجميلة التى يتنافس على حبها اثنان من الأصدقاء و تحاول إقناع أبيها بإن يوافق على الزواج من أحدهما لكنه يود ان يزوجها من شخص آخر خواجة مثلما إلى أن يتم اكتشاف أنها مصرية و ليست يونانية.

و فى فيلم "اسماعيل يس فى السجن" كساها الفيلم بهموم لا تناسب طبيعتها السينمائية و ذلك لأنها تؤدى دور زوجة دخل زوجها السجن و لكنها غنت ما يناسبها كمطربة خفيفة مثل "يا حنين" من ألحان محمد فوزى،و "الدلال" ألحان بليغ حمدى ،و "دق يا قلبى" ألحان محمد الموجى:

دق يل قلبى دق ما تبطلش دق
خلى حبيبى يرق و خلى عزولى يطق

و فى فيلم "حب و عذاب" عاجت مرة أخرى إلى الأجواء الكوميدية ، فغنت من ألحان بليغ حمدى أغنيتين هما "آه منه آه" و "خد لما أقولك" و فى هذه الأغنية شدت مها صبرى من المرات الأخيرة فى ملهى ليلى أمام جمهور تردد فى الكوبليه الأخير:

مريت فى مرة و رميت له نظرة
و نور شفايفك دايب فى ابتسامتك
أنا قلت يجرا اللى ح يجرا مادام فى قلبى زادت غلاوتك
و مادام بحبك و انت عاجبنى مين راح يلومنى ولا يعاتبنى

و كما أشرنا فإن مها صبرى ظهرت فى زمن غسق السينما الغنائية ،و لم يكن حسين فوزى فى أحسن حالاته و هو يعمل لها أفلامه الأخيرة و كما هو ملاحظ فإنها كانت يمكن أن تعطى الكثير خاصة فى الكوميديا الغنائية.

و فى الستينات لمع اسم عبد اللطيف التلبانى الذى لمع فى البداية فى أغنية وطنية أداها فى أعياد الثورة معروفة باسم "من فوق برج الجزيرة الله الله على سحرها" كما لمع فى الأغنية العاطفية "اللى روحى معاه.. بيقولو لى أنساه" ألحان محمد الموجى.. و ما لبثت السينما أن اختطفته ليعمل فى فيلم "نمر التلامذة" و فيه يغنى أغنية سبق لعبد الحليم حافظ أن غنى نفس معانيها حول نجاح الطلاب و هى "افرحوا يا حبايب".

افرحوا يا حبايب لفرحنا
النمر أهى بانت و نجحنا

صورة
نعيمة عاكف فى لقطة من فيلم "النمر"
صورة
أحمد زكى و مصطفى قمر فى لقطة من فيلم "البطل"

و لم يطل عمر عبد اللطيف التلبانى فى السينما ، رغم أنه عاد فى عام ١٩٨٤ لينتج "درب اللبانه" و غنى أغنيات حديثة و اضطلع بالبطولة أمام شريهان و هناء ثروت حول عالم فن الغناء و الفن التشكيلى.. لكن التجربة لم تترك أثرها فى السينما.

فى السبعينات لمع اسم محمد نوح فى عالم الغناء الشبابى و أداء ألحان سيد درويش و الغريب أن علاقة نوح بفن السينما كممثل بدأت قبل أن يصبح مطربا حيث رأيناه فى أفلام عديدة كممثل فقط ، منها "الزوجة الثانية" لصلاح أبو سيف ١٩٦٧ ، "السيد البطلى" لتوفيق صالح عام ١٩٦٩ ثم راحت السينما تقدمه فى العديد من الأفلام كبطل مطلق فى أعمال غنائية منها فيلم "المزيكا فى خطر" لمحمود فريد ١٩٧٦ و الذى كتب عنه د. عبد المنعم سعد فى كتابه "السينما المصرية فى موسم "(الكتاب التاسع)" : إن السينما المصرية افتقدت الفيلم الاستعراضى الغنائى بعد محمد فوزى و أنور وجدى ،و مرت السنوات و ظلت الأفلام تتوالى دون ظهور هذه النوعية. و إذا كان (مولد يا دنيا) يقترب من الفيلم الغنائى الاستعراضى إلا أن. (المزيكا فى خطر) هو فعلا فيلم استعراضى غنائى.. و من هنا لم يهتم بالموضوع الذى يتناوله. فقد رأينا كثيرا فى أفلام فريد الأطرش من خلال قصص المطرب المطافح الذى تعترضه عقبات و ينجح فى النهاية. العناصر الفنية التى تكفل نجاح الفيلم الاستعراضى متوفرة: الاستعراض صفاء أبو السعود و لبلبة الغناء و ألحان منير مراد و محمود الشريف. مع الصوت الجديد محمد نوح و ديكور الاستعراضات فيه ثراءو مع كل هذه العناصر أعرض الجمهور عن الفيلم"؟

و يقول الناقد فى مكان آخر من نفس المقال: "**محمد نوح فنان و لكن لا أعتقد أن إمكانياته الفنية التى تقررها جميعا تتسع لبطولة فيلم استعراضى".**

و من الواضح أن أغنيات الفنان خارج الفيلم مثل "مدد شدى حيلك يا بلد" و "الله حى" لم تشفع لمطرب أن يعود مرة أخرى إلى السينما ،و الغريب أنه قد ترك الغناء فيما بعد و كون فرقة من أبنائه و وضع العديد من موسيقى الأفلام منها فيلم "المهاجر".

أما آخر هذه الأسماء و ليس كلمتها الختامية فقد تمثلت فى أحمد عدوية الذى اعتبر ظاهرة غنائية من خلال أغنيات حطمت شكل الأغنية الوقور ،و منها "السح الدح امبو" و "سلامتها أم حسن" و "حبة فوق و حبة تحت" و "زحمة يا دنيا زحمة" و "كركشنجى دبح كبشه" و كله على كله.. لما تشوفه قول له".

و بعض هذه الأغنيات من تأليف السيد بيرة و ألحان الشيخ طه ولا شك أن السينما يجب أن تستفيد من نجاح هذه الظاهرة بدرجات مختلفة و كانت البداية فيلم "خدعتنى امرأة" للسيد طنطاوى ١٩٧٩ و الذى غنى فيه أغنيته الشهيرة "حبة فوق و حبة تحت" و اذكر أن أحد الأشخاص قال لى يوما إنه لم يفهم ماذا يقول عدوية فى الأغنيات لكنه فهم حين رأى هذه الأغنية فى الفيلم أن الحبة هنا مقصود بها الفول المدمس و "فوق" تعنى للناس اللى فوق ،و "تحت" تعنى للناس اللى تحت.

و ينتمى أحمد عدوية بالطبع إلى المناطق الشعبية التى يغنى لها لذا فإن أغلب الأفلام التى عمل فيها تدور أحداثها فى هذه المناطق و منها بالطبع "خدعتنى امرأة" حيث هناك مصبغة تملكها امرأة ترمى شباكها على محام يمتلك مكتبا فى المنطقة. و قد كتب الناقد محمد ذهنى فى مجلة "الشبكة" عن هذا الفيلم "**لم يكن هناك مبرر درامى لأن يقدم صاحب المقهى الشعبى المغنى أحمد عدوية تلك الوصلات الغنائية الطويلة إلى جانب "وصلة" الرقص الشرقى فى المعتادة".**

و هناك فرق كبير بين محمود شكوكو الذى كان أول من غنى "السح الدح امبو" و بين عدوية الذى لم يحظ بأى جاذبية فى السينما فهو لا يتمتع بمواهب تمثيلية بالإضافة إلى أن أغلب الأفلام التى عمل بها اتسمت بتفاهة وسطحية منها (٤/٢/٤) لأحمد فؤاد ١٩٨١ و "مخيمر دايما جاهز و "حسن بيه الغلبان" و "مطلوب حيا أو ميتا" و "رجل فى سجن النساء" و لم يزد دور عدوية فى هذه الأفلام عن كونه الشخص الذى يظهر فجأة أثناء الحدث كى يغنى ثم يختفى و لم تكن مخارج ألفاظه و حروفه اضحة و هو ينطق الحوار لذا لم يسند إليه أحد أدوار رئيسية ، سوى بركات فى "حسن بيه الغلبان" بركات الذى قدم شادية و سعاد محمد و عبد الحليم حافظ فى أحسن حالاتهم الغنائية السينمائية.

المؤلف فى سطور

- **محمود قاسم:**

- من مواليد الإسكندرية فى ٩ يوليو ١٩٤٩.
- حصل على بكارليوس زراعة عام ١٩٧٢ من جامعة الأسكندرية.
- كاتب متعدد الأنشطة ، فهو روائى ،و مترجم ،و كاتب مسرحي ،و إذاعي ،و ناقد ،و باحث أدبي و سينمائي ،و له العديد من المؤلفات فى مجال ثقافة الطفل.
- حاز على جائزة النقد الأدبى مرتين. من المجلس الأعلى للثقافة ، عامى ١٩٨٣، ١٩٨٥.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الأطفال عام ١٩٨٨.
- من رواياته: "لماذا" ١٩٨١ ، "أوديسانا" ١٩٨٢ ، الثروة" ١٩٨٣ ، "البدلي" ١٩٨٧ ، "وقائع سنوات الصبا" ١٩٩٤ ، "زمن عبد الحليم حافظ" ١٩٩٦.
- من دراساته الأدبية: "الرواية اليهودية فى الولايات المتحدة و فرنسا" ١٩٨٦ ،و الخيال العلمى أدب القرن العشرين" ١٩٩٣ ،و "الأدب العربى المكتوب بالفرنسية" ١٩٩٧.
- من دراسته السينمائية: "الاقتباس فى السينما المصرية" (طبعة رابعة ١٩٩٧). جواسيس الأدب. جواسيس السينما" ١٩٩٦ ، "الحب فى السينما المصرية" ١٩٩٦. "الأدب فى السينما المصرية" ١٩٩٧. "لغة العنف فى السينما" ١٩٩٧.
- من الموسوعات التى أشترك فى تأليفها: "موسوعة الأفلام العربية" ١٩٩٤. موسوعة جائزة نوبل" ١٩٩٦ ،و "موسوعة الممثل فى السينما المصرية" ١٩٩٧.
- من مؤلفاته فى كتب الأطفال: "أجمل حكايات البحر – العملاق – حكايات سينمائية مثيرة – بستان الحكايات – مغامرات رأفت الهجان – شارلى المتشرد – آله الزمن العجيبة – حكايات غيرت الدنيا (دار الهلال).
- أعرف عصرك (٥ كتب – دار الهلال).
- الغاز الشروق (٢٠ كتاب – دار الشروق).

- خيال ×خيال (٦ كتب – دار الشروق).
- حكايات سينمائية مثيرة (١٠ كتب – مركز الكتاب).
- أجمل حكايات الدنيا (٥٠ كتاب – نهضة مصر).
- طه حسين – حسين القبانى (دار النعارف).
- مغامرات آلة الزمن (هيئة الكتاب).

المخرج و الكاتب السينمائى الدكتور/مكدور ثابت.

- أستاذ بقسم الإخراج بالمعهد العالى للسينما بالقاهرة ،و يشغا حاليا منصب رئيس المركز القومى للسينما.
- من مواليد قرية كوم أشقاو بطما /سوهاج فى ١٩٤٥/٩/٣٠.، و تلقى مراحل تعليمه بشبرا فى القاهرة.
- تخرج ضمن الرعيل الأول من المعهد العالى للسينما بحصوله على بكالوريوس قسم الإخراج دفعة يونيو ١٩٦٥ ،و كان ترتيبه الأول بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، فعين معيدا بالمعهد فى يناير ١٩٦٦ ، ثم مدرسا فى مارس ١٩٧٢ ليكون من أوائل أعضاء هيئة التدريس بالمعهد.
- يتولى تدريس مواد: تاريخ السينما العالمية ،و بناء السيناريو ،و حرفية الإخراج السينمائى ،و يشرف على مجموعة سنوية من أفلام التخرج لقسمى الإخراج و السيناريو ،و أستاذ الورشة الإبداعية فى الإخراج السينمائى ،و حلقة أبحاث قمم المبدعين السينمائيين بالدراسات العليا ، كما يشرف على حلقة البحاث التمهيدية الخاصة برسائل الدكتوراه فى جميع تخصصات المعهد.
- كان عضو بارزا فى حركة السينمائيين الشبان بمصر فى الستينيات.
- كتب و أخرج أول أفلامه "ثورة المكن" فى يونيو ١٩٦٧ ،و حصل على الجائزة الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان الأسكندرية ١٩٦٩ ، كما حاز شهادات التقدير فى العديد من المهرجانات العالمية.
- فى أغسطس ١٩٦٩ بدأ يمارس تبنيه لاتجاه السينما التجريبية ، فكتب و أخرج "حكاية الأصل و الصورة فى إخراج قصة نجيب محفوظ المسماه صورة" (٦٠ دقيقة) و الذى عرض الجزء الثالث من فيلم "صور ممنوعة" كأول فيلم روائى للمخرجين الثلاثة الجدد حينئذ: اشرف فهمى ، محمد عبد العزيز ، مدكور ثابت فتم اختياره للاشتراك فى مهرجان كارلو فيفارى السينمائى الدولى ١٩٧٢.
- عمل مراسلا حربيا سينمائيا على طول جبهة القتال فى فترة حرب الاستنزاف أثناء خدمته بالقوات المسلحة المصرية من يناير ١٩٦٨ و حتى أكتوبر ١٩٧٣.
- فى ١٩٧٥ أخرج الفيلم الكوميدى "الولد الغبى" بطولة محمد عوض و ناهد شريف و صلاح قابيل،و اعتبره درسا قاسيا فى التنازلات الفنية ، فركز على كتابة و إخراج الأفلام التسجيلية ،و من أهم أفلامه: "أرض سيناء (١٩٧٥) ،" الشمندورة و التمساح" (١٩٨٠) "و فيلميه الكبيرين (٦٠ دقيقة) السماكين فى قطر (١٩٨٥) ،و مذكرات بدر٣ (١٩٩٢/٨٩) و سلسلة أفلام تطوير الرى فى مصر (تعليمية) ،و سحر الوثائق – فى تاريخ مصر من نهاية القرن ١٩ حتى نهاية القرن ٢٠ (١٩٩٨ – ١٣٥ دقيقة).
- فى ١٩٨٠ اختبر لعضوية أول لجنة لسينما الطفل بوزارة الثقافة ،و أشرف على إخراج و إنتاج أول ثلاثة أفلام كرتون للأطفال هى: (الحوت ، الأرقام ، الفم) و فى ١٩٩١/٩٠ مقررا للجنتين التأسيسيتين لمناهج شعبتى السيناريو و الإخراج السينمائى بالمعهد ، كمما اختبر عضوا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان القاهرة الولى لسينما الطفل (سبتمبر ١٩٩٢).
- شارك لسنوات عديدة فى لجان الأنشطة السينمائية المتخصصة ، مثل لجنة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة ،و اللجنة العليا للمهرجانات.. الخ ، كما يتم اختياره لعضوية لجان تحكيم جوائز السينما،و جائزة الدولة التشجيعية فى السينما. و قد ساهم فى التخطيط و الإعداد و التنظيم لكثير من المؤتمرات و الندوات و المهرجانات.

- رأس وفد مصر و مثل مصر فى العديد من المهرجانات و المؤتمرات السينمائية العالمية و المحلية.
- تم اختياره رئيسا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان فريبورج السينمائى الدولى بسويسرا فى مارس ١٩٩٦م. و شارك فى عضوية لجنة تحكيم مهرجان باليزو الدولى الثالث عشر للفيلم العلمى بفرنسا عام ١٩٩٧ و تم اختياره رئيسا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان أزمير السينمائى بتركيا عام ١٩٩٨.
- دأبت المراكز العربية خارج مصر على الاستعانة بخبراته فى التدريس لتطوير مستويات المحترفين بالتليفزيونات العربية ، كما يستعان به كخبير قضائى للفصل فى المنازعات السينمائية التى تنظر أمام المحاكم المصرية.
- تولى العمل "مقرر لجنة تطبيق اللوائح الجامعية بأكاديمية الفنون".
- عمل كخبير استشارى فى لجان قراءة السيناريو بأكثر من جهة للإنتاج و التوزيع السينمائى و التليفزيونى.
- كتب و نشر العديد من الأبحاث و الدراسات المتخصصة فى علم الجمال السينمائى ،و السينما المعاصرة ،و الفيلم التجريبى ، كما عمل مديرا لتحرير فصيلة "الفن المعاصر" التى كانت تصدرها أكاديمية الفنون و رئيسا لتحرير "دراسات سينمائية" التى أصدرها المعهد العالى للسينما.
- صدرت من تأليفه عدة كتب: "النظرية و الإبداع فى سيناريو و إخراج الفيلم السينمائى" (عام ١٩٩٣م) و "الكسر النسبى فى الإبهام السينمائى" (عام ١٩٩٤م) و الفنان السينمائى (١٩٩٧) و كتاب "ثلج فوق صدور ساخنة" (١٩٩٧) و هو سيناريو سينمائى صدر ككتاب قبل أن ينتج سينمائيا.
- يوالى الآن تكثيف أنشطة المركز القومى للسينما فى الإنتاج و الثقافة السينمائية و آخرها تأسيس و نشر "ملفات السينما" التى أصدر منها عشرة كتب تضمنت مقدمات بحثية بقلمه ، بالإضافة إلى إنتاج المخرجين و السينمائيين الجدد ،و تنظيم "أسابيع الأفلام التسجيلية و القصيرة" لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية ،و توسيعدائرة المشاركة المصرية فى الأنشطة السينمائية على المستوى الدولى.
- آخر تقدير له فى مجال الإبداع السينمائى كان حصوله على الجائزة الدولية الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان قرطاجنة الدولى لأفلام البحر (الدورة ٢٢ عام ١٩٩٣) و ذلك عن فيلمه الكبير: "السماكين فى قطر" (٦٠دقيقة). و هى المرة الثانية لمصر فى الحصول على هذه الجائزة (كانت الأولى عام ١٩٧٨ للفيلم الكبير "ينابيع الشمس" من إخراج جون فينى).

صدر من ملفات السينما

١	صحافة السينما فى مصر "النصف الأول من القرن العشرين"	تأليف: مجموعة من الباحثين المحرر: فريدة مرعى تقديم أ.د.مدكور ثابت تحت عنوان كتابين: صحافة السينما و نشرات السينما.. فى مصر
٢	نشرات السينما فى مصر "اتجاهات نقدية"	تأليف: د. ناجى فوزى تقديم أ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: صحافة السينما و نشرات السينما.. فى مصر
٣	إيقاع و مونتاج الفيلم فى مصر "المؤثر النظرى الأجنبى"	تأليف المونتير السينمائى: عادل منير تقديم أ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: كتابة أولى.. كتابة ثانية عن عادل منير و الإيقاع فى المونتاج
٤	أفلام الحركة فى السينما المصرية ١٩٥٢ ــ ١٩٧٥	تأليف: سمير سيف تقديم أ.د. مدكور ثابت

		تحت عنوان: الفن/الفيلم/اللعبة
٥	من أجندة السينما المصرية الراحلون فى مائة سنة ١٨٩٦ – ١٩٩٦ الجزء الأول فى الإخراج	تأليف: عبد الغنى داود تقديمأ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: وجاء زمن الدعوة للاكتشاف من أجل أجندة للسينما فى مصر
٦	تاريخ التصوير السينمائى فى مصر ١٨٩٧ - ١٩٩٦	تأليف: سعيد شيمى تقديمأ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: الصورة/الأداء/المبدع جوهر التاريخ لترسانة السينما المصرية
٧	صورة الأديان فى السينما المصرية	تأليف: محمود قاسم تقديم أ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: فرضيات استكشاف السينما المصرية
٨ ٩ ١٠	من تراث الثقافة السينمائية ١- كتابات السيد حسن جمعة الجزء الأول من ١٩٢٤ - ١٩٢٩ الجزء الثانى من ١٩٣٠ -١٩٣٤ الجزء الثالث من ١٩٣٥ – ١٩٣٦	جمع و تحقيق الباحثة السينمائية: فريدة مرعى تقديم أ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: فى الانطلاق من جمعة إلى مابعد السلامونى و سمير و فريد هلى حتقر السينمائيون السينما؟ و هل سيبدأ الاشتباك
١١	السينما العربية خارج الحدود	تأليف: صلاح هاشم تقديم:أ.د. مدكور ثابت تحت عنوان: حول الكتابة عن السينما خارج الحدود